

جَمع وترتيب
الفقِير إلى الله تعالى
محمد محمود حماد

يهدى ولا يباع

مَعَ صَاحِبِ الخُلُقِ العَظِيم

صلى الله عليه وسلّم

جمع وترتيب

الفقير إلى الله تعالى

محمد محمود حمّاد

الطبعة الثانية

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾

(الأحزاب: ٢١)

إهداء ... وشكر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾

(النحل: ١٢٥)

إلى كل مسلم ومسلمة.. يبتغي وجه الله تعالى
وإلى كل من عاون في مراجعة وإخراج هذا الكتاب
و إلى كل من يكون سببا في نشره

المقدمة

الحمد لله الذي (وعد فوفّى)، وعد عباده الثواب على الطاعة، فوفى لهم بما وعدهم، (وأوعد فعفا)، أوعدهم العقاب على المعصية، وهو سبحانه يعفو عن كثير. أحمدك اللهم حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يُحبُّ ربُّنا ويرضى، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة من أقر له برق العبودية، واستعاذ به من شر الشيطان والهوى.

الحمد لله الذي اصطفى من ينابيع جوده نبع بدائعه محمداً ﷺ أكمل الخلق روحا وعقلا وأعلاهم قدراً وذكراً وأرفعهم فضلا ونبلا، وأشرفهم مجداً وعزاً وأحسنهم خَلقاً وخُلقاً وأصدقهم قولا وفعلا ونبلا وأهداهم طريقا وهدياً وأكرمهم أصلاً، ودعا القرآن الناس إلى التأسي به في أخلاقه فقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الأحزاب: ٢١).

وأشهد أن محمداً ﷺ عبده المصطفى، ونبيه المجتبى، ورسوله الصادق المصدوق، صاحب الخلق العظيم، الذي لا ينطق عن الهوى ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ (النجم: ٤). أرسله رحمة للعالمين، وبشيراً ونذيراً، وسماه في كتابه سراجاً منيراً، قال تعالى: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ (الأحزاب: ٤٦)، وختم به النبيين عليهم السلام، قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ

ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ (الأحزاب: ٤٠)، وحسرة على الكافرين، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (الحاقة: ٥٠)، وحجة على العالمين أجمعين. فشرح له صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ (الشرح: ١ – ٤)، فبلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، وأخرج الناس من الظلمات إلى النور، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحًا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِى مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورًا نَّهۡدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ (الشورى: ٥٢)، وسلام الله على محمد ﷺ المجتبى، ورسولاً لخير أمة أشرقت به شمس الإنسانية، وكان مشرق إشعاع الهداية الربانية، فسعدت الإنسانية بهديه وارتفعت بتعليمه، وازدادت حضارةً ورقيًّا، وفخاراً وسؤددًا، وجعل له ذكره، وجعل الذلة والصَّغَار على من خالف أمره ونهيه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ (الأنعام: ١٢٤)، وأقسم بحياته في كتابه المبين، وقرن اسمه باسمه فلا يذكر إلا ذكر معه كما في التشهد والخطب والتأذين، الحمد لله الذي أرسل سيدنا محمداً ﷺ كافةً للناس ورحمةً للعالمين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡىِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلۡأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ (الأعراف: ١٥٨)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)،

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (سبأ: ٢٨)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ (الفرقان: ١)، وجعله بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (التوبة: ١٢٨)، وفضَّله على الخلائق أجمعين، وخاطبه بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾ ﴾ (القلم: ٤). وقوله: ﴿ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴿١١٣﴾ ﴾ (النساء: ١١٣). ونادى أنبياءه ورسله بأسمائهم وناداه بيا أيها النبي، يا أيها الرسول، تكريماً له وتعظيما، وأخذ العهد عليهم: ﴿ لَيُؤۡمِنَنَّ ﴾ (النساء: ١٥٩). و﴿ لَيَنصُرَنَّهُۥ ﴾ (الحج: ٦٠). فكانوا بذلك من سادات أمته، وكان لهم رسولاً كريما، وأسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فصلّى بهم إماماً، وكلهم كان به مأمومًا، وأكرمه بالعروج إلى السموات العلى، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ (الإسراء: ١)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ (النجم: ١٧ – ١٨)، وخصه برؤية ذاته المقدسة بلا كيف ولا حصر، وكلمه تكليمًا، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه وسائر من هداهم من المؤمنين صراطاً مستقيما، اللهم صلِّ على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك وخير خلقك النبي الأمّي وعلى آله وصحبه وسلم صلاةً وسلاماً دائمين يملآن بكمالهما دائرة الإمكان.

فإنه لا يخفى على من له أدنى اطّلاعٍ على أخبار الرسل عليهم الصلاة والسلام، أن سيدهم وسيد جميع خلق الله تعالى محمداً عليه الصلاة والسلام، هو أكثرهم معجزات ودلائل، وأظهرهم فضائل وفواضل، وأبهرهم محاسن وشمائل، وأشهرهم في الكتب السماوية علامات وبشائر، والحق تعالى يمده بأنواره، ويفيض عليه من مواهب أسراره، وكان فضل الله عليه عظيماً، علّمه ما لم يكن يعلم، وأخرج منه العوالم وجميع الخلق وسائر المعالم، فكان ﷺ أصل الأصـــول، ووصــل الوصـول، والمقدَّم على كل من تقدم، والجنس العالي على جميع الأجناس.

لابد أن نلفت الانتباه إلى الآيات الكريمة الّتي أقسم فيها الله تعالى برموز ثلاثة مرتبطة بالشرائع الثلاثة، حيث يقول عزَّ وجل: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۝٣﴾ (التين: ١-٣). فبلاد التين والزيتون هي الأرض المباركة حيث مهد المسيح عليه السلام ومسيرة دعوته، وطور سينين حيث ناجى موسى عليه السلام ربَّه وتلقى الأمر الإلهي ببدء الجهاد السلمي ضد الكفر والتسلط، والبلد الأمين حيث أشرقت دعوة محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام في مكَّة المكرمة؛ لتحضن شرائع السماء بإعزاز وتكريم، وتجمع قلوب المؤمنين بالله في سائر أنحاء العالم على المحبَّة والخير والسَّلام.

وافترض على العباد طاعته، ومحبته، وتعظيمه، وتوقيره، وسد إلى جنته جميع الطرق فلم يُفتح لأحد من أمته إلا من طريقه، فلم يزل ﷺ قائماً بأمر ربه لا يرده عنه راد، مشمِّرا في مرضاته لا يصده عنه صاد. إلى أن أشرقت الدنيا

برسالته ضياءً، وابتهاجًا، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ (النصر: ١ — ٣)، فصلوات ربي وسلامه عليه.

أما بعد:

لقد كان خاتم المرسلين الأخيار، محمد بن عبد الله، صلوات الله وسلامه عليه، الذي أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ۝٢٨﴾ (الفتح: ٢٨)، وأيده بالمعجزة الخالدة (القرآن الكريم) بهدايته التي أنزل بها، وإعجازه في أداء المقاصد الشاملة لحاجات الحياة أفراداً وجماعات، عقيدة وتعبداً، وتشريعاً وأنظمة اجتماعية يربي الإنسان قلباً وروحاً، ويربيه جسداً وعقلاً، ويربيه خلقاً وسلوكاً، فهو مصدر تشريع الأمة الإسلامية المصحح لما دخل على الديانات السابقة من تحريف وتزييف؛ إلى إفراد العبادة للخالق الواحد القهار. فلقى من عناد قومه وإيذائهم مما جعله يخرج من بلده مهاجراً، وتبعه من آمن به وكانوا قلة في عددهم، ولكنهم كثرة بإيمانهم. فاستطاعوا في سنوات معدودات بعون الله نشر لواء الإسلام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢﴾ (النصر: ٢).

فهذا كتاب جمعت فيه أنموذجاً من سيرة صاحب الخلق العظيم، ﷺ، للسيرة النبوية العطرة، لسيدنا محمد عبد الله ورسوله المبعوث برسالته، والداعي إلى طاعته، عليه وعلى آله أفضل سلام الله ورحمته.

وفضائله الواردة في القرآن والكتب السماوية، وما ورد عنه ﷺ، فيما تحدث فيه بنعم الله عليه؛ عملاً بقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١ ﴾ (الضحى: ١١)، ومن محاسن أسمائه وأوصافه وشمائله ومعجزاته ودلائله.

واعلم أنه ﷺ إنما بين فضائله ذاته الكاملة الفاضلة، التي لا أكمل ولا أفضل منها وأن سيرته ﷺ أكمل السِّيَر وأجملها، وهي مؤسسة على نصوص قرآنية من الولادة الكريمة، إلى البعثة المباركة، ومعجزاته، ورحمته بالناس أجمعين، ثم إلى لقاء الله تعالى، وانتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى.

بعد أن فرغنا من هذه الرحلة مع سيرة صاحب الخلق العظيم ﷺ تحدثنا عن أهل البيت:

التعريف بأمهات المؤمنين (رضي الله عنهن):

تزوج النبي ﷺ النساء المشهورات المتفق عليهن **وهن ست قرشيات**:

١- خديجة بنت خويلد، وينتهي نسبها إلى قصي بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي.

٢- عائشة بنت أبي بكر الصديق، وينتهي نسبها إلى تيم بن مرة بن كعب ابن لؤي.

٣- حفصة بنت عمر بن الخطاب، وينتهي نسبها إلى عدي بن كعب بن لؤي.

٤- أم حبيبة بنت أبي سفيان، وينتهي نسبها إلى قصي بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي.

٥- أم سلمة بنت أمية، وينتهي نسبها إلى مرة بن كعب بن لؤي.

٦- سودة بنت زمعة بن قيس، وينتهي نسبها إلى كعب بن لؤي بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة.

وأربع عربيات من غير قريش، من حلفائهم وهن:

١- زينب بنت جحش، وينتهي نسبها إلى أسد بن خزيمة.

٢- ميمونة بنت الحارث الهلالية، وينتهي نسبها إلى قيس بن عيلان.

٣- زينب بنت خزيمة الهلالية، وينتهي نسبها إلى قيس بن عيلان.

٤- جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية المصطلقية.

وواحدة من بني إسرائيل وهي:

١- صفية بنت حيي بن أخطب من بني النضير.

وهؤلاء المشهورات من نسائه؛ دخل بهن، وهن متفق عليهن، لم يختلف عليهن اثنان.

ولا خلاف أنه ﷺ تُوفي عن تسع زوجات، وهن من ذكرْنا، غير خديجة وزينب بنت خزيمة، فقد توفيتا في حياته ﷺ، وكلُّهنَّ ثيّباتٍ غير عائشة[1].

وتوفي ﷺ عن سريّتين:

(مارية بنت شمعون)، القبطية المصرية أهداها إليه ﷺ المقوقس عظيم مصر، وهي أم ولده إبراهيم -عليه السلام-

---

(١) ملخصاً من زاد المعاد لابن القيم: ١/٢٦- ٢٩.

و(ريحانة بنت زيد) من بني النضير[1] أسلمت فأعتقها، ثم تزوجها[2].

- **سيرة نساء أهل البيت**، وزينة وبركة لكل أهل بيت، ولكن دعونا نعرف من هم أهل البيت الأخيار؟

أهل البيت هم: نساء النبي ﷺ المطهرات خاصّة، وقرابتُهُ الأدْنَوْنَ بعامّة، وفي آيات سورة الأحزاب تفسير ذلك وبيانه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ٣٤ ﴾ (الأحزاب: ٣٢ - ٣٤).

نساء أهل البيت النبوي الطاهر، هم صفوة الصَّفْوة من نساء الدنيا، نستلهم من سيَرهِنّ عبير الفضائل، ورحيق المكارم، وكريم الشمائل، ففي سيرة كل واحدة منهن ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين من لطيف الصفات وحميد المكرمات. إن الرحلة مع نساء أهل البيت الطاهرات، تحمل بين طياتها نفحات هؤلاء الكريمات اللواتي - عطّرن السِّيَرَ- بطيْب عرفِ سيرتهن.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣ ﴾ (هود: ٧٣)، وجعل في آخرها محمدًا ﷺ الذي لا ينقطع له نسب ولا سبب إلى يوم القيامة ـ مصداقا لقوله ـ ﷺ:"كل سبب ونسب ينقطع

(١) ويقال من بني قريظة.

(٢) ابن كثير: ٤/٦٠٤- ٦٠٥.

يوم القيامة إلا سببي ونسبي."، وكما نزل في شأن إبراهيم عليه السلام الآية المتقدمة، فقد نزل في شأن محمد ﷺ قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ (الأحزاب: ٣٣)، وهذه الآية صريحة في فضل أهل البيت وأن الله طهرهم من الإثم والنقص وكل ما يعيب.

● **حب أهل البيت**: إن حب أهل البيت فرض يحتِّمه الدين ويدعو إليه الإسلام، وتستوجبه المروءة والوفاء لهذه العترة الطاهرة التي أذهب الله عنها الرجس وطهرها تطهيراً، ودعا إلى مودتها ومحبتها في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ (الشورى: ٢٣)، على التفسير الذي ذهب إليه بعض العلماء من أن المقصود منه مودة أهل البيت وحبهم.

وقد جعل الله تبارك وتعالى هذه الأمة وسطاً بين الأمم في جميع أمور دينها بما هيأ لها من أسباب التوسط، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ (البقرة: ١٤٣)، في ذلك بأن بعث فيها خيرة رسله، وأنزل إليها أفضل كتبه، وأكمل لها من أسباب التوسط والاعتدال ما يجعلها على بصيرة: من الضلالات، والانحرافات، فالمسلمون وسط بين الغالين والجافين،

لم يغلَوْا كما غَلَت النصارى الذين جعلوا المسيح ابن الله، ولم يُقَصِّروا كما قصرت اليهود الذين قتلوا الأنبياء والرسل، بل قدروا رسولهم حق قدره، وعظموه حق تعظيمه، بطاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ (الفتح: ٨ - ٩)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ (الأعراف: ١٥٧)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الأنفال: ٢٤)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ ﴾ (النساء: ٨٠)، وتقديم محبته على محبة النفس، والمال والأهل، والولد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (التوبة: ٢٤)، والسعي في إظهار دينه، وإعلاء كلمته، ونصر ما جاء به، وجهاد من خالفه، وتحكيمه وحده، والتسليم لحكمه والرضا به، إلى غير ذلك من أنواع التعظيم المشروع الذي فهمه سلف هذه الأمة، وعملوا به، فصدق عليهم التحقق

بالوسطية التامة، والخيرية الكاملة، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ (النساء: ٦٥).

فقد تميزت السيرة النبوية المباركة بنبعها وعطائها المتجدد لفهم شريعة السماء. فهي سيرة عظيمة تنضح بالخير، وتفيض بالأمل، لتشرق شمسها في آفاقنا الواسعة؛ لنستروح عبيرها الزاكي، ونتفيأ ظلالها الوارف، كلما أطلت شمس فجر جديد، وتاريخ أعظم إنسان؛ أدبه ربه فأحسن تأديبه، ورباه فأكمل تربيته، وجعل اتِّباعه عنواناً لمحبته، قال عنه عز من قائل: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾

(آل عمران: ٣١).

والنبوة هبة من الله لا تنال بالكسب؛ لكن حكمة الله وعلمه قاضيان بأن تُمْنَح للمستعد لها والقادر على حملها، الله أعلم حيث يجعل رسالته، قال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ (الحج: ٧٥)، ومحمدٌ ﷺ أُعِدَّ لأن يحمل الرسالة للعالم أجمعه، أحمره وأسوده، إنسه وجنه، وأعد لأن يحمل رسالة أكمل دين، ولأن يختم به الأنبياء والرسل، وليكون شمس الهداية وحده، إلى أن تنفطر السماء، ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ ﴾ (الانفطار: ١)، وتنكدر النجوم، ﴿ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿٢﴾ ﴾ (التكوير: ٢)، وتبدل الأرض غير الأرض والسماوات، ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ۖ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾

(إبراهيم: ٤٨).

محمد ﷺ

بهذا الاسم الكريم تنطق ملايين الشفاه، وله تهتز ملايين القلوب كل يوم مرات. هذه الشفاه والقلوب به تنطق وله تهتز منذ أربعمائة وثلاثين وألف سنة. وبهذا الاسم الكريم ستنطق ملايين الشفاه وتهتز ملايين القلوب إلى يوم الدين، فإذا كان الفجر من كل يوم وتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود أهاب المؤذن بالناس أن الصلاة خير من النوم، ودعاهم إلى السجود لله والصلاة على رسوله، فاستجاب له الألوف والملايين في مختلف أنحاء المعمورة يحيون بالصلاة رحمة الله وفضله متجلين في مطلع كل نهار، وإذا كانت الظهيرة وزالت الشمس أهاب المؤذن بالناس لصلاة الظهر ثم لصلاة العصر فالمغرب فالعشاء وفي كل واحدة من هذه الصلوات يذكر المسلمون محمداً ﷺ عبد الله ونبيه ورسوله ﷺ في ضراعة وخشية وإنابة، وهم فيما بين الصلوات الخمس ما يكادون يسمعون اسمه حتى تَجِفّ قلوبهم بذكر الله وبذكر مصطفاه، كذلك كانوا وكذلك سيكونون حتى يظهر الله الدين القيم ويتم نعمته على الناس أجمعين.

إن الرسالات السماوية مسلسلة واحدة يتمم بعضها بعضا، وترتبط شرائعها بشكل حلقات متسلسلة لذلك لا يغني السابق منها عن اللاحق لأن اللاحق تضمن السابق وزاد عليه، ولهذا نجد القرآن الكريم وهو آخر الكتب المنزلة تضمن كلاً من التوراة والإنجيل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ ﴾ (آل عمران: ١ – ٤). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ

وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (المائدة: ٤٨).

وهذا الدين ليس صلاةً أو صياماً وحدهما بل هو حياة شاملة ينظم أمور الناس كلها خير نظام فللإنسان علاقة العبودية بربه الواحد القهار وله علاقة الأخوَّة مع أبناء دينه في الحكمة وله علاقات النُّصْح والسلام والحث على الهداية للذين لم تتفتح قلوبهم بَعْدُ للإسلام.

- وفي الدين الجديد، دين التوحيد نظام كامل للحياة، ومحور الشرائع السماوية لتأسيس العقيدة الحقة لا تبديل لها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ (يونس: ٦٤).

•بدءًا من **آدم عليه السلام، فتح باب التوبة**، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ (البقرة: ٣٧)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (الأعراف: ٢٣).

•**ونوح عليه السلام، ركائز العقيدة والولاء**، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ (الأعراف: ٥٩)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ (الشعراء: ١١٧ – ١١٨)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾ (نوح: ٢٦ – ٢٧).

•وصالح عليه السلام، البناء الاقتصادي، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ (الشعراء: ١٤٧ – ١٤٩)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ (القمر: ٢٨)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ (هود: ٦١)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ (الأعراف: ٧٤).

•وإبراهيم عليه السلام، العبادات المفروضة مكارم الأخلاق والتشريعات الإسلامية والطاعة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ (البقرة: ١٢٤)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ (الأنبياء: ٧٣)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾

(الصافات: ١٠٢ – ١٠٥).

•ولوط عليه السلام، العلاقة الجنسية السليمة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (١٦٦) ﴾ (الشعراء: ١٦٥ – ١٦٦)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (٨١) ﴾ (الأعراف: ٨٠ – ٨١)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥) ﴾ (النمل: ٥٥).

•ويوسف عليه السلام، الصبر على الابتلاءات، والمساواة بين الأبناء، العفة والطهارة والاقتصاد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ (٣٢) قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤) ﴾ (يوسف: ٣٢ – ٣٤)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (٥٠) قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ۚ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ۚ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٥١) ﴾ (يوسف: ٥٠ – ٥١)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥) ﴾ (يوسف: ٥٥).

•وشعيب عليه السلام، العلاقات المادية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (الأعراف: ٨٥)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (هود: ٨٥)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ (الشعراء: ١٨١ - ١٨٣).

•وموسى عليه السلام، اللين وركائز العقيدة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ ﴾ (طه: ٤٣ - ٤٥)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (يونس: ٨٧)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ (الدخان: ٣١)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾ (القصص: ٣٣ - ٣٤)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ

ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (القصص: ٣٩)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ ﴾

(الأعراف: ١٣٢).

•وداود عليه السلام، أسس الحكم والعدل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ (ص: ٢٤ — ٢٦).

•وسليمان عليه السلام، الصناعة الحربية والمدنية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (النمل: ١٧)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ (سبأ: ١٣)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ (الأنبياء: ٨٠).

•وعيسى عليه السلام، ركائز العقيدة والتسامح والإحسان: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا

كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾

(مريم: ٣٠ – ٣٣).

واستفاد خاتم النبيين محمد ﷺ من بنائهم جميعا وتجاربهم مع أقوامهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ (النحل: ١٢٠ – ١٢٣)، وقال تَعَالَىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾

(النحل: ١٢٥ – ١٢٨).

إن الله سبحانه قد جمع في سيدنا رسول الله ﷺ كمالات الأنبياء جميعاً ووضع البنـــاء الشـــامل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ (الشعراء: ١٩٢ – ١٩٥)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ (الزخرف: ٣ – ٤).

إنما خصه الله بهذا التشريف لكونه الكتاب المشتمل على (عبادات: من صلاة وصوم وزكاة وحج) وفيه قضاء يفصل بين أمور الناس بالحق — والعدل — والصلاح الفردي — والاجتماعي — والإصلاح العائلي — والمالي — والعقابي والتشريعي — والمساواة — نظام الطلاق والزوجية (حقوق الزوج والزوجة) مشروعية الكسب والمحافظة على المال بالتوثيق (الكتابة — الإشهاد — الرهن) — العدل في الإنفاق — القذف — السرقة — حفظ النسل — الشورى — الحرية — طاعة الحاكم في المعروف — والقصاص — والمواريث — المحرمات والنواهي — والدعوة إلى الله والجهاد والحكمة والموعظة، وفي هذا الدين علم كامل للأخلاق وعلوم أخرى — التفكر في الكون والخلق وما يحيط بالإنسان ويجول في نفسه وعقله وروحه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ ﴾ (آل عمران: ١١٩).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ﴾ (طه: ٧).

ولكن كل هذه الأشياء يجب أن تقوم على قاعدة واحدة لا تبديل لها وهي (لا إله إلا الله)

واكتمل بذلك البناء فانقطع الوحي؛ إذ ختم به الرسالات السماوية بالإسلام، وجعله خاتم النبيين، وأمره أن يقتدي بكمالات من سبقه من المرسلين بقوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ ﴾ (الأنعام: ٩٠). وبقوله: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ (الأحقاف: ٣٥). وإن المتتبع لسيرة سيدنا رسول الله ﷺ ليرى هذه الحقيقة في سلوكه وأقواله وتوجيهاته وسياسته.

اللهم ارزقنا محبة أهل البيت واحشرنا في معيتهم، واجعل آخر كلامنا (لا إله إلا الله محمد رسول الله)

والله أسأل أن ينتفع بهذا الكتاب وأن يقبله تقبلاً حسناً وأن يجعله وسائر أعمالنا خالصة لوجهه الكريم،

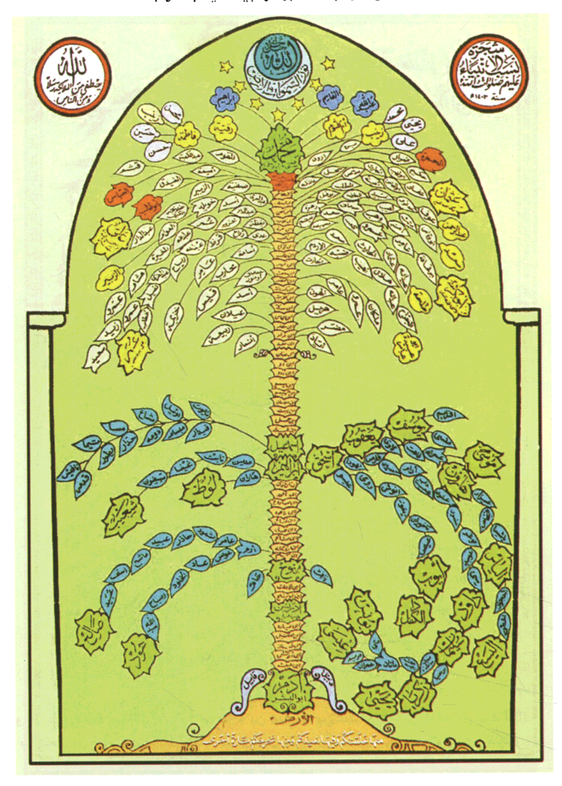
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

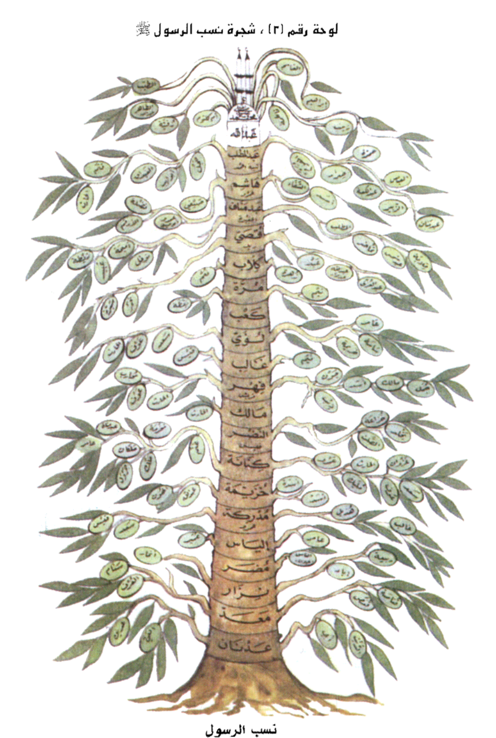
الفقير إلى الله تعالى

محمد محمود حماد

لوحة رقم (١) ، شجرة الأنبياء عليهم السلام



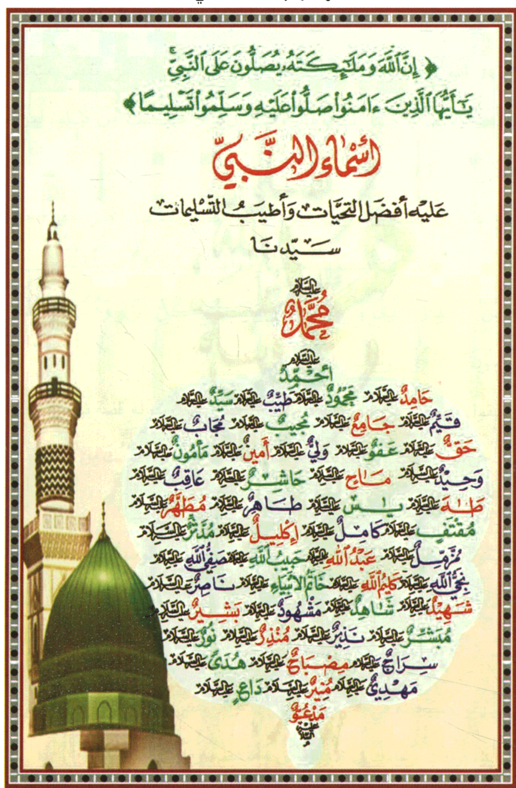
لوحة رقم (٢) ، شجرة نسب الرسول ﷺ



نسب الرسول

هو: الرسول محمد صلوات الله وسلامه عليه بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان

لوحة رقم (٣)، أسماء النبي ﷺ



العبرة في قصص الأنبياء الغيبية

يقول الله تبارك وتعالى في مفتتح سورة يوسف: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ (يوسف: ٣).

ثم يقول سبحانه بعد أن يسرد كامل قصة يوسف عليه السلام، وفي آخر السورة: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ (يوسف: ١١١).

ويقول سبحانه في سورة هود بعد أن قص على رسوله قصة نوح عليه السلام: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (هود: ٤٩).

ويقول سبحانه بعد ذكر ما جرى لهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام مع أقوامهم: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (هود: ١٠٠).

ثم يقول سبحانه في السورة ذاتها: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (هود: ١٢٠).

ويكرر رب العالمين قصص هؤلاء الأنبياء في سورة الأعراف بما يتفق وموضوع هذه السورة الكريمة وكيف كانت عاقبة تكذيب أقوامهم لرسلهم، فيقول عن نوح عليه السلام: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٦٣) فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (٦٤) ﴾ (الأعراف: ٦٣ـ ٦٤).

ويقول عن قوم هود: ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧٠) قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ (٧١) فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٧٢) ﴾ (الأعراف: ٧٠ـ ٧٢).

ويقول عن قوم صالح: ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧٧) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٧٨) ﴾ (الأعراف: ٧٧ ـ ٧٨).

ويقول عن قوم لوط: ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٨٣) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٨٤) ﴾ (الأعراف: ٨٣ ـ ٨٤).

ويقول عن قوم شعيب: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ (الأعراف: ٩٠ ـ ٩٢).

ثم يقول رب العالمين مخاطباً رسوله الكريم: ﴿ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ (الأعراف: ١٠١).

إن هذه القصص وأمثالها الواردة في القرآن الكريم هي من الأمور الغيبية التي لم يكن يعرفها محمد ﷺ ولا قومه، وكذلك ما قصه رب العالمين على رسوله المصطفى الأمين من قصص أخرى مثل قصة أصحاب الكهف، إذ يقول رب العالمين: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ ﴾ (الكهف: ١٣).

ويقول سبحانه في سورة طه بعد أن ذكر حديث موسى وتكليفه بالذهاب إلى فرعون، وما جرى بينهما من حوار، وما كانت عليه عاقبة فرعون ... وما تصرف به بنو إسرائيل، على الرغم من إنقاذهم من ظلم فرعون باتخاذهم العجل: ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ ﴾ (طه: ٩٩).

ويقول سبحانه بعد ذلك قصة زكريا ومريم عليهما السلام: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (آل عمران: ٤٤).

ويقول سبحانه في قصة موسى عليه السلام: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾

(القصص: ٤٤ ـ ٤٦).

وكذلك يتضمن القرآن بشيء من التفصيل قصة آدم وسجود الملائكة له، وتزيين إبليس له حتى أكل من الشجرة وهبوطه هو وزوجه من الجنة.

وما جرى لإبراهيم عليه السلام ـ خليل الله ـ مع قومه وإلقائه في النار، وعن ذبح ولده وتبشير الملائكة له بإسحاق ويعقوب، وعن رفع قواعد البيت مع ولده إسماعيل.

وقصة الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه...

وقصة زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وقصة ذي القرنين. وغير ذلك من قصص الأنبياء والصالحين والكفار.

هذه القصص التي هي من أنباء الغيب ما كان يعلمها من قبل محمد عليه السلام ولا قومه، مما يؤكد أنها من عند الله سبحانه لأنه ﷺ لم يتعلم ذلك من أحد من البشر. وأنه لم يجتمع أو يستمع لأحد كان عنده علم ببعض هذه القصص من أهل الكتاب أو من غيرهم، ولو أن أحداً أطلعه على شيء منها، لما خفي ذلك عن أعدائه وبخاصة اليهود، لأنهم والنصارى كانوا أهل كتاب.



تكذيب الرسل عليهم السلام:

قد علمت مما قصصناه أنه ما من نبي ولا رسول إلا استهزأ به قومه فكذبوه وقالوا عنه إنه مجنون وازدجر.

ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بدْعاً من الرسل، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ ﴾ (الأحقاف: ٩)، فقد قال عنه قومه إنه شاعر أو كاهن، ثم قالوا إنه ساحر أو مجنون، وقالوا إن هو إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ (الأنبياء: ٥).

وقال الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ ﴾

(الحجر: ٦ - ٧).

فرد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾ ﴾ (الحاقة: ٣٨ - ٥٢).

وقال الله تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ (١) مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ (٤) فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ (٥) بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ (٦)﴾ (القلم: ١ - ٦).

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ (١٠٣)﴾

(النحل: ١٠٣).

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا (٤) وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا (٥) قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا (٦)﴾ (الفرقان: ٤ - ٦).

وقال الله عز وجل: ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ (٤٨) بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ (٤٩) وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ (٥٠) أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ (٥١) قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ (٥٢)

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾(العنكبوت: ٤٨ — ٥٣).

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾

(الفرقان: ٤١ — ٤٤).

وقال الله عز وجل: ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ ﴾ (الإسراء: ٩٠ — ٩٦).

وقال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (فصلت: ٢٦ — ٢٧).

❊❊❊❊❊❊❊

قال تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ ﴾ (فاطر: ٢٥ — ٢٦).

وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الشورى: ٢٤).

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ ﴾ (الفرقان: ٧ — ١٠).

وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ ﴾ (آل عمران: ٦١ — ٦٣).

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٍ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ (آل عمران: ١٨٣).

وقال تعالى: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ ﴾ (آل عمران: ١٨٤).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥﴾ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (يونس: ١٥ – ١٦).

وقال تعالى: ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ (يونس: ٤١).

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ (يونس: ١٠٤).

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ ﴾ (الأعراف: ١٨٤).

وقال تعالى: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

(هود: ١٣ – ١٤).

وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (هود: ٣٥).

وقال تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (الأنعام: ٦٦ – ٦٧).

وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾ (الإسراء: ٤٦ – ٤٧).

وقال تعالى: ﴿ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ ﴾ (العنكبوت: ١٨).

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ﴾ (سبأ: ٤٤ – ٤٥).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ (الصافات: ٣٥ – ٣٦).

الأقوام البائِدة التي ذُكرت في القرآن الكريم

اسم القوم / الموضوع	عاد	ثمود	مدين وأصحاب الأيكة
مساكنهم	قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ والأحقاف تقع بين الربع الخالي وحضر موت.	بين المدينة وتبوك وتحديداً شمال وادي القرى في منطقة ((ثمود ـ الحجر)) وتعرف اليوم بمدائن صالح والعُلا.	منطقة واسعة من مغاير شعيب على خليج العقبة إلى أراضي تبوك في شمال الحجاز.
نبيهم	﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ (هود: ٥٠) هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود من أحفاد سام بن نوح عليه السلام.	﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ (هود: ٦١) صالح بن عبيد بن أسف من ذرية سام بن نوح عليه السلام.	﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ (هود: ٨٤) شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين بن إبراهيم الخليل عليه السلام.
تاريخ بعثته التقريبي	٤٦٠٠ق.هـ	٤٤٠٠ق.هـ	٣٦٠٠ق.هـ
ديانتهم	الأوثان ـ صدا ـ صمودا ـ هرا.	الأوثان	عبادة شجرة الأيكة الضخمة والأوثان.
بعض ما وصفهم به القرآن الكريم	قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: ٦٩).	قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف: ٧٤).	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾ (الأعراف: ٨٥ – ٨٦)

اسم القوم / الموضوع	عاد	ثمود	مدين وأصحاب الأيكة
من أنواع العقاب الذي حل بهم	رجس وغضب - عذاب غليظ - الصيحة - الهلاك - الريح الصرصر - سوط العذاب.	الرجفة - الصيحة - عذاب يوم عظيم - التدمير - الصاعقة - سوط العذاب.	الصيحة - الرجفة - عذاب يوم الظلّة.
السور القرآنية التي تحدثت عنهم	الأعراف - هود - إبراهيم - الفرقان - الشعراء - العنكبوت - ص - فصلت - الأحقاف - ق - الذاريات - النجم - القمر - الحاقة - الفجر.	الأعراف - هود - إبراهيم - الفرقان - الشعراء - النمل - العنكبوت - ص - الذاريات - ق - النجم - القمر - الحاقة - البروج - الفجر - الشمس.	الأعراف - هود - الحجر - الحج - الشعراء - ص - ق - العنكبوت.

عيسى يبشر برسول الله - عليهما السلام -

الأنبياء يطلبون من أتباعهم الإيمان بمحمد ﷺ :

محمدٌ رسولُ الله ﷺ هو خاتمُ الأنبياءِ والمرسلين. وأخبرَ اللهُ الأنبياءَ والرسلَ بهذه الحقيقة، وأخَذَ عليهم الميثاقَ والعهدَ أنْ يؤمنوا به.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾

(آل عمران: ٨١-٨٢).

قالَ علـيُّ بنُ أبي طـالب وعبدُ الله بنُ عبـاس – رضـي الله عنهم – في معنى هذه الآية: ما بعثَ اللهُ نبيًّا من الأنبياء إلاّ أخذَ عليه الميثاق: لئن بُعِث محمدٌ ﷺ وهو حيٌّ ليؤمِنَنَّ به ولينصُرَنَّه، وأمَرَه أنْ يأخذَ الميثاقَ على أمتِه، لئن بُعِثَ محمدٌ ﷺ وهم أحياء، ليؤمنُنَّ به ولينصُرَنّه....)).

وانطلاقاً من هذه الحقيقةِ فقد بَشَّرَ الأنبياءُ السابقون بمحمدٍ ﷺ، وكانت البشارةُ بشكلٍ أخصَّ على لسانِ موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام، كما ذَكَرَ اللهُ بعضَ صفاتِ النبي الخاتم ﷺ في التوراة وفي الإنجيل.

وهذا معناه أنَّ اليهودَ والنصارى كانوا يَعرفون مِن هذه البشارات أنَّ اللهَ سيبعثُ النبيَّ الخاتم عليه الصلاة والسلام، ولكن لما بَعَثَ الله محمدًا رسولاً ﷺ كَفَروا به وكذبوه.

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ (الأنعام: ٢٠).

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ (البقرة: ١٤٦).

صفات محمد ﷺ في التوراة والإنجيل:

بَشَّرَ موسى عليه السلام قومَه بمحمدٍ ﷺ، وبَشَّرَ عيسى عليه السلام قومَه بمحمد ﷺ، ولهذا جاءتْ صفاتُ رسولِنا ﷺ مكتوبةً في التوراة والإنجيل.

ورد هذا صريحاً في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

(الأعراف: ١٥٧).

يخبرُنا اللهُ في هذه الآية أنَّ رسولَنا ﷺ هو النبيُّ الأمي، وأنَّ اللهَ أخبرَ به اليهودَ والنصارى في التوراةِ والإنجيل، وأنهم قد قرءوا صفاتِه المكتوبةَ في التوراة والإنجيل، وهذه حقيقةٌ قاطعة، أنطقَ اللهُ بها بعضَ اليهود والنصارى.

عيسى يبشر بمحمد عليهما الصلاة والسلام:

وصرحَ القرآنُ بأن عيسى ﷺ قد بَشَّرَ بالنبيِّ الخاتم ﷺ. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾ (الصف: ٦ - ٧).

يعلنُ عيسى ﷺ لبني إسرائيل أنَّ اللهَ بعثَه لهم رسولاً، وجعلَه مصدِّقاً لما سبَقه من التوراة، وأمَرَهُ أنْ يبشِّرَ برسولِ الله محمد ﷺ، الذي سيبعثُه من بعده، وأنْ يأخذَ على النصارى العهد، أنْ يؤُمنوا به ويَتَّبعوه.

ومع ذلك، فإنَّ النصارى الذين أدركوا محمداً ﷺ قد نَقَضوا عهدَهم مع عيسى، وكَذَّبوا محمداً عليه الصلاة والسلام، ولما شاهَدوا ما معه من البينات قالوا إنها سحر: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ (الصف: ٦).

وبما أنَّ عيسى ﷺ بَشَّرَ به، فقد أخبرَ محمدٌ ﷺ أنه ((بُشرى عيسى)) ﷺ.

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

التوفيق بين اسميه ((أحمد)) و((محمد)) ﷺ

والـذي يُلفتُ النظــر في التعبيرِ القرآنيِّ عــن بــشارةِ عيسى بمحمدٍ - عليهما الصلاة والسلام - أنه جاءَ فيه اسمُ ((أحمد)) مع أنَّ اسمَه هو ((محمد)) ﷺ: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾.

ولا فرقَ بين الاسمَين ((أحمد)) و((محمد))، لاشتقاقِهما من مادةِ ((الحمد)). والاسمانِ معروفان للنبيِّ الخاتمِ ﷺ.

((أحمد)): أفعلُ تفضيل من ((حَمد)). تقول: حَمِدَ، يَحْمَدُ، فهو حامِد. وهو أحمد: أكثرَ حَمْداً من غيره.

و((مُحَمَّد)) على وزن ((مُفَعَّل)): اسمُ مفعولٍ من الرباعي ((حَمَّد)) تقول: حَمَّدَ، يُحَمِّد، والمفعول منه: مُحَمَّد.

قالَ الإمامُ الراغب: ((يقال: فُلانٌ محمود: إذا حُمِد. و: مُحَمَّد: إذا كثرتْ خصالُه المحمودة.

وقوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ فأحمدُ إشارةٌ إلى النبيِّ ﷺ باسمِه وفعلِه، تنبيهاً أنه كما وُجِدَ اسمُه أحمد، يوجَدُ وهو محمودٌ في أخلاقِه وأفعالِه.

وخُصَّ لفظةُ أحمد فيما بَشَّرَ به عيسى عليه السلام، تنبيهاً أنه أحمدُ منه ومن الذين قبلَه، أي أكثرُ حَمْداً منهم لله.

وقولُه تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ (الفتح: ٢٩)، فمحمد هنا ـ وإنْ كانَ مِنْ وَجْهٍ اسماً له عَلَماً ـ ففيه إشارةٌ إلى وصفِه بذلك، وتخصيصِه بمعناه....))[١].

إنَّ ((أحمد)) و((محمد)) مشتقّان من ((الحمد))، فهما من مادةٍ اشتقاقيةٍ واحدة، فلا تناقضَ بين الاسميْن الكريميْن.

---

(١) المفردات: ٢٥٦.

ولعلَّ من حكمةِ التعبيرِ بأفعلِ التفضيل ((أحمد)) في بشارةِ عيسى عليه السلام، اعترافَ عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام بفضْلِ محمدِ بن عبد الله ﷺ عليه وعلى كلِّ مَنْ سَبَقَه.

وكأنَّ عيسى عليه السلام يقول: النبيُّ الخاتمُ الذي يأتي من بعدي هو أكثرُ حمداً منّي لله، وأكثرُ حمداً مِن كلِّ مَنْ سبقني لله، فهو ((أحمدُنا)) لله، وأكثَرُنا له ذكْراً وشكْراً، وثناءً ومدحاً.

وفي هذا تواضعٌ من عيسى عليه السلام أمامَ محمد ﷺ.

معاني أسماء النبي محمد ﷺ:

وقد أخبرَنا رسولُ الله ﷺ أنَّ له أسماءَ عديدة:

روى البخاريُّ ومسلمٌ عن جبيرِ بن مُطْعِم رضي اللهُ عنه، أن رسولَ الله ﷺ قال: ((لي خمسةُ أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي، الذي يمحو اللهُ بي الكفر، وأنا الحاشر، الذي يُحْشَرُ الناسُ على قدمي، وأنا العاقب، الذي ليسَ بعدَه نبي...)).

وروى مسلمٌ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ يُسمي لنا نفسَه أسماء، قال: أنا محمد، وأحمد، والمقفي، والحاشر، ونبيُّ التوبة ونبيُّ المرحمة))[1].

---

(١) أخرجه البخاري برقم: ٣٥٣٢. ومسلم برقم: ٢٣٥٤.

فسَّرَ رسولُ الله ﷺ أسماءَه الثلاثة، المضافة إلى محمد وأحمد.

فهو الماحي، الذي محا اللهُ به الكفر، لأنَّ اللهَ أبقى الإيمانَ والإسلامَ برسالتِه قويًّا حتى قيامِ الباطل، وجعلَ الباطلَ والكفرَ زاهقاً ذليلاً.

وهو الحاشر، الذي يُحْشَرُ الناسُ على قدمِه يومَ القيامة، فاللهُ يُشَفِّعُهُ فيهم، ولا يَبدأُ حسابُهم إلاّ بشفاعتِه، ولا يَدخلُ المؤمنون الجنةَ إلاّ بعده، فهو الذي يَطرقُ لهم بابَ الجنة، ويتقدمُهم في دخولِه.

وهو العاقب، الذي جاءَ عقبَ الأنبياءِ جميعاً، وبعثَه اللهُ نبيًّا بعدَهم جميعاً، وختمَ اللهُ به الأنبياءَ فلا نبيَّ بعده.

والمقَفِّي بمعنى العاقب، فهو الذي قَفّى اللهُ به الأنبياء، وختمهم به.

وهو نبيُّ الرحمةِ والتوبة أي أنه جاءَ بالتوبةِ والرحمة، وحثَّ الناسَ على التوبةِ والاستغفار، ودَعاهم إلى التراحمِ فيما بينهم.

إنَّ هذه الأسماءَ الخمسةَ للنبي ﷺ تدلُّ بصراحةٍ على أنَّ ((أحمد)) المذكورَ في الآية اسمٌ من أسمائه، فلا تعارضَ بين أحمد ومحمد ﷺ.

وبشارةُ عيسى بمحمد ﷺ لأنه خاتمُ النبيين، الذي ختمَ اللهُ به هذا الموكبَ النبويَّ الكريم.

❁❁❁

حراسة السماء الدنيا بالشهب

ومن آياته الظاهرة التي في القرآن ما ذكره من أن السماء ملئت حرساً شديداً وشهباً، على خلاف ما كانت عليه من قبل. قال الله تبارك وتعالى:

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ (الجن: ١ ـ ١٠).

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ (الشعراء: ٢١٠ ـ ٢١٢).

وقد كان النبي ﷺ يقرأ ذلك على الناس، وكذلك كانوا هم يقرءونه، ولم ينكر هذه الوقائع أحد، ولم يرتب بها المؤمنون، ولا احتج عليها الكافرون، فدل ذلك على أن الناس قد علموا صدق ما أخبرت به الجن من أن السماء ملئت حرساً شديداً وشهباً، وأنهم لم يعودوا يتمكنون من التقاط السمع كما كانوا يفعلونه من قبل.

وكان الرسول ﷺ يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء، فرجعوا إلى قومهم فقالوا: ((يا قومنا إنّا سمعنا قرآنا عجباً، يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك

بربنا أحدا)). فأنزل الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ①﴾ (الجن: ١).

❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀

البدع الدينية في الجاهلية

البحيرة:

الناقة تشق أذنها وتترك فلا تركب ولا يشرب لبنها إلا أن يسقوها حنيفاً.

الحام ((الحامي)):

جمع حوم هو الجمل إذا بلغ حدًّا معيناً من النتاج يحمون ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ويتركونه للقاح.

الوصيلة:

الشاة تتسم بأن تلد عشر إناث في خمسة بطون ليس بينهم ذكر، ثم ولدت فالذكور هم دون إناثهم إلا أن يولد ميتاً، فإنهم يشركون فيه إناثهم فيأكلونه جميعاً.

السائبة:

الناقة تسيّب أي تترك للآلهة في نذر أو غيره كمجرد التقرب فلا يركب ظهرها ولا يشرب لبنها ولا يؤكل لحمها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (المائدة: ١٠٣).

الاستقسام بالأزلام:

ثلاثة أقداح كتب على أحدها أمرني ربي، والثاني نهاني، والثالث لا يُكتب عليه شيء، وتستخدم لأنهم يطلبون معرفة ما قسم لهم. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ﴾ (المائدة: ٣).

الطواف الخاطئ:

الطواف في ثياب عصى الله فيها الحمس، فإن لم يجد ثوباً طاف عرياناً وكذلك المرأة وتستر فرجها.

النسيئ:

تأخير حرمة شهر محرم إلى صفر من أجل استحلال القتل حرمة للشهر الحرام واضحاً بها يطلق عليهم ((النساة)). قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا

حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ (التوبة: ٣٧).

الوقوف في الحج:

الوقوف في الحج بمزدلفة دون عرفة ويقوم به الحمس ((المتدينون)) من أشراف مكة؛ أما سائر العرب فإنهم يقفون بعرفات ولا يسمح أن يقفوا بمزدلفة.

ولادته الكريمة ونسبه الزكي

كان لعبد المطلب - سيّد قريش - عشرةُ أبناء، كانوا شامةً بين الناس، وعبد الله واسطةُ العِقْد، وزوّجه أبوه آمنةَ بنتَ وهب - سيِّدِ بني زُهرة - وهي يومئذٍ أفضلُ امرأةٍ في قريش نسباً وموضعاً.

ولم يلبث عبدُ الله أن مات، وأمُّ رسول الله ﷺ حامِلٌ به، وقد رأت من الآثار والآياتِ ما يدلُّ على أنَّ لابنها شأناً.

وولد رسول الله ﷺ يوم الإثنين اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول، عام الفيل ((٥٧٠ ميلادي)) وجاءت في بعض الروايات أنها كانت في ((٥٦٩ ميلادي)) - والله أعلم- فكان أسعدَ يومٍ طلعتْ فيه الشمسُ.

وهو محمَّد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مَناف بن قُصيّ ابن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤي بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النّضر بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار بن معدّ بن عدنان.

وينتهي نسبُ عدنان إلى سيدنا إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام -.

فلمَّا وضعته أمه ﷺ أرسلت إلى جدّه عبد المطلب أنه قد ولد لك غلامٌ، فأتاه، فنظرَ إليه، وحمله، ودخل به الكعبة، وقام يدعو الله، ويحمده، وسماه ((محمَّداً)) وكان هذا الاسم غريباً، فتعجَّبَ منه العرب.

رضاعته ﷺ:

أرضعته ثويبةُ جاريةُ عمّه أبي لهب بضعة أيام. ثم التمس عبد المطلب لحفيدِه اليتيمَ - الذي كان أحبَّ أولادِه إليه - مرضعاً من البادية، على عادة العرب، وكان العربُ يؤثرون البادية لرضاعة الأطفال ونشأتهم الأولى، لما في هواء البادية من الصَّفاء، وفي أخلاق البادية من السلامة والاعتدال، والبعدِ عن مفاسد المدنية، ولأنَّ لغةَ البادية سليمةٌ أصيلةٌ. وجاءت المراضع من قبيلة بني سعد، وكانت لها شهرةٌ في المراضع وفي الفصاحة، وأدركتْ حليمة السعديَّةُ، هذه السعادة، وكانت خرجتْ من بلدها تلتمسُ الرُّضعاء، وكان العام عامَ جَدْبٍ، وهم في ضيق وشدة، وعُرِضَ رسول الله ﷺ على جميع المراضع فزهدنَ فيه، وذلك لأنهنَّ كنَّ يرجون المعروفَ من أبي الصبيّ، فقلن: يتيم! وما عسى أن تصنعَ أمّه وجدُّه؟!

وهكذا فعلت حليمة، فانصرفت عنه أول مرة، ثم انعطفَّ قلبُها عليه، وألهمها الله حبَّه وأخذه، ولم تكن وجدتْ غيرَه، فرجعت إليه فأخذته، وذهبتْ به إلى رَحْلِها، ولمستِ البركةَ بيدها، فكان لكلِّ شيءٍ في رحلها شأنٌ غيرُ الشأن، ورأت البركةَ في اللبان والألبان، والشارف والأتان، وكلٌّ يقول: لقد أخذتِ يا حليمةُ! نسمةً مباركةً، وحسدتها صواحبها.

ولم تزل تتعرَّف من الله الزيادةَ والخيرَ، حتى مضت سنتان في بني سعد، وفصلتْهُ، وكان يشبُّ شباباً لا يشبُّهُ الغلمان، وقدمت به ﷺ على أمه، وطلبت

أن تتركه عندها بعضَ الوقت، فردَّته إليها. وعادت برسول الله ﷺ إلى أمه آمنة، وهو في الخامسة وشهر من عمره.

وجاءه ملكان وهو في بني سعد، فشقَّا بطنَه، واستخرجا من قلبه علقةً سوداء، فطرحاها، ثم غسلا قلبه، حتى أنقياه وردَّاه كما كان.

ورعى رسول الله ﷺ الغنم مع إخوته من الرضاعة، ونشأ على البساطة والفطرة، وحياة البادية السامية، واللغة الفصيحة، التي اشتهر بها بنو سعد بن بكر، وكان يقولُ لأصحابه فيما بعد: ((**أنا أعربكم، أنا قرشي، واسترضعتُ في بني سعد بن بكر**)).

التربية الإلهية:

وشبَّ رسول الله ﷺ محفوظاً من الله تعالى، بعيداً عن أقذار الجاهلية وعاداتها، فكان أفضلَ قومه مروءةً، وأحسنَّهم خلقاً، وأشدَّهم حياءً، وأصدقَهم حديثاً، وأعظمَهم أمانةً، وأبعدَهم عن الفحش والبذاءة، حتى ما أسموه في قومه إلا الأمين.

يعصمُه الله تعالى من أن يتورَّط فيما لا يليقُ بشأنه، من عاداتِ الجاهليةِ، وما لا يرون به بأساً، ولا يرفعون له رأساً، وكان واصلاً للرَّحم، حاملاً لما يُثْقِلُ كواهلَ الناس، مكرِماً للضيوف، عوناً على البر والتقوى، وكان يأكلُ من نتيجةِ عمله، ويقنعُ بالقوت.

ولما بلغ رسولُ الله ﷺ أربعَ أو خمسَ عشرةَ سنةً، هاجت ((حرب الفِجَار)) بين قريش وبين قيس عيلان، وشهدَ رسولُ الله ﷺ أيامها، وكان يرد نبل عدوهم إذا ما رماهم على أعمامه، وبذلك عرفَ الحربَ، وعرفَ الفروسية والفتوة.

ولما شبَّ عن الطوق، اتَّجه إلى العمل، فرعى الأغنام، وفيه كسبٌ شريف، وتربيةٌ نفسيَّةٌ، وترويضٌ على العطف على الضعفاء، واستنشاقٌ للهواء النقيِّ الصافي، وتقويةٌ للجسم، وفوق ذلك كله إنَّه اتباع لسنَّةِ الأنبياء، فقد روي عنه ﷺ أنه قال بعد النبوة: ((ما مِنْ نبيٍّ إلاَّ وَقَدْ رعى الغنمَ))، قيل: وأنت يا رسولَ الله؟! قال: ((وأنا)).

وقد رعى الغنم في بني سعد مع إخوته من الرضاعة، فلم يكن بعيدًا عنه ولا جاهلاً له، أن النبي ﷺ كان يرعى الغنم على الأجرة.

وفاة عبد الله وآمنة وعبد المطلب وكفالة أبي طالب:

وقد تحقق أنَّ أبا رسول الله ﷺ عبدَ الله بن عبد المطَّلب تُوفي في شبابه قبل ولادته ﷺ، وكان قافلاً من الشام، فمرض في الطريق، ووصل إلى يثرب ـ مدينة أخوالِه بني عدي بن النجار ـ ومات هناك.

ولما بلغ ﷺ ـ سِتَّ سنين، خرجت به أمه إلى مدينة يثرب، وتزور قبرَ بعلها الحبيب عبد الله بن عبد المطلب، وفي عودتها إلى مكة أدركها الموتُ بمكانٍ بين مكة والمدينة، اسمه ((الأبواء))، واجتمعت له وحشة فراق الأمّ الحنون، ووحشة الغربة، وذلك الشأنُ معه منْ يوم ولد، وفيها من أسرار التربية الإلهية ما لا يعلمها إلا الله.

وعادت به أم أيمن بركة الحبشية إلى مكة، وسلَّمته إلى جدِّه عبد المطلب، فكان مع جده، وكان به حفيًّا، يجلسه على فراشه في ظلِّ الكعبةِ ويلاطفُه.

فلما بلغ رسول الله ﷺ ثماني سنين، مات عبد المطلب، فذاق مرارةَ اليتم مرَّة ثانيةً، وكانت أشدَّ من الأولى، فإنَّه ﷺ لم يرَ أباه، ولم ينعَمْ بعطفه وحنوّه،

فكان الشعورُ بفقده شعوراً عقلياً تقليدياً، وكان الشعورُ بفقدِ عبد المطلب شعوراً حِسِّياً تجريبياً، والفرق بينهما واضح.

كان رسول الله ﷺ بعد عبد المطلب مع عمه أبي طالب، وهو أخو عبد الله من أب وأم، وكان عبد المطلب يوصيه به، فكان إليه ومعه، وكان أرفقَ به، وأكثرَ حَدَباً عليه منه على أبنائه.

معيشته عليه الصلاة والسلام قبل البعثة

لم يرث عليه الصلاة والسلام من والده شيئاً، بل ولد يتيمًا عائلاً[1]، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝ ﴾ (الضحى: ٦ - ٨)، فاسترضع في بني سعد، ولما بلغ مبلغاً يمكّنه أن يعمل عملاً كان يرعى الغنم مع إخوته من الرضاع في البادية، وكذلك لمّا رجع إلى مكة كان يرعاها لأهلها مقابل الأجرة. وجود الأنبياء في حال التجرد عن الدنيا ومشاغلها أمر لابدّ منه، لأنهم لو وجدوا أغنياء لألهتهم الدنيا وشغلوا بها عن السعادة الأبدية، ولذلك ترى جميع الشرائع الإلهية متفقة على استحسان الزهد فيها والتباعد عنها، وحال الأنبياء السالفين أعظمُ شاهد على ذلك، فكان عيسى عليه السلام أزهدَ الناس في الدنيا، وكذلك كان موسى، وإبراهيم. وكانت حالتهم في صغرهم ليست سَعَة بل كلهم سَواء تلك حكمة

(١) العائل: الفقير.

بالغة أظهرها الله على أنبيائه ليكونوا نموذجاً لمتبعيهم في الامتناع عن التكالب على الدنيا والتهافت عليها، وذلك سبب البلايا والمحن. وكذلك رعاية الغنم، فما من نبي إلا رعاها وهذه أيضاً من بالغ الحِكَمَ فإن الإنسان إذا استرعى الغنم ـ وهي أضعف البهائم ـ سكن قلبَه الرأفةُ واللطفُ تعطفاً، فإذا انتقل من ذلك إلى رعاية الخلق كان لما هُذِّب أولاً من الحدة الطبيعية والظلم الغريزي، فيكون في أعدل الأحوال. ولما شبّ عليه الصلاة والسلام كان يتجر. وذهب بالتجارة لخديجة ـ رضي الله عنها ـ إلى الشام مقابل نسبة محددة من المال يأخذه، ولما شرفت خديجة بزواجه، وكانت ذات يسار، عمل في مالها وكان يأكل من نتيجة عمله. وحقق الله ما امتنّ عليه به في سورة الضحى بقوله جلّ ذكره: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ (الضحى: ٦ ـ ٨). بالإيواء والإغناء قبل النبوّة والهداية بالنبوّة، هداه للكتاب والإيمان ودين إبراهيم عليه السلام، ولم يكن يدري ذلك قبل. قال تعالى في سورة الشورى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ (الشورى: ٥٢).

سيرته في قومه قبل البعثة:

كان عليه الصلاة والسلام، أحسن قومه خُلقاً، وأصدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانة، وأبعدَهم عن الفحش، والأخلاق التي تدنس الرجال، حتى أفضلَ قومه مروءةً، وأكرمَهم مخالطة، وخيرهم جواراً، وأعظمهم حلماً، وأصدَقهم حديثاً، فسمّوه الأمين لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة الحميدة، والفعال السديدة من الحلم، والصبر، والشكر، والعدل، والتواضع، والعفّة،

والجود، والشجاعة، والحياء. حتى شهد له بذلك ألدُّ أعدائه النضر بن الحارث من بني عبد الدار حيث يقول: قد كان محمد ﷺ فيكم غلاماً حَدَثاً، أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانةً، وجاءكم بما جاءكم قلتم: ساحر، لا والله! ما هو بساحر. قال ذلك في معرض الاتفاق على ما يقولونه للعرب الذين يحضرون الموسم حتى يكونوا متفقين على قول مقبول يقولونه.

وقد حفظه الله في صغره من كل أعمال الجاهلية التي جاء شرعه الشريف بضدها وبُغِّضَتْ إليه الأوثان بغضاً شديداً حتى ما كان يحضر لها احتفالاً أو عيداً مما يقوم به عُبّادُها. وقال عليه الصلاة والسلام: ((لما نشأتُ بُغِّضَتْ إليّ الأوثان، وبُغِّض إليّ الشِّعر، ولم أهمّ بشيء مما كانت الجاهلية تفعله إلا مرتين، كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك. ثم ما هممتُ بسوء بعدهما حتى أكرمني الله برسالته. قلت ليلة لغلام كان يرعى معي: لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة فأسْمُر كما يسمر الشباب، فخرجت لذلك حتى جئتُ أول دار من مكة أسمع عزفاً بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم، فجلست لذلك، فضرب الله على أذنَي فنمت فما أيقظني إلا مسّ الشمس ولم أقضِ شيئاً)). وكان عليه الصلاة والسلام لا يأكل ما ذبح على النُّصب، وحرّم شرب الخمر على نفسه مع شيوعه في قومه شيوعاً عظيماً، وذلك كله من الصفات التي يُحَلِّي الله بها أنبياءه ليكونوا على تمام الاستعداد لتلقّي وحيه، فهم معصومون من الأدناس قبل النبوّة وبعدها، أما قبل النبوة فليتأهلوا للأمر العظيم الذي سيُسند إليهم، وأمّا بعدها فليكونوا قدوة لأممهم. عليهم من الله أفضل الصلوات وأتمّ التسليمات.

حلف الفضول

وشهد رسول الله ﷺ حلفَ الفضول، وكان أكرمَ حلفٍ سمع به وأشرفه في العرب، وكان سببه أنَّ رجلاً من زُبيْدٍ قدمَ مكةَ ببضاعةٍ، فاشتراها منه العاص ابن وائل السهمي أحدُ أشراف قريش، فحبس عنه حقَّه، فاستعدى عليه الزُّبيديُّ أشراف قريش، فأبوا أن يعينوا على العاص بن وائل لمكانته، وانتهروه، واستغاث الزُّبيدي أهل مكة، واستعان بكلِّ ذي مروءة.

وهاجت الغَيْرَةُ في رجالٍ من ذوي المروءة والفتوة، فاجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان، فصنع لهم طعاماً، وتعاقدوا، وتعاهدوا بالله، ليكونُنَّ يداً واحدةً مع المظلوم على الظالم، حتى يؤدَّى إليه حقه، فسمَّتْ قريش ذلك الحلف (حلف الفضول) وقالوا: لقد دخل هؤلاء في فضلٍ من الأمر، ثم مشوا إلى العاص ابن وائل، فانتزعوا منه سلعة الزُّبيدي، فدفعوها إليه.

وكان رسول الله ﷺ متمسِّكاً بهذا الحلف، حتى إنه بعد البعثة يقول: **((لقد شهدتُ في دار عبد الله بن جدعان حِلْفاً ما أحب أن لي به حمر النِّعَم، ولو أُدعى به في الإسلام لأجبتُ))**.

تحالفوا أن يردُّوا الفضول على أهلها، وأن لا يعز ظالم مظلوماً. ويرى المتتبعُ لأوضاع جزيرة العرب بصفةٍ عامةٍ، ووضع مكة المكرمة مركز الجزيرة الديني والثقافي والسياسي وواقعها، أنَّ الباعث لأهل الضمائر الحية على إنشاء هذا الحلف لم يكن حادثةً تتعلَّقُ بفردٍ واحدٍ، أو لبعض حقوقٍ مهضومةٍ لأفراد معدودين، بل كان الباعث القويُّ، هو القلق من حالة الفوضى وعدم الثقة التي

كانت تسودُ مكة وما حولها، والشعورُ بالحاجة إلى الأمن والاستقرار - خصوصاً بعد حرب الفِجَار - واحترام الحقوق والكرامات، وحماية الغرباء والوافدين إلى مكة من التجَّار والصنَّاع.

ما أكرمه الله به قبل النبوّة:

أول منحة من الله ما حصل من البركات على آل حليمة الذين كان مسترضعاً فيهم، فقد كانوا قبل حلوله بناديهم مجدبين فلما صار بينهم صارت غُنَيماتهم تؤوب من مرعاها وإن أضراعها لتسيل لبناً، ثم أعقب ذلك ما حصل من شق صدره وإخراج حظّ الشيطان منه، وليس هذا بالعجيب على قدرة الله تعالى، فمن استبعد ذلك كان قليل النظر، لا يعرف من قوة الله شيئاً، لأن خرق العادات للأنبياء.

ومن المكرمات الإلهية تسخير الغمامة له في سفره إلى الشام، حتى كانت تظله في اليوم الصائف لا يشترك معه أحد في القافلة، كما روى ذلك غلام خديجة الذي كان مُشاركاً له في سفره، وهذا ما حبّبه إلى خديجة حتى خطبته لنفسها، وتيقنت أن له في المستقبل شأناً. ولذلك لما جاءته النبوّة كانت أسرعَ الناس إيماناً به، ولم تنتظر آيةً أخرى زيادة على ما علمته من مكارم الأخلاق، وما سمعته من خوارق العادات.

زواجه ﷺ من خديجة (رضي الله عنها)

ولما بلغ رسولُ الله ﷺ خمساً وعشرين سنة، تزوَّجَ خديجةَ بنت خويلد، وهي من سيّدات قريش، وفُضْليات النساء، رجاحةَ عقلٍ، وكرمَ أخلاقٍ، وسعةَ مالٍ، وكانت أرملةً، توفي زوجُها، وكانت إذ ذاك في الأربعينَ من سِنِّها، ورسولُ الله ﷺ في الخامسة والعشرين من عمره.

وكانت خديجةُ امرأةً تاجرةً، تستأجر الرجالَ في مالها، وتضارِبُهم بشيءٍ تجعله لهم، وكانت قريشٌ قوماً تجاراً، وقد كانت اختبرت صدق حديثِ رسولِ الله ﷺ وكرم أخلاقه، ونصيحته، حينَ خرجَ في مالٍ لها إلى الشام تاجراً، وبلغها من كبر شأنه في هذه الرحلة، فعرضتْ عليه نفسها، وكانت قد رفضت طلبَ كثيرٍ من أشرافِ قريشٍ، وخطبَها إليه عمُّه حمزةُ، وخطبَ أبو طالب الخطبةَ، فكان الزواجُ.

وكانت أول امرأةٍ تزوَّجها رسولُ الله ﷺ.

وهكذا استقرَّت أوضاع محمَّد ﷺ الاجتماعية والمادية، حتَّى إذا تجاوز الثلاثين، بدأت حياته تأخذ منعطفاً جديداً، فحُبِّب إليه العزوف عن الناس في أغلب أوقاته، إلا فيما كان فيه حقٌّ للمجتمع كمساعدة الضعيف، ونُصْرة المظلوم، وإكرام الضيف، وصلة الرحم. وصار شديد الميل إلى العزلة والخلوة التي كانت بمثابة مرحلة إعداد روحي للنبوَّة، واتَّخذ من غار حراء مكاناً لخلوته هذه، بعيداً عن الناس، حتَّى أتاه الوحي وأُمِرَ بالتَّبليغ.

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ (الفتح: ٨)

١. قصّة الوحي الإلهي

الوَحْيُ إلَى النَّبِيِّينَ وَالـمُرْسَلِينَ عليْهمُ السَّلامُ

قال الله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣ ﴾ (الشورى: ٣).

أي: يوحي إليك – يا محمد – اللهُ تعالى، العزيز في انتقامه، القاهر فوق عباده، الحكيم في قوله وفعله، بمثل ما في هذه السورة من الدعوة إلى الصالح بطاعة الله تعالى، كما أوحى الله إلى من قبلك من الرسل بمثل ذلك.

لَقَدْ عَلِمْتُ مِمَّا قَصَصْنَاهُ عَلَيْكَ أَنَّهُ مَا مِنْ نَبِيٍّ ولا رَسُولٍ إلا وَقَدْ كَانَ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَهُ اللهُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلَ إِلَيْهِ رَسُولاً.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٥١ ﴾

(الشورى: ٥١).

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٌ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ۝٧ ﴾

(الشورى: ٧).

وكما أوحينا إلى الأنبياء من قبلك، وأرسلنا كل واحد منهم إلى قومه ليستطيع دعوتهم إلى الله بلغتهم ولسانهم، وليفهموا منه معاني ما يريد إبلاغه

إليهم من ربهم، كذلك أوحينا إليك قرآناً واضحاً جلياً منزلاً باللغة العربية، لغة قومك؛ لتنذر أهل مكة (أم القرى)، ومن حولهم من الناس، وتحذرهم عقاب الله، يوم القيامة، يوم يجمع الله الخلائق ليحاسبهم على أعمالهم، وهو يوم واقع لا شك فيه ولا ريب، فيجزي الكافرين الظالمين بما اجترحوا من الإثم والسيئات، ويكونون من أهل النار، فيقذفون فيها قذفاً، ويجزي المحسنين بالجنة.

وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّهُ أَنْزَلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ صُحُفاً مُطَهَّرَةً وَأَنْزَلَ عَلَى مُوسَى التَّوْرَاةَ، وَآتَى دَاوُدَ زَبُوراً وَخَصَّ عِيسَى بِالإِنْجِيلِ كَمَا خَصَّ نَبِيَّهُ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً صلى الله عليه وعليهم أجمعين بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ.

قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ ۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ ﴾ (النساء: ١٦٣ـ ١٦٦).

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي

وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾

(الفتح: ٢٨ـ ٢٩).

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ (الأنبياء: ٢٥). وقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ﴾ (فصلت: ٦). وقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ (الأنبياء: ١٠٨). وقَالَ عز وجل: ﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ (الأنعام: ١٠٦).

كَيْفَ كَانَ ينزِلُ الوَحْيُ على النَّبي مُحَمَّدٍ ﷺ

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ - رضي الله عنهما - سَأَلَ النَّبيَّ ﷺ: كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((أَحْيَاناً يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَاناً يَتَمَثَّلُ الْمَلَكُ رَجُلاً فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ)). قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: ((وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيُفْصَمُ عَنْهُ وَأَنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقاً)).

((أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه))

أَوَّلُ مَا نَزَلَ الوَحْيُ بِالنُّبُوَّةِ والرِّسَالَةِ

عنْ عائشةَ – رضي الله عنها – ، قَالَتْ: ((أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ. فَكَانَ لا يَرَى رُؤْيَا إلا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاءُ وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءَ فَيَتَحَنَّثُ ـ أي يَتَعَبَّدُ ـ فيهِ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ. وَيَتَزَودُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءَ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اِقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّيَ الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اِقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اِقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾ (العلق: ١ ـ ٣)، فَرَجَعَ بِهَا النَّبِي ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ – رضي الله عنها – فَقَالَ: ((زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي))، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبداً، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلَ بنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، ابْنِ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرَءاً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخاً كَبِيراً قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ! اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَبَرِ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا

جَذَعاً ، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ((أَوْ مُخْرِجِيَّ هُمْ)) قَالَ : نَعَمْ ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلا عُودِيَ ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْراً مُؤَزَّراً ، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ)) .

وَقَالَ جَابِرُ - رضي الله عنه - وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ ، فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : ((بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتاً مِنَ السَّمَاءِ ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءَ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، فَرُعِبْتُ مِنْهُ فَرَجَعْتُ ، فَقُلْتُ : زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) ﴾ (المدثر : ١ ـ ٥) . فَحَمِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ)) .

((أخرجه البخاري ومسلم والترمذي))

إسلام خديجة - رضي الله عنها - :

و قد آمنت به خديجةُ ، فكانت أول من آمنَ بالله ورسوله ﷺ ، وكانت إلى جواره تؤازره ، وتُثَبِّته ، وتخفف عنه ، وتُهَوِّن عليه أمرَ الناس .

تنزيل القرآن الكريم

قال الله تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (الأنعام: ١٠٤ – ١٠٥).

نزول جبريل بالقرآن الكريم على قلبه ﷺ:

قال تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (النحل: ١٠٢).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ ﴾ (الدخان: ٣).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ ﴾ (القدر: ١).

وقال تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ ﴾ (آل عمران: ٣).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ (الأعراف: ٥٢).

وقال تعالى: ﴿ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ (الطلاق: ١١).

كان نزول جبريل عليه السلام بالقرآن الكريم على قلب النبيِّ ﷺ أهمَّ ما تحقق بظاهرة الوحي التي أكرم الله – تعالى – بها سيدنا رسول الله ﷺ. أكَّد ذلك سبحانه في عدد من الآيات الكريمة؛ منها قوله ﷻ: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا

لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ (البقرة: ٩٧).

و منها قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ (الشعراء: ١٩٢ – ١٩٥).
فالروح الأمين هو جبريل عليه السلام، أمينُ الله – تعالى – على وحيه، وتنزيل القرآن على قلبه ﷺ الشريف مباشرة يؤكد كمال تلقيه القرآن، وأنه كان يَثبتُ في قلبه الشريف، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾ (النمل: ٦).

ولقد أكد الله – جل وعلا – هذه الحقيقة بالقسم فقال: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾

(التكوير: ١٥ – ٢٧).

أكد أولاً في هذه الآيات أن القرآن الكريم وحي من الله – تعالى – نزل به رسول ملكي كريم عنده سبحانه، هو جبريل عليه السلام؛ فأثنى الله عليه بقوله: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ (التكوير: ٢٠)– أي: ذو قدرة على ما كُلِّف به، فلا يعجزُ عنه، ولا يضعف، كما في قوله سبحانه: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾ (النجم: ٥).

﴿ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾ (التكوير: ٢١)، وهو مطاع في السماوات، وتطيعه الملائكة فهو من سادة الملائكة وأشرافهم، اصطفاه الله تعالى من بينهم لهذه الرسالة العظيمة، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ (الحج: ٧٥).

وهو أمين على وحي الله تعالى إلى أنبيائه، فصدقُ الوحي منوطٌ بأمانة الرسول.

وكما أثنت الآياتُ على أمين الوحي الملكي جبريل، أثنت أيضاً على أمين الوحي البشري سيدنا محمد ﷺ، فعطفت على جواب القسم الأول قوله تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ (التكوير: ٢٢)، وهو تكذيبٌ لافتراء المشركين، وفي التعرض لعنوان الصحبة مضافة إلى ضميرهم تكذيبٌ لهم بأبلغ وجه، فقد نشأ ﷺ بين أظهرهم، فهم أعرف الناس به، وأنه أتمُّ الخلق عقلاً، وأرجحُهم قِيلاً، وأكملهم وصفاً، وأصفاهم ذهناً، فلا يسندُ إليه الجنون.

﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ ﴾ (التكوير: ٢٣)- أي: وبالله لقد رأى محمدٌ ﷺ جبريلَ عليه السلام على صورته التي خلقه الله عليها بالأفق الواضح، فقد ثبت أنَّ النبي ﷺ رأى جبريل عليه السلام على صورته الملكية مرتين: الأولى في الأرض عندما فتر عنه الوحي، والثانية في السماء ليلة الإسراء والمعراج.

﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ (التكوير: ٢٤) - أي: وما رسول الله ﷺ على ما يخبَرُ به من الوحي ببخيل.

فالضنين من الضنِّ، بكسر الضاد وفتحها، بمعنى البخل، فما قصَّر النبيُّ ﷺ في التبليغ، وأخبر بكل ما أوحى الله إليه.

﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ (التكوير: ٢٥)- أي وما القرآن بقول شيطان من الشياطين المسترقة للسمع، التي تُرجَمُ وتُرمَى بالشهب، وهو نفي لوصفهم النبي ﷺ أنه كاهن، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (الحاقة: ٤٢)، وقوله أيضاً: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ ﴾

(الشعراء: ٢١٠ - ٢١٢).

﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (التكوير: ٢٦)، أي فأين تعدلون عن القرآن وفيه الهدى والرشاد، أو أي طريق تسلكون أوضحُ من هذا الطريق؟! فهو استجهال لهم في إعراضهم عن دعوته ﷺ كما يقال لتارك الجادة، الضارب في الأرض على غير هدىً ولا بصيرة: أين تذهب؟!

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (التكوير: ٢٧)- أي: ما القرآن إلا موعظةٌ للخلقِ أجمعين، فرسالته ﷺ عامةٌ شاملةٌ تدلُّ على أنَّه أكمل الناس عقلاً، وأرجحهم رأياً[1].

حرصه ﷺ على تلقي القرآن وتطمينه:

وكان ﷺ يحرص حرصاً كبيراً عند نزول القرآن الكريم عليه على كمال تلقيه، تقديراً منه للمسئولية الكبيرة التي أنطيت به، فأنزل الله - تعالى - عليه، مُطَمْئِناً، قوله الكريم: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ (القيامة: ١٦ - ١٩).

---

(١) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم.

المعنى: هذا تعليم من الله ﷻ لرسول الله ﷺ في كيفية تلقيه الوحي من الملك، فإنه كان يبادر إلى أخذه، ويسابق الملك في قراءته، فأمره الله ﷻ أن يستمع له، وتكفل الله أن يجمعه في صدره، وأن يبينه له ويوضحه، فالحالة الأولى جمعه في صدره ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ (القيامة: ١٧)، والثانية تلاوته ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ (القيامة: ١٨)، والثالثة تفسيره وإيضاح معناه ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ (القيامة: ١٩).

تثبيت القرآن في قلبه ﷺ:

وكما تكفَّل الله - سبحانه وتعالى - أن يجمعَ القرآن الكريم في صدر النبيِّ ﷺ، فلا يفوتُ النبيّ ﷺ شيء منه أبداً، تكفل سبحانه أيضاً بتثبيت القرآن الكريم في قلبه الشريف، فأنزل عليه قوله: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾ (الإسراء: ٨٦ - ٨٧).

فالله - سبحانه وتعالى - قادر على محو القرآن الكريم من صدر النبيِّ ﷺ ومحوه أيضاً من السطور، وكان ﷺ يحرص على كتابة ما ينزل عليه من القرآن بواسطة كُتَّاب الوحي فورَ نزوله عليه.

ولن يجد ﷺ من يتوكل عليه في استرداده وإعادته إن محاه الله - سبحانه - من صدره، وهذا يدل على أن تثبيت القرآن في قلب النبيِّ ﷺ رحمة عظيمة من الله -تعالى- ، وفضل كبير. ولهذا قال سبحانه: ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾ (الإسراء: ٨٧).

تنجيم نزول القرآن الكريم:

من المعلوم أن القرآن الكريم نزل على النبيِّ ﷺ مُفَرَّقاً حسب الحوادث والمناسبات، على مدى ثلاثة وعشرين عاماً من عمر الدعوة في حياة النبيِّ ﷺ، قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ۝١٠٦﴾ (الإسراء: ١٠٦).

ولمّا اعترض بعضُ المشركين على نزول القرآن الكريم مُفرَّقا، ردَّ سبحانه عليهم بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ۝٣٢﴾ (الفرقان: ٣٢).

وقد أخبر سبحانه أنّه أنزل القرآن الكريم في ليلة واحدة، هي ليلة القدر في شهر رمضان جملة واحدة فقال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٨٥﴾ (البقرة: ١٨٥).

وقال أيضاً: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥﴾ (الدخان: ١ – ٥). وهذه الليلة هي ليلة القدر لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ (القدر: ١).

ولما سئل بن عباس ﷺ عن ذلك قال: إنه أنزل في رمضان في ليلة القدر وفي ليلة مباركة جملة واحدة، ثم أنزل على مواقع النجوم ترتيلاً في الشهور والأيام.

وذهب بعض العلماء إلى أنه ابتدئ نزوله في شهر رمضان، ويمكن الجمع بين القولين بأنه أنزل إلى السماء الدنيا من اللوح المحفوظ في ليلة القدر جملة واحدة، وابتدئ نزوله أيضاً على النبيِّ في شهر رمضان.

القرآن والسنة

وكما كُلِّفَ النبيُّ ﷺ بتبليغ القرآن الكريم إلى الناس، كُلِّف أيضاً بتبيين ما فيه من أحكام وتشريع، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (النحل: ٤٤)- أي: أنزلنا إليك القرآن الكريم لتُبَيِّنَ للناس ما فيه من أحكام وتشريع، كلفهم الله - تعالى - بها، فالرسول ﷺ يبين لجميع الناس مراد الله ﷻ مما أجْمَلَ في كتابه الكريم ولم يفصله، فهو الأمين المؤتمن على أسرار معاني القرآن الكريم، ولا يمكن فهم مراد ما أجمل سبحانه في كتابه من غير السنة النبوية المطهرة.

وإن الذين يُعرِضُون عن السنة المطهرة، ويزعمون أنهم يتمسكون بالقرآن الكريم فقط، هم في الحقيقة معرضون عن دين الله - تعالى - وشرعه، ومعرضون أيضاً عن كتاب الله - تعالى - الذي أمر باتباع سنته ﷺ والتمسك بها في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ (الحشر: ٧).

وللنبيِّ ﷺ أيضاً إلى جانب تبيين مُجْمَلِ القرآن الكريم، أن يستقل بتشريع الأحكام، لأنه ﷺ ـ كما وصفه الحق سبحانه ـ لا ينطق عن هوى نفسه أبداً، فكلُّ ما يصدر عنه تشريع ووحي من الله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ (النجم: ٣ ـ ٤).

وكما آتاه الله ـ تعالى ـ القرآن، آتاه السنة أيضاً، وأمر بطاعته في آيات كثيرة منها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ۝٢٠ ﴾ (الأنفال: ٢٠)، وجعل سبحانه طاعة الرسول ﷺ، طاعة له عز وجل فقال: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۝٨٠ ﴾ (النساء: ٨٠).

ولا وصول إلى رحمته تعالى وجنته إلا بطاعة رسوله ﷺ، ففي الحديث الشريف عن أبي هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: ((**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**)).

قال: يا رسول الله ومن يأبى؟

قال: ((**مَن أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**))[1].

ولهذا أخبر تعالى عن أصحاب النار أنهم يعذَّبون فيها وهم يقولون: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ۝٦٦ ﴾ (الأحزاب: ٦٦).

---

(١) صحيح البخاري في الاعتصام (٧٢٨٠).

خصائص النبي ﷺ دون جميع الأنبياء عليهم السلام

لَقَدِ اخْتَصَّ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - نَبِيَّهُ ﷺ بِخَصَائِصَ لم يُعْطِهَا أَحَداً غَيْرَهُ مِنَ النَّبِيِّينَ والمُرْسَلِينَ. كَمَا اخْتَصَّ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أُمَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ بِخَصَائِصَ لَمْ يَشْرُفْ بِهَا سَائِرُ الأُمَمِ.

فَلَقَدْ كَانَ ﷺ نَبِيًّا وَآدَمُ بيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ.

وَكَانَتْ تُظَلِّلُهُ الْغَمَامَةُ حَيْثُ سَارَ، وَلَقَدْ سَمَّاهُ رَبُّهُ فِي التَّوْرَاةِ أَحْمَدَ، وَفِي الْقرْآنِ مُحَمَّداً، وَلَمْ يُسَمَّ بِاسْمِهِ أَحَدٌ قَبْلَهُ ﷺ. وَكَانَ ﷺ نَبِيًّا أُمِّياً، فَعَلَّمَهُ رَبُّهُ، حَتَّى إِنَّ الصَّحَابَةَ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ يَقُولُونَ لَهُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

وَمَنْ يَكْذِبْ عَلَيْهِ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ. وَإِنَّ كُلَّ نَسَبٍ وَسَبَبٍ يَنْقَطِعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاَّ سَبَبُهُ وَنَسَبُهُ.

اختصاص النبي ﷺ بأن آيته العظمى في كتابه

القرآن كلام الله – تعالى – ، المُنزّل على رسوله الأمين؛ ليكون نذيراً للعالمين، وهو الذي سمّاه الله تعالى نوراً مبيناً ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾ ﴾ (النساء: ١٧٤)، وهو الوحي الذي أوحاه الله إلى رسوله ﷺ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **((ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليَّ؛ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة))** ((متفق عليه واللفظ للبخاري)). لذا فالقرآن الكريم أخصُّ معجزات المصطفى ﷺ.

اختصاص النبي ﷺ بتعهد الله - تعالى - بحفظ الكتاب المنزَّل عليه

خصَّ الله - تعالى - القرآن الكريم دون سائر الكتب السماوية الأخرى بالحفظ. قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الحجر: ٩)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ (فصلت: ٤١-٤٢). وقال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ (الإسراء: ٨٨). وأما الكتب الأخرى فقد وكل الله تعالى أمر حفظها إلى أهلها، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ ﴾ (المائدة: ٤٤).

فَكُلُّ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ الَّتي أُنْزِلَتْ عَلَى الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ مِنْ قَبْلِهِ: كَصُحُفِ إِبْرَاهِيمَ، وَزَبُورِ دَاوُدَ، وَتَوْرَاةِ مُوسَى، وَإِنْجِيلِ عِيسَى عليه وعليهم السلام، قَدْ حَدَثَ فِيهَا التَّحْرِيفُ ثُمَّ نُسِخَتْ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ.

اختصاص النبي ﷺ بخواتيم سورة البقرة

روى الإمام أحمد من حديث أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **((إني أوتيتهما من كنز من بيت تحت العرش ولم يؤتهما نبي قبلي))**، يعني الآيتين من سورة البقرة. قال الألباني: ((صحيح على شرط مسلم)).

الآيتان هما قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٢٨٦﴾ (البقرة: ٢٨٥- ٢٨٦).

اختصاص النبي ﷺ بأن في كتابه الناسخ والمنسوخ

قال تعالى: ﴿۞ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١٠٦﴾ (البقرة: ١٠٦).

قال ابن جرير: ((ما نغير من حكم آية فنبدله، أو نتركه فلا نبدله، نأت بخير لكم أيها المؤمنون حكماً منها أو مثل حكمها في الخفة والثقل والثواب والأجر)).

اختصاص النبي ﷺ بكونه خاتم النبيين و سيد بني آدم

قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ۝٤٠﴾ (الأحزاب: ٤٠).

عن أبي هريرةَ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: ((**أَنَا سَيِّدُ بَنِي آدَمَ يومَ القيامةِ، وأَوَّلُ مَن تَنشَقُّ عنهُ الأرضُ، وأَوَّلُ شافعٍ وأولُ مُشَفَّعٍ**)). ((أخرجه مسلم في الصحيح من حديثِ الأَوزَاعِيِّ)).

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((إن مَثَلي ومَثَلَ الأنبياء من قبلي، كمَثَلِ رجلٌ بنى بيتاً فأحسنه وأجمله، إلا موضع لَبِنَة من زاوية، فجَعَلَ الناسُ يطوفون به ويَعْجَبُون له، ويقولون هلا وُضِعَتْ هذه اللبنة، قال فأنا اللّبِنَة، وأنا خاتم النبيين))[١].

اختصاص النبي ﷺ بإرساله إلى الثقلين

وهذه من خصائصه الكبرى ﷺ، حيث كان النبي يرسل إلى قومه خاصّة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ (إبراهيم: ٤)، وقال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ (فاطر: ٢٤)، وأمّا نبينا محمد ﷺ فقد قال الله له: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (الأعراف: ١٥٨)، وقال تعالى: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾ (آل عمران: ٢٠).

اختصاص النبي ﷺ بنداء الله تعالى له بأعزّ أوصافه

فناداه ربه بأحب أوصافه وأسنى كمالاته، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ﴾ (الأنفال: ٦٤)، و ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾ (المائدة: ٤١). قال العز بن عبد السلام: ((وهذه الخَصِيصة لم تثبت لغيره بل إن كلاً منهم نودي باسمه

---

(١) صحيح البخاري.

فقال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ (البقرة: ٣٥)، وقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ ﴾ (المائدة: ١١٠)، وقال تعالى: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ ﴾ (القصص: ٣٠)، وقال تعالى: ﴿ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا ﴾ (هود: ٤٨)، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ﴾ (الصافات: ١٠٤-١٠٥).

ولا يخفى على أحد أن السيد إذا دعا أحد عبيده بأفضل ما وجد فيه من الأوصاف العلية والأخلاق السنية ودعا الآخرين بأسمائهم الأعلام لا يشعر بوصف من الأوصاف ولا بخلق من الأخلاق، إن منزلة من دعاه بأفضل الأسماء والأوصاف أعز عليه وأقرب إليه ممن دعاه باسمه العلم)).

قال جل شأنه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ (الأحزاب: ٤٥).

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ ﴾ (الأنفال: ٦٤).

وقال سبحانه: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾ (المائدة: ٤١).

وقال عز وجل: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ (المائدة: ٦٧).

وخاطب سبحانه باقي الأنبياء بأسمائهم فقال جل شأنه: ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ ﴾ (هود: ٤٨). ﴿ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ﴾ (هود: ٧٦). ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى ﴾ (الأعراف: ١٤٤). ﴿ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ ﴾ (المائدة: ١١٠). ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ ﴾ (ص: ٢٦). ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ ﴾ (مريم: ٧). ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ (مريم: ١٢).

فكل هؤلاء خوطبوا بأسمائهم أما محمد ﷺ فقد خوطب بصفتـــه نبياً أو رسولاً ، وإذا ما ورد ذكر اسمه ﷺ فإنه يرد مقروناً بصفته وذلك في مثل قوله تعالى﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ (الفتح : ٢٩) .

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ (آل عمران : ١٤٤) .

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ ﴾

(الأحزاب : ٤٠) .

﴿ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ (محمد : ٢) .

فسماه ربه ليعلم من جحده أن أمره وكتابه هو الحق ، ولأنهم لم يعرفوه إلا بمحمد ﷺ . ولو لم يسمه لم يعلم اسمه من الكتاب .

وذكر الله - سبحانه وتعالى - نبيه إبراهيم باسمه المجرد وذكر محمداً ﷺ بنبوته فقال جل شأنه : ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ ﴾

(آل عمران : ٦٨) .

اختصاص النبي ﷺ بأن الله - تعالى - نهى الناس أن ينادوه باسمه العلم

قال تعالى :﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ (النور : ٦٣)، فندبهم سبحانه وتعالى إلى تكنيته بالنبوة والرسالة تشريفاً ورفعاً لمنزلته . فقد كانوا يقولون : يا محمد ، يا أبا القاسم ، فنهاهم الله عن ذلك إعظاماً لنبيه ﷺ وتقديراً له فقال : قولوا : يا نبي الله ، يارسول الله .

فخصّه الله - تعالى - بهذه الفضيلة من بين رسله وأنبيائه وأخبر سبحانه عن سائر الأمم أنهم كانوا يخاطبون رسلهم وأنبياءهم بأسمائهم كقول قوم موسى له: ﴿يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ (الأعراف: ١٣٨)، وقول قوم عيسى له: ﴿يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ (المائدة: ١١٢)، وقول قوم هود له: ﴿يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ (هود: ٥٣).

اختصاص النبي ﷺ بأن السماء حُرست بمبعثه

قال تعالى حكاية عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩﴾ (الجن: ٨ ـ ٩).

((أي طلبنا خبرها كما جرت العادة: ﴿فَوَجَدْنَـٰهَا﴾ قد ﴿مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾ أي حفظة، يعني الملائكة ﴿وَشُهُبًا﴾، جمع شهاب، وهو انقضاض الكواكب المحرقة لهم عن استراق السمع)).

فحفظ الله كتابه ورحم عباده حتى لا يلتبس الحق عليهم بمبعثه ﷺ.

اختصاص النبي ﷺ بأن الله - تعالى - أقسم بحياته

قال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝٧٢﴾ (الحجر: ٧٢).

أقسم تعالى بحياة نبيه صلوات الله وسلامه عليه، وفي هذا تشريف عظيم ومقام رفيع وجاه عريض.

والإقسام بحياة المُقْسَم بحياته يدل على شرف حياته وعزتها عند المُقْسِم بها، ولم يثبت هذا لغيره ﷺ.

رُوِي عن أبي الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((ما خلق الله نفسًا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم، وما أقسم الله تعالى بحياة أحد إلا بحياته))[1].

اختصاص النبي ﷺ بأن الله تعالى تولى الدفاع عنه مما رماه به قومه

كان الأنبياء السابقون ﷺ يتولون الدفاع عن أنفسهم مما رماهم به المكذبون من أقوامهم من السفه والضلال. قال تعالى فيما أخبر عن قوم نوح عليه السلام أنهم قالوا له: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ (الأعراف: ٦٠)، فقال عليه السلام دفاعاً عن نفسه ﴿يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ﴾ (الأعراف: ٦١)، وقول قوم هود عليه السلام له: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ﴾ (الأعراف: ٦٦)، فقال نافياً عن نفسه ما نسبوه إليه: ﴿يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ﴾ (الأعراف: ٦٧)، وأما نبينا محمد ﷺ فقد تولى ربه الرد عنه حين رماه المشركون بالجنون والضلال وقول الشعر، قال تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ٢٩ أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ٣٠ قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ ٣١ أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم بِهَٰذَآۚ أَمۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ٣٢ أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ٣٣ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ٣٤﴾

(الطور: ٢٩ ـ ٣٤).

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير: (١٤ / ٤٤)، والبيهقي في (الدلائل).

وقال تعالى: ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ ﴾ (القلم: ٢)، وقال عز وجل: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى ﴾ (يس: ٦٩)، وقال جل جلاله: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ ﴾ (النجم: ٢).

وفي هذا من التشريف لنبينا ﷺ ما تحار فيه العقول وتزداد به محبة الرسول ﷺ.

اختصاص النبي ﷺ بأن الله تعالى قدّمه على جميع أنبيائه في الذكر في أغلب آيات القرآن

قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ۝١٦٣ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۝١٦٤ ﴾

(النساء: ١٦٣-١٦٤).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧ ﴾ (الأحزاب: ٧).

ويقول جل شأنه: ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝١٣٦ ﴾ (البقرة: ١٣٦).

اختصاص النبي ﷺ بانشقاق القمر آية له

قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ (القمر: ١).

اختصاص النبي ﷺ بأنه بعث رحمة للعالمين

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾

(الأنبياء: ١٠٧).

اختصاص النبي ﷺ بأخذ الميثاق له من جميع الأنبياء بالإيمان به ونصرته

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٨١﴾ (آل عمران: ٨١).

اختصاص النبي ﷺ بأن أهل الكتاب لهم علم به

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾ (الأعراف: ١٥٧)، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦﴾ (الصف: ٦).

اختصاص النبي ﷺ بكونه أمياً لا يقرأ ولا يكتب

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾ (الأعراف: ١٥٧)، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (العنكبوت: ٤٨)، وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ (الجمعة: ٢).

اختصاص النبي ﷺ بأن الله تعالى جمع له بين القبلتين

قال تعالى: ﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ ﴾

(البقرة: ١٤٢ـ ١٤٤).

اختصاص النبي ﷺ بأن الله تعالى يبعثه يوم القيامة مقاماً محموداً

قال الله تعالى لصفيه وخليله محمّد ﷺ: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ (الإسراء: ٧٩).

اختصاص النبي ﷺ بشهادة أمته على الأمم يوم القيامة

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((يُجاء بنوح عليه السلام يوم القيامة فيقال له: هل بلّغت الرسالة؟ فيقول: نعم. فُتسأل أمته هل بلّغكم؟ فيقولون: ما جاءنا من نذير فيقول: من شهودك؟ فيقول: محمد وأمته، فيجاء بكم فتشهدون)) ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ - قال: عدلاً- ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة: ١٤٣).

اختصاص النبي ﷺ بالشهادة على أمته بإبلاغ الرسالة

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ (الأحزاب: ٤٥ - ٤٦).

اختصاص النبي ﷺ بإعطائه الكوثر

قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ ﴾ (الكوثر: ١).
روي الإمام البخاري رحمه الله في تفسير هذه الآية: ((أن عائشة ﷺ سألها أبو عبيدة عن قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ ﴾ قالت: هو نهر أعطيه نبيكم ﷺ شاطئاه عليه در مجوف آنيته كعدد النجوم)).

عن قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: ((بينما أنا أسير في الجنة إذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، فقال المَلَك الذي معه. أتدري ما هذا؟ هذا الكوثر الذي أعطاك الله، وضرب بيده إلى أرضه فأخرج من طينه المسك)).

اختصاص النبي ﷺ دون أمته بوجوب محبته

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (التوبة: ٢٤)، قال القرطبي: ((وفي الآية دليل على وجوب حب الله ورسوله)).

اختصاص النبي ﷺ دون أمته بأن الله تعالى عصمه من الناس

قال الله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ ﴾ (المائدة: ٦٧).

اختصاص النبي ﷺ دون أمته بأنه لا يحل لأحد أن يرفع صوته فوق صوته ﷺ

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ

﴿ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (الحجرات: ٢-٤).

((معنى الآيات الأمر بتعظيم رسول الله ﷺ وتوقيره، وخفض الصوت بحضرته، وعند مخاطبته، أي إذا نطق ونطقتم فعليكم ألاَّ تبلغوا بأصواتكم وراء الحد الذي يبلغه صوته، وأن تغضوا منها بحيث يكون كلامه غالباً لكلامكم، وجهره باهراً لجهركم؛ حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته واضحة)).

حتى إن بعضهم كان إذا أراد أن يكلمه ﷺ بكلمة يخفت صوته لدرجة أن النبي ﷺ يستعيده القول ليسمعه.

كما أمر الله سبحانه وتعالى عباده بتعظيم الرسول ﷺ ويقول سبحانه: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ (الأعراف: ١٥٧)، والتعزير هنا يراد منه التوقير والتعظيم.

الله وملائكته يصلون على النبي ﷺ

ولم يصل رب العالمين، هو وملائكته على أحد من أنبيائه ورسله، أو أمر أحداً بالصلاة عليه سوى رسوله محمد ﷺ فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (الأحزاب: ٥٦). والصلاة من الله رحمة، ومن الملائكة استغفار على الدوام.

اختصاص النبي ﷺ دون أمته بتفضيل نسائه على سائر النساء

قال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾

(الأحزاب: ٣٠- ٣١).

((يقول تعالى واعظاً نساء النبي ﷺ اللاتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، واستقرَّ أمرهنَّ تحت رسول الله ﷺ. فناسب أن يخبرهنَّ بحكمهنَّ وتخصيصهنَّ دون سائر النساء بأنَّ من يأتِ منهن بفاحشة مبينة. قال ابن عباس رضي الله عنه: النشوز وسوء الخلق، وعلى كل تقدير فهو شرط والشرط لا يقتضي الوقوع كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ (الزمر: ٦٥). فلمَّا كانت محلتهنَّ رفيعة ناسب أن يجعل الذنب لو وقع منهنَّ مغلظاً صيانة لجنابهنَّ وحجابهنَّ الرفيع؛ ولهذا قال تعالى: ﴿مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ﴾ (الأحزاب: ٣٠). قال مالك عن زيد بن أسلم: أي في الدنيا والآخرة، ثم ذكر سبحانه وتعالى عدله وفضله في قوله: ﴿۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ﴾ (الأحزاب: ٣١). أي تطع الله ورسوله. وتستجب ﴿نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ (الأحزاب: ٣١)، أي في الجنة، فإنهنَّ في منازل رسول الله ﷺ في أعلى عليين فوق منازل جميع الخلائق في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة إلى العرش)).

هبة النكاح

أيما امرأة وهبت نفسها للنبي ﷺ، له أن يتزوجها بدون مهر يقدمه لها، قال تعالى: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأحزاب: ٥٠).

أباح الله تعالى له نكاح أكثر من أربع زوجات

أباح الله تعالى له نكاح أكثر من أربع زوجات وعدم إباحة ذلك لغيره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ (الأحزاب: ٥٠).

اختصاص النبي ﷺ دون أمته بأن أزواجه اللاتي توفي عنهنَّ محرّمات على غيره أبداً

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾ (الأحزاب: ٥٣).

ولأنهنَّ أمهات المؤمنين لقوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ (الأحزاب: ٦).

نُصر بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت له الأرض مسجداً وطهورا

أخبرَنا جابرُ بن عبد اللهِ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: ((أُعطِيتُ خَمساً لم يُعطَهُنَّ أحدٌ قبلي: نُصِرتُ بالرُّعب مَسِيرَة شَهرٍ، وجُعِلَتْ لِيَ الأرضَ مَسجِداً وطَهوراً

فأيُّما رَجُلٍ من أُمَّتي أدرَكَتهُ الصلاةُ فليُصَلِّ، وَأُحِلَّت لي المَغانمِ ولم تِحَلَّ لأحَدٍ قَبلي، وأُعطِيتُ الشفاعَةَ، وكان النبيُّ يُبعَثُ إلى قَومِه خاصَّةً وبُعِثتُ إلى النّاسِ عامَّةً)). ((رواه البخاري))

أُعطي جوامع الكلم

عَن أَبي هُرَيرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ قَالَ: ((فُضِّلتُ عَلَى الأنبيَاءِ بِسِتٍ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَنُصِرتُ بِالرُّعبِ. وَأُحِلَّت لِيَ الغَنَائِمُ. وَجُعِلَت لِيَ الأَرضُ طَهُوراً وَمَسجِداً. وَأُرسِلتُ إِلىَ الخلقِ كَافَّةً. وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ)).

((رواه مسلم))

وصال الصيام

قال عليه الصلاة والسلام: ((إني لست كأحدكم إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني)).

تنام عيناه ولا ينام قلبه

عن أبي سَلمةَ بنِ عبدِ الرحمنِ أنهُ: ((سأل عائشةَ رَضيَ الله عنها: كيف كانت صلاةُ رسولِ اللهِ ﷺ في رمضانَ؟ فقالت: ما كان يَزيدُ في رمضانَ ولا في غيرِه على إحدى عشرةَ ركعةً، يُصلِّي أربعاً فلا تَسأل عن حُسنِهِنَّ وطُولِهنَّ، ثمَّ يصلِّي أربعاً فلا تسأل عن حُسنهِنَّ وطولِهنَّ، ثم يُصلي ثلاثاً. فقلت يا رسولَ الله أتَنامُ قبلَ أن تُوتِرَ؟ قال: يا عائشةُ إنَّ عَينيَّ تنامانِ، ولا يَنَامُ قلبي)).

رَسُولُ اللهِ إِلَى النَّاسِ كافَّةً

وهـذا ما أيـدته الآية الكـريمة التالية: يقـول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (سبأ: ٢٨).

ففي هذه الآية يقول الله تعالى لعبده ورسوله محمد ﷺ إنا أرسلناك إلى جميع الخلائق من المكلفين من الإنس والجن تبشر من أطاعك بالجنة، وتنذر من عصاك بالنار.

((إن الله تعالى فضل محمداً ﷺ على أهل السماء وعلى الأنبياء. قالوا: يا ابن عباس فيم فضَّله على الأنبياء؟ قال ﷺ: إن الله تعالى قال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ (إبراهيم: ٤)، وقال للنبي ﷺ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ (سبأ: ٢٨)، فأرسله تعالى إلى الجن والإنس)). وهذا كما ثبت في الصحيحين.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ (الأعراف: ١٥٨).

وهذا القول من الله يشير إلى منزلة الرسول ﷺ وعظمته وأنه خاتم النبيين، وإنه مبعوث إلى الناس كافة، كما قال تعالى: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ (الأنعام: ١٩).

أي أن القرآن نذير لكل من بلغه، والمنذر هو محمد ﷺ في حياته، ومن بلغه القرآن بعد مماته ﷺ يعتبر مبلغاً منه أيضاً، وقد قال عليه الصلاة والسلام.

فالقرآن نذير، ومحمد ﷺ نذير، ليس فقط لقومه، وإنما للعالمين جميعاً، لقوله سبحانه: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾ (الفرقان: ١).

ولقوله ﷺ: **((... وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة))**.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٤٩ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٥٠ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ۝٥١ ﴾ (الحج: ٤٩ - ٥١).

فالرسول ﷺ نذير للناس جميعاً، وهو نذير مبين. فمن آمن به وعمل صالحاً في أي زمان كان إلى يوم القيامة فلهم من الله مغفرة ورزق كريم. والذين كفروا من زمنه ﷺ إلى يوم القيامة وعملوا على محاربة الله ورسوله فالنار مثوى لهم على التأكيد. فمن عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون.

من الآيات القاطعة بعالمية الدعوة الإسلامية:

الدليل الأول: قال تعالى ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (الأعراف: ١٥٨).

الدليل الثاني: قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ (الفرقان: ١).

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ (الفتح: ٢٨).

الدليل الثالث: قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (سبأ: ٢٨).

الدليل الرابع: قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (آل عمران: ٨٥).

الدليل الخامس: قال تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾ ﴾ (ص: ٨٧ – ٨٨).

الدليل السادس: قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧ـ١٠٨).

أشهر الكفار المعارضين لدعوة النبي ﷺ في العهد المكي

م	أشهر المعارضين	من الآيات القرآنية التي نزلت فيه على الأرجح
١	أبو جهل	﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ (الفرقان: ٣١).
٢	أبو لهب وامرأته ((أم جميل))	﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾ ﴾ (المسد: ١-٥).
٣	عقبة بن أبي معيط	﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ ﴾ (الفرقان: ٢٧).
٤	الوليد بن المغيرة المخزومي	﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ (الزخرف: ٣١). ﴿ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ ﴾ (المدثر: ١١ – ١٥).

م	أشهر المعارضين	من الآيات القرآنية التي نزلت فيه على الأرجح
٥	الأخنس بن شريق الثقفي	﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ (القلم: ١٠-١٣).
٦	عبد الله بن أبي أمية المخزومي	﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴾ (الإسراء: ٩٠).
٧	النضر بن الحارث	﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ﴾ (فاطر: ٤٢).
٨	الأسود بن المطلب ((أبو زمعة))	﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ (العنكبوت: ١٣).
٩	شيبة وعتبة ابنا ربيعة	﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ﴾ (فصلت: ٥).
١٠	الأسود بن عبد يغوث الزهري	﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ (الحجر: ٩٥).
١١	الحارث بن قيس السهمي	﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ ﴾ (الجاثية: ٢٣).
١٢	نبيه ومنبه ابنا الحجاج السهميان	﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴾ (الدخان: ١٤.)

م	أشهر المعارضين	من الآيات القرآنية التي نزلت فيه على الأرجح
١٣	سعيد بن العاص ((أبو أحيحة))	﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ (المجادلة: ٢٢).
١٤	أبي بن خلف الجمحي	﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ (يس: ٧٧).
١٥	العاص بن وائل	﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ (الكوثر: ٣).
١٦	أمية بن خلف الجمحي	﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾﴾ (الهمزة: ١ - ٤).

وُجُوبُ مَحَبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ والصَّلاةِ عليه

لَقَدَ أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْنَا مَحَبَّةَ نَبِيِّنَا سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَالصَّلاةَ عَلَيْهِ، كَمَا أَوْجَبَ عَلَيْنَا مَحَبَّةَ أَهْلِ بَيْتِهِ، فَأَنْزَلَ فِيهِمْ قُرْآناً يُتْلَى فَقَالَ جَلَّ جَلالُهُ: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ (الشورى: ٢٣).

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ (الأحزاب: ٣٣).

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي: أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الآخرِ، كِتَابَ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا)). ((رواه الترمذي عن زيد بن أرقم رضي الله عنه))

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)).

((رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه عن أنس رضي الله عنه))



إسلام علي بن أبي طالب، وزيد بن حارثة رضي الله عنهما:

أسلم عليٌّ بن أبي طالب ﷺ وهو يومئذ ابنُ عشر سنين، وكان في حِجْرِ رسولِ الله ﷺ قبل الإسلام، أخذه من أبي طالب في أيام الضائقة، وضمَّهُ إليه[1].

وأسلم زيدُ بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، وكان قد تبنَّاه رسولُ الله ﷺ فكان إسلام هؤلاءِ شهادة أقرب الناس إليه، وأعرفهم به، وبصدقه، وإخلاصه، وحسن سيرته، وأهل البيت أدرى بما فيه.

(١) سيرة ابن هشام: (١/٢٤٥).

الصَّلاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (الأحزاب: ٥٦).

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحَطَّ عَنْهُ عَشْرَ خَطِيئاتٍ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ)). ((رواه الإمام أحمد والنسائي والحاكم عن أبي أمامة رضي الله عنه))

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلاةً)).

((رواه الترمذي وابن حبان عن ابن مسعود رضي الله عنه))

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ حِينَ يُصْبِحُ عَشْراً وَحِينَ يُمْسِي عَشْراً أَدْرَكَتْهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ)).

((أخرجه الطبراني عن أبي الدرداء رضي الله عنه))

وُجوبُ طاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ

لقد أوجب الله سبحانه وتعالى علينا طاعه رسوله ﷺ. و قرن الله سبحانه وتعالى اسمه الكريم باسم الرسول ﷺ في كتابة العزيز، عند ذكر طاعته، قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾ (الأنفال: ١).

وقال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ (آل عمران: ١٣٢).

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ (الأحزاب: ٧١).

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾ (الفتح: ١٧).

وقال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ﴾ (التغابن: ١٢).

وقال سبحانه: ﴿ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ ﴾ (التوبة: ٧١).

وقرن سبحانه اسمه ﷺ بوجوب الإيمان بالله وبرسوله فقال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ (الحجرات: ١٥).

وكذلك قرن الله سبحانه اسمه الكريم باسمه ﷺ في ضرورة الاستجابة لله والرسول فقال جل من قائل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ ﴾ (الأنفال: ٢٤).

ويحذر سبحانه من يحاول إيذاءه أو إيذاء رسوله فيقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ ﴾ (الأحزاب: ٥٧).

ويقول سبحانه في آيات عدة قارناً اسمه تعالى واسم رسوله الكريم مؤكداً أنه ﷺ في التشريع هو ورسوله سواء: ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ (التوبة: ٢٩).

وفي البراءة من المشركين: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ (التوبة: ١).

وفي الإنذار: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ (التوبة: ٣).

وفي المحاددة قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ (التوبة: ٦٣).

وفي المشاققة: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ (الأنفال: ١٣).

هذه الآيات وأمثالها في القرآن الكريم توضح مقام الرسول ﷺ عند ربه، وأنه ﷺ لا يتصرف إلاّ بإذن ربه، فهو لذلك مفوض من قبله سبحانه في جميع ما يصدر عنه ويتعلق بالتبليغ عن ربه لأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى. وأن على المسلمين طاعته مطلقاً فيما يأمر به، لأن طاعته ﷺ من طاعة الله لقوله سبحانه: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠).

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ (آل عمران: ٣١- ٣٢).

وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ (محمد: ٣٣).

وَقَالَ جَلَّ جَلالُهُ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ (النساء: ٦٩).

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ (النساء: ١٤).

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ (النساء: ١١٥).

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ (الفتح: ١٠).

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ (الممتحنة: ١٢).

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ (آل عمران: ١٦٤).

وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ (الحشر: ٧).

وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ ﴾

(البقرة: ٢٧٥).

وقال أيضاً: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ (النساء: ٦٤ ـ ٦٥).

وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾

(النور: ٦٢ ـ ٦٣).

وقال أيضاً: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ (النور: ٥١ ـ ٥٢).

وقال أيضاً: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الأنفال: ٤٦).

وقال أيضاً: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الأحزاب: ٢١).

وقال أيضاً: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾

(الأحزاب: ٣٦).

- كثير من الناس يدَّعون محبَّة الله ورسوله؛ فلئن كانت الطاعة هي البيِّنة الَّتي تشهد بصدق دعوى المحبّة وأصالتها، فإن المعصية تشهد بنقيض ذلك، وعلى الإنسان أن يضع نفسه على هذا المِحَكّ ليعرف إلى أيِّ الزمرتين ينتمي.

- تؤكِّد هذه الآيات حتمية إطاعة المؤمنين لله - عزَّ وجل - ولرسوله الكريم ولأولي الأمر منهم، وفَرْضيَّة ردِّ الخلافات الَّتي تنشأ بينهم إلى الله ورسوله، لحلِّها في ضوء القواعد الإيمانية.

- طاعة الرسول الكريم واجبة، واستغفاره للمؤمنين المذنبين التائبين مقبول لدى ربِّ العالمين، وإذا اتبعوه بصدق أحبَّهم الله وأنعم عليهم بالمغفرة.

- من دلائل الإيمان السليم، أن يُحَكِّم المسلمُ الشرعَ الإسلامي القويم فيما يعرض له من أمور، ثمَّ يقبل بحكمه ولا يجد في نفسه حرجاً أو ضيقاً من الالتزام به.

- إن المطيع لله ورسوله، يتبوَّأ منزلته في علِّيين، مع الأنبياء والصدِّيقين والشهداء والصالحين، في ظلال عرض الرحمن، وحَسُنَ أولئك رفيقاً.

- طاعة الرسول هي طاعة لله – عزَّ وجل – ومعصيته معصية لله، لأن أوامره ما هي إلا وحي من الله وعمل بكتابه الكريم، فقد أرسل تعالى الرسل وأيَّدهم بوحيه لتكتمل مقوِّمات وجوب طاعتهم على الناس، فإذا قضى الرسول قضاءً بإذن الله فلا مناص من تنفيذه والإذعان له لأنه من أمر الله.

- في طاعة الله ورسوله وحدة وقوَّة للمؤمنين، ولا تتحقَّق تربية النفس على الطاعة إلا بالصبر.

- رسول الله ﷺ هو القدوة النموذجية المثالية، لكلٍّ من آمن بالله وذكره ذكراً كثيراً.

- على المؤمنين أن يبقَوْا تحت لواء رسول ﷺ في جميع الملمَّات والطوارئ، وألا يفارقوه دون استئذان، فالمؤمن الّذي يشعر بارتباطه الكامل مع المجموعة المؤمنة لا يتخلَّى عنها، إلا إذا عرض له أمر قاهر؛ ومع ذلك فهو لا يترك الرسول ﷺ دون استئذان، تأدُّباً معه واحتراماً لمجلسه.

- عدَّ الله تعالى مبايعة الناس لرسوله ﷺ، وتقديم عهد الولاء والطاعة له، والاستجابة لأوامره، مبايعة مباشرة لحضرة الله، وبيَّن أنه يؤيِّد

الأيدي المتشابكة الّتي تصافح يد رسول الله ﷺ، لأنه تعالى راضٍ عن هذه البيعة، ممّا يؤكّد قدسيتها، فمن نكث فقد نكث مع الله، ومن أوفى بعهده فقد وفّى مع الله وله الأجر والثواب الجزيل.
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ (الفتح: ١٠).

يتجلّى حُبُّ المؤمن لربِّه ولنبيِّه بصور مختلفة وعلامات شتَّى، وإنَّ من أوضح هذه العلامات وأظهرها، أن يكون المؤمن مؤْثِراً لأوامر الله تعالى على سائر محبوباته، ظاهراً وباطناً، فيلزم الطاعة، ويجتنب التردُّد والتَّهاون واتِّباع الهوى، ويكون هواه تبعاً لما جاء به رسول الله ﷺ.

فاتِّباع الرسول ﷺ في الأقوال والأعمال والأخلاق، يعني الدخول في دائرة طاعة الله، الّتي تعني امتثال أوامره تعالى واجتناب نواهيه، واتِّباع سنن رسوله ممّا ورد عنه من قول أو فعل أو تقرير، قال ﷺ: ((**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم**)). ((أخرجه مسلم))

وقد يخطئ العقل البشري، ويتأثر بشتَّى التيارات الفكرية، لذلك كان لابدَّ من وجود ميزان ثابت ترجع إليه العقول عند اختلافها، فتعرف من خلاله مدى الخطأ والصواب في أحكامها وتصوُّراتها، والله تعالى يضع هذا الميزان لسائر القيم والأحكام، وفي كلِّ حقل من حقول الحياة، وهو كتاب الله وسنَّة رسوله. فإن تنازعنا في أمر فعلينا أن نخضعه لهذا الميزان، فإن لم نجد له حكماً صريحاً في القرآن أو السنَّة لجأنا إلى القياس، وهو: ردُّ الحكم في القضايا الطارئة

الَّتي لا نصَّ يبيِّن حكمها، إلى الأحكام الَّتي نصَّ عليها الشرع للتَّشابُه بينهما، والمماثلة في علَّة تشريع الحكم. ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ (النساء: ٥٩).

وممَّا تجدر الإشارة إليه أن آيات القرآن الكريم قد ربطت بين طاعة الله وطاعة الرسول ﷺ في مواضع كثيرة، دفعاً لتخرُّصات المفسدين وتأويلات المنافقين، الَّذين دعَوْا إلى الاكتفاء بما جاء في القرآن الكريم، وترك ما ورد عن النبي ﷺ من قول أو عمل. وممَّا يؤكد وجوب الالتزام بالسنَّة إلى جانب الالتزام بكتاب الله، أنَّ النبي ﷺ علاوة على قيامه بتبليغ الرسالة فقد قام بتطبيقها، بل إنه القدوة المثلى لهذا التطبيق. ولقد أخذ المسلمون عنه عليه الصَّلاة والسَّلام تعاليم هذا الدّين ومناسكه، وراحوا يبنون صرح هذه العقيدة على أسسها. فالرسول ﷺ مبلِّغ ومبيِّن عن الله مراده، وقد جاءت سنته شارحة للقرآن تبيِّن مجمله وتقيِّد مطلقه وغير ذلك من أوجه البيان.

وبهذا يمكن فهم مقام السنَّة للكتاب، فالتشريع الدِّيني المحض ـ كأحكام العبادات ـ لم يكن يصدر إلا عن وحي الله لنبيه ﷺ من كتاب أو سنَّة، أو بما يُقِرُّه عليه من اجتهاد. وقد كان الرسول ﷺ في ذلك معصوماً، لأنه لو أخطأ لما أمر تعالى بطاعته في قوله: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾ ﴾ (النساء: ٨٠)، ومادامت المسائل الدِّينية قد بُنيت على هذا النحو، ومادام الأصل الَّذي يُرجَعُ إليه عند التحاكم معلوماً، فلا معنى للاختلاف حول منزلة النبي ﷺ من الشريعة الإسلامية، فلا ريب أن الرسول ﷺ هو قائد

مسيرة الإيمان، والدليل الروحي والمرشد الحكيم، وهو الّذي يتكلّم بوحي الله. وعلى هذا فإن أقواله وأعماله هي من وحي الله عزَّ وجل، فصَحَّ بذلك أن تكون مصدراً ثانياً للتشريع بعد القرآن الكريم، وإن ترك هذا المصدر هَدْمٌ لركن من أركان التشريع، فمن أعرض عن السنَّة فقد حرم نفسه من ثمرات التطبيق النبوي، فضلً عن سواء السبيل.

وسنَّة النبي ﷺ الّتي علينا الاقتداء بها، تبدأ منذ بدء تكليفه بالرسالة، بل إن بعضهم قال هي منذ اعتكافه ﷺ في غار حراء، حيث أمضى الأيام الطويلة متعبداً، متحنّفا، متأملا في ملكوت السموات والأرض، حتَّى صفت نفسه ورقَّت مشاعره، ممَّا أهَّله لتلقّي الفيوضات الإلهية، وفتح مغاليق قلبه ليكون مستودعا للأنوار الربَّانية.

وأوَّل سنَّة من سنن رسول الله ﷺ كانت تبليغ الدعوة بدءاً من زوجته وتثنية بابن عمه، ثمَّ خادمه، دعوة مباشرة لعبادة الله، الواحد الأحد، هكذا دون شكليَّات ولا مراسم وقيل أن مكّة هي أصل وأساس لجميع القرى والمدن على سطح الأرض، لذا فمتى قيل ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (الأنعام: ٩٢)، فالمعنى سيشمل جميع الناس على سطح الكرة الأرضية.

مضافاً إلى ذلك، نحن نعرف أنّ الإسلام بدأ بالانتشار تدريجياً، ففي البداية أمر النّبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بإنذار المقرّبين إليه، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ (الشعراء: ٢١٤)، كي تتقوى قاعدة الإسلام وتصلب نواته، ويكون أكثر قدرة واستعداداً للانتشار.

ثم جاءت المرحلة الثانية المتمثلة بإنذار العرب، كما ورد في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (فصلت: ٣).

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (الزخرف: ٤٤).

وعندما ترسخت أعمدة الإسلام بين هؤلاء القوم، وقوي عوده، أُمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأوسع من ذلك، أن ينذر العالم والناس كافة، كما نقرأ في أوّل سورة الفرقان في قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ (الفرقان: ١)، وفي آيات أُخرى.

وبسبب هذا التكليف قام رسول الله ﷺ بإرسال الرسائل إلى زعماء العالم خارج الجزيرة العربية، ودعا كسرى وقيصر والنجاشي وهرقل وغيرهم إلى الإسلام.

ووفق هذه التعليمات قام أتباعه من بعده بالدعوة إلى الإسلام في مختلف بقاع العالم، ونشروا تعاليم الإسلام في جميع أرجاء المعمورة.

... وهذا ما غفل عنه الكثير، ممن اهتموا بالشكل دون المضمون، فكان همُّهم طول اللحية، وطول الثوب الَّذي نرتديه، وإلى غير ذلك من السنن السهلة.. ناسين أن الإسلام قام بالجهد والتعب والتضحية، وبالصبر والمصابرة على أذى الناس وتعنُّتهم، وبالحكمة واللين والموعظة الحسنة، بدءاً من تزكية القلوب، وإدخالها غارَ البعد عن الفواحش والمعاصي، ومن ثمَّ التعلُّم والتعليم، والدعوة والإرشاد...

والرسول مكلَّف بتأدية الرسالة، وليس مكلَّفاً بتثبيت الإيمان في قلوب المعرضين المتولِّين، ولا أن يحفظهم من الإعراض بعد البلاغ والبيان، ولست بأيها الرسول مسئولا عنهم، ولا وكيلا عليهم، فلا تحزن عليهم. والله تعالى هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

وثمّة في كتاب الله آيات أُخرى تشير إلى هذا المعنى: قوله تعالى: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ (الغاشية: ٢٢)، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ (ق: ٤٥). وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ (الأنعام: ١٠٧)، وقوله تعالى: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ (المائدة: ٩٩)، وقوله ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾ (الكهف: ٦)، وقوله ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ (الشعراء: ٣).

إنّ هذه الآيات تبيّن حقيقة حرية العباد واختيارهم الطريق الذي يريدونه بإرادتهم وحريتهم، لأنّ القيمة الحقيقة للإيمان والعمل الصالح تكمن في حرية الاختيار، وليس للإيمان أو العمل الإجباري أي قيمة معنوية، ولكنه ـ على الرغم من ذلك ـ لا يتخلّى عنهم في اللحظات الحرجة، فهو ينصح المخطئ ويرشده إلى طريق الصواب، ويستغفر الله له، وهنا يقترن استغفار الرسول المشحون بالقوّة والنورانية، مع استغفار العبد التائب، المقرون بالتوبة والندم، ليعلو النداءان في جنبات السماء، فيجدا أبواب القبول الإلهي مفتَّحة بإذن الله. فالرسول الكريم ﷺ يملك الشفاعة لا المغفرة، لنفسه أو لأتباعه، والغفَّار هو ربُّ العالمين، ولا يستطيع أحد أن ينتحل هذه الصفة فهي من خصائص الرحمن وحده.

وطاعة الرسول ﷺ ضرورية حتَّى في أصغر الأمور وأدقِّها، وهذا تعليم للأمة المؤمنة كيفية التعامل مع قائدها وولي أمرها. والأمكنة الَّتي تتوجَّب فيها طاعة رسول الله ﷺ كثيرة، وقد عدَّدت الآيات القرآنية بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر، وخاصَّة فيما يتعلق بعمل المؤمنين بوصفهم مجموعةً، فهم ملزمون بالبقاء إلى جانب رسول الله ﷺ عند كلِّ أمر جامع هام، فيه مصلحة الأمة، وهذا تأكيد على دور الفرد وأهميَّته في الأمور المصيرية، فلا يحقُّ لأحد أن يتخلَّى عن تأدية هذا الدور، لأن الفرد المسلم مُلك لأمَّته، وهو عضو من أعضاء جسدها الواحد، وعليه أن يشاركها المعاناة والتضحية، والبناء وترسيخ القواعد الإيمانية، بكلِّ جديَّة ووعي وتقدير للمسئولية قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ (١٢٠) ﴾

(التوبة: ١٢٠).

والدرجة الثانية في الأهميَّة من هذه الطاعة، هي إطاعة من يولِّيهم رسول الله ﷺ لإدارة بعض المهمَّات بالنيابة عنه، وكذلك إطاعة أولي الأمر من بعده، طالما أنهم مستقيمون على أوامر الله، لأنهم يتابعون قيادة هذه الأمَّة وولاية أمورها، وخير الأمَّة يكمن في اجتماع كلمة أبنائها.

ومن تمام الطاعة بل ومن أهم مقوِّماتها، قبول تحكيم الرسول ﷺ، وبالتالي شريعة الله عزَّ وجل، لحلِّ كلِّ ما يمكن أن يطرأ من خلافات بين المؤمن

وأخيه. وقد نفي الله سبحانه صفة الإيمان عن الَّذين رغبوا عن التحاكم إلى الرسول ﷺ فيما نشب بينهم من خلاف، وأقسم سبحانه بـربوبيَّته إنَّ هؤلاء لا يؤمنون إيماناً صحيحاً مستحقاً للفوز بالثواب، والنجاة من العقاب، ذلك لأن في تحكيمه تحكيماً للحقِّ، ورجوعاً إليه، والتزاماً بجادَّة الصواب، وهذا منجاة للمؤمنين من الانزلاق وراء الأهواء والدوافع الشخصية في حلِّ نزاعاتهم، ومدعاة لحفظ الحقوق بينهم، وإن الرغبة عن تحكيمه هي عدل عن الحقِّ، وتحكيم للأنا والشهوات.

وقد رتَّب الله تعالى على طاعته وطاعة رسوله ﷺ مثوبات كبيرة، إذ جعل المطيعين في جنَّات النعيم، مع الأنبياء والصدِّيقين والشهداء والصالحين، وجعل من يبايعون رسول الله ﷺ على الطاعة، في منزلة من يبايعون الله على ذلك، سواء في بيعة العقبة الَّتي تَّمت بين المؤمنين وبين رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿ ۞ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ﴿١٨﴾ ﴾ (الفتح: ١٨)، أم في غيرها من البيعات الَّتي كان يشعر فيها الفرد المسلم عندما يضع يده في يد الرسول ﷺ، برقابة الله تهيمن عليه، وكأنَّ يده سبحانه فوق أيديهم، وهو على يقين بأن الله حاضر البيعة شاهد عليها، وهو الَّذي أخذها على المبايعين، وبالتالي فإن قدرته القاهرة مهيمنة على المبايعين. ولا شكَّ أن هذه الصورة تستأصل من النفس أي خاطر للنكث بهذه البيعة، ولو غاب شخص رسول الله ﷺ فالله حاضر لا يغيب، وهو عليهم رقيب. فمن نقض البيعة فهو الخاسر، لأنه رجع عن تلك الصفقة الَّتي عقدها مع ربِّه تعالى، وما من بيعة بين الله وعبد من عباده، إلا والعبد فيها هو الرابح من فضل الله، والله هو الغنيُّ عن العالمين، وهو يحبُّ الوفاء ويحبُّ الأوفياء.

وأمَّا مضمون هذه البيعة فقد أخرج أحمد وابن مردويه عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: ((بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن نقول في الله، لا تأخذنا في الله لومة لائم، وعلى أن ننصره إذا قدم علينا يثرب، فنمنعه ممَّا نمنع منه أنفسنا وأزواجنا وأبناءنا، ولنا الجنَّة، فمن وفَّى وفَّى الله له، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه)). ويبشِّر الله الموفين بالعهد بأن لهم أجراً عظيماً، فلم يفصِّله ولم يحدِّده، ولكنه اكتفى بوصفه؛ أنه عظيم، عظيم بحساب الله وميزانه ووصفه الَّذي لا يرتقي إلى تصوُّره أهل الأرض.

وكما أن للطاعة ثمراتها، فإن للمعصية عواقبها الوخيمة على الفرد أوَّلاً وعلى الأمة ثانياً، فإذا ما انسلخ الإنسان عن أوامر ربِّه وأوامر رسوله ﷺ خرج عن مساره المستقيم، ودخل في متاهات الشكوك والمعاناة، وفقد المدد الإلهي، وأضحى نجماً آفلاً يتردَّى في مسارب الشيطان ومسالكه. أمَّا عزوف الأمَّة عن شريعة الله فإنه يؤدِّي إلى تفشِّي الخلافات بين صفوفها وتفرُّقها، وبالتالي إلى انهيارها وسيطرة أعداء الحقِّ والحقيقة على أفكارها ومعتقداتها. وهذا الخلل لا يمكن حدوثه ما دمنا بحضرة الله لائذين، وبشريعته متمسِّكين، وبسنَّة رسوله مهتدين، مُتحلِّين بالصبر والأناة، مع العزم والمجاهدة، لنَبْلُغَ الدرجة المرجوةَ من التسليم لحكم الله وحكم الرسول ﷺ.

٢- بشريَّة النبي ﷺ

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾

(الكهف: ١١٠).

وقال أيضاً: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ۝٥٠ ﴾ (الأنعام: ٥٠).

وقال أيضاً: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝١٨٨ ﴾ (الأعراف: ١٨٨).

وقال أيضاً: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ۝٣٤ ﴾ (الأنبياء: ٣٤).

وقال أيضاً: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ﴾ (الزمر: ٣٠).

لقد كان محمَّد ﷺ بشراً كسائر البشر، وهذا ما صرَّح به وأعلنه مراراً على قومه، ونفى عن نفسه ادِّعاء أيِّ صفة من الصفات الَّتي تخرجه عن طور البشرية إلى غيرها؛ فما هو بمَلَكٍ وليس بإله ولكنَّه بشر رسول.

كان من المعهود عند غالبيَّة الناس - منذ بداية نزول الرسالات السماوية - إصرارهم على محاولة الاستفادة من الأنبياء والرسل في النواحي المادية، وذلك بسؤالهم عن الغيب وكأنهم شركاء لله عزَّ وجل في معرفته، وفي القدرة على كشف الضُّر وجلب الخير؛ متناسين أن الأنبياء والرسل بشر

لا تتعدَّى إمكاناتهم الذاتيَّة حدود بشريَّتهم إلا بإذن الله، ولو كان في مقدورهم أن يطَّلعوا على الغيب لكانوا أوَّل المستفيدين منه والمستغلِّين له؛ ولكن المخلوق مهما كان، وكائنا مَنْ كان لا يملك أن يفعل شيئاً إلا بمشيئة الله تعالى.

- وصل تفكير المشركين حدّاً من العقم؛ جعلهم يشترطون على الرسول محمَّد ﷺ أموراً فوق حدود بشريَّته، وخارجة عن نطاق مهمتَّه؛ فتارةً يطالبونه بالمعجزات والأعطيات، وتارةً يريدون منه أن يُعْلِمَهُم بما خبَّأه الغيب لهم، ليستفيدوا من الفرص المتاحة لهم، ويتجنَّبوا المخاطر الَّتي قد تحيط بهم، ويحظَوْا بالنعم دون تعب أو عناء أو ابتلاء. قال تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ ﴾ (هود: ١٢)، وقال تعالى: ﴿ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٣﴾ ﴾ (الإسراء: ٩٣).

- إن صاحب البصر والبصيرة يدرك بأن المعطي والواهب والمقدِّر هو ربُّ العالمين وحده، وأن لا سبيل لبشر ـ مهما علا قدره ـ أن يتحكَّم بأقدار الناس أو يتلاعب فيها.

- رسلُ الله بشر يطرأ عليهم ما يطرأ على البشر من يسر وعسر، وصحَّة ومرض، ونوم ويقظة، فإذا ما استوفَوْا آجالهم أمر الله ملك الموت بقبض أرواحهم، فيموتون كما يموت البشر. ومحمَّد ﷺ كان واحداً من هؤلاء الرسل، أدَّى الأمانة وبلَّغ الرسالة، ونصح عباد الله، ثمَّ انتقل إلى جوار ربِّه.

عندما بدأ النبي ﷺ بدعوة قومه إلى الإيمان بوحدانية الله تعالى، وبأنه رسول من عند الله إليهم، انقلبوا عليه أعداءً أَلِدَّاء، وخصوماً أشدَّاء، وما كانت حجَّة أكثرهم في إعراضهم إلا أن قالوا: ما كان لنا أن نتَّبع بشراً مثلنا، وأخذوا يتمادَوْن في غيِّهم وتكذيبهم، ويسرفون في مطالبته بما هو فوق حدود بشريَّته ليؤمنوا به ويصدِّقوه. فجاء توجيه الله لرسوله بأن يبيِّن لهم أنه بشر وما هو بإله، ويسوق لهم الأدلَّة على بشريَّته؛ فهو الذَّي لا يملك لنفسه ولا لغيره ضراً ولا نفعاً إلا بإذن الله. إنه إنسان لا يُميَّز عن غيره إلا بما اختصَّه به خالقه من النبوَّة وتبليغ الرسالة، وهو يريد من الناس أن يؤمنوا بنبوَّته، وبالتالي بأن يتقبلوا تعاليم الشريعة، بوصفها وسيلةً لإسعادهم في حياتهم الحاضرة، وآخرتهم الَّتي سيصيرون إليها عما قريب. قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ﴾ (فصلت: ٦)، وقال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ (الأعراف: ١٨٨).

وانطلاقاً من هذه الحقيقة يوجِّه الله رسوله خاصَّة والناس عامَّة إلى وجوب معرفة حدود إمكانياتهم وطاقاتهم، والعمل ضمنها دون تبجح أو ادِّعاء. فما محمَّد صلى الله عليه وسلم إلا رسول الله، وبشر يسري عليه ما يسري على البشر، فهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً، ولا يملك خزائن الله فيغدق منها على أتباعه، فما هو بملَك وما هو بإله، ولكنه رسول ينطبق عليه ما على غيره بهذا الخصوص؛ فهو لا يعلم الغيب، ولا يعرف مكامن الخير فيه حتَّى يستكثر منه لنفسه أو لغيره، ولم يخرق حجب المستقبل إلا بالقدر الَّذي ينبِّئه الله تعالى به ويطلعه عليه. ولو تمَّ له ذلك بشكل مطلق لكان أعظم المستفيدين من هذه القدرة في استقطاب جماهير الناس من حوله، وفي محاولة تألُّفِ قلوبهم وتيسير شئونهم من جهة، وفي تسخير هذه القدرة لمصلحته الشخصية من جهة أخرى، بحيث يتَّقي بها السوء والأذى إن كان مقدَّراً عليه، كما يستزيد عن طريقها من أبواب الخير والمنفعة.

فعند عَتبةِ باب الغيب تقف الإمكانيات البشرية قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾ (لقمان: ٣٤)، وقال تعالى: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ (الأنعام: ٥٩)، ولا يفتح ذلك الباب لأحد من الناس فيطَّلع على ما وراءه إلا بإذن من الله؛ ولا يكون ذلك إلا للصفوة المختارة منهم، الَّذين لا يطلعهم الله تعالى إلا على القَدْر اليسير منه متى شاء

ودون قيد أو شرط من أتباعهم. وهكذا كان شأن رسل الله جميعاً في ذلك، وهكذا كان شأن خاتمهم محمَّد ﷺ الَّذي اقتفي آثار أولئك الرسل، وتابع إشادة صرح بنائهم في الدعوة إلى الدِّين القيِّم، حتَّى إذا أتَّمه وأكمله، انتقل إلى جوار ربِّه كما انتقلوا، ونَفَذَ فيه قانون الله كما في سائر مخلوقاته: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝﴾ (الرحمن: ٢٦ ـ٢٧). وتأكيداً لهذه الحقيقة وقف خليله الصدِّيق يوم وفاته موقفاً ثابتاً أمام من أنكروا موت النبي ﷺ فقال: ((أيُّها الناس من كان يعبد محمَّداً فإن محمَّداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت))، وهنا تتجلَّى روعة الإسلام الَّذي رقي بأتباعه من التعلُّق بشخص الرسول إلى التعلُّق بالمرسِل ومصدر الرسالة، فكانت صلتهم بالله تعالى صلة وثيقة يتطلَّعون إليها، وعروة وثقى عقدها الرسول ﷺ بينهم وبين خالقهم فتمسَّكوا بها.

فموت الرسول ﷺ لا يعني موت الإسلام، وإذا كان مصير الخليقة إلى فناء، فإن مصير العقيدة هو البقاء، ومنهج الله في الأرض مستقلٌّ بذاته عن الرسل والدعاة الَّذين يحملونه ويبلِّغونه إلى الناس، مهما علا شأنهم وجلَّ قدرهم، وشعلة الهداية متوقِّدة متأجِّجة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.



٣- مهمة النبي ﷺ

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ (آل عمران: ١٦٤)، قامت دعوة الأنبياء ضمن مجتمعاتهم الّتي ولدوا فيها وانتموا إليها، ولم يكونوا دخلاء عليها، لذلك جاءت هذه الدعوة ملائمة لحاجاتهم البشرية ومنظّمة لها. أمّا دعوة محمَّد ﷺ فكانت دعوة شاملة تلبّي حاجات بني آدم كلّها، وتنظّم حياة الإنسان أيَّ إنسان على هذه الأرض، أمّا غيرها فكانت دعوة إقليمية خاصّةً بفئة، أو أمّة معيَّنة دون سواها.

قال الله تعالى: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾ (الرعد: ٤٠).

يقول الله ﷻ لنبيه ﷺ: وإن أريناك، يا محمد، بعض الذي أوعدنا به أعداءك من الخزي والنكال في الدنيا، أو توفيناك قبل ذلك، فإنما أرسلناك لتبلغهم رسالة الله، وقد فعلت ما أمرت به، وجزاؤهم، وحسابهم على الله، وسيجزي الله المؤمنين بالجنة، ويجزي الكافرين بالخزي، في الدنيا، وبالعذاب الدائم في نار جهنم في الآخرة.

كانت مهمّة الرسول ﷺ في تبليغ رسالة الإسلام تستند إلى مقوّمات أساسية أهمُّها:

قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾﴾ (النحل: ٨٢).

أي: فإن استمروا على غيهم وإعراضهم، وتولوا عن اتباع الحق بعد أن بينت لهم ووضحت، وأبلغتهم رسالة ربهم... فلا عليك منهم، ولا تهلك نفسك حزنا عليهم، فأنت مكلف بإبلاغهم رسالة ربهم، ودعوتهم إلى الحق والهدى والإيمان بالله وحده لا شريك له، وقد أديت ما أمرك به ربك.

أ- تلاوة آيات الله عليهم وجعلهم يتدبَّرون كلماتها بتفهُّم وتعقُّل.

ب- تزكيتهم بتطهير قلوبهم ونفوسهم من خبائث الصفات وقبائح الأعمال.

جـ- تعليمهم كافَّة المعارف الَّتي تضمنَّها القرآن الكريم.

د- إرشادهم إلى سبل الحكمة؛ وهي التأمُّل والتحليل لوقائع الحياة واستخلاص العبر منها، فهي قوام كلِّ عمل ناجح، وهي الَّتي تصل به إلى غايته بأقصر السبُّل وأيسرها.

في خضمِّ المتاهات الفكرية، والصراعات القبلية، وفي ظلِّ العبودية والرِّق وحكم الأقوياء وتسلُّطهم، وفرضهم لمعتقداتهم الَّتي يتستَّرون وراءها، بُعث النبي محمَّد ﷺ في شبه الجزيرة العربية، وأُعطيت له رسالةٌ واضحة الأهداف، راقية بأخلاقياتها وسُمُوِّها الروحي؛ لإنقاذ الجنس البشري وتنظيم مسيرته لما فيه خيره وسعادته. وقد بعثه الله تعالى عربياً من جنس قومه وبلسانهم؛ ليكون أسوتهم وليتمكَّنوا من الاقتداء به. فلم يكن غريباً عنهم بل إنه وُلد فيهم، وترعرع بينهم، وعاش بين ظهرانيهم أربعة عقود كاملة قبل بعثته. وقد علموا فضله في كلِّ ناحية من نواحي حياته، واختبروا أخلاقه وعاداته منذ صباه ونعومة أظفاره إلى أن بلغ أشُدَّه واستوى، وخرج إلى الناس يدعوهم إلى الإسلام، ويبلِّغهم كلام الله تعالى بالشكل الَّذي نزل عليه، ويبيِّن لهم الأهداف

الَّتي يرمي إليها، ويعلّمهم أمور الحلال والحرام، والخطأ والصواب وينير لهم سبل العلم والمعرفة، ويزرع في عقولهم الحكمة ليزدادوا رقياً وكمالاً. وفي هذه الآيات الكريمة يُذكّر الله المؤمنين بما امْتَنَّ به عليهم وتفضَّل من بعثة النبي فيهم، فكانت فاتحة تاريخ مشرق ومستقبل ناجح متألّق، كما يحدد تعالى المهامَّ التي بُعث الرسول ﷺ بها، وهي تعليمهم القرآن والحكمة وتزكية نفوسهم.

لقد كان رسول الله ﷺ يتلو على أصحابه كتاب الله شارحاً لمعانيه، موضحاً لأهدافه، ليتَّخذوه دستوراً لحياتهم، وليطبّقوا برنامجه الربَّاني الكامل؛ فيَسعدوا في أنفسهم ويُسعِدوا غيرهم، ويرتقوا بتعاليمه إلى قِمم النجاح في مستقبلهم الدنيوي والأخروي. وقد آتت هذه التلاوة ثمارها يانعة منذ عصر النبوَّة؛ فتحقَّق بها إنقاذ الأمَّة من ظلماتٍ بعضها فوق بعض إلى نور العلم والحضارة والرقي، وتبوَّأت مكان الصدارة في قيادة العالم، وصارت خير أمَّة أخرجت للناس، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ (آل عمران: ١١٠). تلك بعض الثمرات على المستوى الجماعي، أمَّا على الصعيد الفردي فكان لتلاوة آيات الله جاذبية تسري في النفوس، فتحيل المستمع من جاهل إلى عالم، ومن عدو إلى حبيب، وكثيراً ما كانت هي الدافع الَّذي حمل الكثيرين على الدخول في الإسلام.

ومن أجَلِّ المهامِّ الَّتي أُرسل النبي ﷺ لتحقيقها مهمَّة التزكية؛ وهي تطهير قلوب المؤمنين وعقولهم ومجتمعهم، من الشرك والوثنية والخرافة، وما تنفثه هذه المعتقدات في أصحابها من مشاعر وإيحاءات، قد تهبط بالإنسان إلى ما

دون مستوى الحيوان. فقد كان عليه السَّلام يقتلع من أعماق صحابته جذور الوثنية ورواسبها فكرياً ونفسياً، ويدفع عنهم العقائد الباطلة، الَّتي تجعل صاحبها أسير الجهل والخرافات، والتخلف وانحراف الفطرة.

ولم تقتصر مهمَّته ﷺ في التزكية على تطهير العقول من المعتقدات الباطلة؛ بل إنها اهتمَّت إلى جانب ذلك بتطهير النفس من الصفات الناقصَّة، والعادات الذميمة. وقد تمكَّن رسول الله ﷺ من بلوغ هذه الغاية فأسَّس المجتمع الفاضل وأوجده على أرض الواقع والحقيقة، وكان المزكِّي الأعظم الَّذي زكَّى نفوس أصحابه بأقواله وأحواله وأعماله، وبذل في سبيل هذه المهمَّة جميع الوسائل الموصلة إليها، والَّتي كان من أهمِّها الدعوة إلى مجاهدة النفس، والعمل على تخليصها من رذائل الصفات بفضائل الأخلاق ومكارمها. وحقيقة المجاهدة هي السمُّو بصفات النفس البشرية، وتصعيدها من السيء إلى الحسن بل إلى الأحسن؛ لأنها مفطورة على الخير ولديها القابلية للشر. وجوهر عملية التزكية يكمن في العمل على الارتقاء بالنفس، درجة درجة، إلى أن تبلغ أعلى المستويات الإنسانية وأسماها، فهي تحيلها من كونها أمَّارة بالسوء إلى نفس لوَّامة، تلوم صاحبها كلَّما قصَّر وأساء، فإذا ما تاب واستقام على الخير سكنت، وارتقت في معارج الصفاء، فصارت نفساً مطمئنَّة، راضيةً عن ذاتها، مَرْضيَّة عند مولاها. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾ (الفجر: ٢٧ — ٣٠).

والجدير بالذكر هنا أن الآيات الكريمة عندما حدَّدت مهامَّ النبي ﷺ قد جعلت مهمَّة التزكية سابقة، ومهمَّة التعليم لاحقة؛ إشارة إلى أهمية مرحلة تطهير النفس في بناء شخصية المسلم، وإلى دورها الأساسي في ضمان نجاح

عملية التعليم وجني ثمارها. فالعلم المجرد عن التزكية علم قد يدمِّر صاحبه، ويدفعه في طريق حبِّ التعالي والسيطرة والابتزاز، ممَّا يعود عليه وعلى البشرية بالخسارة والهلاك، وهذا هو العلم الَّذي استعاذ منه رسول الله ﷺ بقوله: ((اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع)) ((رواه ابن حبَّان عن أنس بن مالك)).

وهكذا نجد أن المدرسة الإسلامية اهتمَّت بتزكية النفوس كمرحلة إعداد أوَّلية، وعندما أصبحت قلوبهم طاهرة تصلح لإلقاء نور العلم فيها، بدأت المرحلة الثانية وهي التعليم الشامل لعلوم القرآن الَّتي تضع علوم الحياة في إحدى كفَّتي الميزان، بينما تضع علوم الدِّين في الكفَّة الأخرى ليكونا مطلبين متعادلين يحقِّقان سعادة المؤمنين ونجاحهم في الدارين. وإلى هذا أشار القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً﴾ (البقرة: ٢٠١). وممَّا يؤيِّد هذه الحقيقة ويدعمها أن أوَّل ما نزل من وحي الله على قلب النبي ﷺ قول الله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ (العلق: ١ ــ ٥). فكان الأمر بالقراءة الَّتي تعتبر من أبجديات العلم والتعليم يرمز في هذا الخطاب إلى نوعين من العلوم: علوم القلب الَّتي تؤخذ عن طريق إدمان ذكر الله وترديد اسمه، وعلوم الحياة الَّتي تؤخذ عن طريق القلم وتنتقل من جيل إلى جيل بواسطته.

وانطلاقاً من هذا الخطاب والعمل بمقتضاه؛ تحوَّل مسجد النبي ﷺ إلى جامعة تُعلِّم كلَّ العلوم، وأصبح طلب العلم فيها والانتساب إليها فرضاً على كلِّ مسلم. فدخلها المسلمون أميين غارقين في عزلتهم عن العالم حضارياً وفكرياً،

وتخرَّجوا منها بفضل معلِّمهم ونبيِّهم علماء فقهاء أدباء، وحملوا شهاداتٍ عاليةً، ومِنَحاً قيِّمةً، منها ما رواه سعيد بن المسيَّب عن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((أصحابي كالنجوم بأيِّهم اقتديتم اهتديتم)).((أخرجه البيهقي والديلمي))، وهذا ما أكَّده تعالى بقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ ﴾ (الجمعة: ٢).

وما أجمل المَثَلَ الَّذي ضربه لنا الرسول المعلِّم الأوَّل عليه الصَّلاة والسَّلام في بيان مهمَّته الجليلة في التعليم ومدى تأثُّر الناس بها عندما قال: ((مَثَل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيِّبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسَقَوْا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً، فذلك مَثَلُ من فَقُه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به من العلم فَعَلِم وعلَّم، ومَثَلُ من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الَّذي أُرسِلتُ به)).((متفق عليه من حديث أبي موسى ﷺ)). ولما كان تعليم النبي ﷺ شاملاً لجميع أبواب الخير، فقد ركزَّ على تعليم الحكمة الَّتي تُعَدُّ من أعظم هذه الأبواب وأجلِّها بدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (البقرة: ٢٦٩).

والحكمة في الإسلام تمثِّل الجانب العقلاني في التربية الإيمانية؛ لأنها دراسة للأشياء بحقائقها ظاهراً وباطناً، ومعرفةٌ تتناول ارتباط الأسباب بمسبَّباتها قَدَراً وشرعاً، وخَلْقاً وأمراً. وهذه الدراسة والمعرفة هي الحكمة

القولية، أمَّا الانتقال من مرحلة الدراسة إلى مرحلة التنفيذ والتطبيق فهي الحكمة العملية. وإذا كانت الحكمة هبة الله للمرسلين، فإنها الضالَّة المنشودة لبقيَّة المؤمنين وبغيتهم، فحيثما وجدوا الحقيقة الَّتي أُمروا أن يبحثوا عنها أخذوها، وهذا الوصف هو الذَّي أطلقه معلِّم الحكمة محمَّد ﷺ على كلِّ مؤمن فقال: ((**الحكمة ضالَّة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحقُّ بها**)).((أخرجه الترمذي))

ونظراً لاستناد الحكمة إلى العقل وقيامها على أسسه؛ جاء توجيه النبي ﷺ آمراً بالتمهُّل والتفكُّر قبل الإقدام على أي خطوة يخطوها المؤمن، لتكون صائبة سديدة. وقد ورد في الأثر: ((إذا هممت بأمر فتدبَّر عاقبته، فإن كان رشداً فأمضه، وإن كان غياً فانته عنه))، فكلُّ مرحلة من مراحل حياة المؤمن يجب أن ترافقها الحكمة الرائدة، الَّتي يحتاج إليها في حياته عندما يشرف على خوض غمار الدعوة إلى الله، وعندها يصبح مأموراً بها وليس مختاراً، لقول الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ (النحل: ١٢٥). ولهذا جعلها رسول الله ﷺ سنتَّه في دعوته، وسلاحه الَّذي انتصر به على عداوة أعدائه، وكانت تتجلَّى حكمته بأروع صورها عندما كان يستخدم في دعوته أساليب متنوِّعة ومختلفة، تختلف باختلاف كفاءات المدعوِّين واستعداداتهم. وعلى ضوء هذه الحكمة النبويَّة تحوَّل أعداء الأمس أحباباً، والأخصام المناوئون صحابة، وبقوَّتها الجاذبة كان يدخل المشرك مسجد النبي يريد اغتياله، ويخرج مسلماً يدعو إلى الله، وينتقل من زعيم في الكفر إلى زعيم في الإيمان.

فهذا هو الإسلام دين التزكية والعلم والحكمة، وكتابه قرآن حكيم مليء بكنوز الحكمة وغني بمادَّتها، وخير دليل على اهتمامه بها ودعوته إليها أن سُمِّيت سورة من سوره باسم لقمان؛ الرجل الَّذي كان عبداً أسود اللون، فلم

يضرَّه ذلك شيئاً، لأنه أوتي عطاءً عظيماً من الله وهو الحكمة، الَّتي رفعت مقامه من عبد مملوك فسلكته في مدارج الملوك، وخُلِّد ذكره في الأرض وفي السماء، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ (لقمان: ١٢).

أمَّا عن الحكمة القوليَّة، فخير ما يُذكر عنها ما قاله معلِّم الحكمة محمَّد صلى الله عليه وسلم في حقِّها: ((**نِعْمَ العطيَّة ونِعْمَ الهدية كلمة حكمة تسمعها فتطوى عليها ثمَّ تحملها إلى أخ لك مسلم تعلِّمه إيَّاها تعدل عبادة سنة**)). ((أخرجه الطبراني من حديث ابن عباس ﷺ)). ومن درر وجواهر الكِلَم النبوي في تطبيق الحكمة بشكل عملي، اخترنا طائفة منها كقوله ﷺ: ((**استعينوا على قضاء حوائجكم بالسِّر والكتمان**)). ((أخرجه الطبراني وأبو نعيم عن معاذ بن جبل ﷺ مرفوعاً))، قوله: ((**أُمرنا أن ننزِّل الناس منازلهم وأن نخاطبهم على قدر عقولهم**)). ((أخرجه مسلم تعليقاً في مقدمة صحيحه وأبو داود عن السيِّدة عائشة رضي الله عنها))، وقوله: ((**إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه**)). ((أخرجه ابن ماجه عن ابن عمر ﷺ مرفوعاً وأخرجه أبو داود عن الشعبي مرسلاً))، وقوله: ((**كلِّموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون أتريدون أن يُكذَّب الله ورسوله**)). ((رواه البخاري)). وقال عيسى عليه السلام: ((لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها عن أهلها فتظلموهم، كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع الدَّاء)).

ومن الأقوال الَّتي رويت في الحكمة وقيمتها:

الحكمة نور الأبصار، ولسان الإيمان، وميزان العدل، وأمن الخائف، ومُتجر الرابح، وحظُّ الدنيا والآخرة، وسلامة العاجل والآجل، وهي السفير بين العقل والقلب، لا تندثر آثارها ولا يهلك امرؤ بعد عمله بها. وعرَّفها آخرون بقولهم: الحكمة هي فعل ما ينبغي، في الوقت الَّذي ينبغي، وفي المكان الَّذي

ينبغي، وعلى الشكل الَّذي ينبغي. وهكذا بنور النبوة، وتكاثُفِ القلوب المؤمنة مع الداعية، المعلِّم المزكِّي الحكيم، ينقلب ضلال أبناء الأمَّة إلى هدى، وجهلهم إلى علم وثقافة، وتخلُّفهم إلى تقدُّم وازدهار، ويفُتح الطريق أمام الإنسانية جمعاء، لتصل إلى الحضارة الحقيقية الَّتي تجمع بين طياتها سعادة الدَّارين.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾ (الأحزاب: ٤٥ـ٤٧).

وقال أيضاً: ﴿ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ (الأعراف: ١٨٨).

وقال أيضاً: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ (الأنعام: ٥١).

- زَفَّ النبي ﷺ لقومه البشرى برفع مستوى حياتهم، مادياً وروحياً ونفسياً واجتماعياً، وحمل التهديدَ والوعيدَ من ربِّ العالمين لمن يُعرض عن نداء الحقِّ والعدالة، فيسيء بذلك إلى نفسه وغيره.

- الدعوة إلى الله مهمَّة قدسية وجليلة، لا تُوكل لأحد من الأنبياء أو ورثتهم إلا بإذن من الله سبحانه.

- لقد تفضَّل الله تعالى على أنبيائه ورسله بعلامة تدلُّ على صدق نبوَّتهم واصطفائهم، وهي نورٌ إلهيُ فيَّاض، يُشِعُّ من حنايا قلوبهم، ليغمر قلوب أتباعهم ومحبِّيهم.

- الخوف من الله عامل أساسي في تكوين النفس المؤمنة، ولابدَّ لتوفره من معرفة عظمة الخالق فيما خلق، وإدراك أن ما خلقه لم يكن

مصادفة أو عبثاً، وإنما هو نظام له خطّة وهدف، من أدركه والتزم به نال الشفاعة والقربى، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ (الشعراء: ٨٨ – ٨٩)، ومن أعرض عنه هلك وغوي.

تحدِّد هذه الآيات الكريمة وظيفة النبي ﷺ، فهو شاهدٌ على التحوُّل الجذري الَّذي أحدثه القرآن في الناس، بولادة الأمَّة المسلمة الجديدة، وهو مبشِّرٌ بالخير والعطاء الإلهي لمن يتَّقي الله، ومنذرٌ للمعرضين عن نور المعرفة والهداية. قال ابن عباس ﷺ: لَّما نزلت هذه الآية دعا رسول الله ﷺ عليّاً ومعاذاً فبعثهما إلى اليمن، وقال: ((اذهبا فبشِّرا ولا تنفِّرا، ويسِّرا ولا تعسِّرا، فإنه قد أُنزل عليَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾)) ((أخرجه ابن أبي حاتم وأخرجه الطبراني بإسناد مثله)). وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس ﷺ قال: ((اجتمع عتبة وشيبة وأبو جهل وغيرهم فقالوا: أَسْقِطِ السماء علينا كِسَفاً، أو ائتنا بعذاب، أو أمطر علينا حجارة من السماء، فقال رسول الله ﷺ: ما ذاك لي، إنما بعثت إليكم داعياً ومبشِّراً ونذيراً)). فمهمَّة الرسول هي دعوة الناس لعبادة الله، ومكافحة الشرك والكفر، فهو السراج الَّذي يهديهم ويخرجهم من ظلام الشرك والكفر إلى نور الإيمان، وهذا لا يكون إلا بأمر من الله وبإذن منه جلَّ وعلا.

إن استناد مهمَّة النبي ﷺ في الدعوة على قاعدتي التبشير والإنذار، قد ترك أثراً عميقاً في نفوس المدعوين؛ لأن التبشير كان يمثِّل العامل التربوي الترغيبي، الَّذي يدفعهم باتِّجاه ما ينفعهم ويسعدهم، بينما كان الإنذار يمثِّل العامل التربوي الترهيبي، الَّذي يحجبهم عن كلِّ ما يضرُّهم ويؤذيهم.

إلا أن الناس غير متساوين في فهمهم لما يُلقى إليهم، فمنهم من لا يتجاوز الكلام أسماعهم، ومنهم من تدخل الموعظة أذن أحدهم وتخرج من الأخرى، دون أن تترك وراءها أي أثر، والقلّة القليلة منهم من تتّحد الكلمة مع نفوسهم، وتولّد شحنات من الحبِّ والتوجُّه إلى الله، كما تتّحد ذرّة الأوكسجين مع ذرّتين من الهيدروجين، فتشكّل ماءً يمدُّ الأحياء بأسباب الحياة ويروي العطاش. وهؤلاء يمثّلون فئة المؤمنين الّذين يخشون الله ويخافون أهوال يوم الحشر وشدّة الحساب، وهم مَنْ يُرجى الخير من إيمانهم وتقواهم.

ولمثل هؤلاء المؤمنين يزفُّ الله البشارة على لسان رسوله الأمين، بأن لهم من الله فضلاً كبيراً قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾ (الأحزاب: ٤٧)، وبأن آثار هذا العطاء الإلهي ستظهر في ذواتهم وأُسَرِهم ومجتمعاتهم، حيث ينقلب الظلم عدلاً، والخوف أمناً، والفقر غنىً، والجهل علماً. أخرج ابن جرير وعكرمة عن الحسن البصري أنه قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ (الفتح: ٢). قالوا: يا رسول الله! قد علمنا ما يُفعل بك فماذا يُفعل بنا، فأنزل الله: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾ (الأحزاب: ٤٧).

والخلاصة: أن الداعية المأذون من حضرة الله، مشاهد لأنوار ربِّه بصفاء مرآة قلبه، وهو شاهد على مجتمعه، بصير بأمراضه، يحمل البشرى بالشفاء والعلاج لمن يعملون بإرشاداته ووصاياه، أمَّا من أعرض عنها فله الإنذار بسوء العاقبة وشرِّ المصير. وإن أعطيات الله تعالى تنال البشر كافة، ولكن بشائره تُزَفُّ للمؤمنين خاصّة، وهي فضل كبير، وعطاء متميِّز يخصُّهم به سبحانه وتعالى بالسعادة الروحية في الدنيا والآخرة في ظلِّ عنايته ورعايته.



وفي الكلام: الدعوة إلى الله عز وجل

لقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يدعو الناس كافة إلى أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنه ليس له ولد وهو خالق كل شيء.

وأن الله يأمرهم بعبادته وحده وأن الله كما بدأ أول خلق يعيده. والله يدعوهم إلى الجنة، ويحذرهم من النار، وأن الدين عند الله الإسلام.

فقال الله سبحانه وتعالى ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

(آل عمران: ٦٤).

وقال الله تعالى ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ (الأعراف: ١٥٨).

وقال الله تعالى ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ (آل عمران: ١٨).

فقام الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الناس ويقول: "أيها الناس! اشهدوا معي بما شهد الله به، فإن الله تعالى يقول: ﴿ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (القصص: ٣٠)"

"فأنا أشهد أن لا إله إلا الله رب العالمين: الموصوف بأوصاف الكمال، المتعزز بالبقاء، المتفرد بالوحدانية"

قال الله تعالى ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

وقال الله جل جلاله ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الحشر: ٢٢).

وقال الله تعالى ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (الأنعام: ١٠٢).

وقال الله تعالى ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ ﴾ (الدخان: ٨).

وقال الله جل جلاله ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ (الحديد: ٣).

وقال الله تعالى ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾

(الحديد: ٤).

وقال الله تعالى ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (الأنعام: ١٠٣).

وقال الله تعالى ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ (الشورى: ١١).

وقال الله جل جلاله ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ (الأنعام: ٧٣).

وقال الله تعالى ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ (البروج: ١٦).

وقال الله تعالى ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ (يس: ٨٣).

وقال الله تعالى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ (الإخلاص: ١ – ٤).

قل يا أيها الناس! من إله غير الله؟ حي قيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم. سميع بصير عليم. فعال لما يريد. خالق كل شيء. يحيي ويميت. قوله الحق. وله الملك. رب العالمين. لم يلد ولم يولد. لم يكن له كفواً أحد؟؟

قال الله تعالى ﴿قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ (الأنعام: ٩١).

٤- منزلة النبي ﷺ

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (الأحزاب: ٥٦).

يبدو مقام النبي الكريم عليه أفضل الصَّلاة وأتمُّ التسليم في هذه الآية أشدَّ ما يكون تألُّقاً وزهواً، وهو يحظى بالمواصلة والرحمة من ربِّ العالمين، والدعاء والتشريف من قِبَلِ جميع الملائكة الأبرار.

أمر الله تعالى المؤمنين بالصَّلاة على النبي الكريم زيادة في تكريمه وتشريفه، ولينالوا بها بركة النبي وشفاعته، ولكي ينهلوا بها من معين روحانيته الربَّانية الَّذي لا ينضب، وليتحلَّوا بأخلاقه المحمَّدية السامية.

تشير الآية الكريمة إلى كرامة النبي ﷺ وعظيم منزلته عند الله تعالى؛ فهو محلُّ الهبات الإلهية، ومستودع العطاء الربَّاني، فالله تعالى يُودِعُ أنواره القدسية في قلب النبي ﷺ ووجدانه وعقله، ولا يزال يظلله بالرحمة إلى يوم الدِّين، ويجعل الملائكة تدعو له بالرحمة والبركات. وحقٌّ على المؤمنين تجاهه أن يملئوا قلوبهم بمحبَّة النبي ﷺ لكي يدركوا كُنْهَ العطاء السماوي الَّذي حمله إليهم من خلال رسالة الإسلام، فهو صلة الوصل النورانية الروحية بين العباد وخالقهم. وبمقدار انفتاح القلب على النبي بالسَّلام والمحبَّة، بمقدار ما يرشف من رحيق الحبِّ الإلهي رشفاً، من شلالات فيضه النبوي، الَّذي أسبغه الله تعالى عليه.

وتأكيداً لمكانة النبي ﷺ عند الله تعالى، كان الله سبحانه أوّل من صلّى عليه صلاة الرحمة، ثمَّ ثنَّى بصلاة الملائكة؛ وهي الاستغفار، ثمَّ أمرنا أن نصلّي عليه بقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾، أي الدعاء له بالمغفرة والتعظيم لشأنه ﷺ، والالتزام بحسن اتِّباعه والانقياد لأوامره. وحكمة صلاة الملائكة والمؤمنين على النبي ﷺ تشريفهم بذلك، حيث اقتدوا بالله عزَّ وجلَّ في الصَّلاة على الرسول وتعظيمه، ومكافأة لبعض حقوقه على الخلق، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن رسالة الإسلام جامعة للخيرات شاملة للعطايا الّتي تغمر الإنسانية كلّها، وأنه ﷺ هو الوسيلة الّتي تمَّ تبليغ الإسلام من خلالها إلى البشر. ولما كان الخلق عاجزين عن مكافأته ﷺ فهم يطلبون من الملك القادر أن يكافئه، وهذا هو السرُّ في قولهم: ((اللهمَّ صلِّ على محمَّد)). وقد قال النبي ﷺ: ((**أكثروا من الصَّلاة عليَّ في كلِّ يوم جمعة، فإن صلاة أمتي تُعرض عليَّ في كلِّ يوم جمعة فمن كان أكثرهم عليَّ صلاة كان أقربهم مني منزلة**)).((رواه أبو داود بإسناد صحيح))؛ وهذا مقام المقتدي بأعمال رسول الله ﷺ بصدق وثبات. وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وبن أبي حاتم وبن مردويه عن كعب بن عُجْرَة ﷺ قال: ((لما نزلت الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾. قلنا يا رسول الله! قد علمنا السَّلام عليك، فكيف الصَّلاة عليك؟ قال: **قولوا: اللهم صلِّ على محمَّد وعلى آل محمَّد، كما صلَّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمَّد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد**)). فالرسول محمَّدٌ ﷺ محمود في الأرض، محمود في السماء، فمن أراد الارتقاء إلى أفقٍ طهور فليصلِّ عليه كما صلَّى عليه ربُّ العزَّة وملائكته الأطهار.

وقد اصطفى الله تعالى لهذا الشرف رسوله من بين البشر ؛ ليمرَّ بظروفهم ويشعر بشعورهم ، وسري عليه ما يسري عليهم من شئون الدنيا ، وما ذلك إلا لأن الإسلام هو رسالة العقل والمنطق الَّتي تستند إلى أرضيَّة الواقع ، والَّتي ستستمر في تنظيم حياة الناس وشئونهم مادامت الأرض . وليس في تشريفه إخلال بوحدانية الله ، أو إبهام لحقيقة دوره ﷺ ، فهو مبلِّغ للرسالة وليس موجداً لها ، وهو ناقل للعلم وليس مبتكراً له ، وهو معرِّف بشريعة الله وليس واضعاً لها ، وبهذا يكون تكريمه ثمرة لأمانته وصبره على حمل أعباء الرسالة ، وامتثالاً لتكريم الله له واصطفائه على سائر بني البشر .

قال الله تعالى : ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ (القلم : ١ـ٤) .

- يُقسم تعالى بالقلم تكريماً للعلم وبياناً لأهميَّته .
- يدفع تعالى عن نبيِّه الكريم تهمة الجنون الَّتي وصمه بها أعداء العقيدة ، ويشهد بخُلُق رسوله الكريم الفاضل وشمائله الرفيعة الَّتي أهَّلته لحمل الرسالة وتبليغها .

أقسم الله تعالى بالقلم تأكيداً على صدق محمَّد ﷺ وبراءته ممَّا نسبه إليه المجرمون من السَّفة والجنون ، ولا يخفى أن قَسَمَ الله تعالى بشيء إمَّا دليلٌ على قدسيَّته ، أو لَفْتٌ للأنظار إلى عظيم مكانته ، أو لأهميَّته ، أو لبديع خلقه . والقلم هو الَّذي نكتب به العلوم والمعارف ، وهو أخو اللسان ونعمة من الرحمن على عباده .

وفي هذا القَسَم إشارة إلى فضل العلم وأهميَّته ، فقد خصَّ الله الإنسان من بين سائر المخلوقات بمعرفة الكتابة ، ليفصح عمَّا في ضميره . وحسبك دليلاً

على شرف القلم، أن الله جلَّ وعلا أقسم به تمجيداً لشأن الكاتبين، ورفعاً من قدر أهل العلم، في وقت كان فيه معظم العرب أمِّيين لا يجيدون القراءة والكتابة.

وينفي الله تعالى في الآية اجتماع صفتين متناقضتين في شخص الرسول ﷺ وهما النبوَّة والجنون، فالنبوَّة صفة جليلة قائمة على العلم والحكمة والمعرفة، ولا يمنحها الله إلا لأصفيائه من خلقه ممَّن تميَّزوا بنقاء الفطرة، وصفاء السريرة، ونفاذ البصيرة مع العناية الإلهية به والفضل الربَّاني عليه، فأين الجنون في كلِّ ذلك؟!

وإن العجب ليستبدُّ بالإنسان حين يقرأ سيرة الرسول ﷺ في قومه، ثمَّ يعلم اتِّهامهم له بالجنون، وهم الَّذين علموا منه رجاحة العقل وحكَّموه في بعض خلافاتهم قبل النبوَّة، وخصوصاً اختلافهم حول من يحوز شرف وضع الحجر الأسود مكانه في بناء الكعبة المشرَّفة عندما جدَّدوا بناءها، وهم الَّذين لقَّبوه بالأمين، وظلُّوا يستودعونه أماناتهم حتَّى يوم هجرته على الرغم من عدائهم الشديد له. وإن الإنسان لتأخذه الدهشة أن يبلغ الغيظ بالناس إلى الحدِّ الَّذي دفع مشركي قريش إلى أن يُلْقُوا تلك الاتِّهامات جزافاً، فيَصِمُوه بالجنون وهو المشهور برجاحة العقل، والخلق القويم والسلوك الأمثل.

وتأتي البُشرى للرسول ﷺ بأن له عند ربِّه أجراً دائماً موصولاً لا ينقطع، وهو الَّذي أنعم عليه بالنبوةِّ ومقامها الكريم، وفي هذا الأجر إيناس وتسلية، وتعويض غامر عن كلِّ حرمان عاناه، وعن كلِّ جفوة لقيها، وعن كلِّ بهتان يرميه به المشركون، وقد قُرنت هذه البشرى ورُبطت بمدح خُلُقه ﷺ في الآية الَّتي تلتها: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ فكان الارتباط القائم بين الآيتين عبارة

عن تَرتُّبِ النتائج على المقدِّمات؛ فأجر النبي لا ينقطع ولا ينفذ، لأنه ذو خلق عظيم تسامى إلى درجة لا ينقطع معها أجر ولا يقلُّ ثواب، فمَعِينُ خلقه فيَّاض لا ينضب، ونبع حسناته متفجِّر لا يغيض، وهذا شرف عظيم لم يدرك شأنه بشر، فربُّ العزَّة هو الَّذي يصف محمَّدا صلى الله عليه وسلم بهذا الوصف الجليل.

وقد كان من خُلُقه ﷺ: حبُّ العلم، والحلم، وشدَّة الحياء، وكثرة العبادة، والسخاء، والصبر، والشكر، والتواضع، والزهد، والرحمة، والشفقة، وحسن المعاشرة، والأدب، إلى غير ذلك من الخلال العليَّة والأخلاق الرضيَّة. قالت السيِّدة عائشة رضي الله عنها في وصفه عليه السَّلام: ((لم يكن يعيب أحداً، ولا يجزي على السوء بسوء، بل كان يعفو ويصفح، وكان بعيداً عن السيئات، إنه لم ينتقم من أحد لنفسه، ولم يضرب غلاماً ولا أَمَةً ولا خادماً قط، بل لم يضرب حيواناً، ولم يَرُدَّ سائلاً إلا إذا لم يكن عنده شيء)). وعنها رضي الله عنها قالت: ((ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين أحدهما أيسر من الآخر، إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله عزَّ وجل)).((رواه البخاري ومسلم)).

وما أجمل ثناء الله عليه حين قال: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ (التوبة: ١٢٨-١٢٩).

إن محمَّداً ﷺ وحده هو الَّذي رقي إلى هذا الأفق من العظمة، وبلغ قمَّة الكمال الإنساني، وهو وحده الَّذي يكافئ ويعادل مضمون الرسالة الإلهية الكونية العالمية من الأخلاق والفضائل، حتَّى إنها لتتمثَّل في شخصه فضيلةً تمشي

على الأرض في إهاب إنسان، فقد أخرج ابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ((ما كان أحد أحسن خُلقاً من رسول الله ﷺ ما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته إلا قال لبيك، فلذلك أنزل الله تعالى: وإنك لعلى خُلُق عظيم)). وأخرج ابن أبي شيبة عن سعد بن هشام ﷺ قال: ((أتيت عائشة فقلت: يا أم المؤمنين! أخبريني عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن))[1]. فآيات القرآن وسُوَره، حروف وكلمات، وإنَّ عَمَلَ الرسول وخلقه تجسيد لمعانيها وتفسير لأهدافها، ولهذا جعله الله أهلاً لهذا المقام، الله أعلم حيث يجعل رسالته.



(١) السيرة النبوية لابن هشام.

مِنْ مَحَاسِنِ أخْلاقِهِ ﷺ

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي)). ((رواه السمعاني في أدب الإملاء عن ابن مسعود رضي الله عنه)).

وقال النَّبيُّ ﷺ: ((إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ)). ((رواه الحاكم والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه)).

وَقَالَ سَعِيدُ بنُ هَاشِم رضي الله عنه: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ رضي الله عنها وَعَنْ أبِيهَا أَسْأَلُ عَنْ خُلُقِ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَتْ: ((كَانَ خُلُقُ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْقُرْآنَ)).

أَمَا نَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ فَقَدْ أَدَّبَهُ بِمِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ (الأعراف:١٩٩).

وَقال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ﴾ (النحل: ٩٠)، وَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ (المائدة: ١٣)، وَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ (آل عمران: ١٣٤)، وَقَالَ اللهُ جَلَّ جَلاَلُهُ: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ﴾ (الحجرات: ١٢)، وَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ (الشعراء: ٢١٥).

فَسُبْحَانَ اللهِ مَا أَعْظَمَ شَأْنَهُ وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ... هُوَ الَّذِي زَيَّنَ رَسُولَهُ فَحَسَّنَ خَلْقَهُ وَخُلُقَهُ فَأَثْنَى عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ الْكَرِيمِ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ (القلم: ٤).

وَقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ (النجم: ٣-٤).

خلق وصفات النبي ﷺ في القرآن الكريم وصفاً وتربيةً

١- ذو الخلق العظيم

وصف اللهُ رسولَه محمداً صلوات الله عليه بأنه على خلق عظيم، ووجه له الوصف على سبيل الخطاب الذي يمدحه ويثني عليه فيه؛ فقال تبارك وتعالى: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ (القلم: ١ — ٤).

وإذ وصف الله رسولَه بأنه على خلق عظيم، وجَّه المؤمنين إلى الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة، فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ (الأحزاب: ٢١).

٢- الرأفة والرحمة

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾

(التوبة: ١٢٨).

وبسبب ما جعل الله في قلبه من رحمة، كان ﷺ ليّن الجانب محبَّباً، مالكاً قلوب أتباعه، وهذا ما وصفه الله به بقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾

(آل عمران: ١٥٩).

عن أنس بن مالك ﷺ قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه بُرْدٌ نَجْرَانِيّ غليظ الحاشية، فأدركه أعرابيٌ فجبذه جبذة (فجذبه جذبة) شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتِق النبي ﷺ قد أثَّرت به حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: مُرْ لي من مال الله الذي عندك. فالتفت إليه، فضَحِك ثم أمر له بعطاء.

٣- الحياء

وصف الله رسوله بأنه كثير الحياء، يناله ما يؤذيه من أصحابه، فيستحي أن يجرح مشاعرهم بأن يكفوا عمّا يؤذيه منهم، إذ يتعلق الأمر بذات نفسه ﷺ.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ (الأحزاب: ٥٣)(١).

٤- الشجاعة والثبات

ألمح القرآن إلى شجاعة الرسول ﷺ وثباته في مواقف البأس الشديد، ففي معركة أُحُد لما تحولت رياح النصر لصالح المشركين، بسبب مخالفة الرماة أوامر الرسول ﷺ وتركهم مواقعهم، عندئذ باغتهم المشركون من خلفهم، وفزع المسلمون و انهزموا متجهين إلى المرتفعات، يُصعِدون ولا يلوون على

---

(١) غير ناظرين إناه: أي غير منتظرين وقت تناوله، أو نضجه.

أحَد ، وثبت رسول الله ﷺ ولم يثبت معه إلا قلة ، وجعل رسول الله يدعو الناس : إليَّ عباد الله ، إليَّ عباد الله .

في ذكر هذه الحادثة قال تعالى : ﴿ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ ﴾ (آل عمران : ١٥٣) .

٥- العبودية

قال تعالى : ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ (الإسراء : ١) .

٦- منة على المؤمنين

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (آل عمران : ١٦٤) .

٧- سراجاً منيراً

قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ (الأحزاب : ٤٥ ـ ٤٦) .

٨- خاتم الأنبياء

قال تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ (الأحزاب : ٤٠) .

٩- شرح الله صدره ﷺ

قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ (الشرح: ١ ـ ٤).

١٠- أولى بالنبيين من أنفسهم

قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۗ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾﴾ (الأحزاب: ٦).

١١- على صراط مستقيم ويهدي إليه

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ (الزخرف: ٤٣).

ويقول جل شأنه: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾﴾ (يس: ٣ ـ ٤).

ويقول تبارك اسمه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ (الشورى: ٥٢).

ويقول سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾﴾ (المؤمنون: ٧٣).

يقول سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾

(الأنعام: ١٦١ ـ ١٦٣).

١٢- أرسله ربه بالحق

يقول الله ﷻ موجهاً الخطاب إليه ﷺ: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (البقرة: ١١٩، فاطر ٢٤).

ويقول سبحانه: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٣٣) ﴾ (التوبة: ٣٣)، ويقول جل شأنه: ﴿ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ ﴾ (الرعد: ١).

وقال تعالى: ﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ﴾

(الرعد: ١٩).

وقال سبحانه: ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ ﴾ (سبأ: ٦).

وقال جل شأنه ﴿ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ (٣٧) ﴾ (الصافات: ٣٧).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ ﴾ (الزمر: ٤١).

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا (٢٨) ﴾ (الفتح: ٢٨). فهذه شهادة الله ﷻ، وكفى بالله شهيداً.

١٣- ويقولون: هو أذن، قل: أذن خير لكم

قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ (التوبة: ٦١).

- هو أذن: أي يسمع من كل من يقول له ويحدثه.
- قل أذن خير لكم: أي هو يسمع من كل من يقول له لا يتكبر؛ ولكن لا يَقرّ إلا الحق ولا يقبل إلا الخير والمعروف، فهو أذن خير لكم.
- ويؤمن للمؤمنين: أي يصدق المؤمنين الصادقين من المهاجرين والأنصار أما غيرهم فإنه وإن يسمع منهم لا يصدقهم.

١٤- خذ العفو وأمر بالعرف، وأعرض عن الجاهلين

و﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ ﴾ تشتمل على دلالة بديعة في إعلاء قيمة العفو، إذ جعله الله بمثابة ثمن يأخذه صاحب العفو.

قال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ ﴾ (الأعراف: ١٩٩ – ٢٠٢).

١٥- ولربك فاصبر

﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧ ﴾ (المدثر: ٧). أمر الله رسوله ﷺ بالصبر في نحو عشرين موضعاً من القرآن الكريم.

لما واجهه الذين كفروا بالتكذيب والاتهام بأنه شاعر وساحر وكاهن ومجنون، أمره الله بأن يصبر على ما يقولون، فقال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝١٠ ﴾ (المزمل: ١٠).

وعندما أمعن المكذبون بالرسول في تكذيبه، حتى طلبوا أن يعجل لهم العذاب إن كان صادقاً، فأمره الله بالصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ونهاه أن يستعجل لهم العذاب، قال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ (الأحقاف: ٣٥). وقال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ ﴾ (القلم: ٤٨).

واشتد حرص رسول الله على هداية من أصر على الكفر من قومه، وبلغ الحرص في نفسه مبلغ الحزن عليهم وضيق الصدر من مكرهم، فقال الله ﷻ له: ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ۝١٢٧ ﴾ (النحل: ١٢٧).

وطال مدى الصبر وتساءلت نفس رسول الله ﷺ ونفوس الذين آمنوا معه، متى يتحقق وعد الله بالنصر؟ فقال ﷻ: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ۝٥٥ ﴾ (غافر: ٥٥). وقال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ۝٧٧ ﴾ (غافر: ٧٧).

وأمر الله تعالى نبيّه بألا يطيع قول كافر، ولا قول منافق في أمر الدين والدعوة، و أن يتجاوز ويصفح عن أذاهم، ويصبر على ما يناله منهم، وأن يفوض أمره إلى الله ويثق به فإنه كافيه وناصره وحافظه، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾ (الأحزاب: ٤٨).

قال الله تعالى: ﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ ﴾ (ص: ١٧).

وقال تعالى: ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ (يس: ٧٦).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ (الحجر: ٩٧ ـ ٩٩).

١٦- ولا تمنن تستكثر

من خلق الرسول ﷺ الجود وحب العطاء فقد كان أجود الناس، ولكن الله وجهه إلى أكمل صور العطاء النابع عن الخلق الأصيل في النفس، وذلك بأن لا يتبع عطاءه بالمن مهما رأى العطاء كثيراً، وبأن لايستكثر ما يعطيه، فإن من يحب العطاء في خَلْقِه لا يرى أي عطاء يعطيه: كثيراً، إذ في نفسه من الرغبة بالعطاء ما هو أكثر بكثير، لذلك فهو يرى الكثير الذ يعطيه قليلاً، فقال الله له: ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ ﴾ (المدثر: ٦).

١٧- واخفض جناحك للمؤمنين

كان رسول الله ﷺ - كما أدبَّهِ الله- متواضعاً خافض الجناح لين الجانب، إذا جلس بين أصحابه كان كأحدهم، فيأتي قاصده فلا يعرفه فيقول :أيكم محمّد ، وإذا سار مغ أصحابه كان كأحدهم، لا يتعالى ولا يترفَّع عليهم، ولا يعطي لنفسه امتيازاً إلا ما تقتضيه طبيعة القيادة والأمر والنهي. وفي تأديب الله لرسوله بهذا الأدب قال الله له :﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾ (الشعراء : ٢١٥).

١٨- ولا تمدَّن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم

كان رسول الله ﷺ كما أدبه الله أعفَّ خلق الله عما في أيدي الناس، وعن الدنيا بما فيها، وعرضت عليه زينتها فأباها. فحوّل نظره إلى ما ادُّخر له في الفردوس الأعلى من مقام كريم ونعيم مقيم.

قال تعالى :﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾ (طه : ١٣١).

١٩- فاصفح الصفح الجميل

ومما أدّب الله به رسوله - عليه الصلاة والسلام - أن يتحلى بخلق الصفح، وهو الإعراض عن مواجهة السيئة بمثلها، وقد كان رسول الله ﷺ أجمل الناس صفحاً، يتلقى من قومه الأذى المؤلم فيعرض عن تلويمهم أو تعنيفهم أو مقابلتهم بمثل عملهم، ثم يعود إلى دعوتهم ونصحهم كأنما لم يلق منهم شيئاً.

وفي تأديب الله لرسوله بهذا الأدب قال تعالى: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ (الحجر: ٨٥ – ٨٦)، وقال ﷻ: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ (الزخرف: ٨٩).

٢٠- ادفع بالتي هي أحسن

ومما أدب الله به رسوله أن يدفع بالتي هي أحسن، أي أن يدفع أية إساءة توجه له، وأي معاملة يقابل بها، وأية كلمة أو خلق أو خصلة تسوؤه من غيره بالتي أحسن، أي بالخصلة والكلمة والطريقة والمعاملة التي هي أحسن، وهذا موجه أيضاً لكل المؤمنين. فأنزل الله على رسوله: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾

(فصلت: ٣٤ – ٣٦).

٢١- من أوائل ما أدب الله ﷻ به رسوله ﷺ ما جاء في سورتي (الضحى) و(الشرح)

اشتملت سورتي (الضحى) و(الشرح) على ألوان من تربية الله لرسوله ﷺ، وكان ذلك مع أوائل الرسالة. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ (الضحى: ٩ – ١١).

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾﴾ [1]

(الشرح: ٧ – ٨).

---

(١) النصب: التعب، ورغب إلى الله: أي سأل الله بضراعة.

٢٢- وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهوائهم

قال تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ (الشورى: ١٥).

ومما أدب الله به رسوله أن يتخلق بخلق العدل في الحكم، ومجانبة العدل في الحكم إنما تكون باتباع الهوى وجنوح الفكر عن سواء السبيل. ولما كان رسول الله ﷺ مطهراً من الهوى، نهاه الله عن أن يتبع أهواء الناس على سبيل المداراة لهم لجلبهم إلى الإسلام، أو لتأليف قلوبهم، قال تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ (المائدة: ٤٩ - ٥٠).

الآيات القرآنية الواردة في فضائله ﷺ

قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا﴾ للمؤمنين، ﴿وَنَذِيرًا﴾ للكافرين. وقال تعالى في سورة البقرة أيضاً: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ (البقرة: ١٢٩). قبل هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا

مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا ﴾ (البقرة: ١٢٧ـ ١٢٩)، إلى آخر الآية السابقة. قال ولم يبعث الله تعالى من ذريتها غير محمد ﷺ، فهو المجاب به دعوتهما كما قال ﷺ: ((أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمي)). وقال تعالى في سورة البقرة أيضاً: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾أي خياراً أو عدولاً مزكين بالعلم والعمل: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة: ١٤٣). روي أن الأمم يوم القيامة، يجحدون تبليغ الأنبياء، فيطالبهم الله ببينة التبليغ، وهو أعلم بهم إقامة للحجة على المنكرين، فيؤتى بأمة محمد ﷺ فيشهدون، فيقول الأمم من أين عرفتم، فيقولون علمنا ذلك بإخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق، فيؤتى بمحمد ﷺ فيسأل عن حال أمته فيشهد بعدالتهم.

وقال تعالى في سورة البقرة أيضاً: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ ﴾ (البقرة: ١٥١). أي يحملكم على ما تصيرون به أزكياء ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ (البقرة: ١٥١). وقال تعالى في سورة البقرة أيضاً: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ (البقرة: ٢٥٢)، أي بالوجه المطابق الذي لا يشك فيه أهل الكتاب وأرباب التواريخ: ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ ﴾ (البقرة: ٢٥٢).

وقال الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ ﴾ (آل عمران: ٣١). المحبة ميل النفس إلى الشيء لكمال أدرك فيه، بحيث يحملها على ما يقربها إليه، والبعد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله، وأن كل ما يراه كمالاً من نفسه أو غيره، فهو من الله وبالله وإلى الله لم يكن حبه إلا لله وفي الله، وذلك يقتضي إرادة طاعته، والرغبة فيما يقرب إليه. فلذلك فسرت المحبة بإرادة الطاعة، وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته، والحرص على مطاوعته ﴿ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (آل عمران: ٣١). أي يرضى عنكم، ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم، فيقربكم من جناب عزه، ويبوئكم في جوار قدسه: ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (آل عمران: ٣١). وقال تعالى في سورة آل عمران أيضاً: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ (آل عمران: ٨١). قيل إنه على ظاهره، وإذا كان هذا حكم الأنبياء كان الأمم به أولى، وقيل معناه أنه تعالى أخذ الميثاق من النبيين وأممهم، واستغنى بذكرهم عن ذلك ﴿ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ﴾ (آل عمران: ٨١). والإصر: العهد ﴿ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ (٨١) ﴾ (آل عمران: ٨١). وقال تعالى في سورة آل عمران أيضاً: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ ﴾ (آل عمران: ١٥٩) أي فبرحمة، وما مزيدة للتأكيد ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ ﴾ (آل عمران: ١٥٩) أي سيء الخلق جافياً، ﴿ غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ ﴾ (آل عمران: ١٥٩) أي قاسيه:

﴿لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ (آل عمران: ١٥٩).

وقال تعالى في سورة آل عمران أيضاً: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (آل عمران: ١٦٤). أي من نسبهم أو من جنسهم عربياً مثلهم، يفهم كلامهم بسهولة، ويكونون واقفين على حاله في الصدق والأمانة مفتخرين به، وقيل من ((أَنْفَسهم)) أي أشرفهم، لأنه عليه الصلاة والسلام كان من أشرف قبائل العرب وبطونهم ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ (آل عمران: ١٦٤)، أي يطهرهم من دنس الطباع وسوء الاعتقاد والأعمال ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ (آل عمران: ١٦٤)، أي القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ أي السنة ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (آل عمران: ١٦٤).

وقال الله تعالى في سورة النساء: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ (النساء: ٤١). يعني بنبيهم ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ (النساء: ٤١). أي تشهد على صدق هؤلاءِ الشهداء، وهم أنبياؤهم.

وقال تعالى في سورة النساء أيضاً: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ (النساء: ٦٥). أي اختلف واختلط ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ (النساء: ٦٥). أي ضيقاً مما حكمت به، أو من حكمك أو شكاً من أجله، فإن الشاكّ في ضيق من أمره،

﴿وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥). أي ينقادوا إليك انقياداً بظاهرهم وباطنهم.

وقال تعالى في سورة النساء أيضاً: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠). لأنه عليه الصلاة والسلام في الحقيقة مبلغ، والآمر هو الله. روي أنه عليه الصلاة والسلام قال: ((من أحبني فقد أحب الله ومن أطاعني فقد أطاع الله)).

وقال تعالى في سورة النساء أيضاً: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ (النساء: ١٠٥)، أي لا تكن لأجل الخائنين خصيماً للأبرياء.

وقال تعالى في سورة النساء أيضاً: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ﴾ (النساء: ١١٣)، أي من خفيات الأمور، أو من أمور الدين والأحكام ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء: ١١٣)، إذ لا فضل أعظم من النبوة.

وقال تعالى في سورة النساء أيضاً: ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ (النساء: ١٦٣). خص هؤلاء الرسل بالذكر تعظيماً لهم، فإن إبراهيم أول أولي العزم منهم، وعيسى آخرهم، والباقين أشراف الأنبياء ومشاهيرهم.

وقال تعالى في سورة النساء أيضاً: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ﴾ (النساء: ١٦٦). أي من القرآن المعجز الدال على نبوتك ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ﴾ (النساء: ١٦٦)، وهو العلم بتأليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ﴾ (النساء: ١٦٦). أيضاً بنبوتك ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (النساء: ١٦٦). وكفى ما أقام من الحجج على صحة نبوتك من الاستشهاد بغيره.

وقال الله تعالى في سورة المائدة: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ (المائدة: ١٥). أي كنعت محمد ﷺ، وآية الرجم في التوراة، وبشارة عيسى بأحمد ﷺ في الإنجيل ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ (المائدة: ١٥). أي القرآن، فإنه الكاشف لظلمات الشك والضلال، والكتاب الواضح الإعجاز، وقيل يريد بالنور محمداً ﷺ: ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ ﴾ (المائدة: ١٦). أي من أنواع الكفر إلى الإسلام ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ (المائدة: ١٦). أي طريق هو أقرب الطرق إلى الله تعالى، ومؤدٍّ إليه لا محالة.

وقال تعالى في سورة المائدة أيضاً: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ﴾ (المائدة: ١٩). أي يبين لكم الدين على انقطاع زمن الوحي كراهة ﴿أَن تَقُولُواْ

مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍۖ ﴾ (المائدة: ١٩). لا تعتذروا ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾ (المائدة: ١٩). فيقدر على إرسال الرسل تترى، كما فعل بين موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام، إذ كان بينهما ألف وسبعمائة سنة، وألف نبي، وعلى الإرسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام بينهما ستمائة سنة، وأربعة أنبياء، ثلاثة من بني إسرائيل وواحد من العرب، خالد بن سنان العبسي، وفي الآية امتنان عليهم بأن بُعث ﷺ إليهم، حين انطمست آثار الوحي، وكانوا أحوج ما يكونون إليه.

وقال تعالى في سورة المائدة أيضاً: ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴾ (المائدة: ٦٧). أي عدة وضمان من الله بعصمته وحفظه من تعرض الأعادي.

وقال الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ﴾ (الأعراف: ١٥٧). الذي لا يكتب ولا يقرأ، وصفه به تنبيهاً على أن كمال علمه مع أميته إحدى معجزاته ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ (الأعراف: ١٥٧). أي اسماً وصفة ﴿ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ ﴾ (الأعراف: ١٥٧)، أصل الإصر الثقل ومعناه هنا ما كلفوا به من التكاليف الشاقة ﴿وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ ﴾ (الأعراف: ١٥٧). أي عظموه ﴿ وَنَصَرُوهُ

﴿ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ﴾ (الأعراف: ١٥٧). أي القرآن، وإنما سماه نوراً، لأنه بإعجازه كاشف الحقائق: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧ ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

وقال تعالى في سورة الأعراف أيضاً: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ (الأعراف: ١٥٨). الخطاب عام، وكان رسول الله ﷺ مبعوثاً إلى الثقلين وسائر الرسل بعثوا إلى أقوامهم ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ الأعراف: ١٥٨. الخطاب عام، وكان رسول الله ﷺ مبعوثاً إلى الثقلين وسائر الرسل بعثوا إلى أقوامهم ﴿ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨ ﴾ (الأعراف: ١٥٨).

تذكار لما مكر قريش به ﷺ، حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم.

والمعنى: واذكر إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ بالوثاق، والحبس والإثخان بالجرح، أَوْ يَقْتُلُوكَ بسيوفهم، أَوْ يُخْرِجُوكَ من مكة، وذلك أنهم لما سمعوا بإسلام الأنصار ومتابعتهم، خافوا فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في أمره، فدخل عليهم إبليس في صورة شيخ، وقال أنا من نجد سمعت اجتماعكم، فأردت أن أحضركم ولن تعدموا مني رأياً ونصحاً، فقال أبو البحتري رأيي أن تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون إليه طعامه وشرابه منها حتى يموت، فقال الشيخ: بئس الرأي، يأتيكم من يقاتلكم من قومه، ويخلصه من أيديكم، فقال هشام بن عمرو: رأيي أن تحملوه على

جمل، فتخرجوه من أرضكم، فلا يضركم ما صنع. فقال: بئس الرأي يفسد قوماً غيركم ويقاتلكم بهم، فقال أبو جهل أنا أرى أن تأخذوا من كل بطن غلاماً، وتعطوه سيفاً صارماً فيضربوه ضربةً واحدةً، فيتفرق دمه في القبائل، فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم، فإذا طلبوا العقل عقلناه، فقال صدق هذا الفتى، فتفرقوا على رأيه، فأتى جبريل النبي ﷺ وأخبره الخبر، وأمره بالهجرة، فبيَّت علياً رضي الله تعالى عنه في مضجعه، وخرج مع أبي بكر رضي الله تعالى عنه إلى الغار ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾ برد مكرهم عليهم، أو بمجازاتهم عليه، أو بمعاملة الماكرين معهم، بأن أخرجهم إلى بدر، وقلل المسلمين في أعينهم، حتى حملوا عليهم فقُتلوا، ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ إذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره، وإسناد أمثال هذا إلى الله، إنما يحسن للمزاوجة، ولا يجوز إطلاقها ابتداءً لما فيه من إيهام الذم.

وقال الله تعالى في سورة الأنفال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ (الأنفال: ٣٣). في هذه الآية بيان لما كان الموجب لإمهالهم، وللدلالة على أن تعذيبهم عذاب استئصال، والنبي عليه الصلاة والسلام بين أظهرهم خارج عن عادته.

وقال الله تعالى في سورة التوبة: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (التوبة: ٣٣). الضمير في قوله ((ليظهره)) للدين الحق، أو للرسول عليه الصلاة والسلام، والسلام في الدين للجنس أي على سائر الأديان فينسخها، أو على أهلها فيخذلهم.

وقال تعالى في سورة التوبة أيضاً: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ (التوبة: ٤٠). أي إن لم تنصروه فقد أوجب الله له النصرة، حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره ﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ ﴾ (التوبة: ٤٠). والغار نقب في أعلى ثور، وهو جبل في يمني مكة على مسيرة ساعة، مكثا فيه ثلاثة أيام هو وصاحبه أبو بكر الصديق ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ (التوبة: ٤٠). أي بالعصمة والمعونة، روي أن المشركين طلعوا فوق الغار فأشفق أبو بكر رضي الله تعالى عنه على رسول الله ﷺ، فقال عليه الصلاة والسلام: ((ما ظنك باثنين الله ثالثهما))، فأعماهم الله على الغار، فجعلوا يترددون حوله فلم يروه، ولما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في أسفله، والعنكبوت فنسجت عليه ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ ﴾ (التوبة: ٤٠). أي أمنته التي تسكن عندها القلوب عَلَيْهِ، أي على النبي أو على صاحبه وهو الأظهر، لأنه كان منزعجاً ﴿ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ (التوبة: ٤٠). أي الملائكة أنزلهم ليحرسوه في الغار، أو ليعينوه يوم بدر والأحزاب وحنين ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ﴾ (التوبة: ٤٠). كلمة الكفر أي الشرك ﴿ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ﴾ (التوبة: ٤٠). كلمة الله التوحيد ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة: ٤٠).

وقال تعالى في سورة التوبة أيضاً: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾ (التوبة: ٦١). يسمع كل ما يقال له ويصدقه، روي

أنهم قالوا محمد أذن سامعة، نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ (التوبة: ٦١)، تصديق لهم بأنه أذن، ولكن لا على الوجه الذي ذموا به، بل من حيث إنه يسمع الخير ويقبله، ثم فسر ذلك بقوله: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ (التوبة: ٦١). يصدق به لما قام عنده من الأدلة، ويصدقهم لما علم من خلوصهم ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ﴾ (التوبة: ٦١). لمن أظهر الإيمان حيث يقبله ولا يكشف سره: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ (التوبة: ٦١).

وقال تعالى في سورة التوبة أيضاً: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ (التوبة: ١٢٨). أي من جنسكم، وقرئ من أنفسكم بفتح الفاء، أي من أشرافكم ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾ (التوبة: ١٢٨). أي شديد شاق ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ (التوبة: ١٢٨). عنتكم ولقاؤكم المكروه، ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ (التوبة: ١٢٨). أي على إيمانكم وصلاح شأنكم ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ (التوبة: ١٢٨). والرؤوف أبلغ، لأن الرأفة شدة الرحمة.

وقال الله تعالى في سورة الرعد: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾﴾ (الرعد: ٤٣). فإنه أظهر من الأدلة على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليها ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾﴾ (الرعد: ٤٣). أي علم القرآن.

وقال الله تعالى في سورة الحجر :﴿ لَعَمْرُكَ ﴾ (الحجر : ٧٢) . أي بعمرك قسم بحياة المخاطب، وهو النبي ﷺ ﴿إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ ﴾ (الحجر : ٧٢) . أي غوايتهم ﴿يَعْمَهُونَ ﴾ (الحجر : ٧٢) . يتحيرون.

وقال تعالى في سورة الحجر أيضاً : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي ﴾ (الحجر : ٨٧) . أي سبع آيات، وهي الفاتحة وقيل سبع سور، وهي الطوال، وسابعتها الأنفال والتوبة، فإنها في حكم سورة، ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية، وقيل غير ذلك من المثاني بيان للسبع، والمثاني من التثنية أو الثناء، تكرر قراءته ويثني عليه بالبلاغة، ويثني به على الله بما هو أهله من صفاته العظمى وأسمائه الحسنى : ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (الحجر : ٨٧) .

وقال الله تعالى في سورة النحل :﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ ﴾ (النحل : ٤٤) . أي القرآن ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

(النحل : ٤٤) .

وقال تعالى فى سورة النحل أيضاً :﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ (النحل :٦٤) . من التوحيد والقدر وأحوال المعاد وأحكام الأفعال ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (النحل : ٦٤) .

وقال تعالى في سورة النحل أيضاً : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ (النحل : ٨٩) . يعني نبيهم، فإن نبي كل أمة بعث منهم ﴿وَجِئْنَا بِكَ ﴾ (النحل :٨٩) . أي يا محمد ﴿ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ (النحل : ٨٩) . أي على أمتك ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾

(النحل: ٨٩). أي من أمور الدين على التفصيل أو الإجمال، بالإحالة إلى السنة أو القياس ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ (النحل: ٨٩). أي للجميع وإنما حرمان المحروم من تفريطه ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ٨٩). خاصة.

وقال تعالى في سورة النحل أيضاً: ﴿ٱدْعُ﴾ (النحل: ١٢٥). أي من بعثت إليهم ﴿إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ (النحل: ١٢٥). أي إلى الإسلام ﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾ (النحل: ١٢٥). بالمقالة المحكمة، وهي الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة، ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ (النحل: ١٢٥). الخطابات المقنعة والعبر النافعة، والأولى لدعوة خواص الأمة الطالبين للحقائق، والثانية لدعوة عوامهم ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥). أي بالطريقة التي هي أحسن، طرق المجادلة من الرفق واللين وإيثار الوجه الأيسر، والمقدمات التي هي أشهر، فإن ذلك أنفع في تسكين لهبهم، وتبين شغبهم، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ (النحل: ١٢٥). أي إنما عليك البلاغ والدعوة، وأما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا عليك، بل الله أعلم بالضالين والمهتدين، وهو المجازي لهم.

قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ (الإسراء: ١). يمجد الله تعالى نفسه الكريمة، وينزهها عن شرك من أشرك، ويعظم شأنه لقدرته على ما لا يقدر عليه غيره، فقد أسرى بعبده محمد ﷺ ليلاً من مكة (المسجد الحرام) ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ (الإسراء: ١). أي مسجد بيت المقدس ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ (الإسراء: ١).

أي ببركات الدين والدنيا، لأنه مهبط الوحي، ومتعبد الأنبياء، ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ (الإسراء: ١). أي كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر، ومشاهدته بيت المقدس، وتمثل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام له، ووقوفه على مقاماتهم: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ (الإسراء: ١).

وقال تعالى في سورة الإسراء أيضاً: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ (الإسراء: ٧٩). المشهور أنه مقام الشفاعة، لما روي أبو هريرة رضي الله تعالى عنه أنهُ عليه الصلاة والسلام قال: ((**هو الذي أشفع فيه لأمتي**)) ولإشعاره أن الناس يحمدونه لقيامه فيه، وما ذاك إلا مقام الشفاعة.

وقال تعالى في سورة الإسراء أيضاً: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾ (الإسراء: ٨٦ ـ ٨٧). أي كإرساله ﷺ، وإنزال الكتاب عليه، وإبقائه في حفظه.

وقال تعالى في سورة الإسراء أيضاً: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ﴾ (الإسراء: ١٠٥). أي وما أنزلنا القرآن إلا بالحق المقتضي لإنزاله ﴿وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ (الإسراء: ١٠٥). أي وما نزل إلا بالحق الذي اشتمل عليه ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ (الإسراء: ١٠٥)أي للمطيع بالثواب ﴿وَنَذِيرًا﴾ (الإسراء: ١٠٥)أي للعاصي من العقاب، فلا عليك إلا التبشير والإنذار.

وقال الله تعالى في سورة طه: ﴿طه ﴿١﴾﴾ (طه: ١). قيل معناه يا رجل ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾﴾ (طه: ٢). أي لتتعب بفرط

تأسفك على كفار قريش، إذ ما عليك إلا أن تبلغ أو بكثرة الرياضة وكثرة التهجد، والقيام على ساق، والشقاء شائع بمعنى التعب.

وقال تعالى في سورة طه أيضاً: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ (طه: ٩٩)، أي من أخبار القرون الماضية، والأمم الدارجة، تبصرة لك، وزيادة على علمك، وتكثيراً لمعجزاتك، وتنبيهاً وتذكيراً للمستبصرين من أمتك ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾ (طه: ٩٩). كتاباً مشتملاً على هذه الأقاصيص والأخبار، حقيقاً بالتفكر والاعتبار، وقيل ذكراً جميلاً، وصيتاً عظيماً بين الناس.

وقال الله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ (الأنبياء: ١٠٧). أي لأن ما بعث به ﷺ سبب لإسعادهم، وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم، وقيل كونه رحمة للكفار، أمنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال.

وقال الله تعالى في سورة الحج: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾﴾ (الحج: ٤٩)، أي أوضح لكم ما أنذركم به.

وقال تعالى في سورة الحج أيضاً: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ (الحج: ٦٧). أي إلى توحيده وعبادته ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الحج: ٦٧). أي طريق إلى الحقّ سويّ.

وقال تعالى في سورة الحج أيضاً: ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا﴾ (الحج: ٧٨). أي يوم القيامة بأنه قد بلغكم، فيدل على قبول شهادته لنفسه، اعتماداً على عصمته ﷺ، ﴿وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ﴾ (الحج: ٧٨)، بتبليغ الرسل إليهم.

وقال الله تعالى في سورة المؤمنون: ﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ﴾ (المؤمنون: ٦٨)، أي القرآن، ليعلموا أنه الحق من ربهم بإعجاز لفظه، ووضوح مدلوله ﴿أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ (المؤمنون: ٦٨)، من الرسل والكتاب، ﴿أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ﴾ (المؤمنون: ٦٩)، بالأمانة والصدق، وحسن الخلق، وكمال العلم مع عدم التعلم إلى غير ذلك مما هو صفة الأنبياء ﴿فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ﴾ (المؤمنون: ٦٩ - ٧٠). فلا يبالون بقوله وكانوا يعلمون أنه أرجحهم عقلاً وأتقنهم نظراً ﴿بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾﴾ (المؤمنون: ٧٠). لأنه يخالف شهواتهم وأهواءهم، فلذلك أنكروه ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ (المؤمنون: ٧١). بأن كان في الواقع آلهة شتى ﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ﴾ (المؤمنون: ٧١)، كما قال تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ (الأنبياء: ٢٢)، ﴿بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ﴾ (المؤمنون: ٧١)، أي بالكتاب الذي فيه ذكرهم ووعظهم ﴿فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ﴾. (المؤمنون: ٧١) لا يلتفتون إليه ﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجًا﴾ (المؤمنون: ٧٢)، أجراً على أداء الرسالة

﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾ (المؤمنون: ٧٢)، رزقه في الدنيا أو ثوابه في العقبى خير لسعته ودوامه، ففيه مندوحة لك عن عطائهم ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾﴾ (المؤمنون: ٧٢ ـ٧٣)، تشهد العقول السليمة على استقامته لا عوج فيه يوجب اتهامهم له. واعلم أنه سبحانه ألزمهم الحجة، وأزاح العلة في هذه الآيات، بأن حصر أقسام ما يؤدي إلى الإنكار والاتهام، وبيّن انتفاءها ما عدا كراهة الحق وقلة الفطنة.

وقال الله تعالى في سورة النور: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ (النور: ٦٢). الكاملون في الإيمان ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (النور: ٦٢)، من صميم قلوبهم ﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ (النور: ٦٢)، كالجمعة والأعياد، والحروب والمشاورة في الأمور ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ (النور: ٦٢)، يستأذنوا رسول الله فيأذن لهم، واعتباره في كمال الإيمان لأنه كالمصداق لصحته، والمميز للمخلص فيه عن المنافق، فإن صفاته التسلل والفرار، ولتعظيم الجرم في الذهاب عن مجلس الرسول عليه الصلاة والسلام بغير إذنه، أعاده مؤكداً على أسلوب أبلغ، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (النور: ٦٢)، فإنه يفيد أن المستأذن مؤمن لا محالة، وأن الذاهب بغير إذن ليس كذلك، ﴿فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ (النور: ٦٢). ما يعرض لهم من المهام ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ (النور: ٦٢)، تفويض للأمر إلى رأي الرسول عليه الصلاة والسلام، واستدل به أن بعض الأحكام مفوضة إلى رأيه عليه الصلاة والسلام ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ﴾ (النور: ٦٢)، بعد الإذن فإن الاستئذان ولو لعذر قصور،

لأنه تقديم لأمر الدنيا على أمر الدين ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ ﴾ (النور: ٦٢)، لفرطات العباد ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ (النور: ٦٢)، بالتيسير عليهم ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ (النور: ٦٣)، لا تقيسوا دعاءه إياكم على دعاء بعضكم بعضاً في جواز الإعراض، والمساهلة في الإجابة، والرجوع بغير إذن، فإن المبادرة إلى إجابته واجبة، والمراجعة بغير إذنه محرمة، وقيل لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضاً باسمه، وَرفع الصوت به، والنداء وراء الحجرة، ولكن بلقبه المعظم مثل يا نبي الله، ويا رسول الله، مع التوقير والتواضع وخفض الصوت، ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ ﴾ (النور: ٦٣)، ينسلون قليلاً قليلاً من الجماعة ﴿لِوَاذًا ﴾ (النور: ٦٣)، ملاوذةً بأن يستتر بعضكم ببعض حتى يخرج، أو يلوذ بمن يؤذن فينطلق معه كأنه تابعه ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾ (النور: ٦٣)، يخالفون أمره بترك مقتضاه، ويذهبون سمتاً خلاف سمته، أو يصدون أمره دون المؤمنين، والضمير لله فإن الأمر له في الحقيقة، أو للرسول فإنه المقصود بالذكر ﴿ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ (النور: ٦٣)، محنة في الدنيا ﴿ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ (النور: ٦٣)، في الآخرة.

وقال الله تعالى في سورة الفرقان :﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ (الفرقان: ١). تكاثر خيره من البركة، وهي كثرة الخير أو تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله، فإن البركة تتضمن معنى الزيادة، وترتيبه على إنزال الفرقان لما فيه من كثرة الخير، والفرقان القرآن لفصله بين الحق والباطل،

وعبده رسوله محمد ﷺ ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ (الفرقان: ١)، الإنس والجن ﴿نَذِيرًا﴾ (الفرقان: ١) منذراً.

وقال تعالى في سورة الفرقان أيضاً: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ (الفرقان: ٥٦). للمؤمنين ﴿وَنَذِيرًا﴾ (الفرقان: ٥٦). للكافرين.

وقال الله تعالى في سورة النمل: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾ (النمل: ٦)، لتؤتاه ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾ (النمل: ٦)، أيّ حكيم، وأيّ عليم، والجمع بينهما مع أن العلم داخل في الحكمة لعموم العلم، ودلالة الحكمة على إتقان الفعل والإشعار بأن علوم القرآن منها ما هي حكمة كالعقائد والشرائع، ومنها ما ليس كذلك كالقصص والأخبار عن المغيبات.

وقال تعالى في سورة النمل أيضاً: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ (النمل: ٧٩). ولا تبال بمعاداتهم ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ۝٧٩﴾ (النمل: ٧٩)، وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره.

وقال الله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ (العنكبوت: ٥٠)، مثل ناقة صالح وعصا موسى، ومائدة عيسى، ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ (العنكبوت: ٥٠)، ينزلها كما يشاء لست أملكها، فآتيكم بما تقترحونه ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠﴾ (العنكبوت: ٥٠)، ليس من شأني إلا الإنذار، وإبانته بما أعطيت من الآيات ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ (العنكبوت: ٥١)، آية مُغْنِيَة كما اقترحوه ﴿أَنَّآ أَنزَلْنَا

عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ (العنكبوت: ٥١)، تدوم تلاوته عليهم متحدثين به فلا يزال معهم آيه ثابتة لا تضمحل، بخلاف سائر الآيات، أو يتلى عليهم - يعني اليهود - بتحقيق ما في أيديهم من نعتك ونعت دينك ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ (العنكبوت: ٥١)، الكتاب الذي هو آية مستمرة، وحجة بينة ﴿ لَرَحْمَةً ﴾ (العنكبوت: ٥١)، لنعمة عظيمة ﴿ وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ (العنكبوت: ٥١)، وتذكرة لمن همه الإيمان دون التعنت.

وقال الله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ (الأحزاب: ٦)، أي في الأمور كلها، فإنه لا يأمرهم ولا يرضى منهم إلا بما فيه صلاحهم ونجاحهم، بخلاف النفس فلذلك أطلق، فيجب أن يكون أحب إليهم من أنفسهم، وأمره أنفذ عليهم من أمرهم، وشفقته عليهم أتم من شفقتها عليهم ﴿ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ (الأحزاب: ٦)، منزلات منزلتهن في التحريم، واستحقاق التعظيم، وفيما عدا ذلك فكالأجنبيات.

وقال تعالى في سورة الأحزاب أيضاً: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا ﴾ (الأحزاب: ٧)، أي عهدهم بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الدين القيم ﴿ غَلِيظًا ﴾ (الأحزاب: ٧)، أي عظيم الشأن.

وقال تعالى في سورة الأحزاب أيضاً: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ (الأحزاب: ٤٠)، فلا ينتقض عمومه لكونه ﷺ أباً للطاهر والطيب، والقاسم، وإبراهيم، لأنهم لم يبلغوا مبلغ الرجال، ولو بلغوا كانوا رجاله ﷺ لا

رجالهم ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ ﴾ (الأحزاب: ٤٠)، وكل رسول أبو أمته لا مطلقاً، بل من حيث إنه شفيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ (الأحزاب: ٤٠)، آخرهم الذي ختمهم، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٤٠ ﴾ (الأحزاب: ٤٠).

وقال تعالى في سورة الأحزاب أيضاً: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا﴾ (الأحزاب: ٤٥). أي على من بعثت إليهم، بتصديقهم وتكذيبهم، ونجاتهم وضلالهم ﴿وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ ﴾ (الأحزاب: ٤٥-٤٦). أي إلى الله به وبتوحيده، وبما يجب الإيمان به من صفاته ﴿بِإِذۡنِهِۦ ﴾ (الأحزاب: ٤٦). أي بتيسيره ﴿وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ ﴾ (الأحزاب: ٤٦)، يستضاء به عن ظلمات الجهالة، وتقتبس من نوره أنوار البصائر.

وقال تعالى في سورة الأحزاب أيضاً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ ﴾ (الأحزاب: ٥٦)، أي يعتنون بإظهار شرفه وتعظيم شأنه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ ﴾ (الأحزاب: ٥٦)، أي اعتنوا أنتم أيضاً، فإنكم أولى بذلك وقولوا اللهم صلِّ على محمد ﴿وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾ (الأحزاب: ٥٦)، وقولوا السلام عليك أيها النبي، وقيل وانقادوا لأوامره، والآية تدل على وجوب الصلاة والسلام عليه في الجملة، وقيل تجب الصلاة كلما جرى ذكره ﷺ.

وقال تعالى في سورة الأحزاب أيضاً: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ (الأحزاب: ٥٧). أي يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمعاصي، أي يؤذون رسول الله للتعظيم له ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ (الأحزاب: ٥٧)، أبعدهم من رحمته

﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (الأحزاب: ٥٧)، يهينهم مع الإيلام.

وقال الله تعالى في سورة سبأ: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ (سبأ: ٦)، ويعلم أولو العلم من الصحابة ومن شايعهم من الأمة، أو من مسلمي أهل الكتاب ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ (سبأ: ٦)، القرآن ﴿هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٦﴾ (سبأ: ٦)، الذي هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى.

وقال تعالى في سورة سبأ أيضاً: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (سبأ: ٢٨)، أي إلا رسالة عامة لهم.

وقال الله تعالى في سورة يس: ﴿يسٓ ۝١﴾ (يس: ١)، قيل معناه يا إنسان ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤﴾ (يس: ٢ـ٤)، والصراط المستقيم هنا التوحيد والاستقامة في الأمور.

وقال الله تعالى في سورة ص: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ (ص: ٨٦)، أي على القرآن أو على تبليغ الوحي ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ۝٨٦﴾ (ص: ٨٦)، أي المتصفين بما ليسوا من أهله على ما عرفتم من حالي، فانتحل النبوة وتقوَّل القرآن.

وقال الله تعالى في سورة الزمر: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾ (الزمر: ٢)، أو موحداً له ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ

ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ (الزمر: ١٢)، وأمرت بذلك لأجل أن أكون مقدمهم في الدنيا والآخرة.

وقال تعالى في سورة الزمر أيضاً: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ﴾ (الزمر: ٤١). أي لأجل الناس، فإنه مناط مصالحهم في معاشهم ومعادهم.

وقال الله تعالى في سورة غافر: ﴿ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (غافر: ٦٦). أي من الحجج والآيات، أو من الآيات فإنها مقوية لأدلة العقل منبهة عليها ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (غافر: ٦٦)، أي انقاد له وأخلص له ديني.

وقال الله تعالى في سورة الشورى: ﴿ فَلِذَٰلِكَ ﴾ (الشورى: ١٥)، فلأجل ذلك التفرق، أو الكتاب، أو العلم الذي أوتيته ﴿ فَٱدْعُ ﴾ (الشورى: ١٥)، إلى الاتفاق على الملة الحنيفية، أو الاتباع لما أوتيت ﴿ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ (الشورى: ١٥)، واستقم على الدعوة كما أمرك الله تعالى.

وقال الله تعالى في سورة الزخرف: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ﴾ (الزخرف: ٤٣)، من الآيات والشرائع ﴿ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾ (الزخرف: ٤٣)، لا عوج له.

وقال الله تعالى في سورة الجاثية: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ (الجاثية: ٦)، أي تلك آيات دلائله ﴿ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ

يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (الجاثية :٦)، أي بعد آيات الله، أو بعد حديث الله، وهو القرآن وآياته دلائله المتلوّة أو القرآن.

وقال تعالى في سورة الجاثية أيضاً: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ ﴾ (الجاثية: ١٨). أي طريقة ﴿ مِّنَ الْأَمْرِ ﴾ (الجاثية: ١٨)، أي أمر الدين ﴿فَاتَّبِعْهَا ﴾ (الجاثية: ١٨)، فاتبع شريعتك الثابتة الحجج ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (الجاثية: ١٨)، لا تتبع آراء الجهال التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش.

وقال الله تعالى في سورة الفتح :﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ ﴾ (الفتح: ١)، وعد بفتح مكة عظمها الله، والتعبير عنه بالماضي لتحققه وقيل غير ذلك ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ (الفتح: ٢)، جميع ما فرط منك مما يصح أن يعاتب عليه ﴿ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ﴾ (الفتح: ٢)، بإعلاء الدين وضم الملك إلى النبوة ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ ﴾ (الفتح: ٢)، في تبليغ الرسالة وإقامة مراسم الرياسة ﴿ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ ﴾ (الفتح: ٣)، نصراً فيه عزّ ومنعة.

وقال تعالى في سورة الفتح أيضاً: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ ﴾ (الفتح :٨ ـ٩)، أي تقووه ﴿وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ (الفتح: ٩). أي تعظموه ﴿وَتُسَبِّحُوهُ ﴾ (الفتح: ٩)، تعالى: ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (الفتح: ٩)، أي غدوة وعشياً.

وقال تعالى في سورة الفتح أيضاً: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ (الفتح: ١٠)، والمبايعة المعاهدة ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ (الفتح: ١٠)، لأنه سبحانه وتعالى هو المقصود بمبايعة النبي ﷺ، ولذلك قال: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح: ١٠).

وقال تعالى في سورة الفتح أيضاً: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ (الفتح: ٢٨)، أي دين الإسلام: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ (الفتح: ٢٨)، أي ليعليه على جنس الدين كله، بنسخ ما كان حقاً، وإظهار فساد ما كان باطلاً، أو بتسليط المسلمين على أهله، إذ ما من أهل دين إلا وقد قهرهم المسلمون ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ (الفتح: ٢٨).

وقال تعالى في سورة الفتح أيضاً: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ﴾ (الفتح: ٢٩)، والسيما العلامة ﴿فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ (الفتح: ٢٩)، وشطء الزرع فراخه: أي قواه ﴿فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ (الفتح: ٢٩).

وقال الله تعالى في سورة الحجرات: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ (الحجرات: ١)، أي لا تقدموا أمراً، أو لا تتقدموا، والمعنى لا تقطعوا أمراً قبل أن يحكم به الله ورسوله، وقيل المراد بين يدي رسول الله وذكر الله تعظيماً له ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ (الحجرات: ١-٢)، أي إذا كلمتموه فلا تجاوزوا أصواتكم عن صوته ﴿وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾

(الحجرات: ٢)، أي لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم، بل اجعلوا أصواتكم أخفض من صوته مراعاة للأدب، وقيل معناه لا تخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضاً، وخاطبوه بالنبي والرسول ﴿ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ ﴾ (الحجرات ٢)، لأن في الرفع والجهر استخفافاً قد يؤدي إلى الكفر المحبط، وذلك إذا ضم إليه قصد الإهانة وعدم المبالاة ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾ (الحجرات: ٢).

وقال تعالى في سورة الحجرات أيضاً: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ ﴾ (الحجرات: ٣)، أي يخفضونها ﴿عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ ﴾ (الحجرات: ٣)، أي جربها ومرنها عليها ﴿ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ ﴾ (الحجرات:٣-٤)، أي الغرفات، وهي هنا حجرات نساء النبيﷺ ﴿ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾ ﴾

(الحجرات: ٤-٥).

وقال الله تعالى في سورة الطور: ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ ﴾ (الطور: ٤٨)، أي في حفظنا بحيث نراك ونكلؤك، وجمع العين لجمع الضمير، والمبالغة بكثرة أسباب الحفظ.

وقال الله تعالى في سورة النجم: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ ﴾ (النجم: ١)، أقسم تعالى بجنس النجوم أو الثريا ﴿ إِذَا هَوَىٰ ﴾ (النجم: ١)، سقط وغاب ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ ﴾ (النجم: ٢)، أي ما عدل محمد عليه الصلاة والسلام عن الطريق المستقيم ﴿ وَمَا غَوَىٰ ﴾ (النجم: ٢)، أي وما اعتقد باطلاً، والخطاب لقريش ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾ (النجم: ٣)، أي ما ينطق عن هواه ﴿ إِنۡ هُوَ ﴾

(النجم: ٤)، أي الذي ينطق به ﴿ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم: ٤)، أي يوحيه الله إليه ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ﴾ (النجم: ٥)، ملك شديد قواه وهو جبرائيل ﴿ ذُو مِرَّةٍ ﴾ (النجم: ٦)، حصافة في عقله ورأيه ﴿ فَٱسْتَوَىٰ ﴾ (النجم: ٦)، فاستقام على صورته الحقيقية التي خلقه الله تعالى عليها، قيل ما رآه أحد من الأنبياء في صورته غير محمد ﷺ مرتين، مرة في السماء ومرة في الأرض ﴿ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ﴾ (النجم: ٧)، أي أفق السماء ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ ﴾ (النجم: ٨)، أي ثم تدلى من الأفق فدنا من الرسول ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ ﴾ (النجم: ٩)، أي مقدارهما وقابا القوس جانباه المتقابلان تحت معقد الوتر ﴿ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ ﴾ (النجم: ٩)، أي أقرب ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ ﴾ (النجم: ١٠-١١)، أي ببصره من صورة جبريل، أو الله تعالى، والمعنى لم يكن تخيلاً كاذباً ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ ﴾ (النجم: ١٢)، أي أفتغلبونه في المراء ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ ﴾ (النجم: ١٣)، أي مرة أخرى ﴿ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ ﴾ (النجم: ١٤) التي ينتهي إليها علم الخلائق وأعمالهم، أو ما ينزل من فوقها ويصعد من تحتها ﴿ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ ﴾ (النجم: ١٥) الجنة التي يأوي إليها المتقون ﴿ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ ﴾ (النجم: ١٦) تعظيم وتكثير لما يغشاها، ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ ﴾ (النجم: ١٧،) أي ما مال بصر رسول الله ﷺ عما رآه ﴿ وَمَا طَغَىٰ ﴾ (النجم: ١٧)، أي وما تجاوزه بل أثبته إثباتاً صحيحاً مستيقناً ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨ ﴾ (النجم: ١٨)، أي والله لقد رأى الكبرى من آياته وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج.

وقال الله تعالى في سورة المجادلة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾ (المجادلة: ١٢)، أي تصدقوا قدامها، وفي هذا الأمر تعظيم الرسول عليه الصلاة والسلام، وانتفاع الفقراء، والنهي عن الإفراط في السؤال، والتمييز بين المخلص والمنافق، ومحب الآخرة ومحب الدنيا، ﴿ذَٰلِكَ﴾ (المجادلة: ١٢)، أي ذلك التصدق ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ﴾ (المجادلة: ١٢)، أي لأنفسكم من الزينة وحب المال ﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٢﴾ (المجادلة: ١٢).

وقال الله تعالى في سورة الحشر: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ (الحشر: ٧)، وما أعطاكم من الفيء أو من الأمر فخذوه، لأنه حلال لكم، أو فتمسكوا به لأنه واجب الطاعة ﴿وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ﴾ (الحشر: ٧)، أي عن أخذه أو عن إتيانه ﴿فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ﴾ (الحشر: ٧)، في مخالفة رسوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ (الحشر: ٧).

وقال الله تعالى في سورة الصف: ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾ (الصف: ٦)، يعني محمداً عليه الصلاة والسلام، والمعنى ديني التصديق بكتب الله وأنبيائه، فذكر أول الكتب المشهورة الذي حكم به النبيون والنبيّ الذي هو خاتم المرسلين.

وقال الله تعالى في سورة الجمعة: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ﴾ (الجمعة: ٢)، أي في العرب لأن أكثرهم لا يكتبون ولا يقرءون ﴿رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾

(الجمعة: ٢)، أي من جملتهم أمياً مثلهم ﴿ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ (الجمعة: ٢)، مع كونه أمياً مثلهم لم يعلم منه قراءة ولا تعلم ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ (الجمعة: ٢)، من خبائث العقائد والأعمال ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ (الجمعة: ٢)، أي القرآن والشريعة، أو معالم الدين من المنقول والمعقول، ولو لم يكن له سواه معجزة لكفاه ﴿ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ (الجمعة: ٢).

وقال الله تعالى في سورة الطلاق: ﴿ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا ﴾ (الطلاق: ١٠ ـ ١١)، يعني بالذكر محمداً عليه الصلاة والسلام لمواظبته على تلاوة القرآن أو تبليغه ﴿ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ (الطلاق: ١١)، من الضلالة إلى الهدى.

وقال الله تعالى في سورة التحريم: ﴿ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ ﴾ (التحريم: ٤)، أي وإن تظاهرا عليه بما يسوؤه ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (التحريم: ٤) فلن يعدم من يظاهره من الله والملائكة وصلحاء المؤمنين، فإن الله ناصره، وجبريل، ومن صلح من المؤمنين أتباعه وأعوانه ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ (التحريم: ٤)، أي متظاهرون، وتخصيص جبريل لتعظيمه.

وقال تعالى في سورة التحريم أيضاً: ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ ﴾ (التحريم: ٨)، أي على الصراط ﴿ يَقُولُونَ ﴾ (التحريم: ٨)، إذا أطفئ نور المنافقين: ﴿ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (التحريم: ٨)، وقيل تتفاوت أنوارهم بحسب أعمالهم، فيسألون إتمامه تفضلاً.

وقال الله تعالى في سورة ن: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢﴾ (القلم: ١ـ٢)، أي ما أنت بمجنون، مُنعِماً عليك بالنبوة وحصافة الرأي ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣﴾ (القلم: ٣)، أي مقطوع، أو ممنون به عليك من الناس، فإنه تعالى يعطيك بلا توسط ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ (القلم: ٤). إذ تحتمل من قومك ما لا يحتمله أمثالك، وسئلت عائشة رضي الله تعالى عنها عن خلقه ﷺ فقالت: ((كان خلقه القرآن)) ألست تقرأ القرآن: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ (المؤمنون: ١).

وقال الله تعالى في سورة التكوير: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝٢٢﴾ (التكوير: ١٩ـ ٢٢)، أي النبي ﷺ، والأوصاف السابقة لجبريل عليه السلام، والمقصود منه نفي قولهم إنما يعلمه بشر افترى على الله كذباً، أم به جنة لا تعداد فضلهما، والموازنة بينهما يعني أن القرآن جاء به عن الله تعالى ملك، وهو جبريل عليه السلام موصوف بهذه الأوصاف الجليلة، وتلقاه عنه رسول الله ﷺ الذي ليس بمجنون، حتى لا يُحسن ضبط ما يتلقاه من الوحي عن جبريل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ (التكوير: ٢٣)، أي رأى رسول الله جبريل: ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ (التكوير: ٢٣)، أي بمطلع الشمس الأعلى ﴿وَمَا هُوَ﴾ (التكوير: ٢٤)، أي وما محمد ﷺ: ﴿عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ (التكوير: ٢٤). على ما يخبر به من الوحي إليه وغيره من الغيوب ﴿بِضَنِينٍ﴾ (التكوير: ٢٤)، أي بمتهم، وحينئذٍ يعلم أن هذا القرآن هو كلام الله بيقين لم يحصل فيه أدني تبديل لكمال أهلية الملك المبلّغ، وأهلية الرسول المتلقي، ويدل على أن هذا هو معنى الآية في قوله تعالى في الآية التي بعدها:

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ (التكوير: ٢٥). هو نفي لقولهم إنه لكهانة وسحر ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ (التكوير: ٢٦). استضلال لهم فيما يسلكونه في أمر الرسول والقرآن ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ (التكوير: ٢٧)، فقوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾، تأكيد للمقصود من قوله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾، رداً على قولهم ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ (سبأ: ٨).

خَصَائِصِ أُمَّةِ النَّبِيِّ ﷺ

وَلَقَدِ اخْتَصَّ اللهُ سبحانَهُ وتَعَالَى أُمَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ بما لَمْ يَخْتَصَّ بِهِ أُمَّةً مِنْ أُمَمِ الأَنْبِيَاءِ؛ فَقَدْ صَلَّى اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى أُمَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ بِقَوْلِهِ الْكَرِيمِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾

(الأحزاب: ٤٣ ـ ٤٤).

وَاخْتَصَّ اللهُ أُمَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ بِأَنْ جَعَلَ مَلَائِكَتَهُ الْكِرَامَ يَسْتَغْفِرُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أُمَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ فَقَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ

وَذُرِّيَّتِهِمْۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾

(غافر: ٧-٩).

وَلَقَدْ كَتَبَ اللهُ سُبْحَانَهُ رَحْمَتَهُ لِلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ نَبِيَّهُ ﷺ فَقَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ (الأعراف: ١٥٦-١٥٧).

وَلَقَدْ وَضَعَ اللهُ سُبْحَانَهُ عَنْ أُمَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ الإِصْرَ وَالأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَى الأُمَمِ السَّابِقَةِ، فَقَالَ جَلَّ جَلَالُهُ مُبَيِّناً رَحْمَةَ نَبِيِّهِ ﷺ بِأُمَّتِهِ: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

(الأعراف: ١٥٧).

وَلَقَدْ وَضَعَ اللهُ سُبْحَانَهُ عَنْ أُمَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ.

وَلَقَدْ بَشَّرَ اللهُ سُبْحَانَهُ نَبِيَّهُ ﷺ بِقَوْلِهِ الْكَرِيمِ: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾

(الأنعام: ٥٤).

وَلَقَدِ اخْتَصَّ اللهُ سُبْحَانَهُ أُمَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ بِخَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَنْزِهِ الَّذِي هُو تَحْتَ عَرْشِهِ، وَفِيهَا مِنَ الدُّعَاءِ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾

(البقرة: ٢٨٦).

وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ
وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى

أَقْسَمَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَنْ يُعْطِيَ رَسُولَهُ ﷺ حَتى يُرضيه.

فَقَالَ اللهُ جَلَّ جَلالُهُ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾

(الضحى: ١ ـ ٥).

وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ (الشرح: ١ ـ ٤).

وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ (الكوثر: ١ـ ٣).

وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾

(الحجر: ٨٧).

وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾

(سبأ: ٢٨).

وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾

(الأنبياء: ١٠٧).

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلا فَخْرَ، وَمَا مَنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ، آدَمُ فَمَنْ سِوَاهُ إِلا تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ وَلا فَخْرَ)).

((رواه الإمام أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد رضي الله عنه))

إنَّ الوحي السَّماوي هو السِّمة البارزة، والعلامة المميَّزة الَّتي تفرِّق بين الحقيقة والادِّعاء، وهو السِفارة الإلهيَّة بين الأرض والسماء، ينزِّله الله على من اصطفى من الرسل والأنبياء قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ (الحج: ٧٥). وهو الفيصل الوحيد بين الإنسان الَّذي يفكِّر ويشرِّع بواسطة رأيه وعقله، والإنسان الَّذي يبلِّغ عن ربِّه دون أن يغيِّر أو يزيد أو ينقص، فينقل بواسطة هذا الوحي كافَّة الإخبارات الغيبية، وشئون العقيدة وأحكام التشريع.

إن تصديق المسلمين وإيمانهم بظاهرة الوحى وخبر السماء، هو تصديق لما جاء به محمَّد ﷺ من عند الله، وإن أدنى تشكيك بحقيقته يورث تشكيكاً

بكلِّ ما قد يتفرَّع عنه من عقائد وأحكام. وكلمة الوحي تحمل مدلولات كثيرة، ولكنَّها إذا أُسنِدت إلى النَّبي محمَّد ﷺ فهي تدلُّ على خبر السماء الَّذي كان ينزل به جبريل الأمين، ليبلِّغه إلى الناس أجمعين. أمَّا قصَّة بدء الوحي المَروِيَّة، فقد رواها مسلم وغيره بالنصِّ التالي: ((عن عائشة رضي الله عنها، قالت: أوَّل ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح (في الوضوح لأنها من وحي الله تعالى)، ثمَّ حُبِّب إليه الخلاء (أي حبَّب الله إليه أن يختلي بعيداً عن الناس)، وكان يخلو بغار حراء فيتعبَّد فيه الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزوَّد لذلك، ثمَّ يرجع إلى زوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فيتزودَّ لمثلها حتَّى جاءه الحقُّ (أي جبريل عليه السلام) وهو في غار حراء فقال: اقرأ قلت: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطَّني (أي ضمَّني بشدَّة إلى صدره) حتَّى بلغ مني الجهد ثمَّ أرسلني فقال: اقرأ قلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطَّني الثانية حتَّى بلغ مني الجهد ثمَّ أرسلني فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطَّني الثالثة ثمَّ أرسلني فقال: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ ﴾ (العلق: ١ـ٤). فرجع بها النبي ﷺ يرجُفُ فؤاده فدخل على خديجة فقال: زمِّلوني زمِّلوني (أي غطوني بالثياب ودثِّروني) فزمَّلوه حتَّى ذهب عنه الرَّوْع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيتُ على نفسي، فقالت خديجة كلا والله ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ، وتُكْسِب المعدوم، وتُقْري الضيف، وتعين على نوائب الحقِّ، وانطلقت به حتَّى أتت ورقة بن نوفل ابن عمِّها، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانيَّة ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عَمِيَ فقالت له

خديجة: يا بن عمِّ اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا بن أخي ماذا تري؟ فأخبره رسول الله ﷺ بخبر ما رأي فقال له ورقة: هذا النَّاموس (أي صاحب السِّر الإلهي الَّذي كان يتنزَّل على الأنبياء) الذَّي نزَّلَ الله على موسي، ياليتني فيها جَذَعاً، ليتني كنت حيّاً إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: أوَ مُخرجيَّ هم؟ قال: نعم. لم يأتِ رجل قطُّ بمثل ما جئت به إلا عُودي، وإن يدركني يومُك أنصرك نصراً مؤزَّراً. ثمَّ لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي)).

لقد كانت حِكَمٌ إلهية كثيرة تكمن وراء العديد من الأحداث المتعلِّقة بنزول الوحي، وهي تتناول بدء نزوله لأوَّل مرَّة، ورؤية الرسول ﷺ لجبريل عليه السلام عياناً ودون حجاب، وما رافق هذه الحادثة من مشاعر الهيبة والرهبة والحَيْرة الَّتي انتابت قلبه عليه الصَّلاة والسَّلام، ثمَّ ما تلا ذلك من انقطاع الوحي عنه بعد ذلك مدَّة طويلة، وجَزَع النبي ﷺ بسبب ذلك جزعاً شديداً. فالحكمة الَّتي كانت تنطوي عليها تلك المراحل والأحداث تحمل دلالات واضحة على أن ظاهرة الوحي ليست أمراً ذاتياً داخلياً مردُّه إلى حيث النفس المجرَّد، وإنما هي استقبال وتلقٍّ لحقيقة خارجيَّة لا علاقة لها بالنفس وحَدْس الذَّات، فقد فؤجئ محمَّد ﷺ، وهو في غار حراء، بجبريل أمامه يراه بعينه وهو يقول له: اقرأ ويُعَدُّ ضمُّ المَلَك جبريل إيَّاه ثمَّ إرساله له ثلاث مرات، قائلاً في كلِّ مرَّة: اقرأ، تأكيداً لهذا التلقِّي الخارجي ومبالغة في نفي ما قد يُتَصَوَّر من أن الأمر لا يعدو كونه خيالاً داخلياً فقط. وأمَّا الخوف والفزع الَّذي انتابه لِمَا سمع ورأي في الغار، حتَّى جعله يقطع خلوته، ويسرع إلى البيت مرتعش الفؤاد، فإنه يوضح أن ظاهرة الوحي هذه لم تأت متمِّمة لشيء مِّما كان النبي ﷺ يتصورَّه أو يخطر في باله، وإنما فوجئ بها وبالرسالة دون أي توقُّع سابق. ولا شكَّ أن هذا الحال

ليس من شأنه من يتدرَّج في التأمُّل والتفكير، إلى أن تتكوَّن في نفسه عقيدة يؤمن بالدعوة إليها.

وممَّا يدل على شدَّة فزعه ﷺ من رؤية الوحي قوله للسيِّدة خديجة: ((لقد خشيت على نفسي)) أي من أن يكون ما أخبرتك به طائفاً من الجنِّ، إلا أنها طمأنت قلبه المروَّع بأنه لا سلطان للشياطين والجانِّ على أمثاله ممَّن يتمتَّعون بالأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة. وقد كان الله عزَّ وجل قادراً على أن يثبِّت قلب رسوله، ويطمئن نفسه بأن هذا الَّذي كلَّمه ليس إلا جبريل ـ ملك من ملائكة الله جاء ليخبره أنه رسول الله إلى الناس ـ ولكنَّ الحكمة الإلهية اقتضت إظهار الانفصال التَّام بين شخصية محمَّد ﷺ قبل البعثة وشخصيته بعدها. ثمَّ إن في قرار السيِّدة خديجة الذهاب به ﷺ إلى ورقة بن نوفل وعرض الأمر عليه ـ وهو الشيخ الهرم العليم بشئون النصرانية واليهودية ـ تأكيداً من جانب آخر بأن هذا الَّذي فوجئ به ﷺ، إنما هو الوحي الإلهي، الَّذي كان قد أُنزل على الأنبياء من قبله. ولو أننا أمعنَّا النظر في تصرُّف السيِّدة خديجة، وموافقة الرسول ﷺ على الذهاب إلى ورقة بن نوفل، لوجدنا أنه من أكبر الأدلَّة على البراءة وخُلُوِّ نفس الرسول ﷺ من أيِّ تفكير ذاتي سابق فيما حصل له من أمر الوحي، ولو كان كما يدَّعي المغرضون إشراقاً نفسياً بعد طول تأمُّل، ونبعا ذاتيّاً؛ لما كان له هذا الوَقْعُ الشديد في نفسه، وكيف يستغرب الإنسان أمراً طالما سعى لتحقيقه، ولو كان الأمر كذلك، لأنِفَ الذَّهاب إلى ورقة ولاعتزَّ بنفسه وترفَّع عن أن يطلب إلى من هو دونه بكثير ليفسِّر له ما حصل له، ومن هو ورقة بن نوفل لو لم يقترن اسمه بهذه الحادثة الخالدة؛ فلولاها لا نذكر اسمه ولما ذكره ذاكر. فالحقُّ أنه وحي إلهي حقيقي قصد تشريف محمَّد بن عبد الله عليه الصَّلاة والسلام بهذه الرسالة الخالدة الَّتي حملها إلى الناس كافَّة.

أمَّا انقطاع الوحي بعد ذلك فينطوي على دليل آخر وحكمة إلهية بالغة، فيها أبلغ الردِّ على التعليل الذي أدلي به محترفو الغزو الفكريِّ الهدَّام، حول ظاهرة الوحي السماوي، وتفسيره بالإشراق النفسي المنبعث نتيجة تأمُّل حثيث، وتفكير طويل، وأنه أمر داخلي منبعث من أعماق ذاته. فلقد شاء الله عزَّ وجل أن يحتجب عنه جبريل عليه السلام بعد أن رآه للمرَّة الأولى في غار حراء مُدَّة طويلة، وأن يستبدَّ به القلق والخوف من أن يكون الله عزَّ وجل قد قلاه بعد أن أراد تشريفه بالوحي والرسالة، لسوء قد صدر منه، فضاقت عليه الدنيا، وانقطع عنه الزاد، واستوحش قلبه من الحبيب، وبقي للهاجرة وحده، بلا زاد وبلا عزاء، وهذا أمر صعب الاحتمال من كافَّة الوجوه. ذلك أنَّ الفراق صعب، لا سيَّما فراق الأحباب وخُلَّص الأصحاب، فكيف إذا داخل روعنا الشكُّ بأن ربَّ العالمين، قد تخلَّي عنا، وتركنا نهيم في وديان الوحشة والهجران. فأيُّ لوعة أصابت النبي ﷺ عندما فتر عنه الوحي حتَّى صار حديث الناس: إن ربَّه قد قلاه. وينزل عليه الوحي بعد ذلك ــ وقد ذبلت حشاشة القلب ــ بمؤانسة لطيفة، وترويح وطمأنينة، يحمل إليه أنساماً من الرحمة ونديَّ من الودِّ، وهذا ما تضمَّنه قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾

(الضحى: ١ ــ ١١).

وقد ابتدأ الله تعالى السورة بقَسَمٍ كريم، يؤكِّد من خلاله عهداً لن يتغير، وهو ميراث لكلِّ مؤمن صادق بأن الله تعالى دائماً وأبداً يكلأ عباده المخلصين بعنايته ورعايته، وأن عطاءه الكريم قائم في الحياة الدنيا، وهو أفضل وأكرم في الدار الآخرة. وإن القَسَم بهذين الوقتين الرائعين الموحيين، الضُّحى وما فيه من الحياة والحيوية، والليل وما فيه من السكينة والهدوء، يربط بين ظواهر الكون ومشاعر النفس، ويوحي إلى القلب البشري بالحياة الشاعريَّة المتجاوبة مع هذا الوجود، المتعاطفة مع كلِّ حيٍّ، فيعيش ذلك القلب في أُنْسٍ من هذا الوجود.

وربَّما أقسم عزَّ وجل بالضحى والليل لكونهما الوقتين اللَّذَيْن كان يخلو فيهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بربِّه؛ حيث تحلو المناجاة مع الله والتودُّد إليه، أو رمزاً لانبلاج النور الإلهي بعد هيمنة ظلام الكفر، أو لحلول ضحى الفَرَج على الرسول وانزياح ليل الشدَّة والعُسْر. وبعد هذا الإيحاء الكوني يجيء التوكيد المباشر: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤﴾ أي ما تركك ربُّك ولا جفاك، فهو ربُّك وأنت عبده المنسوب إليه، وهو راعيك وكافلك وما غاض معين فضله، وفيض عطائه، وأن آخرة الأمر في الدنيا خير من أوَّله، وأنه سيتبع هذا العناء والشدَّة، النصر وإقامة قواعد الشريعة المتجلِّية في إرساء الصدق والعدالة الاجتماعية، والبناء الأخلاقي المتكامل في الأرض.

ثمَّ توالى نزول الوحي على رسول الله ﷺ على مراحل بعد هذه المُدَّة من الانقطاع، وظهر جبريل الأمين بعدها وقد ملأت ذاته ما بين السماء والأرض يقول: يا محمَّد إنك رسول الله إلى الناس؛ فعاد مرَّة أخرى وقد استبدَّ به

الخوف والرعب إلى البيت؛ حيث نـزل عليه قـوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾، قال جابر رضي الله عنه في حديثه عن النبي ﷺ: ((بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الَّذي جاءني بحراء جالس على كرسيٍّ بين السماء والأرض فرعبت منه فرجعت فقلت: زمِّلوني زمِّلوني فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾﴾ (المدثر ١: ـ ٥). فحمي الوحي وتتابع)).

((رواه الشيخان والترمذي))

ثمَّ إن في استمرار الوحي بعد ذلك دلالة على حقيقته وعلى أن جبريل عليه السلام مَلَكٌ مُرسَل من الله عزَّ وجل؛ وأن الإيمان بالوحي يقتضي الإيمان بأن محمَّداً ﷺ قد أوحي إليه، وبالتالي أن نوقن بأن القرآن الكريم كلام الله عزَّ وجل أوحي به إلى رسوله ﷺ ليهتدي به الناس، خاصَّةً وأن مهمَّة الرسل هي دلالة الناس وهدايتهم إلى الطريق المستقيم. ولكِنْ لابدَّ للناس من عطاء إلهي، ومن نور يُقذف في أعماق أرواحهم لينيرها به وتتوهَّج، فيصبحوا قادرين على سلوك هذا الصراط السوي، ولابدَّ من حافز روحي يدفع صاحبه بعزم وقوَّة تجاه تنفيذ الأوامر الإلهية، إذ القناعة الفكريَّة وحدها لا تكفي. وعندها يصبح العقل قادراً على إدراك حقيقة الوحي ومعرفة مدلولاته والتَّفاعل معه، وهذه وظيفته في الهداية والانضباط الصحيح الَّذي لا يأتيه الباطل. أمَّا حين يستقلُّ العقل البشري بذاته بعيداً عمَّا جاء به الوحي، فإنه يتعرض للضلال والانحراف وسوء الرؤية والتقدير والتدبير، بسبب طبيعة تركيبة في رؤية الوجود أجزاءً لا كُلاً واحداً متصلاً، وبسبب ما رُكِّبَ في الكيان البشري من شهوات وأهواء ونزعات لابدَّ لها من ضابط ووازع إيماني. وهكذا فإن العقل نفسه يحتاج إلى

ضابط يضبطه عن الميل وهو نور البصيرة، والله تعالى جعل حجّته على الناس، الوحي والرسالة، ولم يجعلها عقلهم البشري ولا حتّى فطرتهم، لأن الله يعلم أن العقل وحده يضلُّ، والفطرة وحدها لا تتّضح معالمها بغير العقل، وأنه لا عاصم لعقل ولا لفطرة إلا إذا كان الوحي هو الرائد الهادي وهو النور والبصيرة.

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ (الشورى: ٥٢ ـ ٥٣).

- سمّى الله تعالى القرآن المُوحَى به روحاً، لأن به حياة العقل وتحريره من الجهل، وتنقية النفس من الهوى، وتخليص القلب من الغفلة؛ فهو يبعث فيها جميعاً أسباب الحياة ويحييها بعد موتها.

- تكرَّم سبحانه وتعالى على رسوله الكريم ﷺ بعطاء روحي خاصٍّ، ليتذوّق حقيقة الإيمان، ويدرك آفاق كتابه المبين، هذا العطاء هو نور إلهي تنشده الأرواح العاشقة لتهتدي به للوصول إلى الحضرة الإلهيَّة.

- لا تُثبت الرُّؤى والأحلام معني النبُوَّة أو الوحي الإلهي، أمَّا إن تحقَّقت النبوَّة فإن رؤى الأنبياء بعد ذلك من الوحي؛ ما لم يأتِ وحي في اليقظة يعارضها أو يردُّها.

- إن وظيفة الرسول الكريم ﷺ هي دلالة الناس إلى طريق الإيمان، وبيان ما خفي عليهم من العلم الإلهي الّذي ارتضاه لهم، وتوضيح التزاماتهم ممَّا ينبغي فعله أو ما يجب تركه؛ ليتمكّنوا من الوصول إليه، فهو طريق مستقيم لا لَبْسَ فيه ولا عِوَج، واضح المعالم، رَسَمَهُ

ووضع أسسه ربُّ العالمين خالق السموات والأرض والمهيمن عليها وإليه المصير.

يؤكّد الله عزَّ وجل في هذا النصِّ القرآني أن رسول الله ﷺ لم يدرك خلال الأربعين سنة الَّتي عاشها قبل نزول الوحي شيئاً عن القرآن الكريم، أو عن كُنْهِ الرسالة، وأن روح الوحي قد لامست قلبه، فأوقدت شعلة الإيمان فيه، فاستضاء بنور الله، ثمَّ انتشر ذلك النور فأضاء على من حوله، وصار يهدي إلى الصراط المستقيم، دين الله القويم، وهذا هو المعني المقصود من كلمة الوحي هنا؛ إنه أمر إلهي يلقيه الله تعالى في قلوب الرسل عليهم السَّلام وأسماعهم، فيصبح لديهم استعداد للاتصال بحضرة الله، وبملائكته، وتلقّي رسالته، فتتحوَّل قلوبهم إلى ينابيع تتفجَّر بالحكمة، وعقولهم إلى خزائن تُستَوْدَع العلومُ الإلهيَّة بها. وطبيعة هذا الوحي نور إلهي تخالط بشاشته القلوب الَّتي يشاء الله لها أن تهتدي به، بما يعلمه من حقيقتها، ومن مخالطة هذا النور لها.

ويجدر بنا هنا التأكيد على تقيُّد هذه المسألة، مسألة الهدى، بمشيئة الله سبحانه وحده، فهو الَّذي يقدِّرها لمن يشاء بعلمه الخاص، الَّذي لا يعرفه أحد سواه، وما الرسول ﷺ في هذه الحالة إلا دليل لتحقيق مشيئة الله، فهو لا ينشيء الهدي في القلوب، بل يبلِّغ الرسالة فتنفذ مشيئة الله. فمهمَّة الرسول إذن هي الهداية إلى طريق الله الَّذي تلتقي عنده المسالك، والله هو مالك السموات والأرض، فالَّذي يهتدي إلى طريقه يهتدي إلى ناموس السموات والأرض، وإلى أن أمر الخلائق جميعها ينتهي إليه تعالى، ويلتقي عنده، وهو يقضي فيها بأمره، وهو أحكم الحاكمين.

شفقته ﷺ على أمته

روى الإمام مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: ((تلا رسول الله ﷺ قول الله تبارك وتعالى: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ (إبراهيم: ٣٦). وقول عيسى عليه السلام: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ (المائدة: ١١٨).

فرفع يديه وقال:

اللهم أمتي أمتي، وبكى. فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد - وربك أعلم - فسله ما يبكيه؟. فأتاه جبريل فسأله، فأخبره بما قال، وهو أعلم - فقال الله: يا جبريل، اذهب إلى محمد، فقل له: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك)).

حريص عليكم أيها المؤمنون - والقرآن ذكر له ولقومه:

يقول رب العالمين تبارك وتعالى مخاطباً قوم محمد ﷺ: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (التوبة: ١٢٨).

ويقول سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ (الجمعة: ٢).

ويمنّ عليهم سبحانه أن بعث فيهم هذا الرسول الكريم: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ (آل عمران: ١٦٤).

وإن هذا القرآن العظيم شرف له ولقومه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (الزخرف: ٤٤).

ويقول سبحانه منبهاً ومذكراً: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ (الأنبياء: ١٠).

ثم يؤكد سبحانه موقف قريش - قبل إسلامهم - من فضل الله عليهم: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾ (المؤمنون: ٧١).

وينوه رب العالمين برحلتي قريش التجاريتين في الصيف إلى الشام وفي الشتاء إلى اليمن بقوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾ (قريش: ١ - ٤).

وهذا تذكير من ربهم لهم بأنه سبحانه يَسَّرَ لهم هاتين الرحلتين وهم في حالة أمن واطمئنان على أموالهم وأنفسهم لتقدير الناس لهم من أنهم سكان

حرم الله ـ فمن عرفهم احترمهم، ومن سار معهم أمن بهم. وهذا كان حالهم في أسفارهم ورحلاتهم شتاءً وصيفاً، وأما في حال إقامتهم في مكة المكرمة، فكما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْۚ ﴾ (العنكبوت: ٦٧).

لهذا وتقديراً لفضل الله عليهم: ﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴾ أي فليوحدوه بالعبادة هو وحده، فإنه أطعمهم من جوع حيث يَسَّرَ لهم سبحانه أسباب الرزق، وآمنهم من خوف أعدائهم، لأنهم سكان مكة التي حرمها الله، فانسحبت حرمة هذا البلد وحرمة البيت الذي فيه إلى أهله وسدنته.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا ﴾ (النمل: ٩١).

قال تعالى: ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَاْ ٱلْقُرْءَانَۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ (النمل: ٩٢ ـ ٩٣).

وكذلك فإن حبس الله الفيل عن مكة وإهلاك أهله، كان فضلاً من الله سبحانه على أهل مكة ورفعاً لشأنهم بين الناس وتوقيراً لهم من أن يتجرأ أحد عليهم.

حرصه على إيمان قومه:

ويقول رب العزة: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾ (المائدة: ٤١).

ويقول سبحانه: ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (الأنعام: ٣٥).

ويقول تعالى: ﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ (الزخرف: ٨٨ — ٨٩).

ولنقرأ قول الله تعالى الوارد في سورة الكهف عما كان يتألم منه الرسول ﷺ بسبب تخلف قومه عن الإيمان بالله سبحانه وأنه رسول الله: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾ (الكهف: ٦). وقوله سبحانه: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ (الشعراء: ٣). أي إنك ستهلك نفسك بحزنك عليهم وأسفك على مواقفهم من معاداة دعوتك إلى الله. ويقول الله تبارك وتعالى بهذا الصدد: ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ ﴾ (فاطر: ٨). ويقول سبحانه: ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾

(النحل: ١٢٧).

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ ﴾ (الشورى: ٦). وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ ﴾ (الإسراء: ٥٤). أي: لم نرسلك يا محمد وكيلاً عليهم لتجبرهم على الإيمان بالله، وإنما أرسلناك مبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله، وحساب الناس على الله يوم القيامة.

بل أبلغهم رسالة ربك، فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها.

إسلام أشراف من قريش:

وأسلم بدعوته أشرافٌ من قريش، لهم مكانةٌ وسؤددٌ، منهم عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، والرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة ابن عبيد الله، فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ فأسلموا.

وتلاهم رجالٌ من قريش، لهم شرف ومكانة، منهم أبو عبيدة بن الجراح، والأرقم بن أبي الأرقم، وعثمان بن مظعون، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ابن عبد مناف، وسعيد بن زيد، وخبَّاب بن الأرت، وعبد الله بن مسعود، وعمَّار ابن ياسر، وصهيب، وغيرهم - رضي الله عنهم.

ودخل الناس في الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء، حتى فشا ذِكرُ الإسلام بمكة، وتُحدِّثَ به.

الدعوة جهاراً على جبل الصفا:

وكان رسول الله ﷺ يخفي أمره، ومضى على ذلك ثلاث سنوات، ثم أمره الله تعالى بإظهار دينه، وقال: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ (الحجر: ٩٤)، وقال: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ (الشعراء: ٢١٤ - ٢١٥)، ﴿وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٩﴾﴾ (الحجر: ٨٩).

فخرج رسول الله ﷺ، وصعد على جبل (الصفا) ونادى بأعلى صوته: "يا صاحباه"، وكانت صيحة معروفة مألوفة، كلَّما أحس إنسان بخطر عدوٍّ يغيرُ على بلد، أو على قبيلة، على غفلة منها، نادى: "يا صاحباه" فلم تتأخر قريش في تلبية هذا النداء، واجتمعوا إليه بين رجلٌ يجيءُ إليه، وبين رجل يبعث إليه رسوله.

فقال رسول الله ﷺ: ((يا بني عبد المطلب، يا بني فِهر، يا بني كعب! أرأيتم لو أخبرتكم أنَّ خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغيرَ عليكم، صدَّقتموني؟!)).

كان العرب واقعيين عمليين، إنهم إذا رأوا رجلاً جربُّوا عليه الصدق والأمانة والنصيحة، قد وقف على جبلٍ يرى ما أمامه، وينظر إلى ما وراءَه، وهم لا يرون إلا ما هو أمامهم، فهداهم ذكاؤهم وإنصافهم إلى تصديق هذا المُخبر الأمين الصادق، فقالوا: نعم.

ولمَّا تمت هذه المرحلة الطبيعية البدائية، وتحققت شهادة المستمعين، قال رسول الله ﷺ: ((فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذابٍ شديدٍ)).

الحكمة البليغة في الدعوة والتعليم:

وكان ذلك تعريفاً بمقام النبوة، وما ينفردُ به من علم بالحقائق الغيبية، والعلوم الوهبية، وموعظة وإنذاراً، في حكمةٍ وبلاغةٍ لا نظير لهما في تاريخ الديانات والنبوات، فلم تكن طريقٌ أقصرَ من هذا الطريق، ولا أسلوب أوضحَ من هذا الأسلوب.

إنهم لا يكذبونك:

عرفت قريش المصطفي صلوات الله وسلامه عليه بالأمانة والصدق وأنَّ ما يقوله هو الحق. وكانوا يخشون دعاءه عليهم لاعتقادهم بصدق دعوته وتقبل الله لها، غير أن المشركين والمنافقين والكفار، ما كانوا ليعتقدوا بصدق رسالته ﷺ، وكانوا كأسلافهم يكذبون رسلهم، فقد قال سبحانه في هذا الصدد: ﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾ (المؤمنون: ٤٤).

ويخص سبحانه أقوام بعض الأنبياء بتكذيب المرسلين فيقول:

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ (الشعراء: ١٠٥).

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ (الشعراء: ١٢٣).

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾﴾ (الشعراء: ١٤١).

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾﴾ (الشعراء: ١٦٠).

ويعمم سبحانه فيقول: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾﴾ (ص: ١٤).

ويخاطب رب العالمين رسوله المصطفي ﷺ فيقول له: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾﴾ (فاطر: ٤).

ويقول سبحانه له أيضاً: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ (يونس: ٤١).

غير أن حقيقة الأمر هي أن مشركي قريش كانوا يعتقدون بصدقه ﷺ والله سبحانه وتعالى عليم بما يبطنون، فيخاطبه بقوله: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (الأنعام: ٣٣ـ ٣٥).

وهذا أبو سفيان قبل إسلامه، وعند لقائه بهرقل لم يستطع أن ينكر صدق رسول الله ﷺ، وأنه مشهور به. وأن قريشاً لم تكن تتهمه بالكذب.

أعظم آياته ﷺ

أعظم آيـات الرسول ﷺ هـي القرآن الـكريم، الذي: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ (فصلت: ٤٢)،

وهو: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ البقرة: ٢.

وهو: ﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ ﴾

(البقرة: ١٨٥).

و﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ (الإسراء: ٩).

وقد يسره الله سبحانه وتعالى للذكر ويتساءل سبحانه سؤال توجيه وحض على تدبر القرآن والأخذ بأحكامه. يقول تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ (القمر: ١٧).

ويقول جل شانه: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ (ص: ٢٩).

ويقول سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾

(محمد: ٢٤).

ويقول سبحانه: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ ﴾ (المائدة: ١٥ ـ ١٦).

ويقول جل من قائل: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ (الأنعام: ١٥٥).

ويقول سبحانه: ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (النحل: ٦٤).

ويقول أيضاً: ﴿ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ (النحل: ٨٩).

وقد تحدى رب العالمين الذين أنكروا قدسية هذا القرآن وأنه منزل من الله سبحانه بأن يأتوا بعشر سور مثله، ثم قال سبحانه متحدياً لهم بأن يأتوا بسورة واحدة: ﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (البقرة: ٢٣).

وإنهم طبعاً لا يستطيعون ذلك في الحاضر ولن يستطيعوه في المستقبل، فقال سبحانه متمماً للآية السابقة بالتحدي المستمر: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

البقرة: ٢٤.

ويعمم رب العالمين هذا التحدي على الإنس والجن بأن يأتوا بمثل هذا القرآن ولو تضافرت جهودهم بهذا الصدد: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ (الإسراء: ٨٨).

وقد كانت آيات الأنبياء السابقين ـ على اختلاف إعجازها ـ مؤقتة لزمانهم وذهبت بذهابهم إلا هذه الآية العظمى، هذه الآية الخالدة المحفوظة بحفظ الله لها، لقوله سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الحجر: ٩).

الله أعلم حيث يجعل رسالته

إن الله سبحانه وتعالى، خالق البشر جميعاً، هو سبحانه خالق كل شيء، وقد اختص البشر بالفضل وتحمل الأمانة التي عرضها على العالمين، فلم يُقْبِلْ على تحملها إلا البشر، لما خلق فيهم ربهم من استعداد لحملها. يقول الله

سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾

(الأحزاب: ٧٢).

وغير البشر مفطورن على ما خلقوا عليه، ليست لهم إرادة ذاتية، ولهذا فإنهم غير مسئولين مسئولية البشر عن تصرفاتهم الإرادية.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ﴾ (الحج: ١٨).

ففي هاتين الآيتين نجد أن غير البشر مفطور على الطاعة والخضوع لله، وأن الناس لهم الإرادة فيما يختارونه لأنفسهم، فمنهم من يسجد لله طوعاً ومنهم من يأبى السجود، ولكل منهم حسابه عند الله.

ولما كان الله بعباده لطيفاً خبيراً؛ فإنه وجههم إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم دنيا وأخرى دون فرض أو إلزام، لقوله سبحانه: ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ (الإسراء: ١٥).

وابتدأ سبحانه بتوجيه أبي البشر إلى ما يجب عليه الالتزام به لتحقيق سعادته فاختبره سبحانه بأن نهاه عن الأكل من شجرة حددها له لمجرد الطاعة بالالتزام، غير أن آدم عليه السلام، لحكمة أرادها الله، نسي ما عهد إليه ربه من قبل فأكل من الشجرة هو وزوجه، وهكذا عصى آدم ربه فغوى. ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾ (طه: ١١٥).

وقد كانت رحمة الله بآدم عليه السلام وذريته أن هداهم إلى الاستغفار والتوبة والإنابة إليه سبحانه في حال وقوع المخالفة منهم دون إصرار واستمرار إذ قال لهم: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ (طه: ٨٢).

عندها: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (الأعراف: ٢٣).

وهكذا فقد تاب آدم عليه السلام واستغفر ربه وأناب، فاجتباه ربه وتاب عليه وهدى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾ (طه: ١٢٣ - ١٢٧).

وإن آيات الله سبحانه التي تتضمن الهدى يختار لها من يبلغها لعباده ممن يجتبيه ويصطفيه، فهم رسل الله الذين يأخذون الحجة على عباده بتبليغهم رسالات ربهم، لأنه سبحانه لا يؤاخذ عباده على انحرافهم وسوء تصرفاتهم إلا بعد أن يحذرهم مغبة ذلك عن طريق رسله. ومصداق ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ (الإسراء: ١٥).

لكي لا يقولوا: ﴿ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (القصص: ٤٧).

وبقوله سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ ﴾

(طه: ١٣٤).

وقد أوضح سبحانه الغاية من بعثة الرسل بقوله: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ (النساء: ١٦٥).

وقال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

(القصص: ٥٩).

وقال سبحانه أيضاً مخصصاً ومعمماً: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ (فاطر: ٢٤)؛ فالرسالة إنذار من الله سبحانه وإنذار لمن يجنح عن الحق ويتبع سبيل الضلال.

والرسول هو المبلغ عن ربه، وليس له إلا البلاغ، لقوله سبحانه: ﴿ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ ﴾ (النحل: ٣٥).

وقوله: ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴾

(الأنفال: ٤٢).

والرسول ما هو إلا بشير ونذير، والرسالة فضل من الله يختص به من يشاء: ﴿ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (البقرة: ١٠٥).

والله سبحانه هو الذي يصطفي رسله من الملائكة ومن الناس، ولا يختار لها إلا صفوة ملائكته وعباده: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ (الأنعام: ١٢٤).

وإن اختيار الله سبحانه وتعالى رسله وأنبياءه من صفوة خلقه، لتكون لهم مكانتهم وتأثيرهم على أقوامهم.

وقد فضل الله بعض النبيين على بعض، وكانت مكانة إبراهيم عليه السلام أن اتخذه الله خليلاً وجعله من أولى العزم. من الرسل، لما كان عليه من إخلاص المحبة لله سبحانه، وإنه كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين، وإنه لا يوجد أحد مهما كانت قرابته منه أحب إليه من الله، مثل ولده الذي جاءه على كبر، فكانت محبته لله وحده تفوق محبته لولده الوحيد، فابتلاه ربه بأن طلب منه أن يذبح هذا الولد، وكان ذلك في المنام - ورؤيا الأنبياء حق - فلم يتأخر عن تنفيذ ما أمره الله به، فعرض الأمر على ابنه الوحيد إسماعيل، فوجد عنده الامتثال لأمر ربه.

ولما تحقق الله سبحانه صدق إبراهيم عليه السلام في إخلاص محبته له وحده - وهو العليم به - افتدي ابنه بذبح عظيم، لأن الغرض لم يكن التضحية بالولد قرباناً لله وإنما كان اختباراً لهذه المحبة، فلما امتثل إبراهيم عليه السلام لأمر ربه وسارع إلى تنفيذ ما أمره به ناداه ربه: ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) ﴾ (الصافات: ١٠٤ - ١٠٧). والرضا بالقضاء والقدر.

إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة

تتجلى الحكمة في أن يكون بيت الله الحرام هو أول بيت وضع للناس، بأن تتجه إليه وجوه العباد وقلوبهم حيثما كانوا، من لدن آدم ـ على قول ـ إلى زمن إبراهيم عليه السلام الذي أكرمه الله ببنائه هو وولده إسماعيل عليهم السلام، إلى زمن خاتم النبيين، إلى يوم القيامة، لأنه ما من نبي إلا وجاءه وطاف به حتى أصبح ركناً من أركان الشريعة الإسلامية في أن يحج إليه المستطيع مرة واحدة في عمر المكلف على الأقل من أمة محمد ﷺ.

وقد بوّأ الله سبحانه لإبراهيم عليه السلام مكان البيت بعد أن درست معالمه الأولى ليكون مهبط الوحي في قابل أيامه.

ولأمر ما فقد أوحى رب العالمين إلى نبيه وخليله إبراهيم عليه السلام في أن يُسْكِنَ زوجَه وولدَه إسماعيل في هذه البقعة المباركة، لتبدأ المرحلة الأولى في تأسيس الدعوة الإسلامية في هذه المنطقة المنعزلة عن الناس، والبعيدة عن الخلفيات العقائدية التي سبق لها الانتشار في بقاع أخرى من الأرض.

لأن إبراهيم عليه السلام كان في بيئة تغلب عليها عبادة الأصنام، وعبادة النجوم وعبادة الفرد.

ولهذا فإن هذه البقعة كانت هي المهيأة لتنطلق منها دعوة الله إلى عباده في أن يعبدوه ولا يشركوا به أحداً، وأن يبلغ انتشار هذه الدعوة أقاصي المعمورة، وأن تستمر في الانتشار بإذنه سبحانه.

وكان إبراهيم عليه السلام - بتوجيه من الله سبحانه - قد وضع النواة الأولى في هذه البقعة المباركة ليكون فيها فيما بعد بلد آمن وبعيد عن عبادة غير الله، ونجد مصداق ذلك في قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ (إبراهيم: ٣٥ - ٣٧).

ويقول سبحانه: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ (البقرة: ١٢٥ - ١٢٩).

ويقول سبحانه: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾

لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الحج: ٢٦ ـ ٣٠).

إن إبراهيم ﷺ عندما أمره ربه بأن يُسْكِنَ هاجر وابنها عند بيت الله الحرام، كان قد غادر دياره التي ولد فيها، والتي يغلب على سكانها عبادة الأصنام، لذلك دعا ربه أن يجعل من هذا البلد الذي سيضع نواة سكانه فيه بلداً آمناً، وأن يبعده وبنيه عن عبادة الأصنام التي عمّ شرها معظم البلاد، فكثر الضلال بين الناس، وإن من آمن به واتبعه فهو منه، وإن من عصاه فأمره متروك إلى الله الغفور الرحيم.

وإن إسكان زوجة إبراهيم ((هاجر)) وولدها منه إسماعيل عليه السلام في هذه البقعة النائية الجرداء كان بأمر الله سبحانه فأخذ به إبراهيم ﷺ دون تردد.

وقد كان اختلاط هاجر وابنها إسماعيل بمن نزل عندها وجاورها من قبيلة جرهم منطلقاً لعمارة البلد الحرام، وإعظاماً لبيت الله الحرام، الذي جعله رب العالمين مثابة للناس وآمناً، وأن تكون هذه البقعة التي ارتفع فيها بنيان الكعبة مصلى للناس لأنها مقام إبراهيم ﷺ.

ودعا إبراهيم عليه السلام ربه بأن يجعل هذا البلد آمناً وأن يرزق أهله من الثمرات من آمن منهم.

وبعد أن استقر إسماعيل عليه السلام وأمه في هذه البقعة المباركة واستطاع إسماعيل عليه السلام أن يساعد والده في رفع بنيان الكعبة المباركة، عمل كلاهما على رفع القواعد منها وهما يدعوان الله سبحانه أن يتقبل منهما وأن يجعلهما مسلمين له، وأن يجعل من ذريتهما أمة مسلمة وأن يرشدهما إلى المناسك المفروضة عليها ويسألان الله أن يتقبل توبتهما لأنه سبحانه هو التواب الرحيم.

ويتمم إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام دعاءهما إلى الله بأن يبعث في هذه الأمة المسلمة التي ستنحدر من نسلهما رسولاً منهم يتلو عليهم آيات الله ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم - أي يطهرهم من الأدناس. لذلك كان محمد ﷺ يقول: إنني دعوة أبي إبراهيم عليه السلام.

وبعد أن تعرف إبراهيم عليه السلام على مكان البيت ورفع هو وإسماعيل عليه السلام قواعده أمره ربه بأن يعمل على تطهير بيته من كل دنس ورجس لمن يطوف به ويقصده لأداء الصلاة.

كما أمره ربه بأن يؤذن في الناس بالحج، وقد كان سكان الحرم يومئذ قليلين جداً، وإن أذانه سيبلغ كل من كتب الله له تأدية فريضة الحج، وإنهم سيلبون نداءه سراعاً، مشاة وركباناً، ويأتون البيت الحرام من كل مكان أو بلد قريب أو بعيد ...

وهكذا كان الرسول ﷺ وريث إبراهيم في تطهير البيت الحرام وإزالة الأصنام منه.

بناء البيت

ولما بلغت سنه عليه الصلاة والسلام خمساً وثلاثين سنة، جاء سيل جارف فصدَّع جدران الكعبة بعد توهينها من حريق كان أصابها قبل، فأرادت قريش هدمها ليرفعوها ويسقفوها، فإنها كانت صخور كبيرة بعضها فوق بعض فوق القامة، فاجتمعت قبائلهم لذلك، ولكنهم هابوا هدمها لمكانها في قلوبهم. فقال لهم الوليد بن المغيرة: أتريدون بهدمها الإصلاح أم الإساءة؟ قالوا: بل الإصلاح، قال: إن الله لا يهلك المُصلِحين، وشرع يهدم فتبعوه وهدموا حتى وصلوا إلى أساس إسماعيل، وهناك وجدوا صِحافاً نُقش فيها كثير من الحِكَم على عادة مَنْ يضعون أساس بناء شهير ليكون تذكرة للمتأخرين بعمل المتقدمين، ثم ابتدؤوا في البناء وأعدّوا لذلك نفقة ليس فيها مَهرُ بغيٍّ، ولا بيعُ ربا، وجعل الأشراف من قريش يحملون الحجارة على أعناقهم، وكان العباس ورسول الله ﷺ فيمن يحمل، وقد خصّص لكل ركن جماعة من العظماء ينقلون إليه الحجارة، وقد ضاقت بهم النفقة الطيبة عن إتمامه على قواعد إسماعيل، فأخرجوا منها الحِجْرَ، وبنوا عليه جداراً قصيراً، علامة على أنه من الكعبة، ولما تم البناء ثمانية عشر ذراعاً بحيث زِيدَ فيه عن أصله تسعة أذرع ورفع الباب عن الأرض بحيث لا يُصعد إليه إلا بدرج أرادوا وضع الحجر الأسود موضعه، فاختلف أشرافهم فيمن يضعه، وتنافسوا في ذلك حتى كادت تشبّ بينهم نار الحرب، ودام بينهم هذا الخصام أربع ليالٍ، وكان أسنّ رجل في قريش إذ ذاك أبو أمية بن المغيرة المخزومي عمُّ خالد بن الوليد فقال لهم: يا قوم! لا تختلفوا وحكّموا بينكم من ترضون بحكمه. فقالوا: نَكِلُ الأمر لأوّل داخل، فكان هذا

الداخل هو الأمين المأمون عليه الصلاة والسلام، فاطمأن الجميع له لِما يعهدونه فيه من الأمانة وصدق الحديث وقالوا: هذا الأمين رضيناه، هذا محمد ﷺ لأنهم كانوا يتحاكمون إليه إذ كان لا يُداري ولا يُماري. فلما أخبروه الخبر بسط رداءه، وقال ﷺ: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم وضع فيه الحجر وأمرهم برفعه حتى انتهوا إلى موضعه فأخذه ووضعه فيه وهكذا انتهت هذه المشكلة التي كثيراً ما يكون أمثالها سبباً في انتشار حروب هائلة بين العرب، لولا أن يمنّ الله عليهم بعاقل مثل أبي أمية ((بن المغيرة المخزومي)) يرشدهم إلى الخير، وحكيم مثل الرسول الله ﷺ يقضي بينهما بما يُرضي جميعهم.

ولا يُستغرب من قريش تنافسهم هذا، لأن البيت قِبلَة العرب وكعبتهم التي يحجّون إليها، فكل عمل فيه عظيم، به الفخر والسيادة، وهو أول بيت وُضِع للعبادة بشهادة القرآن الكريم، قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ (آل عمران: ٩٦ ـ٩٧). وكان يلي أمره بعد ولد إسماعيل قبيلة جُرهم فلما بَغوا وظلموا مَنْ دخل مكة اجتمعت عليهم خزاعة وأجلَوهم عن البيت، ووليته خزاعة حيناً من الدهر، ثم أخذته منهم قريش في عهد قصي بن كلاب، وبسببه أمِنوا في بلادهم، فكانت قبائل العرب تهابهم. وإذا احتموا به كان حصناً أميناً من اعتداء العادين، وامتنّ الله عليهم بذلك في تنزيله، فقال في سورة العنكبوت: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ ﴾ (العنكبوت: ٦٧).

الأدلة الثلاثة للترابط بين إبراهيم ومحمد

عليهما الصلاة والسلام

أولاً- الارتباط المكاني:

يشير القرآن الكريم إلى إبراهيم عليه السلام في أكثر من آية وأنه كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين، وأن الله سبحانه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم، كما أنه سبحانه اتخذه خليلاً، وحذّر من يرغب عن ملته، ووصمه بأنه ممن سفه نفسه.

قال الله تبارك وتعالى ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٣٥)﴾ (البقرة: ١٣٥).

أيضاً: ﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢١)﴾ (النحل: ١٢١).

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ (البقرة: ١٣٠).

ويأتي الأمر من الله سبحانه لرسوله المصطفى ﷺ ولأمته باتباع ملة إبراهيم، فيقول سبحانه: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (٦٨)﴾ (آل عمران: ٦٨).

﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٩٥)﴾ (آل عمران: ٩٥).

ويمتدح الله سبحانه من أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً فيقول سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ (النساء: ١٢٥).

وقد وصف الله إبراهيم بصفات كريمة وعدد فضله عليه فقال: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ (النحل: ١٢٠ - ١٢٢).

ثم يوجه سبحانه عبده محمداً - ﷺ - بأن يتبع ملة إبراهيم فيقول: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾

(النحل: ١٢٣).

إن هذا الارتباط بين إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام نجد أسبابه واضحة في أكثر من آية، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾ (الحج: ٢٦).

ويقول سبحانه: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ (البقرة: ١٢٧).

فالله سبحانه اختار إبراهيم عليه السلام من أنبيائه ليضع النواة الأولى للأمة الإسلامية في هذه البقعة المباركة، فاختاره هو واختار ابنه إسماعيل عليهم السلام معه ليتحقق عن طريقهما إقامة قواعد هذا البيت، فأسكن أولاً زوجته

هاجر وابنها إسماعيل في واد غير ذي زرع عند بيت الله الحرام، أي في المكان المعهود والسابق إعداده من الله سبحانه قبل إرشاد إبراهيم إليه، وإن إرشاده إليه لدليل على سبق وجوده قبل إبراهيم عليه السلام، لأن إبراهيم خاطب ربه قائلاً: ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ (إبراهيم: ٣٧)، الذي أرشده الله إليه.

وعندما كانا يرفعان القواعد من البيت، كانا يدعوان الله سبحانه في أن يتقبل منهما ويقولان في دعائهما: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩﴾ (البقرة: ١٢٨ ـ ١٢٩).

فالأمة المسلمة التي برزت في الوجود هي من ذرية إبراهيم وإسماعيل العربيين. وليست من نسل سواهما.

وكلمة الذرية تعني أن هذه الأمة من نسلهما ولأنه لم يسكن حول هذا البيت أحد من سلالة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ـ عليهم السلام ـ وإنما كان سكان هذا البيت من سلالة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

ولما كانت الأمة التي بعث الله فيها محمداً عليه الصلاة والسلام هي الأمة العربية، ومن مختلف القبائل العربية، جنوباً وشمالاً، لذلك فإن هذه الأمة المسلمة التي آمنت بمحمد عليه الصلاة والسلام وبرسالته، هي من ذرية إبراهيم وإسماعيل، عليهما السلام، لأن إبراهيم أبو هذه الأمة بنص القرآن العظيم وقد أمرها ربها باتباع ملته كما أمر نبيه ﷺ بذلك.

وإن قول إبراهيم وإسماعيل في دعائهما إلى الله وهما يرفعان قواعد البيت: ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ ﴾ (البقرة: ١٢٩). أي من هذه الأمة المسلمة التي ستكون هدايتها إلى الله عن طريق هذا الرسول الكريم محمد بن عبد الله ﷺ الذي ابتعثه ربه في هذا المكان الذي سبق وأسسه وأقام قواعده إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وكان ذلك استجابة لدعوتهما، وأن يكون من ذريتهما أمة مسلمة، فكانت، وكان على أيدي أبنائها انتشار الإسلام في بقاع الأرض من يوم بعثته ﷺ إلى أن يأذن الله.

هذا هو الارتباط بين إبراهيم ومحمد عليهما السلام، من حيث المكان الذي ارتفعت فيه قواعد بيت الله الحرام، ومن حيث السلالة ومن حيث التبعية.

ثانياً- الأصول الواحدة:

والارتباط الثاني بين إبراهيم ومحمد عليهما السلام أنهما من جذور واحدة، فإبراهيم عليه السلام جد محمد ﷺ دون ريب لما ورد في القرآن الكريم من دعوة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة....

أي إن هذه الأمة المسلمة هي من ذرية إبراهيم عليه السلام وهذه الأمة هي من العرب، فإبراهيم هو عربي لأنه أب لهذه الأمة وكذلك ولده إسماعيل عليه السلام

وإن محمداً عليه الصلاة والسلام هو دعوة جده إبراهيم عليه السلام ومن أحفاده، ومحمد ﷺ عربي لا يشك أحد في عروبته. قال ﷺ: **((إن الله خلق السموات سبعاً فاختار العليا منها فأسكنها من شاء من خلقه، ثم خلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم، واختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مضر،**

واختار من مضر قريشاً، واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم فأنا خيار من خيار، فمن أحب العرب فبحبي أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم)).

ومهما قيل في صحة هذا الحديث، فإن اختيار الله سبحانه لمحمد ﷺ النبي العربي نسباً والمكي ولادة ومكاناً، والأخير زماناً من الأنبياء يتفق مع قوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ (الأنعام: ١٢٤). في الزمان والمكان والأشخاص، وأن محمداً هو خيار من خيار فهذا مما لا شك فيه.

ثالثاً- ارتباط اللغة:

ولنعد إلى إبراهيم عليه السلام وأنه وضع زوجته هاجر وولدها إسماعيل عليه السلام في واد غير ذي زرع عند بيت الله المحرم الذي قامت مكة بسببه، وأن قبيلة جرهم استأذنت من هاجر فنزلت بجوارها، فكيف تم التفاهم بين الطرفين؟ ألم يكن اللسان واحداً؟ وإن اختلفت اللهجات فإن أصل اللغة واحد.

وقد جاء إبراهيم عليه السلام وزار تركته في هذه البقعة المباركة أكثر من مرة وتحدث مع ابنه وتفاهم معه، ثم جاءهم مرة ثانية وثالثة، وتحدث معه كما تحدث مع زوجتيه في غياب إسماعيل عليه السلام.

يَا أيها النبيُّ بَلِّغ مَا أُنْزِلَ إليْكَ مِنْ رَبِّكَ

أمر الله سبحانه وتعالى رسوله أن يبلغ رسالة ربه، فقال الله عز وجل ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (المائدة: ٦٧).

وقال الله تعالى ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (النحل: ١٢٥).

قال الله تعالى ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

قال الله تعالى ﴿ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾ (ق: ٤٥).

وقال الله تعالى ﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴿٢١﴾ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الغاشية: ٢١ — ٢٢).

وقال الله تعالى ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾ (الشعراء: ٢١٤ — ٢١٥).

وقال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ﴿٣﴾ ﴾ (المدثر: ١ — ٣).

أإله مع الله؟!

قال الله تعالى ﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ ﴾ (الفرقان: ٣).

وقال الله عز وجل ﴿ أَمِ اتَّخَذُوٓا ءَالِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

(الأنبياء: ٢١ — ٢٢).

وقال الله جل جلاله ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

(الأنبياء: ٢٤).

وقال الله سبحانه ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ (المؤمنون: ٩١ — ٩٢).

وقال الله عز وجل ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِى الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَٰوَٰتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ (الإسراء: ٤٢ — ٤٤).

وقال الله تعالى ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ (النمل: ٥٩).

وقال الله عز وجل ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ (النمل: ٦٠).

وقال الله سبحانه ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ (النمل: ٦١).

وقال الله سبحانه ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾

(النمل: ٦٢).

وقال الله تعالى ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾

(النمل: ٦٣).

وقال الله عز وجل ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾

(النمل: ٦٤).

وقال الله جل جلاله ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ (الأنعام: ٤٦).

وقال الله عز وجل ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ ﴾ (العنكبوت: ٤١ – ٤٢).

وقال الله سبحانه ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ (الشعراء: ٢١٣).

وقال الله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾ (الجن: ٢٠).

وحدة مصدر الشَّرائع السَّماويَّة

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (المائدة: ٤٤ ـ ٤٨).

- إن جميع الأنبياء دعَوْا إلى دين واحد، لا تختلف أصوله، ولا تتعارض أغراضه، وذلك لأن وحدة المصدر تقتضى وحدة المنهج والهدف.

- علاقة القرآن بالشرائع السماوية فى صورتها الأولى، علاقة تصديق وتأييد كلّى، وعلاقته بها فى وضعها الحالى علاقة تصديق لما بقى من أجزائها صحيحاً أصليّاً، وتصحيح لما طرأ عليها من البدع والتحريف والإضافات الدخيلة، وتجديد وبعث لشبابها وفاعليتها.

لقد تتابعت رسل الله إلى البشرية تترى، وأُنزلت عليهم الرسالات السماوية واحدة تلو الأخرى لإقرار الشرائع الإلهية فى الأرض، والّتى من شأنها أن تربط قلوب الخلق بالخالق، وتنشر بينهم العدل والإخاء والسّلام، وبذلك تستقيم لهم الحياة لأنهم تلقوا عقيدتهم وشريعتهم من إله واحد، عليم بخصائص النفس البشرية وميولها ونزعاتها، قاصد إسعاد هذا المخلوق فى ظلال عبادته وطاعته، وله سبحانه الرقابة على السرائر والضمائر كما له السلطان على الحركة والسلوك، فيجزى الناس وفق شريعته فى الدنيا، ويجازيهم من منطلق عدله وفضله فى الدار الآخرة.

وإن الدِّين الّذى جاء به رسل الله، لا ينحصر فى دائرة فهم العامَّة من الناس، الّذين يقصرونه على الشعائر والعبادات والتجلّيات؛ بل إنه يتجاوزها ويتعدّاها، لأنه منهج كامل للحياة، يتسع ليشمل علاقة الفرد بخالقه، وعلاقته بالناس وبالكون من حوله. فالإنسان جزء من هذا الكون، وهو أبداً فى حال تأثُّر به وتفاعل معه، وقد جاء الدِّين ليحفز كوامن القدرة والإبداع فيه، ليصبح قادراً على استنباط قوانين الكون ونواميسه، ثمَّ يسخِّرها لمنفعته.

والإنسان الفرد جزء من المجتمع، والناس بمجموعهم يسهمون فى بنائه وتطويره، ودور الدِّين تجاههم تحديد الواجبات والحقوق المتبادلة فيما بينهم، وتنظيم علاقاتهم والمحافظة على روابطهم الاجتماعية والرُّقى بها، وهكذا نجد أن الدِّين منظِّم للحياة البشرية بشقّيها، قلباً وقالباً، ظاهراً وباطناً، اعتقاداً ومنهجاً وسلوكاً.

وقد بيَّنت الآيات الكريمة فى النص القرآنى السابق وحدة مصدر الشرائع السماوية، وأبرزت الصلة الوطيدة بينها، وأكّدت على وشائج القربى الّتى ربطت

بين شرائعها جميعاً، ففى التوراة الَّتى أنزلت على موسى عليه السلام هدى للقلوب، ونور للبصائر التزم بها من جاء بعده من أنبياء بنى إسرائيل، لأنهم أسلموا أنفسهم بكليَّتهم إلى الله عزَّ وجل، وكذلك كُلفَ علماء بنى إسرائيل وعُبَّادُهم بتطبيقها، بصفتهم الأمناء على كتاب الله، الَّذين يشكِّلون الرقابة اليقظة، الَّتى لا تسمح لأى يد أن تمتدَّ إليه، بالتحريف أو التبديل، أو الحذف أو الإضافة.

وبما أن تطبيق تعاليم الشريعة الإلهية لن يكون على درجة واحدة، لأن النفوس تتفاوت فى درجة سموِّها وتقبُّلها لأحكامها، خاصَّة إذا تعارضت مع ميولها ونزعاتها، فتراها تعارض كلام الله أو تُؤوِّله أو تحرِّفه ليتماشى مع رغباتها، لذا يُحذِّر الله جميع الأنبياء والأوصياء على رسالاته من التهاون فى مثل هذه المواقف، أو الميل مع أهل الهوى ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ (ص: ٢٦)، فالحقُّ أولى أن يُتَّبع، وما كان الله ليشرع شريعة تتعارض مع سعادة الناس أو تضرُّ بمصالحهم، بل لتحيى قلوبهم وتوفِّر لهم الأمن والاطمئنان، والسعادة والسَّلام، ولكنَّ المعاندين تعمى أبصارهم عن نور الله، ويُغَلِّبون مصالحهم على مصالح غيرهم من الخلائق؛ أنانية وتسلُّطاً وجشعاً.

فالمجاهدة مستمرَّة على مرِّ الزمان، ولابدَّ للدعاة إلى الله من أن يصمدوا فى وجه الأدعياء، ومن يضعف منهم أمام بعض الإغراءات ((كالجاه، أو الرِّياسة، أو أى مطمع))، فلا مكان له ضمن دائرة رحمة الله، بل هو مطرود منبوذ منها، لأنه اشترى بآيات الله، ثمناً قليلاً من متاع الدنيا الزائل. قال تعالى ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ (الأعراف: ١٧٥).

وتقرِّر الأحكام الإلهية مبدأً إنسانياً عظيماً، يُعَدُّ الميثاق الحقيقى لإعلان حقوق الإنسان، والحفاظ على حياته ولسلامته من أى عدوان؛ وهو أنه لا يحقُّ لإنسان أن يقتل إنساناً أو أن يؤذيه أو يمسَّه بأدنى سوء. وقد رتَّب الله تعالى عقوبات صارمة لحماية النفس الإنسانية، فالقاتل يُقتل، والاعتداء يُرَدُّ بمثله، والقصاص هو العقاب الرادع الَّذى يحمل كلَّ من ينوى قتل غيره، على أن يراجع نفسه مرَّات ومرَّات قبل أن يُقدم على ما عزم عليه، لأن العقاب له بالمرصاد، فالقصاص هو الحُكم الَّذى تقضى به الفطرة السليمة، وتستريح إليه النفوس الكريمة، والَّذى يذهب بحزازات النفوس وغيظها، وجراحات القلوب وآلامها، ويسكِّن فورات الثأر الجامحة. فبعد أن شرع الله تعالى القصاص دفعاً للأذى وإشباعاً لدوافع الفطرة، وضمانةً لما يريحها، راح يستثير فى النفوس السماحة، والعفو والوجدان، علَّه يحرِّك تلك الَّتى لا يغنيها التعويض المالى، ولا يسلِّيها القصاص عمَّا فقدت، فتبقى فيها حرقة ولوعة، لا تطفئها ولا تهدِّئها إلا رحمة الله، الَّذى وعدها بالتعويض من قِبَلِه، وهو تعويض لا يُستهان به عند ذوى النفوس المطهَّرة والقلوب المنقَّاة. فالعفو عن الجانى ثوابه عند الله كفَّارة للمجنى عليه، يُكفِّر الله بها ذنوبه، ويعفو عنه كما عفا عن أخيه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (المائدة: ٤٥)، فقد روى أحمد ومسلم والترمذى عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً)). قال تعالى ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (الشورى: ٤٠)، وجزاء سيئة المسىء عقوبته بسيئة مثلها من غير زيادة، فمن عفا عن المسىء، وترك عقابه،

وأصلح الودَّ بينه وبين المعفو عنه ابتغاء وجه الله، فأجْرُ عفوه ذلك على الله. إن الله لا يحب الظالمين الذين يبدؤون بالعدوان على الناس، ويسيئون إليهم.

وتواصل كوكبة الإيمان تقدُّمها تحدوها محبَّة الله، وتكلؤها عنايته ورعايته لنشر الهداية فى الأرض، ولتحقيق العدالة بين الناس، فيرسل جلَّ شأنه عيسى عليه السلام ومعه الإنجيل الَّذى جاء مصدِّقاً للتوراة، ولم يتضمَّن الإنجيل فى ذاته تشريعاً مستقلاً عن التوراة، عدا بعض التعديلات الطفيفة، فهو بين مصدِّق لها، ومضيف عليها، مصحِّح لما تحرَّف منها. ويلاحظ أن تكرار آية ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ تأكيد على أن المسيح يصدِّق موسى عليهما السَّلام، كما أن الإنجيل يصدِّق التوراة. إلا أن التوراة جاءت لأهلها، والإنجيل جاء لأهله، ولن يكون النصارى واليهود على هدى من ربِّهم، حتَّى يقيموا أحكام شريعتهم كما أُنزلت إليهم، لأنها شُرعت لهم من قِبَل خالقهم، والكلُّ أمامه مسئول عنها. وتتكامل سلسلة الرسالات السماوية بالحلقة الأخيرة منها، فينزل القرآن على النبى محمَّد ﷺ، الَّذى جاء ليدعو إلى الإسلام، فى صورته التامَّة الكاملة، ليكون للبشرية دين إلهى واحد متكامل، وليس مجموعة أديان، وهذا ما أكَّده الله بقوله: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾ (الشورى: ١٣). وهكذا تظهر لنا حقيقة التلاحم والتواصل القائمَين بين رسالة الإسلام، وما سبقها من الرسالات السماوية، بما يشير إلى أنها واحدة يتمِّم بعضها بعضاً بتناسق وانسجام، فلا تعارض ولا تناقض من حيث الجوهر والأصل. فالرسالات السماوية شجرة مثمرة معطاءة، تفيَّأ فى ظلالها وأكل من ثمارها، كل من استسلم لأوامر الله تعالى؛ وبهذا يكون جميع الأتباع المخلصين للشرائع السماوية فى الحقيقة مسلمين، لأن كلمة الإسلام أصلاً كلمة عامَّة شاملة، واحدة من حيث المعنى، إلا

أنها ذات مدلولات عدَّة؛ فهى لا تنحصر فى تسمية الشريعة الإسلامية وحدها، بل تتَّسع لتشمل كلَّ من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر، وسلَّم إرادته وجوارحه لهذا الإيمان واستسلم لأوامر الله وتعاليمه. ولهذا فإن كلمة المسلمين تُطلَق اليوم على أتباع الشريعة الإسلامية بوصفهم آمنوا باليهودية السليمة، وبالمسيحية القويمة، وبالإسلام الحنيف، وبجميع الرسل والكتب السماوية المتعلِّقة بهذه الرسالات.

وفى مواضع كثيرة من القرآن نجد، بأن الله تعالى وصف إيمان الأنبياء عليهم السَّلام وإيمان أقوامهم به بأنه الإسلام، كما جاء على لسان إبراهيم وإسماعيل عليهما السَّلام: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ (البقرة: ١٢٧ ـ ١٢٨). وفى موضع آخر: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ (البقرة: ١٣٢-١٣٣)، وكما جاء على لسان يوسف عليه السلام ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ (يوسف: ١٠١)، وكما جاء على لسان موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ (يونس: ٨٤)، وجاء على لسان نوح عليه السلام: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ (يونس: ٧٢). وفى سورة أخرى يقول تعالى عن حواريِّى

المسيح عليه السلام: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ (المائدة: ١١١). ومن ثمَّ فقد أطلقها الله فى كتابه، وجعلها نعتاً لكلِّ إنسان صالح ومصلح وشاكر لأنعم الله عليه: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ (الأحقاف: ١٥).

ففى القرآن شريعة الإسلام وقانونه، الَّذى أنزله الله بالحقِّ، يتمثَّل ذلك فى كلِّ ما يعرضه من شئون العقيدة والعبادة، وفى كلِّ ما يقُصُّه من الأخبار، وما يحمله من التوجيهات، إضافة إلى أنه مصدِّق للكتب الَّتى جاءت من قبله، وفى هذا دحض لافتراءات المغرضين الَّذين كذَّبوا به، أو حاولوا أن ينسبوه إلى غير مصدره الأصلى.

وهكذا فإن فيض السماء واحد فى كلِّ زمان ومكان، وهو يترعرع وينمو حين يصادف قلوب المتَّقين الَّذين صقُلت نفوسهم، وهذَّبت نواياهم للتسابق نحو الخير، فأثمرت المعرفة فى قلوبهم، وتفجَّرت ينابيع الحكمة من حنايا عقولهم، فتقبَّلوا ما جاء به الأنبياء، وإن خالف أهواءهم، لأنهم فى الأصل جعلوا أهواءهم تبعاً لما يحبُّ خالقهم، فلا تمرُّد ولا عصيان، بل قبول وإذعان. ولو شاء الله لجعل الناس أمَّة واحدة متجانسة تدين بشريعة واحدة، وتخضع لمنهج واحد، ولكنه جعل لكلٍّ طريقاً ومنهاجاً، وأخضعهم لابتلاء واختبار فيما آتاهم من الدِّين، وترك لهم حرية الاختيار تكريماً لهم. ونظراً لما زوَّدهم به من عقل مفكر وإرادة حرة، فهم أحرار فيما يختارون، إلاّ أنّ الإيمان الإجبارى ليست له قيمة، وكيف يمكن لمثل هذا الإيمان أن يكون معياراً للكمال الإنسانى؟

إنّ التكامل الحقيقى هو أن يسير الإنسان بإرادته وبمنتهى الإختيار والحرية.

إنّ الآيات القرآنية مليئة بأدلة حرية الإنسان، ومثل هذا الاختيار هو ما يميّز الإنسان عادة عن غيره من الكائنات الأُخرى، وإذا سلبت منه إرادته واختياره فكأنما سلبت منهُ إنسانيتهُ.

وكما أن ملكة الحرية والاختيار طريق إلى التكامل، فهى أيضاً سنّة إلهية لا تقبل التغيير، لكنَّه حثَّهم على التسابق فى أعمال الخير والبناء الأخلاقى والعلمى، ودعاهم إلى الألفة والوحدة فيما بينهم، باجتماعهم على كلمة سواء هى كلمة التَّوحيد، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ (آل عمران: ٦٤). وهى كلمةَ عادلة منصفة لا غلبة فيها لفريق على آخر، وتتضمَّن الإقرار بأن لا إله إلا الله، وبأنه المتفرِّد بالألوهية فليس له شريك، وتحثُّ الناس على ألا يتَّخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، وألا يُؤَلِّهوا أنبياءهم ورسلهم، فكلُّ الأنبياء عبيد الله، اصطفاهم للدعوة إلى عبادته لا لمشاركته فى إلوهيَّته. فلا يستحقُّ العبادة أحد غيره سبحانه وتعالى، لأنها التسليم المطلق لأمره، والانقياد التامُّ لشرعه، فهى التعبير العملى عن حقيقة العقيدة، فكما أنه لا فائدة من شجرة لا تثمر، فكذلك لا فائدة من قولٍ لا يخترق حجب النفس ولا يؤثِّر فيها، فيجعلها تنقاد وتذعن لحضرة الله تعالى.

فمن يرفض هذه الدعوة الَّتى اتفقت عليها الكتب والرسل، وهى دعوة التَّوحيد، ويأبى ذلك عناداً وإصراراً، فما على المؤمنين إلا أن يقولوا له ولأمثاله: ((اشهدوا بأننا موحِّدون، مسلمون ومسالمون، مقرُّون لله بالوحدانية،

مستسلمون لأوامره)) وأن يَدْعُوا الله تعالى من أعماق قلوبهم، لكى تجمعَهُم باقة الإيمان بوَردها وزهرها، وتضمَّهم إلى قافلة الموحِّدين لله، السائرين على نهجه القويم، ويعيشون إخوة فى الإيمان بالله الواحد الأحد، الَّذى قال فى محكم آياته: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ (٤١) وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ (٤٢) ﴾ (النجم: ٣٩ـ٤٠).

١ – أن نجد القرآن الكريم، وهو آخر الكتب المنزلة، تضمَّن كلاً من التوراة والإنجيل، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ (المائدة: ٤٨). وليس للإنسان إلا اختيار اللاحق لأنه جمع محاسن السابق كلَّها، وبذا يكون متَّبع اللاحق متَّبعاً للسابق المهذَّب، فدين الله واحد، مهما اختلفت الأسماء، لأن مصدره واحد.

٢ – إن محور الشرائع السماوية كلِّها هو إخلاص العبوديَّة لله، والتَّوحيد هو العروة الوثقى الَّتى تربط بينها جميعاً، وتوحِّد سائر المؤمنين ضدَّ الجهل والكفر والإلحاد.

٣ – إن القرآن الكريم يوجِّه دعوةً للناس جميعاً إلى عقيدة واحدة، اتفق عليها كلُّ الرسل وجميع الأنبياء، وهى ألا يخضعوا إلا للإله الواحد الَّذى له وحده السلطة المطلقة فى التشريع وبيان الحلال والحرام، وبالتالى إلى رفض الوساطة البشرية، الَّتى تلعب دور الربوبيَّة ابتغاء السيطرة والتسلُّط.

٤ – اقتضت حكمته تعالى تعدُّد الشرائع والمناهج لهداية البشر، وذلك حسب تطوُّر العقل البشرى، وما رافقه من تطوُّر المتطلبات والاحتياجات من جهة، ومن أجل ابتلاء الناس، وامتحان مدى صدقهم معه تعالى، والتزامهم بتطبيق شرائعه من جهة أخرى.

٥- إن التمسُّك بالشرائع السماوية والتقيُّد بأحكامها، هو الَّذى يعطى الفكر البشرى الأهميَّة والمكانة الرفيعة، وليس لأحد لأن يستبدل هذه النفائس بحطام من الدنيا.

٦- إن دور الأمناء على الرسالات السماوية، هو أن يتابعوا التبليغ بعد الأنبياء والرسل الكرام، بصدق وإخلاص، ودون محاباة فى دين الله أو تحريف لتعاليمه.

قال الله تعالى: ﴿ الٓمٓ (١) ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ (٣) مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ (٤) ﴾ (آل عمران: ١ ـ ٤).

●إن قوام الشرائع السماوية، عقيدة التَّوحيد، والتسليم المطلق بأنَّ الله تعالى هو الإله الواحد الأحد، فلا ربَّ سواه، ولا يستحقُّ العبادة غيره، وهو الأزلى الباقى الَّذى لا يموت، والقائم وحده على شئون خلقه، به تقوم كلُّ حياة وبه يكون كلُّ وجود.

●الإسلام يلتقى مع ما سبقه من الشرائع ويصادق عليها، ويتمسَّك بمبادئها القومية وجوهرها الثمين، فكلُّها تحمل الهداية للناس وتفرِّق بين الحقِّ والباطل.

●إن مَن حُجب قلبه عن نور التَّوحيد، وفرَّق بين الرسالات السماوية، ودعوة أنبيائها؛ يستحقُّ الجزاء والعقاب على ضلاله وتعنُّته.

كما هو شأن البذرة فى الأرض، تنمو وتكبر بالرعاية والسقاية، إلى أن تصبح نبتة تورق وتزهر، ومن ثمَّ تثمر ثمرة يلذُّ للآكلين، فكذلك هو شأن بذرة الدِّين، بدأت فى طورها الأوَّل بالفطرة الَّتى غرسها الله تعالى فى قلب الإنسان عندما خلق آدم، ثمَّ راح يغذِّيها ويرويها شيئاً فشيئاً، بالتعاليم الواردة بالصحف والكتب، الَّتى أنزلها على أنبيائه ورسله، فراحت أمور الشريعة وما فيها من أوامر ونواهٍ، تتبلور وتتطوَّر من عصر إلى آخر، مع تطوُّر احتياجات الإنسان إليها، إلى أن أخذت شكلها النهائى فى الإسلام، الَّذى هو خاتم الشرائع، والمنزَّل على خاتم الأنبياء.

وهذه الآيات، كغيرها من الآيات الأخرى، تقرِّر عقيدة التَّوحيد ووحدة الدِّين، الَّذى تضمَّنته الكتب السماوية والمنزلة من عند الله تعالى. وهى تتلخَّص بالتسليم بوحدانية الله، والتوجُّه الخالص له وحده بالعبودية، والاستعانة به، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، ممَّا يقوِّم سلوك الإنسان، ويصحِّح مضمون عقيدته واتجاهه، فيدفع بذلك عن نفسه ما قد يعتريها من أوهام وتصوُّرات خاطئة تمسُّ عقيدته.

فالله جلَّ وعلا واحد لا شريك له، حى خالد، أزلى قديم، ليس له بداية وليس له نهاية، وجوده مطلق لا يحدُّه زمان ولا مكان، منزَّهٌ عن كلِّ ما لا يليق به، وليس كمثله شىء. وهو القيُّوم المهيمن على ما خلق فى الوجود من عوالم وخلائق وموجودات، قائم بتدبير أمورها، وتصريف شئونها على الوجه الَّذى ارتضاه لها. وهذه الحقيقة الناصعة الواضحة الَّتى أعلنها الإسلام؛ ومن قبله الشرائع السماوية كافَّة؛ كانت القول الفصل فى مسألة صحَّة وحتميَّة الاعتقاد بتفرُّد الله سبحانه بالإلوهيَّة، تعدُّد الآلهة أو تمثيلها بالأصنام.

ثم تشير الآيات إلى أنه تعالى هو الَّذى نزَّل الكتاب على محمَّد ﷺ، والتوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، عليهما السَّلام. فالجهة الَّتى تتنزَّل منها الكتب على الرسل واحدة، وقد جاء القرآن الكريم مصدِّقاً لما سبقه من الكتب المنزَّلة على الأنبياء، تلك الكتب الَّتى تستهدف غاية واحدة هى هداية الناس إلى الحقِّ والخير. وقد سارت رسالة الإسلام على نمط الرسالات السابقة من الهداية والإرشاد، وبما أن القرآن قد نزل بالحقِّ على رسول من البشر، فلا مبرِّر لتكذيب أهل الكتاب للرسالة الجديدة، وهى من جنس الرسالات السماوية الَّتى نزلت على رسل من البشر أيضاً، واشتركت جميعها بالتبشير بمحمَّد ﷺ، وبيَّنت ضرورة تصديقه والإيمان برسالته.

ولم تقتصر مهمة القرآن على الهداية فحسب، بل فرَّق بين الهدى والضلال أيضاً، وبيَّن الروح الحقَّة الَّتى كانت تهيمن على ما سبقه من الكتب والَّتى تتَّفق وتنسجم مع آياته، وتوعَّد بالعذاب الشديد أولئك الَّذين وقعوا تحت تأثير الأهواء والتيارات الفكرية المشوَّهة، فراحوا يفسِّرون الكتب السماوية، ويعلِّمونها للناس وفقاً لمصالحهم ورغباتهم، ولذلك سُمِّى بالفرقان.

والقرآن الكريم هو كتاب الله خالق الناس، الَّذى شرَّع لهم منهاج الحياة الفاضلة العملية والنظرية، لتلتقى معتقداتهم وشرائعهم وأخلاقهم على خطَّة سليمة ومنهج قويم. ولذلك تنطق الآية الأخيرة بالتهديد والوعيد لكلِّ من يُعرض عن آيات الله وشرائعه، ويَسْتَحِب التفرقة على الوحدة، بأنَّ له عذاباً شديداً، فالله عزيز ذو انتقام.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ (البقرة: ٦٢).

وقال أيضاً: ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ (البقرة: ١١١ ـ ١١٢).

● القاسم المشترك بين الشرائع السماوية كلّها، هو الدعوة إلى الإيمان الصادق بالله وباليوم الآخر وعمل الصالحات.

● يقرِّر الله تعالى فى هذه الآيات الكريمة أن كلَّ من التزم بالإيمان الصادق بالله وباليوم الآخر، وقرن إيمانه بالعمل الصالح الخيِّر وأحسن القول والعمل، فإن له الأجر والمكافأة، أماناً وطمأنينة وسعادة من ربِّ العالمين، وأنه ليس هناك ما يجعله يخاف أو يحزن، فهو فى حصن الله الحصين.

● على الرُّغم من انفتاحيَّة الإسلام، وإلزامه المسلمين بالإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين والكتب السماوية الَّتى سبقته دون استثناء، فقد تعصَّب بعض اليهود والنصارى بادِّعائهم حقَّ الدخول إلى الجنَّة دون غيرهم، والله تعالى يطالبهم فى هذه الآيات بإقامة الدليل على صحَّة هذا الادِّعاء، مع علمه بعجزهم عن ذلك.

يُجْمِلُ الله تعالى فى هذه الآيات صورة الصراع التاريخى بين أتباع العقائد، حيث أرسل سبحانه عبر العصور المتعاقبة، رسلاً وأنبياء يجدِّدون للناس أمور دينهم، بما يتناسب مع متطلبات زمانهم. وكانت فئة من المتعصِّبين تبرز دائماً فى مواجهة النبى الجديد أو الرسول، لترفض مبدأ التجديد، وتصرَّ على التحجُّر والتمسُّك بمعتقداتها، ناسبة الخير لأفكارها، ومُدَّعية انغلاق باب العطاء الإلهى فى وجه من سواها.

وقد كان تقرير المفاضلة بين الرسالات السماوية من قبل المتدينين أنفسهم، والاعتراف ببعضها وإنكار بعضها الآخر، يخلق صراعاً مريراً بين طوائفهم، وينسف جسور الاتصال ببنى أتباع الشرائع السماوية، ويغلق باب الحوار فيما بينهم، ويزرع العداوة والبغضاء، وهذا ما شهدناه حقّاً على مدار التاريخ، حيث ذهب كثير من الضحايا، وسفكت دماء بريئة باسم الدِّين. وقد كان يتوجَّب على أولئك المتدينين، أن يبذلوا قصارى جهدهم فى تمثيل دينهم ومعتقدهم أحسن تمثيل، وأن يعرضوه بشكل يرضى العقل والمنطق بعيداً عن التعصُّب والانفعال، ليوحِّد الناس ويجمعهم بدلاً من أن يتولَّد النزاع والتناحر بينهم.

ويريد الله تعالى من خلال هذه الآيات الكريمة، تهدئة مشاعر العصبيَّة بين المتدينين، الناشئة عن تطرُّف بعضهم فى التعصبُ لآرائهم ومعتقداتهم، ليلتفت الجميع إلى إشادة البناء السليم؛ الَّذى يمكن أن يسع أتباع الشرائع السماوية كلَّها، والَّذى يرتكز على الأركان الأساسية الَّتى تقوم عليها هذه الشرائع. **وأوَّل هذه الأركان** هو الإيمان بالله الواحد، إيماناً حقيقيّاً، تستسلم له ذرَّات وجودنا وخلايا تفكيرنا، فهو تعالى مقصودنا ورضاه مطلوبنا؛ فما من شىء يوحِّد بين قلوب الخلائق كالإيمان الربَّانى، الَّذى يسمو بها فوق الأهواء والتناحر والبغضاء.

والركن الثانى الَّذى يمكن أن يحقِّق هذا الترابط الإيمانى بين سائر المتدينين هو إيمانهم بالدار الآخرة، وأنهم مبعوثون للحساب والمقاضاة، فهم بذلك سيحسنون الاستعداد لذلك اليوم، الَّذى يوجب التزوُّد بالعمل الصالح، والإحسان إلى مخلوقات الله على اختلاف أجناسهم وألوانهم ومللهم؛ فالخير غير محصور فى فئة دون أخرى، ولا هو وَقْفٌ على جماعة دون جماعة، بل هو

حقٌّ مشاع لكلٍّ من دبَّ على الأرض، ويتَّسع ليشمل جميع الخلق، فللجميع حقُّ الحياة المقدَّس. وإذا أحببنا الله أحببنا مخلوقاته، وتركناهم ينعمون بحقِّهم فى الحياة الكريمة، وبذلك يتكامل بناء الهرم الإيمانى حتَّى إذا وصل إلى ذروته تُوِّج بالإيمان الكامل والتسليم المطلق بوحدانية الله عزَّ وجل، وقُدِّس بكلمة لا إله إلا الله، وعندها يتكامل الصرح السامق ليلامس السماء، ويمضى صُعُداً إلى الملكوت السماوى، حيث يجد العبد فى ظلِّ الله الحُبَّ والرضا، والسعادة السرمدية الَّتى لا تنتهى ولا تزول.

والركن الثالث هو العمل الصالح الَّذى يعنى القيام بكلِّ ما فيه خير للأمم، سواء فى بناء الأخلاق، ونشر الرحمة والمساعدة والعطاء، ونشر العلم والفضيلة، والثقافة والتعليم، أو فى البناء والإعمار، وإقامة السدود، والمحافظة على نظافة الأرض وبيئتها، والاستفادة من أجواء الفضاء ومن كلِّ ما سخَّره الله تعالى من أجل مصلحة الإنسان. ولا يمكن لهذه الأعمال أن تكون صالحة ومقبولة ومأجورة من قبل الله تعالى ما لم يكن التوجُّه بها خالصاً لمرضاته وإسعاد مخلوقاته، انطلاقاً من الإيمان الراسخ بالله عزَّ وجل.

وبالنتيجة فإن على الإنسان أن يقدِّم عملاً مثمراً وخيِّراً وبنَّاءً يبتغى به وجه الله، ثمَّ يترك القرار فى الحكم له أو عليه إلى الله عزَّ وجل، فهو الحكم العدل، الَّذى يقرِّر من له الحقُّ فى أن يدخل فسيح جنانه ويستقرَّ فى ملكوته الأعلى. عندها يسود الأمن والاطمئنان فى المجتمع الإنسانى كلِّه، فلا خوف ولا حزن ولا قلق، بل مجتمع متآزر متآخ، سعيد فى الحياة الدنيا والآخرة؛ حيث ينال كلٌّ ثواب عمله ولا يُنتقص منه شىء.

إن المانع الأساسى من التقاء أتباع الشرائع الَّتى أنزلها الله تعالى هو التعصُّب بالدرجة الأولى، ثمَّ التشويه الَّذى صنعه المغرضون فى تلك الشرائع. لقد افترى الأفَّاكون أعداداً هائلة من الأحاديث المكذوبة، المفتراة على لسان رسول الله محمَّد ﷺ وهو منها براء، فانبرى العلماء العاملون لتلك الأحاديث الَّتى قصد مُشِيعُوها تشويه الإسلام، ففنَّدوها وعَرَّوا أصحابها، واستبعدوا كلَّ دخيل مكذوب، فبقيت تعاليم الإسلام على صفائها ونقائها بحفظ مَصْدرَيْها الأساسيين الكتاب والسنَّة، ولو أن الأمر ذاته حدث فى الرسالات الأخرى والشرائع السابقة وزال التعصُّب، لالتقى أتباعها جميعاً مع شرع الله الخالد واجتمعوا على كلمة سواء.



المسلمون الأولون

إسلام أبى بكر

وكان أبو بكر بن أبى قحافة التَّيْمى صديقاً حميماً لمحمد ﷺ، يستريح إليه ويعرف فيه النزاهة والأمانة والصدق. لذلك كان هو أول من دعاه إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأوثان، وأول من أفضى إليه بما رأى وبما أوحى إليه، ولم يتردد أبو بكر فى إجابة محمد ﷺ إلى دعوته وفى الإيمان بها، وأى نفس تنشرح للحق تتردد فى ترك عبادة الأوثان لعبادة الله وحده؟ وأى نفس فيها شىء من السمو ترضى عن عبادة الله عبادة حجر أيًّا كانت صورته؟. وأى نفس تقية تتردد فى طهر الثياب وطهر النفس وإعطاء السائل والبرّ باليتيم؟ وأسلم أبو بكر ﷺ وأظهر إسلامه، وأذاع بين أصحابه إيمانه بالله وبرسوله. وكانت له منزلة فى قريش، لعقله ومروئته واعتداله. وكان رجلاً وسيماً مَألَفاً لقومه مُحبَّباً سهلاً، وكان أنسبَ قريش لقريش وأعلم قريش بأنسابها وأخبارها وبما كان فيها من خير وشر. وكان تاجراً ذا خُلق ومعروف، وكان رجال قومه يألفونه لغير واحد من الأمر، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته.

وجعل أبو بكر يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه، ممن يغشاه ويجلس إليه[1]، فتابعه على الإسلام عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عُبيد الله وسَعْد بن أبى وقّاص، والزُّبير بن العوام، ثم أسلم من بعد ذلك أبو عبيدة بن الجرّاح وكثيرون غيره من أهل مكة.

---

(١) سيرة ابن هشام: ١/٢٤٩- ٢٥٠. [انظر ما جاء فى إسلام على وأبى بكر رضى الله عنهما فى (صحيح السيرة النبوية)، الفصل الثانى من البعثة النبوية ، والحديث رقم: ٦١- ٦٧]

وكان أحدهم إذا أسلم ذهب إلى النبى فأعلن إليه إسلامه وتلقّى عنه تعاليمه وكان المسلمون الأولون يستخفون لعلمهم بما تضمر قريش من عداوة لكل خارج على أوثانها، فكانوا إذا أرادوا الصلاة انطلقوا إلى شعاب مكة وصلّوا فيها. وظلّوا على ذلك ثلاث سنوات ازداد الإسلام فيها انتشاراً بين أهل مكة، ونزل على محمد ﷺ فيها من الوحى ما زاد المسلمين إيماناً وتثبيتاً.

وكان مَثَل محمد ﷺ خير ما يزيد الدعوة انتشاراً: كان بَرًّا رحيماً. جَمَّ التواضع.

❁❁❁

إسلام عمر بن الخطاب

وكان عمر بن الخطاب يومئذٍ رجلاً فى فتوَّة الرجولة، بين الثلاثين والخامسة والثلاثين. وكان مفتول العضل، قوى الشكيمة، حاد الطبع، سريع الغضب محبًّا للّهو والخمر، وفيه إلى ذلك برٌّ بأهله ورقّة لهم. وكان من أشدّ قريش أذى للمسلمين ووقيعة فيهم. فلما رآهم هاجروا إلى الحبشة ورأى النجاشى حماهم، شعرَ لفراقهم بوحشة، وبما لفراقهم وطنهم من ألم يحزّ فى الكبد ويَفْرِى المهجة. وكان محمد ﷺ يوماً مجتمعاً مع أصحابه الذين لم يهاجروا فى بيت عند الصفا، ومن بينهم عمّه حمزة وابن عمه على بن أبى طالب وأبو بكر بن أبى قُحافة وغيرهم من سائر المسلمين. وعرف عمر اجتماعهم، فقصد إليهم يريد أن يقتل محمداً ﷺ كى تستريح قريش وتعود إليها وحدتُها بعد أن فرَّق أمرَها وسفَّه أحلامها وعاب آلهتها، وكانت فاطمة أخت عمر وزوجها سعيد بن زيد قد أسلما. فلما عرف عمر من نُعَيْم أمْرهما كرّ راجعاً إليهما ودخل البيت عليهما، فإذا عندهما من يقرأ عليهما القرآن. فلما أحسّوا دنوّ داخل عليهم اختفى القارئ وأخفت فاطمة الصحيفة وسأل عمر: ما هذه

الهيْنمة التى سمعتُ؟ فلما أنكرا صاح بهما: لقد علمتُ أنكما تابعتما محمداً ﷺ على دينه، وبطش بسعيد. فقامت فاطمة تحمى زوجها فضربها فشجّها. فهاج إذ ذاك هائج الزوجين وصاحا به: نعمْ أسلمنا، فاقضِ ما أنت قاضٍ. واضطرب عمر حين رأى ما بأخته من الدم، وغلبه برُّه وعطفه، وسأل أخته أن تعطيه الصحيفة التى كانوا يقرءون. فلما قرأها تغيَّر وجهه وأحس الندم على صنيعه، ثم اهتزَّ لما قرأ فى الصحيفة وأخذه إعجازها وجلالها وسموّ الدعوة التى تدعو إليه، فزاد جانبُ البرّ غلبة عليه. وخرج وقد لان قلبه واطمأنت نفسه؛ فقصد إلى مجلس محمد ﷺ وأصحابه عند الصفا. فاستأذن وأعلن إسلامه، فوجد المسلمون فيه وفى حمزة للإسلام منعَةً وللمسلمين حمًى.

إسلام حمزة

وقد كان من جلال موقف محمد ﷺ ومن اتبعه أن ازداد بنو هاشم وبنو المطّلب منعاً له ودفعاً للأذى عنه. مرَّ أبو جهل بمحمدٍ يوماً فآذاه وشتمه ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتوهين من أمره، فأعرض محمد ﷺ عنه وانصرف ولم يكلّمه. وكان حمزة عمه وأخوه من الرضاعة، لا يزال على دين قريش، وكان رجلاً قويًّا مخوفاً. وكان ذا ولع بالصيد، فإذا رجع من صيده طاف بالكعبة قبل أن يعود إلى داره. فلما جاء فى ذلك اليوم وعلم بما أصاب ابن أخيه من أذى أبى جهل ملأه الغضب، وذهب إلى الكعبة ولم يقف مسلماً على أحد ممن كان عندها كعادته، ودخل المسجد فألفى أبا جهل فقصد إليه، حتى إذا بلغه رفع القوس فضربه بها فشجَّه شجة منكرة. وأراد رجال من بنى مخزوم أن ينصروا أبا جهل فمنعهم حسماً للشر ومخافة استفحاله معترفاً أنه سبَّ محمداً ﷺ سبًّا قبيحاً، ثم أعلن حمزة إسلامه، وعاهد محمداً على نصرته والتضحية فى سبيل الله حتى النهاية.

إسلام عبد الله بن سلام

كان حبراً عالماً من كبار أحبارهم وعلمائهم، هو عبد الله بن سَلاَم، لم يلبث حين اتصل بالنبى ﷺ أن أسلم وأمر أهل بيته فأسلموا معه. وخشى عبد الله أن يقول اليهود فيه إذا علموا بإسلامه، غير ما اعتادوه. فطلب إلى النبى ﷺ أن يسألهم عنه: ما شأنُه؟ قبل أن يعرف أحد منهم إسلامه. قالوا: سيدنا وابن سيدنا وحبّرنا وعالمنا. فلما خرج عبد الله إليهم وتبيّنوا ما صنع ودعاهم هو إلى الإسلام، خافوا عاقبة أمره، فوقعوا فيه وأذاعوا عنه قالة السوء فى أحياء اليهود كلها؛ وأجمعوا أمرهم على أن يكيدوا لمحمد ﷺ ويُنْكروا نبوّته. وما كان أسرع أن اجتمع إليهم من بقى على الشرك من الأوس والخزرج ومن أسلم منهم نفاقاً، جرياً وراء مغنم أو إرضاء لذى عُصْبة وبأس.

الهجرة إلى الحبشة

وزاد ما ينزل بالمسلمين من الأذى، وبلغ منهم القتل والتعذيب والتمثيل، هنالك أشار عليهم محمد ﷺ أن يتفرّقوا فى الأرض. فلما سألوه أين نذهب؟ نصح إليهم أن يذهبوا إلى بلاد الحبشة المسيحيَّة ((**فإن بها مَلكاً لا يُظْلَم عنده أحد، وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه**)). فخرج فريق من المسلمين عند ذلك إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم. وخرجوا فى هجرتين؛ كانوا فى الأولى أحد عشر رجلاً وأربع نساء تسللوا من مكة لواذاً، ثم أقاموا فى خير جوار من النجاشى، حتى ترامى إليهم أن المسلمين بمكة أصبحوا بمأمن من أذى قريش فعادوا، فلما لقَوْا عَنَتَ قريش وأذاهم أبلغ مما كان عادوا إلى الحبشة فى ثمانين رجلاً غير نسائهم، وأطفالهم، وأقاموا بها إلى ما بعد هجرة النبى إلى يَثْرِب. وهذه الهجرة إلى الحبشة كانت أوّل هجرة فى الإسلام.

❁❁❁

وفاة خديجة (رَضِي الله عَنْهَا)

وبعد خروجه عليه الصلاة والسلام من الشِّعب بقليل، وقبل الهجرة بثلاث سنين توفيت خديجة بنت خويلد زوجه رضى الله عنها، كان عليه الصلاة والسلام كثيراً ما يذكرها ويترحم عليها، ولا غرابة، فهى أول نفس زكية صدَّقت رسولَ الله فيما جاء به عن ربِّه، وقد جاء منها بأولاده كلهم ما عدا إبراهيم(1). فمنها: زينب وهى أكبر بناته تزوجها فى الجاهلية أبو العاص بن الربيع، وأعقب منها أمامة التى تزوجها على بن أبى طالب بعد وفاة فاطمة، ومنها رقيّة، وأُم كلثوم تزوجهما عثمان. الأولى بمكة قبل الهجرة وهاجر بها إلى الحبشة، والثانية بالمدينة بعد أنْ ماتت أختها، ومنها فاطمة وهى أصغر بناته تزوجها على بن أبى طالب، وقد جاءت خديجة بأولاد توفّوا صغاراً، ولم يعش بعد رسول الله من أولاده إلاّ فاطمة عاشت بعده قليلاً. ولما توفيت خديجة حزن عليها رسول الله ﷺ حزناً شديداً لما كانت عليه من الرقة لرسول الله، ومحاجزة الكفار عنه، لِما لها من الجاه فى عشيرتها بنى أسد، ومنها: القاسم، وكان به يكنى رسول الله ﷺ، وعبدُالله الملقب بالطيب والطاهر.

---

(١) إبراهيم ابن رسول الله ﷺ وأمه مارية القبطية وسنة ثمان من الهجرة بالمدينة المنورة وكان عمره. والذى قال ﷺ حينئذٍ ((إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا)). (ابن القيم، زاد المعاد، ١٠٣/١)

معجزة الإسراء والمعراج

قال الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ (الإسراء: ١).

وقال أيضاً: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ (النجم: ١ ـ ١٨).

•أعظم معجزة جاء بها محمَّد ﷺ هى القرآن الكريم؛ المعجزة الخالدة الَّتى لا يفنى أثرها، ولا ينقضى إعجازها، المعجزة الأم الَّتى كانت المعجزات الأخرى تابعة لها، ومنطوية تحت جناحها، وقد حوت معجزة القرآن فيما حوت بين ثناياها معجزة الإسراء والمعراج.

•لقد أكرم الله نبيَّه ﷺ برحلة لم يسبق لبشر أن قام بها، وقد كانت انطلاقتها من المسجد الحرام فى مكَّة المكرمة، وأوَّل محطَّة لها فى المسجد الأقصى ببيت المقدس، بينما كانت آخر محطَّاتها سدرة المنتهى فوق السموات السبع وتحت العرش.

•عُرج بالنبى عليه السَّلام إلى عوالم السماء حيث شاهد ما لا يمكن لبشر أن يراه إلا عن طريق العون الإلهى.

•منح الله تعالى النبى ﷺ فى هذه الرحلة عطاءً روحياً عظيماً، تثبيتاً لفؤاده، ليتمكن من إتمام مسيرته فى دعوة الناس، وإنقاذ المجتمع من أوهام الخرافة والضلال.

•إن القدرة الإلهيَّة الَّتى خلقت هذا الكون الكبير، لن تعجز عن حمل بشر إلى عالم السماء، وإعادته إلى الأرض، فى رحلة ربَّانية معجزة لا يدرى كيفيَّتها بشر.

الإسراء آية من آيات الله تعالى الَّتى لا تعدُّ ولا تحصى، وهو انتقال عجيب بالقياس إلى مألوف البشر، ولهذا فقد أثير حوله جدل طويل وتساؤلات كثيرة، فيما إذا كان قد تمَّ بالروح والجسد، أم بالروح فقط؟. والمتفق عليه لدى جمهور العلماء أنه تمَّ بالروح والجسد معاً، لأنه لو كان بالروح فقط لما أحدث خلافاً، إذ أننا نسرى بأرواحنا كلَّ ليلة عند نومنا. ومع ذلك فإن الَّذين يدركون شيئاً من طبيعة القدرة الإلهيَّة، لا يستغربون واقعة كهذه، لأن تلك القدرة إرادة نافذة، تهون أمامها جميع الأعمال الَّتى تبدو فى نظر الإنسان صعبة أو مستحيلة، حسبما اعتاده ورآه، وانطلاقاً من قدراته وطاقاته المحدودة. ولو كان الأمر موافقاً لهذه القدرات، لما كان فيه معجزة تشهد لصاحبها بصدقه فيما جاء به، فالنُّقلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، والوصول إليه فى سرعة تتجاوز الخيال ليست أغرب من الاتصال بالملأ الأعلى وتلقِّى القرآن والرسالة عنه، وقد صدق أبو بكر ﷺ وهو يردُّ المسألة المستغرَبة عند القوم إلى بساطتها وطبيعتها فيقول: ((إنى لأصدِّقه بأبعد من ذلك، أصدِّقه بخبر السماء)). وقد جزم جمهور علماء المسلمين على أن الإسراء كان بالروح والجسد يقظة لا مناماً، معتمدين على أدلَّة كثيرة منها:

١ – إن التسبيح والتعجُّب فى قوله تعالى :﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ إنما يكون فى الأمور العظام، ولو كان ذلك مناماً لذكره الله تعالى ((كما ذكره عن إبراهيم وولده إسماعيل فى قصَّة الذبح المعروفة)) ولَمَا كان له كبير شان، ولما كان دليلاً على نبوَّة محمَّد ﷺ، ولا حجَّة له على صدقه فى رسالته.

٢ – إن قوله تعالى :﴿ بِعَبْدِهِۦ ﴾ يدلُّ على مجموع الروح والجسد.

٣ – إن عملية الإسراء بهذه السرعة ممكنة فى نفسها، بدليل أن الرياح كانت تسير بسليمان عليه السلام إلى المواضع البعيدة فى الأوقات القليلة، قال تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَـٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ (الأنبياء : ٨١).

والسؤال الَّذى يطرح نفسه: لماذا كان الإسراء إلى المسجد الأقصى بالذات؟، ولماذا رُفع السيِّد المسيح من المسجد الأقصى بالذات؟، هل يمكن أن تكون هناك قاعدة فضاء سماوية مهيَّأة لرفع الأنبياء جسداً وروحاً فى بيت المقدس؟؛ ويأتينا الجواب من قِبَل ربَّ العالمين فى قوله سبحانه: ﴿ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ أى أحطناه ببركات الدِّين والدنيا لأنه مهبط الوحى والملائكة، ومحراب الأنبياء ومكان عروجهم إلى عالم السماء.

أمَّا المعراج فهو الارتفاع والارتقاء من عالم الأرض إلى عالم السماء، وقد حدثت هاتان الرحلتان، الرحلة الأرضية ((الإسراء)) والرحلة السماوية ((المعراج)) فى ليلة واحدة قبل الهجرة بسنة، ليمحِّص الله المؤمنين، وليميِّز من كان صادق الإيمان فيكون خليقاً بصحبة رسوله الأعظم إلى دار الهجرة، وجديراً بما يحتمله من أعباء وتكاليف. وقد أطْلَعَ الله سبحانه وتعالى رسوله فى هذه الليلة على آيات كونيَّة تنطق بما فى الكون من العظمة والجلال، ليكون ذلك درساً

عملياً يتعلَّم فيه الرسول بالمشاهدة والنظر، لأنه أجدى أنواع التعليم وأشدُّها رسوخاً، ولقد كفل له ربُّه ذلك بما أراه من آياته الكبرى، وما أطلعه عليه من مشاهد تلك العوالم الَّتى لا تصل أذهاننا إلى إدراك كنهها إلا بضرب من التخيُّل، فأنَّى لنا أن نصل إلى ذلك وقد حبس عنَّا الكثير من العلم، وما أوتينا منه إلا قليلاً، قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ (الإسراء: ٨٥). ولا يخفى أن هذا ليس بخلاً من الله عزَّ وجل، فهو سبحانه لا يبخل على عباده، بل أعطى كلَّ نوع من مخلوقاته علوماً تتوافق مع استعداده وفطرته ومهمَّته فى هذا الكون. إن روحانية الأنبياء تتغلَّب على كثافة أجسامهم، فما يخيَّل إلينا أنه مانع من الوصول إلى عالم الملأ الأعلى، لتخلخل الهواء ثمَّ انعدامه، واستحالة الوصول إلى الطبقات العليا من السماء، ما هو إلا بالنظر إلى الأجرام والأجسام المشاهدة فى عالم الحسِّ والقوانين الَّتى تحكمها، أمَّا الأنبياء والملائكة فإن لروحانيتهم أحكاماً أخرى لم يصل العقل البشرى إلى تحديدها وإبداء الرأى فيها. ولا يخفى على كلِّ ذى بصيرة آمن بالله عزَّ وجل أنَّ الله تعالى واضع نظام هذا الكون وقوانينه، وأن من وضع قوانين التنفُّس والجاذبية والحركة والانتقال والسرعة وغير ذلك، قادر على استبدالها بغيرها عندما يريد ذلك، وإن الإسراء بالرسول ﷺ ثمَّ العروج به إلى السموات العلى لا يخرج عن هذه الحقيقة.

وقد أطْلَعَ الله تعالى نبيَّه الكريم على أصناف من الناس يواجهون عواقب ما عملوا فى الدنيا، ليكون فى ذلك موعظة لمن يبلِّغهم الرسالة، فقد أخرج أحمد وأبو داود أن رسول الله ﷺ قال: ((**لمَّا عُرج بى مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون فى وجوههم وصدروهم، فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الَّذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم**)). ((أى يغتابونهم)).

وأخرج ابن مردويه أن النبى ﷺ قال: **((ليلة أسرى بى مررت بناس تُقْرَض شفاههم بمقارض من نار، كلَّما قُرضت عادت كما كانت. فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء أمَّتك الَّذين يقولون ما لا يفعلون))**. وأخرج ابن مردويه أن رسول الله ﷺ قال: **((ليلة أسرى بى رأيت رجلاً يَسْبَحُ فى نهر يُلقَم الحجارة فسألت: من هذا؟ فقيل لى: هذا آكل الربا))**.

والغاية من الإسراء والمعراج أن يرى الرسول ﷺ آيات ربِّه، الَّتى ما شُرِّف برؤيتها أحد من الأولين أو الآخرين، حيث إنَّ المعراج لم يكن إلى مكان بعينه دون سواه، فإنه تعالى لا يحدُّه مكان ولا يقيِّده زمان. ونظراً لإنكار المنكرين لهذه الحادثة، فإن الله تعالى يؤكِّدها فى سورة النجم، وبأسلوب مثير، يؤكِّد صدق محمَّد ﷺ، ويدلُّ على أنها حقيقة واقعة قد تَّمت بالروح والجسد معاً، قطعاً لكلِّ شكٍّ، ووأداً لكلِّ فتنة. ويُقسم سبحانه بالنجم حين يهوى، ولو قُدِّر لنا أن نرى نجماً مضيئاً، يهوى من أعالى السماء بسرعة عجيبة رهيبة، ثمَّ يزول ويتلاشى، لتملَّكنا الرعب من هول المنظر، والدهشة من قدرة الواحد الأحد، ولأُلجمَتْ أفواهنا من هول ما نرى، وهذا ما يحدث فى الكون فعلاً بقدرة الله تعالى، ولهذا يُقسم تعالى بهذه الظاهرة الحقيقية، بياناً لعظمة ما يأتى بعد القسم فيقول: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣﴾ (النجم: ١-٣). أى أن ما يقوله الرسول ﷺعن الإسراء والمعراج صحيح تماماً، لأنه كان على أفضل حال من الإدراك والوعى، عندما عُرج به إلى السماء العليا لمناجاة ربِّ العالمين، ولمشاهدة عوالم الآخرة من جحيم ونعيم. وفى هذا القَسَم إشارة إلى أن هناك عوالم وأجراماً علوية يجب علينا أن نتعرَّف أمرها لنستدل على عظيم قدرة مبدعها وروعة صنعه. وقد أثبت العلم الحديث ما يدعو إلى العجب من أحوال هذه الأجرام وسرعة سيرها وكبر حجمها،

وأسباب اندثارها وتلاشيها. وجواب القسم فيه تبرئة للرسول ﷺ ممَّا نُسب إليه من اتِّهامات باطلة، بأنه شاعر أو كاهن أو مجنون، وتأكيد لحقيقة أنه لا ينطق عن الهوى، بل هو وحى يوحى إليه من الله تعالى. وأمْرُ الوحى أمر واضح مشهود، ورؤية محقَّقة، ويقين جازم، وعلى هذا اليقين تقوم دعوته الَّتى ينكرونها عليه ويكذِّبونه، ويشكُّون فى صدق الوحى إليه، وهو صاحبهم الَّذى خبروه، وربُّه يصدِّقه ويقسم على صدقه، ويقصُّ عليهم كيف أوحى إليه، وفى أى الظروف، وعلى يد مَن، وكيف لاقاه، وأين رآه!

بينما رأى ﷺ ملكوت السماء وسدرة المنتهى، والبيت المعمور والجنَّة والنار، وجبريل وغير ذلك رؤية حقيقية: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾، وإنَّ دنوَّه ﷺ من ربِّه ليس دنوَّ مكان ولا قريب مدى، إنما هو إظهار لعظيم منزلته، وتشريف لرتبته وإشراق لأنوار معرفته، ومشاهدة لأسرار غيبه وقدرته، وتفضُّل من الله عليه وإيناس له وإكرام.

أمَّا عن أحداث تلك الليلة، فقد جاء فى الحديث الشريف، أن الرسول ﷺ صلَّى فيها إماماً بالأنبياء، وهذا يرشد إلى أنه جاء بشريعة ختمت الشرائع السالفة كلَّها، وأقرَّتها واستكملتها، وفى هذا مغزى جدير بالتأمُّل والتفكُّر، وهو أن جميع الأنبياء على وفاق ووئام، أتوا لتبليغ عباد الله الدِّين الحقَّ، وشريعة ربِّهم الَّذى أرسلهم، ممَّا يستوجب على متَّبعيهم أن يقتفوا سُنَّة رسلهم، وأن يجعلوا أمرهم سَلَماً بينهم، وأن يجعلوا الشريعة الأخيرة والقانون الَّذى جاءت به، الشريعة الَّتى يُقضى بها بين الناس، كما هو المتَّبع فى القوانين الوضعية، فإن الَّذى يجب العمل به هو القانون الأحدث. وبهذا تكون الرحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، رحلة مختارة من اللطيف الخبير، لتربط

بين شرائع التوحيد الكبرى من لدن إبراهيم وإسماعيل عليهما السَّلام إلى محمَّد خاتم النبيين ﷺ، وتربط بين الأماكن المقدَّسة برسالات التوحيد جميعاً، وهذا ما أكَّده كتاب الله تعالى وأحاديث رسوله المصطفى ﷺ؛ قال الله تعـالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾ (الشورى: ١٣). وقد أكَّد النبى ﷺ هذا المعنى فى أحاديث كثيرة ومنها ما أخرجه الترمذى وحسَّنه، والطبرانى وابن ماجه، قول رسول الله ﷺ: ((**لقيت إبراهيم ليلة أسرى بى فقال: يا محمَّد! أقرئ أمَّتك منى السَّلام، وأخبرهم أن الجنَّة طيِّبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوَّة إلا بالله**)). ((قيعان: أى لاغراس فيها)). وأخرج البزار وأبو يعلى وابن جرير وابن مردويه والبيهقى: ((أن النبى ﷺ فى الإسراء لقى أرواح الأنبياء عليهم السَّلام فأثنَوْا على ربِّهم فقال ﷺ: **كلُّكم أثنى على ربِّه، وإنى مُثن على ربِّى فقال: الحمد لله الَّذى أرسلنى رحمة للعالمين، والناس كافَّة بشيراً ونذيراً، وأنزل على الفرقان فيه تبيان لكلِّ شىء**)).

الهِجْـرَة إلى المَدِينَةِ

بدء إسلام الأنصار:

وخرج رسولُ الله ﷺ فى الموسم، فبينما هو عند العقبة، إذ لقى رهطاً من الخزرج من الأنصار، فدعاهم إلى الله عزَّ وجل، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن.

وكانوا جيران اليهود فى المدينة، وكانوا يسمعونهم يخبرون بنبى قد أظلَّ قرب ودنا، فقال بعضهم لبعض: يا قوم! تعلمون والله أنه النبى الذى توعَّدكم به اليهود، فلا يسبقُنَّكم إليه، فأجابوه، وصدَّقوه، وقالوا: إنا قد تركنا قومنا، ولا قومَ بينهم من العدواة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم، فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليه، فلا رجلَ أعزُّ منك.

وانصرفوا راجعين إلى بلادهم، وقد آمنوا، وصدَّقوا، فلما قَدِموا المدينة ذكروا لإخوانهم رسول الله ﷺ، ودعوهم إلى الإسلام، حتى فشا فيهم، فلم تبقَ دارٌ من دورِ الأنصار إلا وفيها ذكرٌ من رسولِ الله ﷺ.

بيعة العقبة الأولى:

حتى إذا كان العام المقبلُ، وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً، فلقوه بالعقبة الأولى، فبايعوا رسولَ الله ﷺ على التوحيد، والتعفُّفِ من السرقة والزنا، وقتل الأولاد، والطاعة فى المعروف.

فلما همَّ القومُ بالانصراف بعثَ رسولُ الله ﷺ معهم مُصعب بن عُمير، وأمره أن يقرِئهم القرآنَ، ويعلِّمهم الإسلام، ويفقههم فى الدين، فكان يسمى ((المقرئ)) بالمدينة، ونزل على أسعد بن زرارة، وكان يصلِّى بهم.

سبب تهيؤ الأنصار للإسلام:

وكان من صنع الله تعالى لرسوله ﷺ وللإسلام أنْ هيَّأ الله الأوس والخزرج - وهما قبيلتان عربيتان عظيمتان فى مدينة يثرب - لتقدِّرا هذه النعمة، التى لا نعمة أعظمَ منها، وتسبقا أهل عصرهما، وأبناء الجزيرة، إلى الترحيب بالإسلام، والدخول فيه، حين تنكَّرت له قبائل العرب، وفى مقدِّمتها وعلى رأسها قريشٌ: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ (البقرة: ٢١٣).

وقد ساعدت على ذلك عدَّةُ عوامل، هى من خلق الله تعالى وتيسيره وصنعه، كانت فارقة بين قريش وأهل مكة، وقبائل يثرب العربية، منها ما طبعها الله عليه من الرقة واللين، وعدم المغالاة فى الكبرياء وجحود الحق، وذلك يرجع إلى الخصائص الدموية والسلالية التى أشار إليها رسول الله ﷺ حين وفدَ وفدٌ من اليمن، بقوله: ((أتاكم أَهْلُ اليَمَنِ، أَرَقُّ أفئدةً وَأَلْيَنُ قلوباً))، وهما ترجعان فى أصلهما إلى اليمن، نزح أجدادهما منها فى الزمن القديم، يقول القرآن مادحاً لهم: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر: ٩).

ومنها أنهما قد أنهكتهما الحروب الداخلية، وما يومُ بُعاثَ ببعيد، وقد اكتووا بنارها، وذاقوا مرارتها، وعافوها، ونشأت فيهم رغبة فى اجتماع الكلمة، وانتظام الشمل، والتفادى من الحروب، وذلك ما عبَّروا عنه بقولهم: ((إنَّا قد تركنا قومنا، ولا قومَ بينهم من العدواة والشرِّ ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فلا رجلَ أعزُّ منك))، قالت عائشة رضى الله عنها: ((كان يومُ بعاث يوماً قدّمه الله تعالى لرسوله)).

ومنها أنَّ قريشاً، وسائرَ العرب قد طال عهدُهم بالنبوَّات والأنبياء، وأصبحوا يجهلون معانيها بطول العهد، وبحكم الأميَّةِ والإمعان فى الوثنية، والبعد عن الأمم التى تنتسبُ إلى الأنبياء، وتحمل الكتب السماوية - على ما دخل فيها من التحريف والعبث - وذلك ما يشير إليه القرآن بقوله: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ (يس: ٦).

أما الأوس والخزرج فكانوا يسمعون اليهود يتحدَّثون عن النبوة والأنبياء، ويتلون صحف التوراة ويفسرونها، بل كانوا يتوعدونهم به، ويقولون: إنه سيُبعثُ نبى فى آخر الزمان، نقتلكم معه قتل عادٍ وإرم، فى ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة: ٨٩).

وبذلك لم تكن بين أبناء الأوس والخزرج وسكان المدينة من العرب المشركين تلك الفجوة العميقة الواسعة من الجهل والنفور من المفاهيم الدينية، والسنن الإلهية، التى كانت بينها وبين أهل مكة وجيرانهم من العرب، بل قد عرفوها وألفوها عن طريق اليهود وأهل الكتاب، الذين كانوا يختلطون بهم بحكم البلد والجوار والصلح والحرب والمحالفات، فلما تعرفوا برسول الله ﷺ، وقد حضروا الموسم، ودعاهم إلى الإسلام، ارتفعت الغشاوة عن عيونهم، وكأنَّهم كانوا من هذه الدعوة على ميعاد.

انتشار الإسلام فى المدينة:

وجعل الإسلام يفشو فى منازل الأنصار - الأوس والخزرج - وأسلم سعدُ ابن معاذ، وأسيدُ بن حُضير، وهما سيدا قومهما، من بنى عبدِ الأشهل من

الأوس، بحكمة من أسلم قبلهما، وتلطفهم، وبحسن دعوة مصعب بن عمير رضى الله عنه، وأسلم بنو عبد الأشهل عن آخرهم، ولم تبق دارٌ من دور الأنصار إلا وفيها رجالٌ ونساءٌ مسلمون.

بيعة العقبة الثانية:

ورجع مصعب بن عمير إلى مكة فى العام القابل، وخرج عدد من المسلمين من الأنصار مع حُجاج قومهم من أهل الشرك، حتى قدموا مكة، فواعدوا رسولَ الله ﷺ العقبة، فلمَّا فرغوا من الحجِّ، ومضى ثلث الليل، اجتمعوا فى الشِّعْبِ عند العقبة، وهم ثلاثة وسبعون رجلاً، وامرأتان من النساء، وجاء رسولُ الله ﷺ ومعه عمُّه العباس بن عبد المطلب، وهو يؤمئذٍ على دين قومه.

وتكلَّم رسولُ الله ﷺ وتلا القرآن، ودعا إلى الله، ورغَّبَ فى الإسلام ثم قال: **((أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءَكم وأبناءَكم))** فبايعوه، واستوثقوا منه ألا يدعهم، ويرجعَ إلى قومه إذا أظهره الله، فوعدهم بذلك رسولُ الله ﷺ فقال: **((أنا منكم وأنتم منى، أحاربُ من حاربتم، وأسالِمُ من سالمتم))**.

واختار رسول الله ﷺ منهم اثنى عشر نقيباً: تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس.

إذن الرسول ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة:

ولما بايع رسول الله ﷺ هذا الحى من الأنصار على الإسلام، والنصرة له، ولمن اتبعه، فأوى إليهم عدد من المسلمين، أمر رسولُ الله ﷺ أصحابه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة، والهجرة إليها، واللحوق بإخوانهم من الأنصار، وقال: **((إنَّ اللهَ عزَّ وجلّ قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها))**، فخرجوا أرسالاً.

وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظرُ الإذن من الله فى الخروج من مكة، والهجرة إلى المدينة.

ولم تكن هجرةُ المسلمين من مكة هيّنةً سهلةً، تسمعُ بها قريش، وتطيب بها نفساً، بل كانوا يضعون العراقيل فى سبيل الانتقال من مكة إلى المدينة، ويمتحنون المهاجرين بأنواعٍ من المحن، وكان المهاجرونَ لا يعدلون عن هذه الفكرة، ولا يؤثرون البقاء فى مكة، مهما دفعوا من قيمة، فمنهم من كان يضطر إلى أن يترك امرأتَه وابنه فى مكة، ويسافر وحده، كما فعل أبو سلمة رضى الله عنه، ومنهم مَنْ كان يضطر إلى أن يتنازل عن كلِّ ما كسبه فى حياته، وجمعَه من مالٍ، كما فعل صهيب رضى الله عنه.

تآمر قريش على رسول الله ﷺ التآمر الأخير، وخيبتهم فيما أرادوا:

ولما رأت قريش أنَّ رسولَ الله ﷺ قد صار له أصحاب وأنصار فى المدينة، ولا سلطانَ لهم عليها، تخوَّفوا من خروج رسول الله ﷺ إلى المدينة، وعرفوا أنه إذا كان ذلك، فلا حيلةَ لهم فيه، ولا سبيل لهم عليه، فاجتمعوا فى ((دار الندوة)) وهى دار قصى بن كلاب - وكانت قريشٌ لا تقضى أمراً إلا فيها - يتشاورون فيها ما يصنعون فى أمر رسول الله ﷺ، واجتمع فيها أشرافُ قريش.

واجتمع رأيهم أخيراً على أن يؤخذ من كل قبيلةٍ فتًى شابٌ صاحب جلادة ونسب، فيهاجموا رسول الله ﷺ، ويضربوه ضربةَ رجلٍ واحدٍ، وبذلك يتفرق دمه فى القبائل جميعاً، فلن يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً، وتفرق القومُ على ذلك، وهم مجمعون له.

وأخبر الله رسولَه ﷺ بهذه المؤامرة، فأمر عليَّ بن أبى طالب أن ينام على فراشه، متسجَّياً ببردته، وقال: **((لن يخلص إليك شىءٌ تكرهه))**.

واجتمع القوم على بابه، وهم متهيئون للوثوب، وخرجَ رسولُ الله ﷺ، وأخذ حفنةً من ترابٍ في يدهِ، وأخذ اللهُ تعالى على أبصارهم عنه فلا يرونه، فجعل ينثر ذلك التراب على رءوسهم، وهو يتلو آياتٍ من سورة يس من أولها إلى قوله تعالى: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾ (يس: ٩).

وأتاهم آت، قال: ما تنتظرون ها هنا؟

قالوا: محمداً.

قال: خيبكم الله، قد والله خرجَ وانطلق لحاجته.

وتطلّعوا، فرأوا علياً نائماً على الفراش، فلم يشكُّوا في أنه رسولُ الله ﷺ فلما أصبحوا قام علي ﷺ عن الفراش، فخجلوا، وانقلبوا خائبين.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٣٠﴾ (الأنفال: ٣٠).

هِجرَةُ الرَّسُولِ ﷺ إلى المَدِينَةِ

وجاء رسول الله ﷺ إلى أبي بكر، فقال له: ((**إنَّ الله قد أذن لي في الخروج والهجرة**))، فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله! قال: ((**الصحبة**))، وبكى أبو بكر رضي الله عنه من الفرح، وقدَّم أبو بكر راحلتين، كان قد أعدَّهما لهذا السفر، واستأجر عبد الله بن أُريقط ليدلّهما على الطريق.

تناقض غريب:

وكانت قريشٌ ـ رغم عدائها لرسول الله ﷺ ورميه عن قوس واحدة ـ عظيمةَ الثقة بأمانته، وصِدقه، وفتوّته، فليس بمكة أحدٌ عنده شيءٌ يخشى عليه

إلا وضعه عند رسول الله ﷺ لثقته به، فكان عند رسول الله ﷺ الشيء الكثيرُ من هذه الودائع، فأمر علياً رضى الله عنه بأن يتخلَّف بمكة حتى يؤديها عنه، وصدق الله العظيم: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (الأنعام: ٣٣).

درس من الهجرة:

وقد أثبتت الهجرة النبوية أنَّ الدعوة والعقيدة يُتنازل لهما عن كل حبيب وعزيز، وأليفٍ وأنيسٍ، وعن كل ما جبلت الطبائعُ السليمة على حبِّه وإيثاره، والتمسُّك به والتزامه، ولا يتنازل عنهما لشيء. وقد اقترن تاريخُ الدعوات العظيمة، والديانات القديمة بالحركة، حركة الأفراد أحياناً، وحركة الجماعات أحياناً كثيرة.

وقد كانت ((مكة)) فضلاً عن كونها مولداً ومنشأ للرسول ﷺ وأصحابه مهوى الأفئدة، ومغناطيس القلوب، ففيها ((الكعبة)) البيت الحرام، الذى جرى حبُّه منهم مجرى الروح والدم، ولكنَّ شيئاً من ذلك لم يمنعه وأصحابه من مغادرة الوطن، ومفارقة الأهل والسكن، حين ضاقتِ الأرضُ على هذه الدعوة والعقيدة، وتنكّر أهلها لهما.

وقد تجلَّتْ هذه العاطفة المزدوجة - عاطفةُ الحنين الإنسانى، وعاطفة الحبِّ الإيمانى - فى كلمته ﷺ التى قالها مخاطباً ((مكة)): ((ما أطيبكِ من بلدٍ وأحبَّكِ إلى، ولولا أنَّ قومى أخرجونى منك ما سكنتُ غيرَك)).

وذلك عملاً بقول الله تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (العنكبوت: ٥٦).

إلى غار ثور:

وخرج رسول الله ﷺ وأبو بكر من مكة مستخفين، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله بن أبى بكر أن يتسمَّعَ لهما ما يقولُ الناس فيهما بمكة، وأمر عامرَ بن فُهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاراً، ويريحها عليهما ليلاً، وكانت أسماءُ بنت أبى بكر تأتيهما بالطعام.

من روائع الحب:

ولم يزل الحبُّ منذ فطرَ الله الإنسان ملهماً للدقائق العجيبة، باعثاً على الإشفاق على مَنْ تعلَّق به القلبُ وأحبته النفس، وهذا كان شأن أبى بكر مع رسول الله ﷺ فى هذه الرحلة.

وقد رُوِى أنه لما انطلق رسول الله ﷺ إلى الغار ومعه أبو بكر، كان يمشى ساعةً بين يديه، وساعةً خلفه، حتى فطن رسولُ الله ﷺ فقال: ((**يا أبا بكر! ما لك تمشى ساعة خلفى وساعة بين يدي؟**)) فقال: يا رسول الله! أذكرُ الطلبَ فأمشى خلفك، ثم أذكر الرَّصدَ فأمشى بين يديك.

فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر: مكانك يا رسول الله! حتى أستبرئَ لك الغار، فدخل فاستبرأه، فقال: مكانك يا رسول الله! حتى أستبرئ، فدخل فاستبرأ، ثم قال: انزل يا رسول الله! فنزل.

ولله جنود السموات والأرض:

ودخلا الغار، وبينما هما كذلك إذ بعث الله العنكبوت، فنسجت بين الغار والشجرة التى كانت على وجه الغار، وسترت رسول الله ﷺ وأبا بكر، وأمر الله حمامتين وحشيَّتين، فاقبلتا تدفّان، حتى وقعتا بين العنكبوت وبين الشجرة: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الفتح: ٤).

أدق لحظة مرت بها الإنسانية:

واقتفى المشركون أثر رسول الله ﷺ، وكانت أدقَّ لحظةٍ مرَّت بها الإنسانية فى رحلتها الطويلة، وكانت لحظةً حاسمةً، فإما امتداد شقاء لا نهاية له، وإما افتتاح سعادةٍ لا آخر لها، وقد حبست الإنسانيةُ أنفاسها، ووقفت خاشعةً حين وصل الباحثون إلى فم الغار، ولم يبقَ بينهم وبين العثور على منشودهم إلا أن ينظرَ أحدُهم إلى تحت قدميه.

ولكنَّ الله حال بينهم وبين ذلك، فاختلط عليهم الأمر، ورأوا على باب الغار نسج العنكبوت، وإلى ذلك أشار الله تعالى بقوله: ﴿ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ (التوبة: ٤٠).

لا تحزن إنَّ الله معنا:

وبينما هما فى الغار، إذ رأى أبو بكر آثار المشركين، فقال: يا رسول الله! لو أنَّ أحدهم رفع قدمه رآنا، قال: ((ما ظنُّك باثنين اللهُ ثالثهما))؟ وفى ذلك يقول الله تعالى: ﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ (التوبة: ٤٠).

ركوب سراقة فى أثر الرسول ﷺ، وما وقع له:

وجعلتْ قريشٌ فى رسول الله ﷺ حين فقدوه مائة ناقة لمن يردّه عليهم، ومكثا فى الغار ثلاث ليال، ثم انطلقا، ومعهما عامر بن فُهيرة، ودليلٌ من المشركين، استأجره رسولُ الله ﷺ، فأخذ بهم على طريق الساحل.

وحمل سراقةُ بن مالك بن جعشم الطمع على أن يتبع رسول الله ﷺ، ويرده على قريش، فيأخذ مائة ناقةٍ منهم، فركب على أثره يعدو، وعثر به

الفرس، فسقط عنه، فأبى إلا أن يتبعه، فركب فى أثره، وعثر به الفرس مرَّةً ثانية، فسقط عنه، وأبى إلا أن يتبعه، فركب فى أثره، فلمَّا بدا له القوم رآهم، وعثر به الفرس مرةً ثالثة، وذهبت يداه فى الأرض، وسقط عنه، وتبعهما دخانٌ كالإعصار.

وعرف سراقة حين رأى ذلك أنَّ رسول الله ﷺ فى حماية الله تعالى، وأنه ظاهرٌ لا محالة، فنادى القوم، وقال: أنا سراقة بن جعشم، أنظرونى أكلمكم، فوالله لا يأتيكم منى شىءٌ تكرهونه، فقال رسول الله ﷺ لأبى بكر: قل له: وما تبتغى منا؟ قال سراقة: تكتبُ لى كتاباً يكون آية بينى وبينك، فكتب عامُر بن فُهيرة كتاباً فى عظم أو رقعة.

نبوءة لا يسيغها العقل المادى:

وفى هذه الحال التى اضطر فيها نبى الله ﷺ إلى الهجرة، والخروج من مكة، والقوم يطاردونه، ويتبعون آثاره، نظر رسولُ الله ﷺ إلى اليوم البعيد، الذى يطأ فيه أتباعُه تاجَ كسرى وعرش قيصر، ويفتحون خزائن الأرض، فتنبأ فى هذا الظلام الحالك بهذا النور الباهر، وقال لسراقة: ((**كيف بك إذا لبستَ سوارى كسرى؟**)).

إنَّ الله قد وعدَ نبيَّه بالنصر والفتح المبين، ولدينه بالظهور العام والفتح التام، وقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (التوبة: ٣٣).

و قد أنكر ذلك قصارُ النظر وضعافُ العقول، واستبعدته قريش، ولكن عين النبوة ترى البعيد قريباً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾ ﴾

(آل عمران: ٩).

وكان كذلك، فلما أُتى عمر رضى الله عنه بسوارى كسرى ومنطقته وتاجه، دعا سراقة بن مالك فألبسه إياها.

وعرض عليه سراقة الزاد والمتاع، فلم يقبله رسولُ الله ﷺ، ولم يزد أن قال: أخف عنا.

رجل مبارك:

ومرّا فى مسيرهما بأمِّ معبد الخزاعية، وكانت عندها شاةٌ خلَّفها الجهدُ عن الغنم، فمسحَ رسولُ الله ﷺ بيده ضرعها، وسمَّى الله، ودعا، فدرَّت، فسقاها، وسقى أصحابه، حتى رووا، ثم شرب، وحلب فيه ثانياً، حتى ملأ الإناء، فلما رجعَ أبو معبد، سأل عن القصة، فقالت: لا واللهِ إلا أنَّه مرَّ بنا رجلٌ مبارك، كان من حديثه كيتَ وكيتَ، ووصفته له وصفاً جميلاً، قال: واللهِ إنى لأراهُ صاحبَ قريشٍ الذى تطلبُه.

ولم يزل يسلك بهما الدليل، حتى قدم بهما ((قباء))، وهى فى ضواحى المدينة، وذلك فى الثانية عشر من ربيع الأول، يوم الإثنين، فكان مبدأ التاريخ الإسلامى.

أهل الصُّفَّة:

قال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾ (البقرة: ٢٧٣).

ورد أن هذه الآية الكريمة نزلت فى أهل (الصُفَّة) وتسأل من هم أهل الصفة؟!

هم ثلاثمائة أو أربعمائة رجل هاجروا بدينهم إلى مدينة رسول الله ﷺ، فى عهده تاركين أهلهم وأموالهم وبلادهم فى سبيل الله والإسلام، ولم يكن لهم مأوى أو مسكن أو أهل بالمدينة، فكانوا ملازمين لمسجد رسول الله ﷺ، يتعبدون فيه، وكانوا يقيمون فى صُفة المسجد وهى موضع مظلل منه، وكانوا فقراء، لم يجدوا وسيلة للعيش ولا يستطيعون السفر لطلب الرزق، لذلك لازموا المسجد وارصدوا أنفسهم لحفظ القرآن، والخروج مع السرايا وحراسة بيت رسول الله ﷺ، فكانوا فى خدمة رسول الله ﷺ، وبين يديه فمكوثهم فى صفة المسجد هى التى نسبت إليهم هذه الصفة.

فهجرتهم وتركهم أموالهم جعلهم محصرين فى سبيل الله بهذه الهجرة وحبسوا أنفسهم على حفظ القرآن، وقد كان حفظه أفضل العبادات على الإطلاق لأنه حفظ للدين كله، فأحصروا أنفسهم لخدمة الله فى دينه.

فكانت صفة أهل الصُّفَّة أنهم حبسوا أنفسهم فى سبيل الله بالاضطرار الشرعى لأن حصرهم أنفسهم كان على حفظ القرآن للفهم والاهتداء والعمل به ولحفظ أهل الدين بحفظه، وكانوا أيضاً يحفظون ما يبينه رسول الله ﷺ، من سنته فالسبب بالانحصار هنا اضطرارى بتعطيل المصلحة الخاصة فى سبيل المصلحة العامة للإسلام والمسلمين، وكان غيرهم يعجز عن القيام بهذه المصلحة ذات المنفعة العامة للإسلام فكان حالهم مميزاً بين المهاجرين إذ يتعذر على الإنسان حصر نفسه وانقطاعه عن الأمور الدنيوية وقضاء مصالحه، والقيام بما تكلف به أهل الصفة بإخلاصهم أنفسهم وأرواحهم كلياً فى سبيل الله وحب نبيه ﷺ، لأن من فى مقامهم لا يستطيع الجمع بينه وبين الكسب فيكون متعذراً عليهم لأنهم لا يستطيعون ترك رسول الله ﷺ، ومفارقته فكانوا ملاصقين له ليلاً ونهاراً قد تركوا الدنيا وما فيها وكرسوا أنفسهم للإسلام يأخذون من

رسول الله ﷺ، كلام الله والسنن النبوية ويحفظونها، ويلقونها على الناس وكان رسول الله ﷺ، يحبهم كما كانوا يحبونه، وكان رسول الله ﷺ، يتفقد أحوالهم ويجالسهم ويشاطرهم الحديث ويتقاسم معهم الأكل ويسأل عن شؤونهم فما أكرمهم من جار لصيق لله ولرسوله ﷺ، عُباد لأفضل العبادات على الإطلاق فى زمن التنزيل، حفظوا القرآن وهو حفظ للدين كله فأحصروا أنفسهم لخدمة الله فى دينه، خدام الله ورسوله فى بيت الإسلام أهل الصفة وإكراماً لهم وإعلاء لشأنهم أنزل الله فيهم قرآناً ليبقى ذكرهم محفوظاً بحفظ القرآن، فذكر الله تعالى فى آية سورة البقرة فى صفاتهم:

الصِفَة الأولى: ﴿ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة: ٢٧٣).

جند نفسه فى سبيل الله فى الجهاد وطلب العلم وفى الأعمال المشروعة التى تترتب عليها المصلحة العامة للإسلام والمسلمين وهذا مما لا يستطيع أى كان القيام به وأداء تكليفه كما تقدم ذكره إذ أنه يحتاج إلى الصبر والمجاهدة للنفس فى درئها وإبعادها عن المصالح الدنيوية، وبهذا كان حصرهم بالاضطرار الشرعى ووجبت نفقتهم من بيت مال المسلمين، أو من المسلمين المتمكنين وهذا لا يجيز لنا فى وقتنا الحاضر الاقتداء بحالهم لأنه هناك فوارق منها: أنهم كانوا من المعاصرين لزمن التنزيل والمزاملين لرسول الله ﷺ.

وروى: عن عثمان بن اليمان قال: لما كثر المهاجرون بالمدينة ولم يكن لهم زاد ولا مأوى أنزلهم رسول الله ﷺ، المسجد وسماهم (أصحاب الصفة) وكان يجالسهم ويأنس بهم.

كان رسول الله ﷺ، إذا صلى أتاهم فوقف عليهم فقال ﷺ: **((لو يعلمون ما لكم عند الله لأحببتم أن تزدادوا فقراً وحاجة))**.

وإنما قصارى صفاتهم وأمرهم أنهم يأكلون بدينهم، يأكلون الصدقات والأوقاف لأجل أن يعبدوا الله تعالى، والله تعالى عامل يحب العمل والعاملين وإن من أركان مقاصد بعثة الرسول الله ﷺ، العمل الصالح فهو مكرر فى القرآن فى سور كثيرة لإصلاح ما أفسده البشر، فالعمل الصالح من لوازم الإيمان بالله فى الدرجة الأولى لأن من عَرِفَ الله عَرِفَ استحقاقه للحمد والشكر والعبادة والحب والتعظيم، وهو من لوازم الإيمان فالجزاء على الأعمال فى الدرجة الثانية خوفاً من العقاب ورجاء فى الثواب، ويدخل فى الأعمال الصالحة العبادات التى يتقرب بها إلى الله تعالى، وسائر أعمال البر التى ترضيه بما لها من التأثير فى صلاح البشر، وسنة القرآن فى الإرشاد إلى الأعمال الصالحة ببيان أصولها ومجامعها وتكرار التذكير بها بالإجمال، وأكثر ما يحدث عليه من العبادات الصلاة التى هى العبادة الروحية العليا والاجتماعية، وخصص لها أوقاتاً معينة حتى يتعين للمرء العمل فيما بين أوقاتها ليقضى الإنسان ما يحتاجه من الأمور الدنيوية الضرورية للنفس والأهل، وفى الأعمال وفى بعض من الجهد والجهاد والمشقة ما يكون تزكية للنفس وجعلها موطن الصبر والإيمان.

ثم إن الإسلام جاء والبشر أجناس متفرقون، ويتعادون فى الأنساب والألوان واللغات والأوطان والأديان والمذاهب والمشارب والشعوب والقبائل يقاتل كل فريق منهم مخالفه فى شئ من هذه الروابط البشرية وإن وافقه فى البعض الآخر، فكان الإسلام بحاجة لمثل أهل الصفة يحفظون عنه أحكامه وقوانينه كى يكونوا بياناً لأصول الكتاب الإلهى وسنة خاتم النبيين ﷺ فى الجامعة الإنسانية، فكان عملهم هذا من أكبر الأعمال وأشقها، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (الأحزاب: ٢١)، أسوة لنا هى سنته التى سنها فى قوانين الحياة بما رأى رسول الله ﷺ، فيه المصلحة العامة

حسب مقاصد الإسلام في مزاياه العامة في التكاليف الشخصية من العبادات والمحظورات: كونه وسطاً جامعاً لحقوق الروح والجسد ومصالح الدنيا والآخرة حيث قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ (البقرة: ١٤٣)، ومنع الغول في الدين، وقلة التكاليف أي تكاليفه بسهولة فهمها، للوصول إلى سعادة الدنيا والآخرة، بتزكية النفس بالإيمان الصحيح ومعرفة الله والعمل الصالح، ومكارم الأخلاق لا بمجرد الاعتقاد والإتكال وخوارق العادات كونه يسراً لا حرج فيه ولا عسر ولا إرهاق ولا إعنات لقوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (البقرة: ٢٨٦)، قوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾ (المائدة: ٦).

ومن فروع هذا الأصل أن الواجب الذى يشق على المكلف أداؤه ويحرجه يسقط عنه إلى بدل لأن نصوص الكتاب وهدى السنة مراعى فيهما درجات البشر فى العقل والفهم وعلو الهمة وضعفها، ولذلك كان رسول الله ﷺ، يقر كل أحد من أصحابه فيه على اجتهاده كما فعل عندما نزلت (البقرة) فى الخمر والميسر إلى أن نزلت (المائدة) بالتحريم القطعى يفهمه كل أحد، لأن مدار العبادات والمحرمات كلها على إتباع ما جاء به النبى ﷺ، فى الظاهرة، ولذلك فيه معاملة الناس بظواهرهم وجعل البواطن موكلة إلى الله سبحانه.

فهذه مزايا الإسلام لا غلو فيها ولا تعنت ولا تكليف إلا بالوسع والسعى وطلب العمل للعيش فى عز وكرامة لا الاتكال على الناس باسم الدين والله يقول: (اعملوا) وإليك ما من شأنه تعالى فى حكايته في سورة يونس: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾(يونس: ٣)، كان تعالى فى مقدروه سبحانه أن يقول للشيء كن فيكون: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ

شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ (يس:٨٢)، وقوله تعالى: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ ﴾ (مريم: ٣٥)، ولكن شاءت مشيئته أن تكون الحياة بالعمل والتدبر لا بالخوارق أو الاتّكال، فأوجدها كلها بمقادير قدرها وقد بين لنا المدة الزمنية إنجازها إذ خلق العوالم السماوية والأرض فى ستة أزمنة تم فى كل يوم منها طور من أطوارها، ثم استوى على عرشه الذى جعله مركزاً للتدبير، استواء يليق بعظمته وجلاله، يدبر أمر ملكه بما اقتضاه علمه فى النظام وحكمته فى الأحكام، وألا يتعظ الإنسان بخالقه وسيده ومولاه فيعمل ويدبر ويجعل لنفسه مكانة فى المجتمع تليق به خيراً من الاتكال على الناس والاعتماد عليهم باسم الدين والتقليد الأعمى بدون تفقه وتدبر، مما ورد فى صفة الصحابة - رضى الله عنهم - وأهل الصفة أن الذى كان يمر ببيوتهم يسمع منها مثل دوى النحل من تلاوة القرآن، وقد غلا بعضهم فكان يقوم الليل كله حتى شكا منهم نساؤهم، فنهاهم النبى ﷺ، عن ذلك.

فتربية الصحابة التى غيرت كل ما كان وأحدثت أعظم ثورة روحية اجتماعية فى التاريخ إنما كانت بتلاوة القرآن فى الصلاة وغير الصلاة وتدبره ومن تدبر القرآن عمل به ومن عمل به عرف ما هو مطلوب منه تجاه نفسه والمجتمع الذى يعيش فيه لا الاتكال على الناس باسم الدين، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (يونس: ٥٧).

الصفة الثانية ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (البقرة: ٢٧٣).

ضرباً: الضرب فى الأرض هو السفر للتجارة – أى الكسب –وصفتهم الثانية أنهم عاجزون عن الكسب، أو السفر لطلب الرزق فى التجارة فى بيع وشراء، وهذا يؤيد ما تقدم ذكره فى اشتراط الاضطرار فيما يحصر عنه وإن

كان ما يحصر فيه اختيارياً ، وأن القادر على الكسب ولو بالسفر لا يحل له أن يأكل الصدقة.

روى أحمد ، وأبو داود ، والترمذى وحسنه، وابن ماجة من حديث أنس عن النبى ﷺ، أنه قال: **((المسألة لا تحل إلا لثلاثة، لذى فقر مدقع، أو لذى غرم مفقع، أو لذى دم موجع))**.

فالمدقع: الشديد ، والغُرم: - بالضم – مايلزم أداؤه تكلفاً بالشرع، وذو الدم الموجع: فهو الذى يتحمل الدية عن الجانى من قريب حتى لا يقتل فيتوجع لقتله.

روى أحمد وأبو داود وابن حبان عن سهل بن الحنظلية عن رسول الله ﷺ، قال: **((من سأل وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر فى جمر جهنم))**، قالوا: يا رسول الله وما يغنيه؟ قال رسول الله ﷺ، : **((ما يغذيه ويعيشه))**.

روى عن أحمد والبخارى ومسلم من حديث أبى هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: **((لأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره فيتصدق منه ويستغنى به عن الناس خير له من أن يسأل رجلاً أعطاه أو منعه))**.

الصفة الثالثة ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ (البقرة: ٢٧٣).

كان أهل الصفة لا يسألون أحداً أبداً حتى أن بعض الناس لما يرون من حالهم فى عزة النفس والمبالغة فى التنزه بالنفس والحال يحسبهم الإنسان الجاهل الغير متفكر بأمرهم وما هم عليه من حال بسبب حصرهم أنفسهم فى خدمة الله والرسول ﷺ، أنهم على سعة من الرزق والغنى مع أنه سبحانه بيّن الحالة التى كانوا عليها.

الصفة الرابعة: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ (البقرة: ٢٧٣).

كان من صفاتهم الراقية السامية الجميلة أنهم لا يسألون ولا يطلبون من الناس شيئاً ولا يلحون فى طلب، لا فى توسل ولا سؤال رفق واستعطاف.

ففى حديث أبى هريرة فى الصحيحين قال: قال رسول الله ﷺ، : ((**ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان، واللقمة واللقمتان، إنما المسكين الذى يتعفف**)).

وفى لفظ: ((**ليس المسكين الذى يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذى لا يجد غنياً يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس**))، أما الروايات الواردة فى أهل الصفة فدونك المختصر منها: روى:... ولما بنى المسجد جعل فى المسجد محلاً مظللاً يأوى إليه المساكين يسمى الصفة وكان أهله يسمون (أهل الصفة).

روى: أنه كان رسول الله ﷺ، فى وقت العشاء يفرقهم أصحابه، ويتعشى معهم، وذلك لعوزهم وفقرهم الشديد وتعففهم عن المسألة إلى الناس فكان رسول الله ﷺ، بمثابة لسان حالهم يراهم ويرعى شؤونهم.

عبس وتولى

الآثار الإيمانية:

١- التأكيد على أن المؤمن أوْلى من الكافر.

٢- استشعار رحمة الله بعباده الضعفاء المؤمنين وسخطه على العصاة المتجبرين.

٣- بيان مهمة المؤمن وهى الدعوة إلى الله.

٤- التحذير من محاباة الكافر على المؤمن.

٥- التأكيد على أن المؤمن يبذل وليس عليه هداية الناس.

٦- التعريف ببعض آداب الحديث.

قال تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ (١) أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ (٤) أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ (٥) فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ (٧) وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ (٨) وَهُوَ يَخْشَىٰ (٩) فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ (١٠) كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) ﴾

(عبس: ١- ١١).

في رحاب الآيات:

كان النبي ﷺ مشغولاً بدعوة جماعة من كبراء قريش إلى الإسلام حينما جاء الأعمى الفقير عبد الله بن أم مكتوم، وكان هذا الوفد يضم عتبة وشيبة ابني ربيعة و أبا جهل عمرو بن هشام وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة ومعهم العباس بن عبد المطلب والرسول ﷺ يدعوهم إلى الإسلام ويرجو بإسلامهم خيراً للإسلام في عسرته وشدته التي كان فيها بمكة، وهؤلاء النفر يقفون في طريقه بمالهم وجاههم وقوتهم ويصدون الناس عنه، ويكيدون له كيداً شديداً ليجمدوه في مكة، لا يقبلون على الدعوة التي يقف لها بالمرصاد أقرب الناس إلى صاحبها وأشدهم عصبية له في بيئة جاهلية قبلية تجعل لموقف القبيلة كل قيمة وكل اعتبار.

يجئ هذا الرجل الأعمى الفقير إلى رسول الله ﷺ وهو مشغول بأمر هؤلاء النفر، لا لنفسه ولا لمصلحته، ولكن للإسلام ولمصلحة المسلمين. فلو أسلم هؤلاء لانزاحت العقبات العنيفة والأشواك الحادة من طريق الدعوة في مكة، ولانساح بعد ذلك الإسلام فيما حولها، جاء هذا الرجل فقال: يا رسول الله علمني مما علمك الله، فكره النبي ﷺ قطعه لكلامه وظهر ذلك في وجهه الذي لا يراه الرجل، فجاء عتاب شديد للنبي ﷺ وهي المرة الأولى التي يقال فيها للحبيب القريب ((كلا)) وهي كلمة ردع وزجر.

تحويل القبلة

الآثار الإيمانية :

١ – بيان منزلة نبى الله محمد ﷺ عند ربه .

٢ – التأكيد على أهمية الالتزام الفورى بأمر الله .

٣ – التحذير من مخططات أعداء الله .

٤ – التعريف بأهمية مخالفة غير المسلمين فى الدين والمعتقد .

٥ – التعريف بمكانة الكعبة وتميزها .

٦ – استشعار رحمة الله بعباده المؤمنين .

٧ – التحذير من الشبهات المثارة حول الإسلام .

قال تعالى :﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ

بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾

(البقرة: ١٤٢ ـ ١٥٠).

في رحاب الآيات:

كان الرسول ﷺ يرغب في أن تكون القبلة التي يتوجه إليها في صلاته الكعبة وليس المسجد الأقصى الذي كان قبلة المسلمين للصلاة قبل أن ينسخها رب العالمين بتوجيه المسلمين إلى المسجد الحرام.

وقد كانت هذه الرغبة غير معلنة من رسول الله ﷺ غير أن ذلك لا يخفى على من يعلم السر وأخفى، فخاطبه قائلاً: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ (البقرة: ١٤٤).

ويقول سبحانه: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ (البقرة: ١٤٩).

ويقول أيضاً: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾

(البقرة: ١٥٠).

وهكذا فقد تحققت أمنية المصطفى ﷺ في أن يكون اتجاهه إلى بيت الله الحرام الذي أعده الله للناس ببكة مباركاً وهدى، والذي رفع قواعده أبواه إبراهيم وإسماعيل، وصرفه عن غير إرضاءٍ له ﷺ.

وكان النبي ﷺ قد صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وقد صلى أول صلاة إلى الكعبة صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قبل مكة فداروا كما هم قِبل البيت.

ولما صرفت القبلة عن الشام إلى الكعبة، وصُرفت فى رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة، أتى رسول الله ﷺ رفاعة بن قيس، وقردم بن عمرو، وكعب بن الأشرف، ورافع بن أبى رافع، والحجاج بن عمرو، حليف كعب بن الأشرف، والربيع بن الربيع بن أبى الحقيق، وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق، فقالوا: يا محمد، ما ولاك عن قلبتك التى كنت عليها وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه؟ ارجع إلى قبلتك التى كنت عليها وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه؟ ارجع إلى قبلتك التى كنت عليها نتبعك ونصدقك، وإنما يريدون بذلك فتنته عن دينه فنزلت الآيات.



المنهج الإسلامى في
الجهاد فى سبيل الله

الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا

لقد أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالجهاد فى سبيله لتكون كلمة الله هى العليا ويكون الدين كله لله. وأيده بنصره وبالمؤمنين وأمده بملائكته:

فقال الله جل جلاله ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (التوبة: ٣٣).

وقال الله جل جلاله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ﴾ (التحريم: ٩).

وقال الله جل جلاله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (التوبة: ٢٣).

وقال الله جل جلاله ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (التوبة: ٢٤).

وقال الله جل جلاله ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾ (آل عمران: ٢٨).

وقال الله جل جلاله ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ (٢٩) ﴾ (التوبة : ٢٩).

وقال الله جل جلاله ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ (٣٦) ﴾ (التوبة : ٣٦).

وقال الله جل جلاله ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (١١١) ﴾

(التوبة : ١١١).

وقال النبى صلى الله عليه وسلم :"**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله**".

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : "**أمرت أن اقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلابحقها وحسابهم على الله**".



المنهج النبوى للجهاد فى الإسلام[1]

روى الأئمة: أن رسول الله ﷺ كان إذا أمرّ أميراً على جيش أو سرية أوصاه فى خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال لهم: ((اغزوا باسم الله فى سبيل الله، وقاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثّلوا، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيتم عدوكم من المشركين فادفعهم إلى ثلاثة خصال، فأيتهن ما أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، فإن أبوْا أن يتحولوا عنها فأخبرهم أنهم يكونوا كأعراب المسلمين يجرى عليهم الذى يجرى على المسلمين، ولا يكون لهم فى الفىء والغنيمة إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوْا فسلهم الجزية، فإن أجابوك فاقبل منهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم))[2].

وهذه الوصية عن رسول الله ﷺ، كانت هى منهج الدعوة إلى الله تعالى التى إلتزمها قادة الجهاد، فكانت بياناً لمنهج الدعوة الذى يحقق المقصود من شرعية الجهاد، فلا يجوز لقادة الجهاد أن يتجاوزوا مرتبة منها إلى غيرها من المراتب، أولها الدعوة إلى الإسلام وهى دعوة إلى الحق والهدى وإلى المؤاخاة فالإسلام إيمان وأمان، وعدل ورحمة، فمن قبله فهو أخ لكل مسلم له من الحقوق ما لكل مسلم، وعليه من الواجبات ما على كل مسلم، فإن لم يقبل الدعوة إلى الإسلام جاءت المرتبة الثانية وهى الإلزام بخراج من المال لا يؤدى

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ١٥٩ ، نهاية الأرب للنويرى ج ١٧ ص ٣٥٦ – ٣٧١ ، محمد رسول الله لمحمد رضا ص ٣٢٦ .

(٢) مختصر صحيح مسلم للألبانى كتاب السير ج٢ ص ٢٩٤ رقم ١١١١ (٥م / ١٤١).

من يلزم به من القادرين عليه، وهذا الخرج سماه منهج الدعوة (الجزية) وهى مقابل الدفاع عن دافعيها وحمايتهم ممن يدهمهم بالاعتداء عليهم، وتاريخ الدعوة إلى الله حافل بالذين اهتدوا وسارعوا مستجيبين لدعوة الحق، فكانوا من أقوى المؤمنين إيماناً وأزكاهم جهاداً فى سبيل الله، وذابت الجزية فى موجبات التكافل الأخوى وكثر الداخلون إلى ساحة الإسلام.

وفى هذه الوصية النبوية نهى عن الفساد فى الأرض ونهى عن الجبن والإعتداء، وعن الغلول والغدر لأنهما من دنايا الأخلاق، ما أخرجه البيهقى عن أبى بن كعب قال: أُتِى النبى ﷺ بأسارى فقال رسول الله: **((هل دعوتموهم إلى الإسلام))**، فقالوا: لا، فقال: **((خلو سبيلهم حتى يبلغوا مأمنهم))**، ثم قرأ ﷺ قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ (الأحزاب: ٤٥ـ ٤٦).

إن أول غزوات الرسول ﷺ (غزو بدر) وما كان فى هذه الغزوة من أحداث ووقائع انتهت بها إلى النصر المؤزر، وما كان لذلك من أثر عميق فى قلوب من بقى من أعداء الإسلام، مما جعلهم بعد إفاقتهم من الهزيمة التى حلت بهم فأهلكت أشرافهم يفكرون فى الثأر من المجتمع المسلم بغزوه فى عقر داره، وكانت (غزوة أحد) بأحداثها وشدائدها درساً أفاد منها المجتمع المسلم، ومسراجاً أضاء الطريق أمامه فى سيرة برسالته.

وكانت محنة أحد صيقلاً أذاب صدا هزيمتها عن صدور أصحاب رسول الله ﷺ فجعلت منهم بطولات لا ترهب الموت، وقيادات سياسية تحسن الرأى، وقيادات عسكرية تدير المعارك بتفكير مجرب يعرف المخارج من أزمات المضايق [1].

---

(١) محمد رسول الله ﷺ محمد العرجون ج ٤ ص ٣٢٠ - ٣٢٥.

ومن ثم تتابعت البعوث والسرايا والغزوات ووقف أصحاب رسول الله، ﷺ متأهبين لكل حادث ونازلة يخوضون لججها بنفوس رضية سمحة بالفداء وحب الشهادة، وما كان يمضى يوم دون أن يكون فيه بعث أو سرية أو إعداد لغزوة تقاتل فيها كتائب الإسلام فتنتصر. أما ما كان من أحداث اليهود وربائبهم من المنافقين فقد بدأ انهيارهم بإجلاء بنو قينقاع أعتى وأجرم طوائف اليهود الذين نقضوا العهود، ثم حصار بنى النضير وإجلائهم بعد خذلان المنافقين لهم.ثم حصار بنى قريظة عقب غزوة الخندق لنقضهم عهد رسول الله ﷺ ولما لا وهم أعداءه من شراذم الكفر والشرك، وهكذا كان القضاء على اليهود وقوتهم المادية وإجلائهم عن جزيرة العرب قضاء على المنافقين ودسائسهم، وكانت (غزوة تبوك) آخر غزواته ﷺ التى قادها بنفسه، وعاد إلى المدينة بأصحابه موفور المكانة لم يلق فى غزوته الخاتمة كيداً ولا واجه حرباً، بعد أن أرى أصحابه أن ما كان فى أنفسهم من تهّيب الروم إنما هو خيال، كما أراهم أن عموم رسالته يقتضيهم أن يخرجوا بها إلى هذه الأمم فى أقطار الأرض وأنهم صاروا بالإسلام ورسالته رواداً للإنسانية وقادة لمسيرتها تحقيقاً لقول الله تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾(آل عمران: ١١٠).

ليحقق الله تعالى لهم وعده باستخلافهم فى الأرض وتمكين دينهم الذى ارتضاه لهم.



غزوة بدر

الآثار الإيمانية:

١- التعريف بأهمية الوفاء بالعهود.

٢- اليقين بأن الله تعالى ينصر عباده المؤمنين.

٣- التعريف بعوامل النصر.

٤- الأخذ بأسباب القوة.

٥- بيان رحمة الله بالمؤمنين.

٦- التأكيد على أهمية التربية السليمة منذ الطفولة.

٧- بيان أهمية شكر نعم الله تعالى.

٨- التحذير من فتنة الدنيا.

٩- استشعار رضا الله وأنه الأولى والأهم.

١٠- التحذير من التنازع والاختلاف.

١١- إبراز أهمية الإعداد الروحي والبدني للقاء العدو.

١٢- التأكيد على أن غاية المسلم هي رضا الله وإعلاء كلمته.

١٣- تمني الاستشهاد في سبيل الله.

قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا

وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾
أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾
كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾
يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ
يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ
تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ
ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ
لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ
وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ
يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ
عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ
إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾
ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا
لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا
مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ
وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ
﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ
ٱلْفَتْحُۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ
كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ (الأنفال: ١-١٩).

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ
فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ
يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ
فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ
كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ
فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ
مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ
فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن
كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ
كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ
أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا
كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ
ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا
لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾
وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ
أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ
فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا۟
كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا
يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ
مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ
إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾

إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ (الأنفال: ٣٦-٤٩).

قال تعالى ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ ﴾

(الأنفال: ٥٥- ٧٠).

فى رحاب الآيات:

غزوة بدر[1] الكبرى هى أول معركة فاصلة فى تاريخ الإسلام.

وقعت فى اليوم السابع عشر من رمضان من العام الثانى الهجرى.

كانت المعركة بين المسلمين بقيادة النبى ﷺ وكفار قريش بقيادة أبى جهل عمرو بن هشام لعنه الله.

كان سببها أن أراد رسول الله ﷺ استعادة بعض ما أخذت قريش من المسلمين المهاجرين من أموال ومتاع وذلك بالتعرض لقافلتهم الآتية من الشام بقيادة أبى سفيان.

قال الرسول ﷺ للمسلمين: هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها.

لم يكن الأمر للمسلمين بالجزم فخرج البعض ولم يخرج البعض لظنهم أنها لن تكون حرباً حيث إن القافلة لم يكن فيها سوى أربعين رجلاً.

خرج الرسول ﷺ فى اليوم الثامن من رمضان من العام الثانى الهجرى وجعل على المدينة أبا لبابة ﷺ أميراً، وابن أم مكتوم ﷺ يصلى بالناس.

لما علم أبو سفيان أرسل إلى مكة يستنفر أهلها لحماية قافلتهم فتجهزت قريش وخرجت لحماية القافلة ولم يتخلف منهم سوى أبى لهب.

---

(١) بدر بئر شهيرة شمال مكة وجنوب غرب المدينة، وتنسب لأول من حفر بئراً فى هذه المنطقة وهو بدر بن قريش بن مخلد بن النضر، وتقع بئر بدر على مسافة ٣٤٣ كم من مكة ومسافة ١٥٣ كم من المدينة.

استطاع أبو سفيان الفرار بالقافلة تجاه الساحل وأرسل إلى قريش يطمئنهم ولكن أبا جهل رفض إلا أن يقاتل المسلمين.

أعطى النبى ﷺ لواء الأنصار لسعد بن معاذ ﷺ، ولواء المهاجرين لعلى بن أبى طالب ﷺ، واللواء العام للجيش حمله مصعب بن عمير ﷺ، وكان على ميمنة الجيش الزبير بن العوام ﷺ، وعلى ميسرته المقداد بن عمرو ﷺ وهما أصحاب الفرسين الوحيدين فى الجيش وعلى المؤخرة كان قيس بن أبى صعصعة ﷺ.

أمر الرسول ﷺ بقطع الأجراس من أعناق الإبل وذلك من أجل إخفاء تحركات الجيش.

كان يمول جيش مكة تسعة من الكفار آنذاك وهم أبو جهل وأمية بن خلف وسهيل ابن عمرو وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة ونبيه ومنبه ابنا الحجاج والعباس وأبو البخترى بن هشام.

انسحب من جيش الكفر بنو زهرة وكانوا ثلاثمائة وذلك استجابة لنصيحة زعيمهم العاقل الأخنس بن شريق.

لما أجمعت قريش المسير ذكرت الذى كان بينها وبين بنى بكر من عداوة وحرب وخافوا أن يأتوهم من الخلف، فكاد ذلك يثنيهم، فتبدّى لهم إبليس فى صورة سراقة بن مالك وكان من أشراف بنى كنانة، فقال لهم: أنا لكم جار من أن يأتيكم كنانة من خلفكم بشىء تكرهونه، فخرجوا سراعًا.

كان عدد المسلمين ثلاثمائة وأربعة عشر معهم فرسان وسبعون بعيراً يتعاقبون عليها، وكان عدد الكفار تسعمائة وخمسين معهم مائة فرس وسبعمائة بعير.

اجتمع رسول الله ﷺ بكبار أصحابه يستشيرهم فى الأمر خاصةً الأنصار الذين بايعوه على حمايته ما دام فى دارهم، أما وقد خرج فقد لزم مشورتهم فقال: أشيروا عليّ أيها الناس، فقام أبو بكر ﷺ وقال فأحسن، وكذا فعل عمر بن الخطاب ﷺ فأثنى عليهما رسول الله ﷺ وقال: أشيروا عليّ أيها الناس: فقام المقداد بن عمرو ﷺ وقال: يا رسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد[1] لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه. فدعا له رسول الله ﷺ وأثنى عليه خيراً.

ثم قال رسول الله ﷺ: أشيروا عليّ أيها الناس. فوقف سعد بن معاذ زعيم الأوس وقائد الأنصار ﷺ وقال والله لكأنك تريدنا يا رسول الله قال: أجل. قال: قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد. وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصُبُر فى الحرب صُدُق عند اللقاء. لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله، فسُرَّ رسول الله لذلك وقال: سيروا وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدنى إحدى الطائفتين والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم.

أثناء المسير التقى رسول الله بشيخ من العرب فسأله عن قريش فأخبره بمكانهم.

---

(١) ناحية باليمن فى أقصى الجزيرة العربية.

نزل رسول الله قرب بئر بدر فقال له الحباب بن المنذر ﷺ: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأى والحرب والمكيدة؟ قال رسول الله ﷺ: بل هو الرأى والحرب والمكيدة. فقال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتى أدنى[1] ماء من القوم فننزله ثم نغور[2] ما وراءه من القُلب[3]، ثم نبنى عليه حوضاً فنملؤه ماءً ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله ﷺ: أشرت بالرأى، فنهض رسول الله بالمسلمين وسار إلى أدنى ماءٍ من القوم فنزل عليه ثم أمر بالقلب فغورت وبنى حوضاً على القليب الذى نزل عليه فملأوه ماء ثم قذفوا فيه الآنية.

أسر المسلمون رجلين من سقاة قريش فأخبروهم خبرهم وما ينحرون كل يوم فعلم المسلمون واغتسلوا وثبتت الأرض من تحتهم بينما أصبحت أرض المشركين وحلاً لم يستطيعوا الحركة من مكانهم بسببه.

اقترح سعد بن معاذ ﷺ على رسول الله ﷺ أن يبنى له عريشًا[4] يدير المعركة منه، فوافق النبى وبنى العريش.

أمر رسول الله ﷺ بألا يُقتل أحد من بنى هاشم لخروجهم مكرهين، وكذا بعدم قتال أبى البخترى بن هشام والعباس بن عبد المطلب.

رأى المشركون المسلمين فى المنام قلة لئلا يهابوهم فيندفعوا لقتالهم وكذا رآهم المسلمون قلة أيضاً حتى لا تنخفض معنوياتهم.

---

(١) أقرب.

(٢) نردم.

(٣) الآبار.

(٤) مكانًا يجلس فيه ويستظل.

قال تعالى: ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ ﴾ (الأنفال ٤٣- ٤٤).

أمر الرسول المسلمين ألا يبدءوا القتال حتى يأمرهم وقال لهم: إن اكتنفوكم[1] فانضحوهم بالنبل.

اجتهد الرسول ﷺ فى الدعاء بالنصر على الأعداء فكان يقول: ((**اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِى مَا وَعَدْتَنِى. اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِى. اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلامِ لا تُعْبَدْ فِى الأَرْضِ**)). ((رواه مسلم)). فما زال يهتف بربه مادّاً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر ﷺ فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك. فنام رسول الله ﷺ واستيقظ وقال: أبشر يا أبا بكر. أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثنايا النقع.

وبينما رسول الله ﷺ يسوى صفوف المسلمين إذ وجد رسول الله ﷺ سواد بن غزية ﷺ خارجاً عن الصف فطعنه الرسول ﷺ فى بطنه بعود كان فى يده، فطلب الصحابى ﷺ القصاص فأذن له الرسول ﷺ ليقتص منه، فقبل سواد ﷺ بطن النبى ﷺ فلما سأله النبى ﷺ عما حمله على هذا أخبره سواد ﷺ أنه أراد أن يكون آخر شىء مسه قبل القتال هو بطن النبى الشريف ﷺ، فدعا له الرسول ﷺ بخير.

---

(١) أى أحاطوا بكم.

خطب رسول الله ﷺ فى المسلمين قبيل المعركة وقال فيما قال: ((قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ)) ((رواه مسلم)). وبعد أن سمع عمير بن الحمام رضي الله عنه خطبة النبى ﷺ ألقى تمرات كانت فى يده وقال: بخ بخ، فما بينى و بين الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء ثم أخذ سيفه وغاص فى المشركين عند بدء القتال فقاتل حتى قتل.

أخذ أحد الكفار وهو الأسود بن عبد الأسد المخزومى على نفسه عهداً ليشربن من حوض المسلمين أو ليهدمنه أو ليموتن دونه، فما أن خرج من بين قومه حتى تبعه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وضربه ضربة قطعت نصف ساقة ولكنه أخذ يحبو نحو الحوض فأتبعه حمزة رضي الله عنه بأخرى أودت بحياته فسقط فى الحوض.

بدأت المناوشات عندما خرج من كفار قريش عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد ابن عتبة يريدون المبارزة، فخرج لهم من الأنصار عبد الله بن رواحة رضي الله عنه وعوف بن الحارث رضي الله عنه وأخوه معوذ بن الحارث رضي الله عنه فرفض القرشيون مبارزتهم وطلبوا بنى قومهم المهاجرين، فأخرج لهم رسول الله عبيدة بن الحارث رضي الله عنه وحمزة رضي الله عنه وعلى رضي الله عنه فقتل حمزة شيبة والوليد وأما عبيدة وعتبة فقد ضرب كل منهما الآخر و أجهز على وحمزة على عتبة وأسرعا بعبيدة إلى رسول الله.

اقترب الفريقان واحتدم القتال ونزل النبى ﷺ بنفسه إلى أرض المعركة يثب فى درعه ويقول: ((سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ بَلْ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ)). ((رواه البخارى)).

كان أبو جهل يصيح فى المشركين ويقول: خذوهم أخذاً واللات والعزى لا نرجع حتى نفرق محمداً وأصحابه فى الجبال.

كان المسلمون يقاتلونهم وهم يقولون: أحد أحد، فقد كان هذا شعارهم فى ذلك اليوم.

قتل معاذ بن عمرو بن الجموح ومعوذ بن عفراء أبا جهل فطعناه وكانا صبيين صغيرين وجاء ابن مسعود بعد نهاية المعركة فأجهز عليه.

نزلت الملائكة تقاتل مع المسلمين حتى كان بعض المسلمين يرفع سيفه على المشرك فتطير رقبة المشرك قبل أن يهوى عليها السيف، ولما أراد أحد المسلمين أسر رجل مشرك أعانه عليه ملك من السماء.

عندما رأى إبليس الملائكة وهى تقاتل مع المسلمين وكان قد جاء على صورة سراقة ابن مالك نكص على عقبيه وفر، فقال له المشركون: إلى أين يا سراقة؟ ألم تكن قلت إنك جار لنا لا تفارقنا؟ فقال: إنى أرى ما لا ترون، إنى أخاف الله والله شديد العقاب، ثم فر حتى ألقى نفسه فى البحر.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾(الأنفال: ٤٨).

ألقى المسلمون جثث المشركين فى القليب بعد انتهاء المعركة ووقف عليهم الرسول ﷺ وقال: **((يا أهل القليب هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فإنى وجدت ما وعدنى ربى حقاً))** وأخبر النبى أنهم يسمعونه الآن.

قتل عمر بن الخطاب ﷺ خاله المشرك العاص بن هشام، وقتل أبو حذيفة ﷺ أباه، وطلب أبو بكر ﷺ مبارزة ابنه المشرك عبد الرحمن، وطلب مصعب بن عمير ﷺ أن يشد أحد الأنصار على أخيه وشقيقه الذى أسر لأن أمه ثرية وسوف تفديه بالمال.

قتل من المشركين سبعون منهم أبو جهل والنضر بن الحارث وحنظلة بن أبى سفيان وعقبة بن أبى معيط وأمية بن خلف.

استشهد من المسلمين أربعة عشر منهم عمرو بن الجموح وعمير بن الحمام وعمير ابن أبى وقاص وسعد بن خثيمة رضى الله عنهم.

أسر من الكفار سبعون منهم العباس بن عبد المطلب وسهيل بن عمرو وعقيل بن أبى طالب.

اختلف المسلمون حول الغنائم فجعلها القرآن كلها لله ولرسوله ثم أمر الله أن توزع بنسبة أربعة أخماس للمقاتلين وخمس لله والرسول. وأشرك الرسول ﷺ فى القسمة سعيد بن زيد وطلحة بن عبيد الله رضى الله عنهما وكانت مهمتهما هى متابعة أخبار القافلة والإتيان بأخبارها عند عودتها. واشترك فى القسمة أيضاً أبو لبابة رضي الله عنه وقد خلفه الرسول أميراً على المدينة، والحارث بن الحاطب رضي الله عنه وقد كلفه الرسول ﷺ بمهمة فى بنى عمر، والحارث بن الصمة رضي الله عنه وقد كسر بالروحاء فلم يستطع السير، وعاصم بن عدى رضي الله عنه و كان أميراً على قباء، وعثمان بن عفان رضي الله عنه الذى خلفه الرسول ليمرض زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ ثم شهداء معركة بدر رضى الله عنهم.

استشار الرسول ﷺ صحابته فى أمر الأسرى فرأى البعض ومنهم أبو بكر رضي الله عنه بأخذ الفداء منهم، ورأى البعض قتلهم ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فأخذ الرسول ﷺ برأى أبى بكر ولكن القرآن نزل مؤيداً رأى عمر بن الخطاب.

جاء عبد الله بن رواحة رضي الله عنه على ناقة النبى ﷺ ومعه زيد بن حارثة رضي الله عنه بالبشرى لأهل المدينة فور انتهاء المعركة رغم أن اليهود كانوا يؤكدون هزيمة المسلمين ويرجفون فى المدينة حتى بعد مجئ البشير بالنصر. بينما جاء

الحيسمان بن إياس بخبر الهزيمة لأهل مكة قبل أن يصل الجيش المهزوم إليها .

ومنع المشركون النياحة على قتلى بدر لئلا يشمت فيهم المسلمون .

عبر وفوائد وأحكام من غزوة بدر:

وقد تضمنت هذه الغزوة من العبر والفوائد والأحكام : ما نشير إلى بعضه .

فأولها : تحليل الغنائم لهذه الأمة، لقوله تعالى فيها : ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ ﴾ (الأنفال : ٦٩) . وقوله ﷺ : ((وأحلت لى الغنائم، ولم تحل لأحد قبلى)) ، فلهم قسمتُها بعد التخميس . وقد تقدم أن خروج المسلمين أول الأمر لم يكن بقصد القتال ومنها : جواز المبالغة فى نكاية العدو بالقتل والأسر وأخذ الأموال والإرهاب والإخافة لتحطيم قوته مادياً ومعنوياً .

ومنها : أخذ الفدية من الأسرى، أو المنّ عليهم إذا اقتضت المصلحة ذلك .

ومنها : اتخاذ العيون للتجسس على العدو لكشف تحركاته ، وطبيعة عمله .

ومنها : تطبيق مبدأ الشورى امتثالاً لأمر الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (الشورى : ٣٨) . ولقوله تعالى لرسوله : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ ﴾ (آل عمران : ١٥٩) . والأمر عام لأهل الحل والعقد ، وهكذا استشار ﷺ أصحابه فى هذه الغزوة ، وفى غزوة أحد ، وغزوة الخندق ، وفى مواقف أخرى ، قال أبو هريرة رضى الله عنه : ما رأيت أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ وعلى هذا المبدأ استمر عمل الخلفاء الراشدين . ومن بعدهم من صالحى أمراء المسلمين، إلى أن غلب الإستبداد ، وساد الطغيان ، واستعلى المُلْكُ العَضُوض .

ومنها: جواز اجتهاد الرسول ﷺ كما وقع فى إيثاره أخذ الفدية على القتل، وجواز أن يخطىء فى الاجتهاد كما حصل هنا، ولكنه لا يُقَرُّ على الخطأ، بل لابد أن يُرشَد ويصَحّح اجتهادُه بالوحى.

ومنها: وجوب الأخذ بالاحتياط، وإعداد ما يمكن من العُدة، مع التوكل على الله تعالى والاستعانة به، وتعليماته ﷺ إلى أصحابه، وإيذانه بالمبارزة مع دعائه ﷺ ربه، وإخلاصه فى ذلك.

ومنها: تواضعه ﷺ لأصحابه، وإيثاره المواساةَ فى المعاملة فى الحرب والسلم، ومنها: أن من قتل من المسلمين كافراً، فله سَلَبُه بشروط تذكر فى أحكام الجهاد.

ومنها: تشجيع الأمير للجند، وحضهم على الإخلاص، وترغيبهم فى الاستشهاد فى سبيل الله، والإشارة إلى الهدف الأكبر من الجهاد، وهو إعلاء كلمة الله، ونصرة دين الله، وتمكين عباده من عبادته فى أرضه، وإقامة شرعه فيها، والحيلولة دون اعتبار الغنائم شيئاً مقصوداً بالذات، لما فى ذلك من إبطال العمل، وإفساد النيات، فقد قال الله تعالى لرسوله ﷺ بعد اختلافهم فى الغنيمة: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾ (الأنفال: ١). وقال تعالى عاتباً فى شأن الأسرى - كما تقدم: ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ ﴾ (الأنفال: ٦٧). وقد قال ﷺ لمن سأله: أى نوع من القتال فى سبيل الله؟ قال: **((مَن قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله))**.

ومما يتعلق بأهل بدر وفضلهم أن النبى ﷺأخبر أنهم مغفور لهم، ولكن مع ذلك تقام عليهم أحكام الشريعة إذا اقتضى الحال، كما فى قصة حاطب بن أبى بلتعة، وتهديده بالقتل لما بدر منه من الكتب للمشركين سراً بخبر الرسول والمسلمين، وكما أقيم حد شرب الخمر على قدامة بن مظعون.

ومن مواقف البطولة الإيمانية التى حصلت فى هذه المعركة: ما تقدمت الإشارة إلى بعضه، ومنها: قتل أبى عبيدة بن الجراح لوالده، بعدما تعرض له الأب مراراً فحاد عنه، فلما أبى إلا المواجهة قتله، فأنزل الله فى ذلك: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ (المجادلة: ٢٢).

غزوة بنى قَيْنُقَاع

بنو قينقاع هم إحدى طوائف اليهود الثلاث الذين كانوا قد نزلوا المدينة النبوية قبل الإسلام بزمن طويل؛ فراراً من اضطهاد الروم لهم، وانتظاراً للنبوة المحمدية المبشر بها فى التوراة والإنجيل، ولما حل النبى ﷺ بالمدينة مهاجراً السنة الماضية- أى الأولى من الهجرة- عاهدهم معاهدة سلم، وحسن جوار، وقد تقدمت وثيقتها تحمل نصوص موادها.

وقد نافق كثير من أحبارهم ووالوا المشركين فى الخفاء، وكانوا يتربصون بالنبى ﷺ وأصحابه الدوائر، ولما خرج ﷺ إلى بدر فرحوا؛ ظناً منهم أن المسلمين سيهزمون وتنكسر شوكتهم، ويأفل نجم قوتهم، ولما كان النصر للمسلمين والهزيمة للمشركين كشَّروا عن أنيابهم، وقالوا قالة السوء.

فما كان من رسول الله محمد ﷺ إلا أن جمعهم فى سوق بنى قينقاع، وقال لهم فى جملة ما قال: ((**احذروا ما نزل بقريش وأسلموا؛ فإنكم قد عرفتم أنِّى نبى مرسل**)) فقالوا -فى وقاحة- يا محمد، لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة، إنا -والله- لئن حاربتنا لتعلمنَّ أنَّا نحن الناس، ونزل رداً على مقالتهم وتهديدهم من سورة آل عمران، قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾ (آل عمران: ١٢ - ١٣)، فأمر تعالى رسوله ﷺ أن يخبرهم بهزيمتهم الآتية لا محالة، وقد كانت، وأن مردهم إلى جهنم، وذكَّرهم بهزيمة المشركين أوليائهم على كثرتهم وشدة قوتهم.

ومضت أيام قلائل وجاءت امرأة مسلمة تشترى من صائغ يهودى مصاغاً، فجلست - وحوله يهود- فعابوا عليها ستر وجهها وطالبوها بكشفه، فأبَت، فما كان من أحد أولئك اليهود - عليهم لعائن الله- إلا أن غافلها وربط طرف درعها من أسفله بطرف خمارها، فلما قامت انكشفت عورتها فصاحت "وا كشفتاها"، فسمعها رجل مسلم، فهب إليها فرأى ما بها؛ فضرب اليهودى ضربة قتله بها، وقام يهود فاشتدوا على المسلم فقتلوه فمات شهيداً. وهبّ رجال من المسلمين للحادث فاقتتلوا مع اليهود، وبهذا نقض يهود بنى قينقاع عهدهم، وطرحوا معاهدتهم، فنزلوا حصونهم، فتحصنوا بها فغزاهم رسول الله ﷺ وحاصرهم نصف شهر حتى نزلوا من حصونهم على حكمه ﷺ، فكُتِّفُوا- أى ربطوا بحبال فى أيديهم وأرجلهم- لقتلهم بموجب بنود المعاهدة بينهم وبين رسول الله ﷺ، وقبل تنفيذ الحكم فيهم توسط فى خلاصهم والعفو عنهم حليفهم عبد الله بن أُبَى كبير المنافقين، فأتى رسول الله ﷺ وكلمه فيهم، وقال: إنهم موالى، وهم أربعمائة حاسر -أى بدون دروع- وثلاثمائة دارع، قد منعونى من الأحمر والأسود تحصدهم فى غداة واحدة، وإنى والله لأخشى الدوائر فقال النبى ﷺ: ((هم لك خلوهم)). وأنزل الله فيه قوله: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ (المائدة: ٥١ - ٥٢). وجاء عبادة بن الصامت -وكان مرتبطاً بحلف مع يهود بنى قينقاع- فقال: يا رسول الله أتولّى الله ورسوله والمؤمنين، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم، فكان معنياً بقول الله تعالى ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

(المائدة: ٥٦).

ولما أطلقهم رسول الله ﷺ بشفاعة ابن أُبَى، خرج بهم عبادة بن الصامت إلى أن وصل بهم ذِبَاباً[1]، ثم ساروا وحدهم إلى أذرعات من الشام، ولم يلبثوا إلا قليلاً حتى هلكوا.

لما خرج رسول الله ﷺ لغزوهم، ولّى على المدينة أبا لبابة الأنصارى، وأعطى لواءه حمزة بن عبد المطلب ﷺ.

ولما أجلى بنو قينقاع، قسم رسول الله ﷺ أموالهم بين أصحابه، وأخذ خمس الغنيمة؛ لينفقه فيما أمر الله تعالى أن ينفقه فيه حيث نزلت سورة الأنفال، وفيها قول الله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ ﴾ (الأنفال: ٤١).



(١) اسم موضع معروف به جبل يقال له: ذباب، وهو قريب من المدينة النبوية، ويضم الذال منه ويكسر.

غزوة أحد

الآثار الإيمانية:

١- توضيح أهمية الشورى ووجوبها.

٢- التعريف ببعض آداب القيادة والجندية.

٣- التنبيه إلى الطريقة الصحيحة للتعامل مع المخطئين.

٤- تسليط الضوء على المعركة الدائمة بين الحق والباطل مهما اختلفت صورتها.

٥- التأكيد على أهمية الأخذ بالأسباب.

٦- التحذير من مخالفة أمر القيادة.

٧- تنمية المواهب والقدرات وتوظيفها.

٨- التذكير بفتنة الدنيا وأن الآخرة خير وأبقى.

٩- اليقين بأن الحياة والموت بيد الله وأن عمر الإنسان مكتوب مقدر.

١٠- التأكيد على أهمية ضبط الجوانب النفسية والروحية عند المسلم دائماً.

١١- التعريف بمهمة المسلم وهدفه.

١٢- إبراز دور المرأة فى الدولة الإسلامية.

١٣- التأكيد على أهمية الاستفادة من الماضى لا البكاء على ما فات.

١٤- تمنى الشهادة فى سبيل الله.

قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٢ قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ١٣ ﴾ (آل عمران: ١٢-١٣).

قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٢١ إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٢٢ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢٣ إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ١٢٤ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ١٢٥ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١٢٦ لِيَقۡطَعَ طَرَفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ١٢٧ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١٢٨ ﴾

(آل عمران: ١٢١-١٢٨).

قال تعالى: ﴿ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١٣٧ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ١٣٨ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤١ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢ وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ١٤٣ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ

ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ
ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ وَمَن يُرِدۡ
ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾
وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا
ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا
وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ
ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن
تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾
بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۚ وَبِئۡسَ
مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم
بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ
أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ
ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذۡ تُصۡعِدُونَ وَلَا تَلۡوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٖ وَٱلرَّسُولُ
يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا
فَاتَكُمۡ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم
مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ
يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ
ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ
مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ
وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ

ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ
بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا
تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزّٗى لَّوْ كَانُواْ
عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةٗ فِي قُلُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٞ
مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ
لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ
وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ
ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ
كُلُّ نَفْسٖ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ
مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا
يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولٗا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ
ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي
ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٞ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلْ هُوَ مِنْ
عِندِ أَنفُسِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ﴿١٦٥﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ
ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ
ٱدْفَعُواْۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِۚ
يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ
وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتَۢاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾
فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ۞

(آل عمران: ١٣٧ـ ١٧٥).

فى رحاب الآيات:

وقعت غزوة أحد فى العام الثالث الهجرى بين المسلمين بقيادة النبى ﷺ وكفار قريش وما حولها من قبائل العرب بقيادة أبى سفيان بن حرب، وكان السبب فيها هو محاولة قريش الثأر لهزيمتهم يوم بدر والقضاء على المسلمين.

خرج الكافر فى ثلاثة آلاف مقاتل على ثلاثة آلاف بعير، ومع الجيش مائتا فرس وسبعمائة درع وخمس عشرة امرأة، وحمل لواءهم طلحة العبدرى وقاد سلاح الفرسان خالد بن الوليد وكان على الميمنة، بينما كان عكرمة بن أبى جهل على الميسرة وكان صفوان بن أمية على المشاة وخلفهم النساء يضربن الدفوف ويحرضن على القتال.

أرسل العباس عم النبى ﷺ من مكة إلى رسول الله ﷺ يخبره عن تحركات جيش مكة وتفاصيل عددهم وعدتهم رغم أنه ما زال على الشرك فقرأ الرسالة على النبى ﷺ أبى ابن كعب ﷺ، فطلب منه النبى ﷺ أن يكتم الخبر، فأخبر النبى ﷺ زعيم الأنصار سعد ابن الربيع ﷺ واستكتمه الخبر.

لما تأكد خبر خروج قريش لرسول الله ﷺ استشار أصحابه فى الخروج

من المدينة أو البقاء بها والدفاع عنها من خلالها، وقد كان هذا الأخير هو رأيه؛ إلا أن الصحابة الذين لم يخرجوا فى بدر وأغلبية الشباب كانوا يريدون الخروج لئلا يرموا بالجبن واستجاب الرسول ﷺ لهذه الأغلبية ولبس ملابس الحرب، ولكن تراجع الشباب للوم الشيوخ لهم و إحساسهم أنهم أكرهوا رسول الله ﷺ على الخروج، ولكنه قال: **((إنه ليس لنبى إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل))**. ((أخرجه السيوطى)).

تجهز المسلمون ووصل عددهم إلى ألف مقاتل معهم مائة درع وفرس واحد للزبير ابن العوام ﷺ، وأعطى رسول الله ﷺ لواء المهاجرين لمصعب بن عمير ﷺ ولواء الأوس لأسيد بن الحضير ﷺ ولواء الخزرج للحباب بن المنذر ﷺ واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ﷺ.

رفض رسول الله ﷺ الاستعانة باليهود حلفاء الأنصار وحلفاء عبد الله بن أُبى ابن سلول. اقترحت هند بنت عتبة على جيش الشرك وهم فى الطريق أن ينبشوا قبر آمنة أم النبى ﷺ فرفض المشركون لئلا يفتح الباب للمسلمين لفعل ذلك.

فى الطريق أجاز رسول الله ﷺ من أجاز ورد بعض الصغار الذين يصعب تحملهم لشدة القتال، فكاد أن يرد رافع بن خديج ﷺ إلا أنه قال بأنه يجيد الرمى، وشهد له من يعرفه فأجازه الرسول ﷺ، وعندها قال سمرة ﷺ وهو ممن استصغرهم رسول الله ﷺ أنه يصرع رافعاً، فطلب رسول الله ﷺ أن يصارعه فصرعه فأجازه أيضاً. وأعاد عبد الله ابن عمر وأسامة بن زيد وزيد بن ثابت والبراء بن عازب وزيد بن أرقم وأبو سعيد الخدرى رضى الله عنهم.

قبيل المعركة انسحب عبد الله بن أبى بن سلول ومن معه من المنافقين وكانوا ثلاثمائة بعد أن رأوا تفوق الكفار فى العدد والعدة وبقى المسلمون فى سبعمائة مقاتل.

عسكر رسول الله ﷺ عند جبل أحد حيث جعل الجبل يحمى ظهره.

وضع رسول الله ﷺ فوق الجبل خمسين رامياً بقيادة عبد الله بن جبير رضي الله عنه وأمرهم بألا يغادروا مكانهم مهما كانت النتائج.

جعل رسول الله ﷺ فى مقدمة الجيش حمزة وعليًّا وعبد الله بن جحش وأبا بكر وعمر ومصعب بن عمير وطلحة بن عبيد الله وسعد بن معاذ وسعد بن عبادة وسعد بن الربيع وأبا دجانة وأنس بن النضر رضى الله عنهم.

أوكل رسول الله ﷺ إلى الزبير رضي الله عنه وهو الفارس الوحيد فى صفوف المسلمين والمقداد بن عمرو رضي الله عنه مهمة الصعود أمام خيل قريش التى يقودها خالد وعكرمة.

أخرج رسول الله ﷺ سيفاً وقال: من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام إليه رجال منهم عمر وعلى والزبير رضى الله عنهم، فأمسكه عنهم، حتى قام أبو دجانة رضي الله عنه فأعطاه له بعد أن سأله عن حقه فأجابه النبى ﷺ: أن تضرب به العدو حتى ينحنى. فقال أبو دجانة رضي الله عنه: أنا آخذه بحقه يا رسول الله ﷺ فأعطاه إياه، فأخرج أبو دجانة رضي الله عنه عصابة حمراء فعصب بها رأسه وجعل يتبختر بين الصفين فلم يلمه رسول الله ﷺ.

انضم إلى المشركين زعيم الأوس أبو عامر الراهب فسماه الرسول ﷺ بأبى عامر الفاسق.

بدأت المعركة بهجوم ميمنة جيش مكة بقيادة أبى عامر الفاسق تساندهم الخيل بقيادة خالد بن الوليد على ميسرة جيش المسلمين إلا أن الرماة المسلمين اضطروهم إلى التقهقر والتراجع بعد أن نضحوا الخيل بالنبل.

قام المسلمون بهجوم معاكس على حملة اللواء .

طلب طلحة حامل لواء قريش المبارزة فتقدم إليه الزبير ﷺ وعاجله بطعنة قبل أن ينزل عن جمله ووثب حتى صار معه على الجمل ورماه وبرك فوقه واحتز رأسه بالسيف.

أخذ لواء المشركين عثمان بن أبى طلحة بعد مقتل أخيه فقتله حمزة ﷺ، فرفع اللواء أخوهما الثالث أبو سعيد فرماه سعد بن أبى وقاص ﷺ فقتله، فأخذ الراية رافع بن طلحة فرماه عاصم بن ثابت ﷺ فأخذها أخوه كلاب فقتله الزبير بن العوام ﷺ فرفعها الجلاس أخوهما فطعنه طلحة بن عبيد الله ﷺ فقتله، وتتالى أبناء عبد الدار العشرة الأبطال حتى قتلوا جميعاً وأخذها بعدهم رجل قاتَل حتى قُتِل وسقط اللواء وديس بالأقدام.

اندفع المسلمون اندفاع رجل واحد وتسابق حمزة وأبو دجانة فى حصد الأعداء وهرب المشركون من ساحة القتال وبدت المعركة أنها قد انتهت.

نزل كثير من الرماة يجمعون الغنائم عدا قائدهم عبد الله بن جبير ومعه عشرة منهم.

لما نزل الرماة أسرع خالد بن الوليد ومعه مائتان من الفرسان وصعد الجبل من الخلف وقتل الرماة العشرة بعد قتال عنيف.

تنادت قريش مرة أخرى ورفع اللواء امرأة تسمى عمرة الحارثية وعاد المنهزمون وبدأت المعركة من جديد.

عمت الفوضى جيش المسلمين واستشهد حمزة ﷺ على يد وحشى ومصعب بن عمير ﷺ على يد ابن قمئة والذى ظن أنه قتل رسول الله ﷺ

لشبهه إياه فنادى فى الناس: قتلت محمداً ففر بعض المسلمين وفكر بعضهم فى الاستسلام و لكن شجع بعضهم بعضاً وشجعهم أنس بن النضر ﷺ ورد على قولهم: قتل رسول الله ﷺ بقوله: فماذا تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا وموتوا على ما مات عليه، وظل يقاتل وهو يقول: اللهم إنى أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء - يعنى المشركين - وأعتذر إليك مما يقول هؤلاء - يعنى المسلمين - واستمر فى القتال حتى استشهد.

نادى رسول الله ﷺ فى الناس فاطمأنت نفوسهم وارتفعت معنوياتهم واجتمعوا إليه، فجاء المشركون مستهدفين القائد والتجمع الجديد. واشتد القتال ضرواة وتترس المسلمون أمام النبى ﷺ فكان حوله سور من الأبطال يقاتلون دونه ومنهم سعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله وأبو عبيدة وأبو بكر وعمر وعلى ونسيبة بنت كعب وسعد بن معاذ وسعد بن عبادة وعبد الرحمن بن عوف وحاطب بن أبى بلتعة وقتادة بن النعمان رضى الله عنهم، وأبو دجانة ﷺ الذى جعل ظهره هدفاً لسهام المشركين ليحمى رسول الله ﷺ.

حمل ابن قمئة على رسول الله ﷺ فضربه ضربةً قوية ذهبت فى درع رسول الله ﷺ وآذته، وأتبعها بأخرى فدخلت حلقتان من حلق مغفر[1] رسول الله ﷺ فى وجهه فجرح من أثرها فى وجنته الشريفة، وسال دمه الشريف. وشجه فى وجهه عبد الله بن شهاب الزهرى وضربه عتبة بن أبى وقاص بحجر فكسرت رَباعيته[2] السفلى وانشقت شفته، ووقع فى حفرة فجرحت ركبتاه وأغمى عليه، فأخذ بيده على بن أبى طالب ﷺ ورفعه طلحة بن عبيد الله ﷺ،

---

(١) ما يوضع على الرأس عند القتال للتوقى به.

(٢) سن ما بين مقدم الأسنان والناب.

وأخذ الرسول ﷺ يمسح الدم عن وجهه ويقول: ((كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ بِالدَّمِ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ)) (رواه ابن ماجة).

انسحب رسول الله ﷺ بالمسلمين عبر الشعب من جبل أحد وكان ذلك منظماً بحيث تنسحب جماعة جماعة تحت حماية مجموعة مقاتلة، ولما هجم أحد المشركين وهو أبى بن خلف على رسول الله ﷺ فى هذه الأثناء قذفه النبى ﷺ بحربةٍ فأرداه قتيلاً وهو الرجل الوحيد الذى قتله النبى بيده الشريفة ﷺ.

ارتقى المسلمون هضبة عالية فى جبل أحد فتحصنوا بها وصدوا جميع المحاولات التى قام بها المشركون للقضاء عليهم وعلى رسول الله ﷺ؛ لأنهم كانوا فى مكان حصين يستطيعون منه بالنبال صد أى هجوم.

صعد رسول الله ﷺ على صخرةٍ ليتابع تحركات المشركين ولكن لم يستطع الصعود إلا على ظهر طلحة بن عبيد الله.

لما يئس المشركون من النيل من المسلمين وبعد أن أضناهم التعب وأصابهم الإعياء قرروا الرحيل وإنهاء القتال.

قبل الرحيل صعد أبو سفيان ونادى فى المسلمين قائلاً: الحرب سجال، يوم بيوم، يوم لنا ويوم علينا، ويوم نُساء ويوم نسر، ثم قال: اعْلُ هبل، فأمر النبى ﷺ عمر بن الخطاب ؓ أن يرد عليه قائلاً: الله أعلى وأجل، لا سواء قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار. فقال أبو سفيان: العزى لنا ولا عزى لكم، فأجابه المسلمون حسب أوامر رسول الله: الله مولانا ولا مولى لكم. ثم نادى أبو سفيان بأعلى صوته سائلاً عن محمد وابن أبى قحافة وعمر وكان يظن أنهم قد ماتوا فصعد إليه عمر وأخبره بأنهم أحياء، وأرسل رسول الله ﷺ فى أثرهم ليعرف إن كانوا قد أرادوا مكة أم المدينة فتأكد له أنهم يريدون مكة.

أرسل رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة ليعرف خبر سعد بن الربيع ﷺ فوجده بين الشهداء قد أوشك على الموت، فقال سعد: ((أبلغ رسول الله عنى السلام وقل له: إن سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله عنا خير ما جُزِى نبياً عن أمته، وأبلغ قومك عنى السلام وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله إن خُلص إلى نبيكم ﷺ وفيكم عين تطرف)) ومات من حينه.

من أشهر شهداء المعركة حمزة بن عبد المطلب ﷺ وقد مثَّل[1] به المشركون، وبقرت هند بنت عتبة بطنه ولاكت كبده، ومنهم مصعب بن عمير ﷺ حامل اللواء، وحنظلة بن أبى عامر ﷺ الذى خرج للمعركة صبيحة عرسه فغسلته الملائكة فلقب بغسيل الملائكة رغم أن أباه هو أبو عامر الفاسق والذى انضم لجيش المشركين قبل بداية المعركة، ومنهم عبد الله بن جبير قائد الرماة ومنهم الشهيد الأعرج عمرو بن الجموح ومنهم أنس بن النضر وعبد الله بن عمرو بن حرام.

استشهد مع المسلمين رجل يدعى الأصيرم كان قد أسلم قبيل المعركة ولم يصل لله ركعة ولكنه مات شهيداً مؤمناً ومثله رجل يهودى قد أسلم وكان يسمى مخيريق وقد طلب من اليهود أن ينصروا رسول الله ﷺ فقالوا: إن اليوم يوم سبت فقال لهم: لا سبت لكم وأخذ سلاحه وقاتل حتى استشهد ﷺ.

قتل فى الغزوة مع المسلمين رجل يدعى قزمان وكان يدافع عن قومه ورغم شجاعته إلا أنه انتحر بعد أن اشتد عليه الألم، ولم يكن يقاتل فى سبيل الله فأخبر رسول الله أنه فى النار.

بلغ عدد شهداء المسلمين سبعين منهم أربعة من المهاجرين بينما بلغ عدد الجرحى مائة وخمسين تقريباً، فى حين قُتل من المشركين اثنان وعشرون.

---

(١) المثلة: تشويه الجسد قبل القتل أو بعده.

عبر وفوائد من غزوة أحد :

وفى أحداث هذا اليوم الفريد من العبر والفوائد ، والعظات والعوائد ، والأحكام الفقهية ، والإشارات التربوية ، ما أكثر فيه العلماء

فمن ذلك : التمحيصُ الذى ظهر فيها ، المتجلى فى ابتلاء المؤمنين عقاباً لهم على المخالفة ، فكان ذلك درساً عملياً لم ينسوه أبداً .

ومنها : تطبيق مبدأ الشورى ، كما تقدم فى بدر ، وموقف النبى ﷺ الحازم فى عدم رجوعه لرأى أصحابه بعد أن لبس سلاحه واستعد ، حتى يفهمهم أنه لا مكان للإضطراب فى الرأى والخلاف فى مثل هذه المواطن . وقد صارحهم بأن الرجوع ليس من أخلاق النبوة ، ولاشيَم الأنبياء : ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ (آل عمران : ١٥٩) .

ومنها : عدم استعانة الرسول ﷺ بالمشركين ، وقوله للأعرابى المشرك : ((اذهب فأنا لا أستعين بمشرك)) .

ومنها : ما تجلى من الحماس الدينى ، والغيرة الإيمانية ، فى رغبة الشباب المؤمن فى القتال ، والمشاركة ، مع نكوص المنافقين وهم رجال فوق الثلاثمائة على أعقابهم ، وشدة جزعهم وخوفهم . ثم ما ظهر للعيان من استشهاد المؤمنين ، واستماتتهم فى الدفاع عن الرسول ﷺ وتضحيتهم بشكل عديم النظير فى ذلك ، مما تقدم بعضُه ، وليس لذلك تفسير إلا صدق الإيمان ، وصفاء المحبة لنبيهم ﷺ .

ومنها : أن هذه المعركة كانت إرهاصاً بموته ﷺ ، وإشارة إلى وجوب تثبتهم وتماسكهم واعتصامهم بالدين عند فقده ﷺ لأنه ﷺ واسطة التبليغ

والبيان، والدين لله، وخلاصته عبادة الله وحده، فلا يجوز والحالة هذه أن ينقلبوا على أعقابهم إذا أصيب ﷺ، ومن أجل هذا المغزى العظيم، أنزل الله تعالى عليهم: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ (آل عمران: ١٤٤). وكما قال أبو بكر رضى الله عنه عندما قبض النبى ﷺ: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإنه حى لا يموت.

غزوة حمراء الأسد

كانت صبيحة أحد تبعد عن المدينة ثمانية أميال قال الواقدي[1]: باتت وجود المدينة على بابه ﷺ، فلما طلع الفجر أذن بلال بالصلاة جاء عبد الله ابن زيد المزنى فأخبر النبى ﷺ أنه أقبل من عند أهله بالقرب من المدينة فسمع قريشاً يقولون ما صنعتم شيئاً، أصبتم شوكة القوم وحدهم ثم تركتموهم ولم تبيدوهم وصفوان بن أمية يأبى ذلك عليهم، فقال رسول الله ﷺ: أرشدهم صفوان ولم يكن رشيداً، صلى رسول الله ﷺ الصبح وأمر بلالاً أن ينادى أن رسول الله يأمركم بطلب العودة، وألا يخرج معنا أحداً، إلا من شهد معنا أحداً؛ أراد بذلك إظهار الشدة بالعدد والزيادة فى تعظيم من شهد أحداً. أقام رسول الله ﷺ ثلاثة أيام بحمراء الأسد، وكان المسلمون يوقدون تلك الليالى خمسمائة نار حتى تُرى من المكان البعيد، وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم فى كل وجه، فكبت الله بذلك عدوهم، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة.

---

(١) محمد رسول الله ﷺ لمحمد رضا ص ٢٠٧- ٢٠٨.

أما (**بعث الرجيع**) قال ابن إسحاق والواقدى أنه ماء لهذيل بين مكة والطائف، وسبب هذا البعث أن بنى لحيان من هذيل مشوا إلى قبيلتين من بنى الهون بن خزيمة، فجعلوا لهم إبلاً على أن يكلموا رسول الله ﷺ أن يخرج إليهم نفراً من أصحابه يفقهوهم فى الدين، بعث معهم رسول الله ﷺ ستة من أصحابه برئاسة عاصم بن ثابت، خرج هؤلاء حتى أتوا الرجيع فغدروا بهم واستصرخوا عليهم هذيلاً ليعنيوهم على قتلهم، وأخذ عاصم ومن معه أسيافهم ليقاتلوا القوم.

إلا أن القوم كانوا يريدون أن يسلموهم إلى كفار قريش ويأخذوا فى مقابلهم أجراً إلا أن الصحابة ﷺ قاتلوا حتى قتلوا.

أما (**سرية بئر معونة**) وتسمى أيضاً بسرية القراء كانت فى السنة الرابعة للهجرة، قال ابن إسحاق: إنه قدم على رسول الله ﷺ أبو براء عامر ابن مالك فعرض رسول الله ﷺ عليه الإسلام فلم يسلم ولم يبعد وقال له: يا محمد إنى أرى أمرك هذا حسناً شريفاً وقومى خلفى، فلو أنك بعثت معى نفراً من أصحابك لرجوت أن يتبعوا أمرك، فإن هم اتبعوك فما أعز أمرك، فقال رسول الله ﷺ: ((إنى أخش عليهم)) فقال: أنا لهم جار، فبعث رسول الله المنذر بن عمرة ومعه القراء وهم سبعون، فلما وصلوا إلى بئر معونة بعثوا حرام بن ملحان بكتابه ﷺ إلى عامر بن الطفيل، وهو ابن أخى أبى البراء. فلم ينظر فى الكتاب بل وثب على حرام فقتله، فاستصرخ عليهم قبائل من سليم فنفروا معه، واستبطأ المسلمون حراماً فأقبلوا فى أثره فأحاط بهم القوم فكاثروهم فقاتلوا، فقتل أصحاب رسول الله ﷺ، وجاءه خبر بئر معونة، فقال ﷺ: هذا سبب عمل أبى البراء حيث أخذهم فى جواره قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً، فبلغ ذلك البراء فمات عقب ذلك أسفاً.

غزوة بنى النضير

الآثار الإيمانية :

١- التحذير من مخططات اليهود وأخلاقهم.

٢- التعريف ببعض صفات اليهود وخصائصهم.

٣- التأكيد على أهمية إظهار قوة المسلم ضد أعداء الله.

٤- التعريف ببعض قواعد الحروب وآدابها وفقهها.

٥- التحذير من خطر المنافقين فى الدولة الإسلامية.

٦- التنبيه إلى أهمية إعداد العدة وتربية الناشئة لصد أعداء الله.

٧- التأكيد على أن اليهود هم هم فى كل زمان ومكان.

قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤) مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (٥) ﴾ (الحشر: ٢ - ٥).

قال تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا

يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ (الحشر: ١١ـ ١٤).

فى رحاب الآيات:

وقعت فى العام الرابع الهجرى، وكان السبب فيها أن ذهب الرسول ﷺ إلى يهود بنى النضير بالمدينة ليساعدوا المسلمين فى دفع دية لإحدى القبائل، قتل منهم رجلان على سبيل الخطأ من أحد المسلمين؛ وذلك عملاً بالاتفاقية المبرمية بينهم. فأظهر اليهود الموافقة فجلس الرسول بجانب جدار لهم، فاتفق اليهود على اغتيال الرسولﷺ فى تلك اللحظات بإلقاء صخرةٍ عليه وهو جالس فتعهد عمرو بن جحاش بتنفيذ ذلك فى الحال.

نزل جبريل فأخبر الرسول ﷺ بالمؤامرة فترك مكانة فوراً عائداً إلى المدينة، ولما تأخر عن أصحابه جاءهم الخبر أنه ذهب إلى المدينة، فلحقوا به فأخبرهم ما كان من غدر اليهود.

أمر الرسول ﷺ المسلمين بالتهيؤ لحرب بنى النضير فاستعد الناس لذلك، وولى الرسول ﷺ على المدينة عبد الله ابن أم مكتوم. ولما جاءت الأخبار من المدينة باستعداد المسلمين لحرب بنى النضير وعدهم عبد الله بن أبى ابن سلول رأس المنافقين بالنصرة وأمرهم بالثبات، وقال لهم: إن قوتلتم لنقاتلن معكم ولئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً وإنا لن نسلمكم أبداً إذ كان بينهم حلف. سار المسلمون إلى يهود بنى النضير، فلما وصلوا تحصنوا بحصونهم، واستمر الحصار ست ليال.

أمر الرسول ﷺ بقطع النخيل وحرقه فنادوه من وراء الحصون: أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه، فما بال قطع النخيل وتحريقها. وقذف الله الرعب فى نفوس المنافقين فلم يجرءوا على نصرتهم. كما ألقى الله الرعب فى قلوب اليهود فطلبوا من الرسول ﷺ أن يجليهم عن المدينة ويصادر ما معهم من سلاح فوافق الرسول ﷺ.

رحل بعض اليهود إلى الشام ورحل بعضهم إلى خيبر، وكان منهم الزعماء حيى بن أخطب وسلام بن أبى الحقيق وكنانة بن الربيع، فلما نزلوا فيها قدمهم أهل خبير عليهم ودانوا لهم.

(**غزوة ذات الرقاع**) أو غزوة صلاة الخوف، جاء فى صحيح البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: غزوت مع رسول الله ﷺ قبل نجد فوازينا العدو فصافقنا لهم، فقام رسول الله ﷺ يصلى بنا فقامت طائفة معه وأقبلت طائفة على العدو وركع رسول الله بمن معه وسجد سجدتين ثم انصرفوا مكان الطائفة التى لم تصل فجاءوا فركع رسول الله بهم ركعة وسجد سجدتين ثم سلم، فقام كل واحد منهم فركع لنفسه ركعة وسجد سجدتين، وسبب خروجه ﷺ إلى هذه الغزوة أنه بلغه أنهم جمعوا جموعاً لمحاربته فخرج فى أربعمائة من أصحابه، وسار إلى أن وصل إلى موضع يسمى وادى الشقرة ولم ير أحداً، فسار حتى نزل نخلاً وهو موضع من نجد من أرض غطفان، فلم يجد فى مجالسهم إلا نسوة فأخذهن، فبلغ الخبر القوم فخافوا وتفرقوا فى رؤوس الجبال، ثم اجتمع جمع منهم وجاء لمحاربة جيش رسول الله ﷺ وأخاف الناس بعضهم بعضاً، ولم يكن بينه وبين القوم حرب.

(غزوة السويق) وتسمى (بدر الثالثة، وبدر الآخرة) سبب هذه الغزوة أن أبا سفيان بن حرب لما كان عائداً من غزوة أحد، قال للنبى ﷺ وأصحابه: موعدنا بدراً عاماً قابلاً، فقال النبى ﷺ لأصحابه: **((قولوا له: نعم))**، فقالوا: نعم، إن موعدنا معك العام القابل، فلما آن أوان الموعد استخلف النبى ﷺ على المدينة، وخرج فى ألف وخمسمائة مقاتل، وسار حتى وصل بدراً.

وخرج أبو سفيان فى قريش وهم ألفان حتى نزل موضعاً قريباً من مر الظهران ثم بدا له الرجوع، فرجع ورجع الناس فسماهم أهل مكة جيش السويق يقولون إنما خرجتم تشربون السويق، وهذه الحيلة دبرها أبو سفيان لأنه لم يكن يريد حرباً بل خرج لئلا يقال أخلف وعده ولم يخرج، على أنه لم يعارضه أحد من قريش فى الرجوع، فكان الجيش أيضاً لا يريد الحرب، وأقام رسول الله ﷺ ببدر ثمانية أيام ينتظر أبا سفيان، وفى هذه المدة باع المسلمون ما معهم من التجارة فربحوا كثير.

(غزوة دومة الجندل) وهى أول غزوات الشام فى السنة الخامسة للهجرة وسببها أنه بلغ رسول الله ﷺ، أن بها جمعاً كثيراً يظلمون من مر بهم، وأنهم يريدون الدنو من المدينة، فخرج رسول الله ﷺ، فى ألف من أصحابه فأصاب أهل دومة الجندل الرعب وتفرقوا ثم عاد إلى المدينة، قال ابن الأثير: وغنم المسلمون إبلاً لهم.

(غزوة المريسيع) أو غزوة (بنى المصطلق) فقد كانت فى السنة الخامسة من الهجرة، وسببها أن الحارث بن أبى ضرار الخزاعى كان قد جمع الجموع لمحاربة النبى ﷺ فخرج حتى بلغ عليه السلام المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل، وحمل المسلمون على المشركين فقتلوا عشرة وأسروا باقيهم وكانوا أكثر من سبعمائة، وسبوا الرجال والنساء والذرية وساقوا الغنم ولم يقتل من المسلمين إلا رجل واحد.

حادثة الأفك

الآثار الإيمانية:

١- التحذير من ترويج الشائعات.

٢- التعريف بأهمية حسن الظن بالمؤمن.

٣- التحذير من إشاعة الفاحشة بين المؤمنين.

٤- التأكيد على أهمية العفو والصفح.

٥- استشعار العصمة لرسول الله ﷺ وأن غيره قد يخطئ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ (١٢) لَّوْلَا جَاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٢٠) ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ

﴿ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾ (النور: ١١ـ ٢٥).

فى رحاب الآيات:

عاد رسول الله ﷺ من غزوة بنى المصطلق مؤيداً منصوراً مظفراً مؤزراً. وفى الطريق افتقدت عائشة عقدها فلم تجده، فضربت فى الفضاء الفسيح تبحث عنه. وأذن المؤذن بالرحيل وحمل الرجال هودج عائشة على راحلتها يحسبونها فيه، وكان النساء يومئذ خفيفات لم يثقلهن السمن ولم تدركهن البدانة، وعادت عائشة فلم تجد للقوم أثراً، وغلبتها عيناها فنامت. وجاء صفوان على أثر ذلك وهو فى ساقة الجيش يتفقد الضالة ويرد التائهين، فرأى عائشة فى نومها فقال: ((**إنا لله وإنا إليه راجعون، ظعينة رسول الله ﷺ!!**)) واستيقظت النائمة على صوته فتملكها الخجل وغطت وجهها بجلبابها وأناخ لها صفوان راحلته فامتطتها وانطلق بها حتى أدرك القوم، وسأل النبى ﷺ زوجه فصدقته فصدق. ولم لا وأهل الطهر والنقاء عائشة كريمة المنابت طيبة الأعراق.

وانتهى الأمر كأن لم يكن شيء. ولكن عصبة النفاق وجماعة الفتنة والشقاق، وأدوات الإفك والبهتان أبت إلا أن تعكر صفاء هذه النفوس المؤمنة، وتتخذ من هذه الحادثة مادة للكذب والإيذاء والافتراء، فقال عبد الله بن أبى رأس المنافقين: ((**والله ما نجت منه ولا نجا منها**)) وتحرك بمثل ذلك لسان مسطح

وحسان وزيد بن رفاعة وحمنة بنت جحش وفشت قوله السوء في الناس حتى بلغ الخبر رسول الله ﷺ ووصل إلى مسمع أبي بكر، ولم يبق أحد لم يعرفه.

ومضى رسول الله ﷺ مهموماً مكروباً يتحرى الأمر ويتحسسه فلم يجد إلا خيراً، ولم ير من دليل إلا هذه القالة الباطلة الفاشية التي لم تنهض بها حجة ولم يقم عليها برهان، وسأل زوجته الأخرى زينب بنت جحش الصالحة التقية وسأل خادمتها برة المؤمنة الأبية وسأل أسامة بن زيد ﷺ فلم يسمع إلا الخير والبراءة والطهر، فخرج إلى الناس مغضباً يقول: **((يا أيها الناس ما بال رجال يؤذونني في أهلي ويقولون عليهم غير الحق؟ والله وما علمت منهم إلا خيراً، وقد ذكروا رجلاً ما علمت منه إلا خيراً وما يدخل بيتاً من بيوتي إلا وهو معي))**.

ولكن قاله السوء مازالت تنتشر وما زالت تلوكها ألسنة الناس، فذهب الرسول ﷺ يسأل عائشة آخر الأمر يقول: **((يا عائشة، إنه قد كان ما بلغك من قول الناس فاتقي الله فإن كنت قارفت سوءاً مما يقول الناس فتوبي إلى الله، فإن الله يقبل التوبة عن عباده))**.

ولكنها لم تستطع أن تجيب والتفتت إلى أبيها تقول: ((أجب عني رسول الله ﷺ)) وانفجرت باكية تقول: ((والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً والله إني لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس، والله يعلم أني منه البريئة لأقولن ما لم يكن، ولئن أنكرت ما يقول الناس لا تصدقونني، ولكني أقول كما قال أبو يوسف عليه السلام - أي نبي الله يعقوب عليه السلام -: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ (يوسف: ١٨).

وأطرق رسول الله ﷺ ووجم أبو بكر ﷺ وتنهدت أم رومان وترقبت عائشة واهتز الملأ الأعلى لهول الفرية ونزل الوحى الحق يطارد الإفك، وأنزل الله على نبيه ﷺ فى هذه اللحظة الرهيبة آيات مخلدات فى سورة النور.

❁❁❁

غزوة الأحزاب

الآثار الإيمانية :

١- استشعار قدرة الله تعالى .

٢- بيان أهمية بث الأمل فى النفوس.

٣- التحذير من الانهزام النفسى .

٤- التأكيد على أهمية الوفاء بالعهود .

٥- التعريف ببعض صفات اليهود .

٦- التعريف بأهمية حفاظ المسلم على عزته .

٧- التعريف ببعض آداب القيادة والجندية .

٨- التأكيد على أهمية تشجيع الإبداع والابتكار .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (١١) وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (١٢) وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ۚ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (١٣) وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا (١٤) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا (١٥) قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن

فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ ﴾ (الأحزاب: ٩ - ٢٥).

فى رحاب الآيات:

غزوة الأحزاب (أو غزوة الخندق) وقعت فى العام الخامس الهجرى، حيث أراد زعماء اليهود الثأر من المسلمين بعد طرد بنى قينقاع وبنى النضير، إلى جانب حقدهم الدائم على المسلمين ومحاولة اجتثاث جذورهم؛ فخرج من خيبر حيى بن أخطب وسلام بن أبى الحقيق وكنانة بن أبى الحقيق وغيرهم من زعماء اليهود، واتجهوا إلى مكة يدعون قريشاً إلى حرب المسلمين وقالوا للمشركين

هناك بأن دينهم خير من دين محمد ثم اتجهوا إلى غطفان وتواعدوا جميعاً على موعد للخروج لحرب رسول الله ﷺ.

ولما وصل الخبر إلى رسول الله ﷺ استشار أصحابه فاقترح عليه سلمان الفارسى أن يبنى خندقاً حول المدينة فعملوا فيه وشاركهم رسول الله ﷺ حتى انتهوا منه.

خرجت قريش بقيادة أبى سفيان، وخرجت من غطفان فزارة بقيادة عيينة بن حصن وخرجت مرة بقيادة الحارث بن عوف، وأشجع بقيادة مسعر بن رخيلة، وخرجت كنانة وتهامة ونجد حتى اجتمع عشرة آلاف مقاتل ونزلوا عند جبل أحد قريباً من وادى بطحان ووادى قناة يساندهم يهود بنى قريظة القريبيون من المدينة والمعاهدون لرسول الله ﷺ ناقضين عهودهم معه إلى جانب ما اجتمع لهم من يهود خيبر وغيرهم.

كان عدد المسلمين تسعمائة مقاتل. ولقد عظم البلاء على المسلمين واشتد الخوف وأتاهم العدو من فوقهم ومن أسفل منهم، وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر، وداخلهم كل ظن وظهر المنافقون وقالوا: إن بيوتنا عورة أى غير حصينة وما هى بعورة إن يريدون إلا فراراً.

استعرض النبى ﷺ جيشه بعد حفر الخندق وقسمه إلى فرقتين: الأولى بقيادة المهاجرين وأعطى لواءها زيد بن حارثة، والأخرى بقيادة الأنصار وأعطى لواءها سعد ابن عبادة. وكان النبى ﷺ قد جعل على المدينة عبد الله بن أم مكتوم رضى الله عنه.

استشار رسول الله ﷺ سعد بن معاذ وسعد بن عبادة زعيمى الأنصار فى دعوة غطفان إلى العودة وترك مواقعهم مقابل ثلث ثمار المدينة فلم يوافقا، وقالا

له : أمرًا تحبه فنصنعه أم شيئًا أمرك الله به لا بد لنا من العمل به، أم شيئًا تصنعه لنا؟ قال: بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأننى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما؛ فقال له سعد بن معاذ : يا رسول، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قرى ((ضيافة)) أو بيعًا، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه، ونعطيهم أموالنا! والله ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم. قال رسول الله ﷺ: فأنت وذاك.

أرسل بنو قريظة قافلةً للمشركين مؤلفة من عشرين بعيراً تحمل زبيباً وتمراً وتيناً فاستولى عليها المسلمون فى الطريق.

أسر من المسلمين اثنان هما سليط وسفيان بن عوف كانا يقومان بأعمال الدورية لنقل أخبار الأحزاب إلى رسول الله ﷺ وقتلهما المشركون.

ولقد حاول بعض فرسان قريش اقتحام الخندق ومنهم عمرو بن عبد ود وعكرمة بن أبى جهل وأتوا من مكان ضيق فخرج إليهم على بن أبى طالب فى نفر من المسلمين فوقفوا حيالهم وبارز على عمرو بن ود فقتله وفر من معه من المشركين.

أصيب سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الأكحل[1]، وشعر بالألم ودعا الله أن يبقيه لحرب قريش أو يرزقه الشهادة بعد أن تقر عينه من بنى قريظة.

طلب المشركون من بنى قريظة أن يشاغلوا المسلمين ويتحرشوا بهم حتى

---

(١) عرق فى وسط الذراع.

يتمكنوا من اقتحام الخندق وقد حاولوا ذلك لولا حذر المسلمين الشديد منهم.

أسلم رجل من أشجع يسمى نعيم بن مسعود وطلب من رسول الله ﷺ أن يأمره بما شاء، فقال له النبى ﷺ: **((إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة))**. فخرج نعيم إلى كل فرقة يوقع بينهم؛ فأشار على اليهود أن يأخذوا رهناً من أشرافهم ليضمنوا مساندتهم لهم إن أراد رسول الله ﷺ حربهم لأنه قريب منهم، أما المشركون فسوف يذهبون إلى بلدهم بعد انتهاء الحرب فوافقوا، وقال لغطفان وقريش بأن اليهود يريدون أخذ رجالكم يعطونهم لمحمد ليضرب أعناقهم حتى يضمنوا التحالف معه. ولما طلبت قريش والعرب من اليهود البدء بالقتال طلبوا منهم بعض أشرافهم رهينة فرفضوا فصدقت قريش وغطفان واليهود كلام نعيم ونشب الخلاف بينهم ودب اليأس والخلاف فى جند الشرك.

هبت على الكفار ريحٌ عاصف فى ليلةٍ شاتية شديدة البرد فانقلبت قدورهم وأزيلت خيامهم وعمتهم الفوضى.

أرسل النبيﷺ حذيفة بن اليمان ليستطلع خبر القوم وأمره ألا يحدث فيهم[1]، فسمع من أبى سفيان قرار الارتحال وأمره للفرسان بتأمين الانسحاب فأخبر النبى بذلك، غادرت قريش وغطفان مواقعهما وتبعهما الفرسان فلما أصبح الصباح كان الأحزاب قد ذهبوا، فوضع المسلمون السلاح.

استشهد خلال المعركة ثمانية من المسلمين وكلهم من الأنصار منهم كعب بن زيد والطفيل بن النعمان وثعلبة بن غنيمة وعبد الله بن سهل. بينما قتل من المشركين أربعة منهم عمرو بن عبد ود ومنبه بن عثمان.

---

(١) أى لا يقتل منهم أحداً.

غزوة بنى قريظة

الآثار الإيمانية:

١- التعريف بأدب الخلاف.

٢- التحذير من غدر اليهود.

٣- التأكيد على أهمية حماية الدولة الإسلامية من الداخل.

٤- التحذير من خشية الناس وإرضائهم فى سخط الله.

٥- التعريف بأهمية القوة فى الإسلام.

٦- بيان جزاء الغدر والخيانة.

قال تعالى: ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾ (الأحزاب: ٢٥-٢٧).

فى رحاب الآيات:

وقعت فى العام الخامس الهجرى وكان السبب فيها أن بنى قريظة قاموا - رغم معاهدتهم مع المسلمين - بجمع القبائل ضد المسلمين فى غزوة الأحزاب، فتحالفوا مع قريش وألبوا العرب على المسلمين وقالوا للمشركين فى مكة بأن دينهم خير من دين المسلمين، وتواعدوا جميعاً على حرب المسلمين فكان الضيق والحصار على المسلمين من داخل المدينة ومن خارجها.

بعد أن أوقع نعيم بن مسعود بين اليهود ومشركى قريش وغطفان وتأكد اليهود من قرب نهاية الحرب دون إبادة المسلمين رأوا أن يناوروا خوفاً على حياتهم، فطلبوا من الرسول ﷺ أن يعيدوا العهد الذى بينه وبينهم شريطة أن يعود بنو النضير إلى ديارهم فرفض الرسول ﷺ.

ولما رجع النبى ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل عليه السلام فقال: قد وضعت السلاح والله ما وضعناه فاخرج إليهم. قال: فإلى أين؟ قال: ها هنا وأشار إلى بنى قريظة، فأمر الرسول ﷺ بأن لا يصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة.

عين الرسول ﷺ ابن أم مكتوم والياً على المدينة.

أمر الرسول ﷺ على بن أبى طالب ليحمل اللواء ويكون فى مقدمة الجيش ليسبقه باللواء إلى بنى قريظة حتى يصل إليها قبل وصول عامة الجيش مع مفرزة من المسلمين.

أسرع المسلمون إلى بنى قريظة ومنهم من صلى بالطريق وأخذ الأمر من باب السرعة، ومنهم من لم يصل حتى وصل هناك حسب الأمر فصلى متأخراً فى غير وقت الصلاة، وعندما ذكر ذلك لرسول الله ﷺ لم يعنف أحد الطرفين.

وصل الخبر إلى بنى قريظة فدخلوا حصونهم واعتصموا بها ودخل معهم حيى بن أخطب زعيم بنى النضير الذى كان قد ذهب إلى خيبر بعد إجلاء قومه.

عندما وصل على بن أبى طالب إلى بنى قريظة سمع شتائم اليهود للنبى ﷺ ولنسائه الطاهرات ولم يرد عليهم إلا بأن قال: السيف بيننا وبينكم. فلما علم على بقرب قدوم النبى عين مكانه أبا قتادة الأنصارى وأسرع إلى النبى لئلا يسمع ما سمعه هو من اليهود إشفاقاً عليه، فقال له النبى ﷺ لو رأونى لم

يقولوا من ذلك شيئاً وقد كان ذلك بالفعل حتى أن الرسول ﷺ لما رآهم فى حصونهم نادى فيهم قائلاً : يا إخوان القردة وعبدة الطاغوت هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمتا؟ فألانوا له القول وقالوا : يا أبا القاسم ما كنت جهولاً .

نزل النبى ﷺ على بئر من آبارهم هى بئر ((أنّى)) وجعل مقر قيادته هناك ، وظل يحاصرهم خمسًا وعشرين ليلة .

حاول عمرو بن سعدى اليهودى إثناء بنى قريظة عن غدرهم بالعهد وحذرهم ذلك ثم حاول إقناعهم بالنزول على قرار المسلمين فلم يستجيبوا له فنزل من الحصن فقبض عليه المسلمون ، ثم ما لبثوا أن أطلقوا سراحه لما علموا فيه من وفاء . وقال النبى ﷺ فيه ذاك رجل نجاه الله بوفائه .

بعد أن طال الحصار خاف اليهود من الموت جوعاً إن استمر فقال لهم زعيمهم كعب ابن أسد : يا معشر يهود ، قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإنى عارض عليكم خلالاً ثلاثةً فخذوا أيها شئتم. قالوا : وما هي؟ قال : نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم إنه لنبى مرسل، وإنه للذى تجدونه فى كتابكم فتأمون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم، فقالوا : لا نفارق حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره . قال : فإذا أبيتم على هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين السيوف لم نترك وراءنا ثقلاً حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه وإن نظهر فلعمرى لنجدن النساء والأبناء . قالوا : نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم؟ قال : فإن أبيتم علىَّ هذه فإن الليلة ليلة السبت وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه أمنونا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة. قالوا : نفسد سبتنا علينا ونحدث فيه ما لم يحدث من

كان من قبلنا إلا من قد علمت فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ قال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمة ليلةً واحدةً من الدهر حازماً. وألقى باللوم على حيي بن أخطب الذى حملهم على الغدر بالمسلمين ونقض العهد مع الرسول ﷺ.

طلب بنو قريظة من رسول الله ﷺ أن يسمح لهم بالجلاء عن ديارهم بالشروط التى أجلى بها بنى النضير بحيث يحملون أموالهم معهم ويتركون سلاحهم، فلم يقبل الرسول ﷺ وطلب منهم أن ينزلوا على حكمه دون شروط.

طلب بنو قريظة من الرسول ﷺ أن يرسل إليهم، أحد حلفائهم من الأوس ليستشيروه وهو أبو لبابة بشير بن عبد المنذر فأرسله إليهم فلما رأوه قام إليه الرجال وبكت النساء والأولاد فى وجهه فأشفق عليهم وسألوه: هل ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم. وأشار بيده إلى حلقه، أى أنه الذبح، لكنه أحس أنه خان الرسول ﷺ وأفشى ما عزم عليه فربط نفسه فى عمود حتى نزلت توبة الله عليه.

انهارت معنويات بنى قريظة لكنهم ماطلوا فى الاستسلام. وهدد المسلمون باقتحام الحصون فأعلن بنو قريظة استسلامهم وفتحوا أبواب الحصون وألقوا السلاح وخرجوا.

وضعت القيود فى أيدى الرجال وعزلوا فى جانب تحت إشراف محمد بن مسلمة ثم نقلوا إلى المدينة وسجنوا فى دار أسامة بن زيد.

نقل النساء والأطفال إلى المدينة وأنزلوا فى دار إحدى نساء بنى النجار وكان ينزل فيها الوفود عادةً وهى دار بنت الحارث.

كان عدد الرجال تسعمائة والنساء والأطفال يقاربون الألف.

شفع بعض الأنصار من الأوس فى بنى قريظة وقد كانوا خلفاءهم فى الجاهلية فقال لهم رسول الله ﷺ: ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا: بلى. قالك فذاك سعد بن معاذ فكلمه الأوس فقال سعد: لقد آن لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم فيئس الأوس من الرفق ببنى قريظة. وحضر سعد ﷺ وهو متأثر بإصابته فى الخندق وكان قد دعا الله عندما أصيب قائلاً: ((**اللهم إن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لى شهادة ولا تمتنى حتى نقر عينى من بنى قريظة**)).

اتجهت الأنظار لسعد ليحكم فيهم فسأل الأوس ثم رسول الله ﷺ ثم بنى قريظة: أترضون بحكمي؟ فوافق الجميع ورضوه حكماً. وحكم سعد بن معاذ أن يقتل الرجال وتسبى النساء وأن تكون الأموال غنيمة للمحاصرين لهم من المسلمين وأن تكون ديارهم للمهاجرين دون الأنصار. فقال له رسول الله ﷺ: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات. وأمر رسول الله ﷺ بحفر خنادق فى سوق المدينة وضربت أعناق بنى قريظة جماعات جماعات.

كان بنو قريظة المحتجزون يلوذون بسيدهم كعب كلما استدعى الحرس جماعةً منهم لإعدامهم يسألونه فى خوف وارتباك: ما تراه يصنع بنا؟ فيجيبهم فى ثبات: أفى كل موطن لا تعقلون؟ أما ترون الداعى لا ينزع والذاهب منكم لا يرجع... هو والله القتل.

طلب حيى بن أخطب زعيمهم الكلام قبل أن يقتل فسمح له الجند المسلمون فقال: ((**أيها الناس لا بأس بأمر الله كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بنى إسرائيل**)) وقال للرسول ﷺ: ((**أما والله ما لمت نفسى فى عداوتك ولكن من يخذل الله يخذله الله**)).

أما كعب بن أسد الزعيم الثانى فناداه النبى ﷺ فقال: نعم يا أبا القاسم. فقال: ما انتفعتم بنصح ابن خراش[1] لكم، وكان مصدقاً بى، أما أمركم باتباعى وإن رأيتمونى تقرئونى السلام؟ قال كعب: بلى والتوراة يا أبا القاسم ولولا أن تعيرنى يهود بالجزع من السيف لاتبعتك، فأمر النبى ﷺ أن يقدم فتضرب عنقه فضربت.

قتل مع الرجال امرأة من بنى قريظة تسمى مزنة كانت قد قتلت أحد المسلمين وهو خلاد بن سويد أثناء الحصار.

وزعت الغنائم والأموال والسبايا وأمر رسول الله ﷺ ألا يفرق بين المرأة وولدها وكانت الغنائم ألفاً وخمسمائة سيف وألفى رمح وثلاثمائة درع وألفاً من النساء والغلمان. وقد قسمت جميعها على المسلمين الذين اشتركوا فى الحصار فقط.

✿❀○❀○❀❀○❀✿

(**سرية القرطا**): بعث رسول الله ﷺ، محمد بن مسلمة الأنصارى فى ثلاثين راكباً إلى القرطا من بنى بكر على طريق البصرة إلى مكة. فلما أغاروا عليهم هرب باقيهم بعد أن قتل منهم عشرة واستاق مائة وخمسين بعيراً وثلاثة آلاف شاة وقدموا إلى المدينة وأسروا ثمامة بن أثال. ثم صار ثمامة رضى الله عنه من فضلاء الصحابة وهدى الله به خلقاً كثيراً من قومه، وقام مقاماً حميداً بعد وفاة النبى ﷺ، حين ارتدت اليمامة مع مسيلمة الكذاب.

---

(١) كان رجلاً من أحبارهم.

فأطاعه ثلاثة آلاف وانحازوا إلى المسلمين[1].

(غزوة بنى لحيان): كانت سنة ست من الهجرة، وسببها أن رسول الله ﷺ، حزن على عاصم بن ثابت وأصحابه القراء الذين قتلوا ببئر معونة. فأظهر ﷺ، أنه يريد الشام ليصيب من القوم غرة ثم غير اتجاهه حتى نزل على غران وهى منازل بنى لحيان وقد وجد أن القوم قد حذروا وتمنعوا فى رؤوس الجبال ثم خرج حتى أتى عسفان فبعث أبا بكر رضى الله عنه فى عشرة فوارس لتسمع بهم قريش فيذعرهم ثم رجع رسول الله ولم يلق كيداً[2].

(غزوة ذى قرد والغابة): ماء قريب من المدينة، وسببها إغارة عيينة بن حصن الفزارى على لقاح رسول الله ﷺ، ركب رسول الله وأدركوا العدو فهزموه واستنقذوا اللقاح، وكانت مدة غيبته خمسة أيام صلى بذى قرد صلاة الخوف، (سرية الغمر) فهى ماء لبنى أسد قرب مكة خرج عكاشة فى أربعين رجلاً فهرب القوم فوجدوا ديارهم خالية لهربهم فأغاروا عليها فاستاقوا مائتى بعير، وقَدِمُوا بالإبل على رسول الله ﷺ ولم يلقوا حرباً.

(سرية محمد بن مسلمة الأنصارى): إلى ذى قصة موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً فى طريق الربدة، وسببها ما بلغه أن بنى ثعلبة وأنمار أجمعوا على أن يغيروا على سرح المدينة وهى ترعى، وكانت الماشية قد ازدادت بسبب ما غنمه المسلمون، خرج محمد بن مسلمة ومعه عشرة إلى بنى ثعلبة وقد كمن لهم المشركون فقتلوهم، فبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح ﷺ فى أربعين رجلاً إلى منازلهم ولم يجدوا أحداً وأخذوا نعماً من نعمهم وشيئاً من متاعهم وقدموا به إلى المدينة.

---

(١) محمد رسول الله ﷺ، محمد رضا ص ٢٤١ - ٢٤٣.

(٢) نهاية الأرب: النويرى ج ١٧ ص ٢٠٠.

(سرية زيد بن حارثة): إلى *بنى سليم* بالجموم موضع على أربعة أميال من المدينة، سببها أنه عليه الصلاة والسلام بلغه أن عيراً قد أقبلت من الشام فبعث زيداً ومعه سبعون راكباً ليتعرض لها فأخذها وما فيها وأسر أبا العاص بن الربيع وهو زوج زينب بنت رسول الله ﷺ فدخلت زينب على رسول الله فسألته أن يرد عليه ما أخذ منه فقبل.

وقال ﷺ: **((أكرمى مثواه ولا يخلص إليك فإنك لا تحلين له))**، ثم ذهب أبو العاص إلى مكة فأدى إلى كل ذى مال ماله ثم أسلم وقدم المدينة.

(سرية زيد بن حارثة): *بوادى القرى* من وجهة الشام، وسببها أن رسول الله ﷺ كان قد أوفد دحية الكلبى بكتاب إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام فأعطاه جائزة وكساه، فلقيه الهنيد وهو عائد وأصابوا كل شئ معه، فسمع رهط رفاعة الجزامى ممن كان أسلم فاستنفذوا ما كان فى أيديهم وردوه على دحية.

قدم دحية على رسول الله ﷺ وأخبره فبعث زيد بن حارثة فى خمسمائة رجل فأغاروا عليهم وأكثروا فيهم القتل وأخذوا ماشيتهم، ثم رحل رفاعة فى نفر من قومه فدفع لرسول الله كتابه الذى كتبه له ولقومه حين قدم عليه فأسلم فأرسل رسول الله ﷺ على بن أبى طالب إلى زيد فرد عليهم كل ما أخذ منهم[١].

(سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل): أمر رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن عوف أن يتجهز لهذه السرية وقال له: **((خذ يا ابن عوف اغزوا جميعاً فى سبيل الله قاتلوا من كفر بالله ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم))**[٢].

---

(١) تاريخ الطبرى ج ٢٢ ص ٤٧١، ٥٩٦ – ٦٠٢، السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٢٩٢ – ٢٧٩، محمد رسو ل الله محمد رضا ص ٢٤٧.

(٢) مختصر صحيح مسلم للألبانى كتاب السير ج ٢ ص ٢٩٤ حديث ١١١١ (م٥/ ١٤١).

فسار عبد الرحمن بجيشه وكانوا سبعمائة رجل حتى قدم دومة الجندل وأسلم رئيسهم الأصبغ وأسلم معه ناس كثيرون من قومه دون قتال.

(سرية على بن أبى طالب إلى بنى سعد بن بكر): خرج ومعه مائة رجل وكان قد بلغ رسول الله ﷺ أنهم ساعون فى جمع الناس لإمداد يهود خيبر فأغاروا على نعم كثيرة وساقوا النعم معهم وكانت خمسمائة بعير ومائتى شاة وقدم على ﷺ، ومن معه المدينة.

(سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة): وسببها أن زيد بن حارثة خرج فى تجارة إلى الشام ومعه بضائع لأصحاب النبى ﷺ فلما كان بوادى القرى لقيه ناس من فزاره فضربوه وأصحابه وأخذوا ما كان معهم، وقدم على رسول الله ﷺ فأخبره فبعث إليهم بجيش فأحاطوا بمن وجدوه من بنى فزاره فقتلوهم وأخبروا رسول الله بما ظفروا به.

(سرية عبد الله بن عتيك): كانت لقتل سلام بن أبى الحقيق اليهودى وهو من أعداء رسول الله ﷺ، خرج إلى رسول الله خمسة من الخزرج واستأذنوه فى قتل سلام بن أبى الحقيق، وهو بخيبر لأن الأوس كانوا قد أصابوا كعب بن الأشرف فأراد الخزرج أن لا يكون للأوس فضل عليهم عند رسول الله ﷺ، فأمرهم رسول الله بقتله وأن لا يقتلوا وليداً ولا امرأة، فذهبوا إلى خيبر وقتلوه.

(سرية عبد الله بن رواحه، إلى أسير بن رزام اليهودى بخيبر): وسببها أنه لما قتل سلام بن أبى الحقيق، أمرت يهود عليها أسيراً فاقترح عليهم طريقة للانتقام من رسول الله ﷺ، وهو أن يذهب إلى غطفان ويجمعهم ويسير إلى رسول الله فى عقر داره فسار إلى غطفان فلما بلغه ﷺ بعث عبد الله بن رواحه فى ثلاثين رجلاً فقدموا عليه فقالوا إن رسول الله ﷺ بعثنا إليك لتخرج إليه

ويستعملك على خيبر فطمع وخرج معه ثلاثون من اليهود، وندم أسير على مسيره وأراد الفتك بعبد الله بن رواحه فتنبه له وقتلوهم ثم قدموا على رسول الله ﷺ، فحدثوه الحديث فقال: ((حقاً نجاكم الله من القوم الظالمين))[1].

(سرية كرز بن جابر الفهرى): سببها أن ثمانية من عكل وعرينة قدموا على رسول الله ﷺ، فبايعوه على الإسلام، وكانوا حين قدموا إلى المدينة سقاماً مصفرة ألوانهم، فقالوا: يا رسول الله ﷺ، إنا كنا أهل ضرع - أى ماشية - ولم نكن أهل ريف، وكرهنا الإقامة فى المدينة فلو أذنت لنا فخرجنا إلى الإبل، فأمر لهم بزود من الإبل ومعها راع، فانطلقوا حتى إذا كانوا ناحية الحرة وصحت أجسامهم كفروا بعد إسلامهم وقتلوا راعى رسول الله ﷺ، ومثّلوا به فقابلوا الإحسان بالإساءة وسرقوا الإبل، وقد بعث النبى ﷺ، فى آثارهن خيلاً من المسلمين وأمر عليهم كرز بن جابر فجاء بهم، فأمر النبى ﷺ، بقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم وتركوا فى ناحية الحرة فى الشمس حتى ماتوا.[2]
وأنزل الله تعالى فى هؤلاء قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ (المائدة: ٣٣).



(١) نهاية الأدب ج ١٧ ص ٢١١ – ٢١٢، محمد رسول الله محمد رضا ٢٤٨ – ٢٥١ .

(٢) مختصر صحيح مسلم للألبانى ج ٢ص ٢٧١ الحديث ١٠٤٢ (م٥/ ١٠١).

صُلح الحُدَيبية

ذو القعدة سنة سِتّ من الهجرة

رؤيا رسول الله ﷺ وتهيؤ المسلمين لدخول مكة:

كان رسولُ الله ﷺ قد رأى فى المنام أنَّه دخل مكة، وطاف بالبيت - وذلك من غير تحديدٍ للزمان، وتعيينٍ للشهر والعام - فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة، فاستبشروا به، وفرحوا فرحاً عظيماً، وقد طال عهدُهم بمكة والكعبة، ودانوا بتعظيمها، وما زادَهم الإسلامُ إلا ارتباطاً بها، وشوقاً إليها، وقد تاقت نفوسُهم إلى الطواف حولها، وتطلَّعت إليه تطلعاً شديداً.

وكان المهاجرون أشدَّهم حنيناً إلى مكة، فقد وُلدوا ونشئوا فيها، وأحبوها حبًّا شديداً، وقد حِيْلَ بينهم وبينها، فلمَّا أخبرهم رسولُ الله ﷺ بذلك، لم يشكّوا أن هذه الرؤيا تتفسَّرُ هذا العام، وقد صادف كلُّ ذلك رغبة شديدةً فى نفوسهم، وأثارَ كامِنَ الشوقِ ودفينَ الحُبِّ، فتهيئوا للخروج مع رسول الله ﷺ لم يتخلَّف منهم إلا نادرٌ.

واستنفر ﷺ العرب ومن حوله من أهل البوادى ليخرجوا معه، فأبطأ كثير من الأعراب، أما هو فغسل ثيابه، وركب ناقته القَصْواء، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم أو نُمَيْلَة الليثى. وخرج منها يوم الاثنين غرة ذى القعدة من العام السادس الهجرى، ومعه زوجته أم سلمة، ولم يخرج بسلاح، إلا سلاح المسافر: السيوف فى القُرُب.

إلى مكة بعد عهد طويل:

خرج رسول الله ﷺ من المدينة معتمراً - لا يريد حرباً - إلى الحديبية، ومعه ألف وخمسمائة، وساق معه الهدى، وأحرمَ بالعمرة، ليعلمَ الناسُ أنه إنما خرج زائراً للبيت، معظِّماً له.

وبعث رسولُ الله ﷺ خِراشَ الخزاعى عيناً من خزاعة، يخبرُه عن قريش، حتى إذا كان قريباً من ((عُسفان)) أتاه عينُه، فقال: إنى تركتُ كعب بن لؤى قد جمعوا لك مجموعة من الأعراب، ليسوا من قبيلة واحدة، وهم مقاتلوك وصادُّوك عن البيت. فاستشار النبى أصحابه، وقال: **((أترون نميل إلى ذرارى هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم؟ فإن قعدوا قعدوا موتورين محزونين، وإن نجوا يكن عنق قطعها الله، أم تريدون أن نؤم هذا البيت فمن صدنا عنه قاتلناه؟))** فقال أبو بكر: الله ورسوله أعلم، إنما جئنا معتمرين، ولم نجىء لقتال أحد، ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه، وكانت قريش لما سمعت بخروج النبى عقدت مجلساً استشارياً قررت فيه صدِ المسلمين عن البيت كيفما يمكن، فبعد أن أعرض رسول الله عن مجموعة الأعراب، نقل إليه رجل من بنى كعب أن قريشاً نازلة بذى طُوَى، وأن مائتى فارس فى قيادة خالد بن الوليد مرابطة بكُرَاع الغَمِيم فى الطريق الرئيسى الذى يوصل إلى مكة. وقد حاول خالد صد المسلمين، فقام بفرسانه إزاءهم ويتراءى الجيشان. ورأى خالد المسلمين فى صلاة الظهر يركعون ويسجدون، فقال: لقد كانوا على غرة، لو كنا حملنا عليهم لأصبنا منهم، ثم قرر أن يميل على المسلمين وهم فى صلاة العصر ميلة واحدة، ولكن الله أنزل حكم صلاة الخوف، ففاتت الفرصة خالداً.

وأخذ رسول الله طريقاً وعرًا بين شعاب، وسلك بهم ذات اليمين بين ظهرى الحَمْض فى طريق تخرجه على ثنية المُرَار مهبط الحديبية من أسفل مكة، وترك الطريق الرئيسى الذى يفضى إلى الحرم ماراً بالتنعيم، تركه إلى اليسار، فلما رأى خالد غبار أقدام الجيش الإسلامى قد خالفوا عن طريقه انطلق يركض نذيراً لقريش.

وسارَ النبى ﷺ حتى إذا كان بالثنِّية التى يهبطُ عليهم منها، بركتْ راحلتُه، فقالوا: خلأتِ القَصْواءُ[1]، خلأتِ القصواء، فقال: ((ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخُلُقٍ، ولكنْ حبسها حابسُ الفيلِ، والذى نفسى بيده لا يسألونى خِطَّةً يعظِّمون فيها حُرُماتِ اللهِ، ويسألوننى فيها صِلَةَ الرَّحمِ، إلا أعطيتُهم إيَّاها)) ثم زجرها، فوثبت به، فعدل، حتى نزل بأقصى الحُديبيَّة، على ثَمَد قليل الماء، فلم يلبث أن نزحوه. فشكوا إلى رسول الله العطش، فانتزع سهماً من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش لهم بالرى حتى صدروا.

فزع قريش من دخول المسلمين فى مكة:

وفزعت قريشٌ لنزول رسول الله ﷺ عليه، وجاءه بديل بن وَرْقاء الخزاعى فى نفر من خزاعة، وكانت خزاعة عَيْبَة نُصْح لرسول الله ﷺ من أهل تُهَامَة، فقال: إنى تركت كعب لؤى، نزلوا أعداد مياه الحديبية، معهم العُوذ المطَافِيل، وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت. قال رسول الله ﷺ: ((إنا لم نجىء لقتال أحد، ولكنا جئنا معتمرين، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم، فإن شاءوا ماددتهم، و يخلوا بينى و بين الناس، وإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جَمُّوا، وإن هم أبوا إلا القتال فوالذى نفسى بيده لأقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى، أو لينفذن الله أمره)). قال بديل: سأبلغهم ما تقول، فانطلق حتى أتى قريشاً، فقال: إنى قد جئتكم من عند هذا الرجل، وسمعته يقول قولاً، فإن شئتم عرضته عليكم. فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تحدثنا عنه بشىء. وقال ذوو الرأى منهم: هات ما سمعته. قال: سمعته يقول كذا وكذا، فبعثت قريش مِكْرَز بن حفص، فلما رآه رسول الله ﷺ قال:

---

(١) القصواء: اسم ناقة رسول الله ﷺ.

هذا رجل غادر، فلما جاء وتكلم قال له مثل ما قال لبديل وأصحابه، فرجع إلى قريش وأخبرهم، ثم قال رجل من كنانة ـ اسمه الحُلَيْس بن علقمة ـ: دعونى آته. فقالوا: ائته، فلما أشرف على النبيﷺ وأصحابه قال رسول الله ﷺ: ((**هذا فلان، وهو من قوم يعظمون البدن، فابعثوها**))، فبعثوها له، واستقبله القوم يلبون، فلما رأى ذلك. قال: سبحان الله ما ينبغى لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، فرجع إلى أصحابه، فقال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت، وما أرى أن يصدوا، وجرى بينه وبين قريش كلام. فقال عروة بن مسعود الثقفى: إن هذا قد عرض عليكم خطة رُشْد فاقبلوها، ودعونى آته، فأتاه، فجعل يكلمه، فقال له النبى ﷺ نحواً من قوله لبديل. فقال له عروة عند ذلك: أى محمد أرأيت لو استأصلت قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك، وإن تكن الأخرى فوالله إنى لا أرى وجوها، وإنى أرى أوباشاً من الناس خليقاً أن يفروا ويدعوك، فأغلظ له أبو بكر ثم قال: أنحن نفر عنه؟ قال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر، قال أما والذى نفسى بيده لولا يد كانت عندى لم أجْزِكَ بها لأجبتك. وجعل يكلم النبى ﷺ، وكلما كلمه أخذ بلحيته، و المغيرة بن شعبة عند رأس النبى ﷺ ومعه السيف وعليه المِغْفَرُ، فكلما أهوى عروة إلى لحية النبى ﷺ ضرب يده بنعل السيف، وقال: أخِّر يدك عن لحية رسول الله ﷺ فرفع عروة رأسه، وقال: من ذا؟ قالوا المغيرة بن شعبة، فقال: أى غُدَر، أو لستُ أسعى فى غَدْرَتِك؟ وكان المغيرة صَحِبَ قوماً فى الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم، فقال النبيﷺ: ((**أما الإسلام فأقبلُ، وأما المال فلست منه فى شىء**)) (وكان المغيرة بن أخى عروة).

ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب رسول الله ﷺ وتعظيمهم له، فرجع إلى أصحابه، فقال: أى قوم، والله لقد وفدت على الملوك، على قيصر وكسرى و النجاشى، والله ما رأيت ملكاً يعظمه أصحابه كما أصحاب محمد محمداً، والله إن

تَنَخَّمَ نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدُّون إليه النظر تعظيماً له، وقد عرض عليكم خطة رُشْدٍ فاقبلوها.

ولما رأى شباب قريش الطائشون، الطامحون إلى الحرب، رغبة زعمائهم فى الصلح فكروا فى خطة تحول بينهم وبين الصلح، فقرروا أن يخرجوا ليلاً، ويتسللوا إلى معسكر المسلمين، ويحدثوا أحداثاً تشعل نار الحرب، وفعلاً قد قاموا بتنفيذ هذا القرار، فقد خرج سبعون أو ثمانون منهم ليلاً فهبطوا من جبل التنعيم، وحاولوا التسلل إلى معسكر المسلمين، غير أن محمد بن مسلمة قائد الحرس اعتقلهم جميعاً.

ورغبة فى الصلح أطلق سراحهم النبيﷺ وعفا عنهم، وفى ذلك أنزل الله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم بِبَطۡنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ﴾(الفتح: ٢٤).

وحينئذ أحبَّ أن يبعث إليهم رجلاً من أصحابه، فدعا عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه ليبعثه إليهم، فقال: يا رسولَ الله! ليس بمكة أحدٌ من بنى عدى بن كعب يغضبُ لى إن أُوذيتُ، فأرسل عثمانَ بن عفان، فإن عشيرته بها، وإنه مبلِّغٌ ما أردتَ، فدعا رسولُ الله ﷺ عثمان بن عفان، وأرسله إلى قريش، وقال: ((أخبرهم أنَّا لم نأتِ لقتالٍ، وإنما جئنا عُمَّارا، وادعهم إلى الإسلام))، وأمره أن يأتى رجالاً بمكة مؤمنين ونساءٍ مؤمنات، فيدخل عليهم، ويبشرهم بالفتح، ويخبرهم أنَّ الله عزَّ وجل مظهرٌ دينه بمكة حتى لا يُستخفى فيها بالإيمان.

امتحان الحب والوفاء:

وانطلق عثمان حتى جاء مكة، وأتى أبا سفيان، وعظماءَ قريش، وبلَّغهم عن رسولِ الله ﷺ ما أرسله به.

وقالوا حين فرغ من رسالة رسولِ الله ﷺ إليهم : إن شئتَ أن تطوفَ البيت فطُفْ .

فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسولُ الله ﷺ .

وحين رجعَ عثمان وقال له المسلمون : أشتفيت يا أبا عبد الله من الطواف بالبيت؟ .

فقال عثمان : ((بئس ما ظننتم بى ، والذى نفسى بيده ، لو مكثتُ بها سنةً ورسولُ الله ﷺ مقيمُ بالحديبيَّة ما طِفْتُ بها حتى يطوفَ بها رسولُ الله ﷺ ، ولقد دعتنى قريشٌ إلى الطواف بالبيتِ فأَبَيْتُ)) .

بيعة الرضوان:

واحتبسته قريش عندها ولعلهم أرادوا أن يتشاورا فيما بينهم فى الوضع الراهن ، ويبرموا أمرهم ، ثم يردوا عثمان بجواب ما جاء به من الرسالة ، وطال الاحتباس ، فشاع بين المسلمين أن عثمان قتل ، فقال رسول الله ﷺ لما بلغته الشائعة : ((لا نبرح حتى نناجز القوم)) ، ثم دعا أصحابه إلى البيعة ، فثاروا إليه يبايعونه على ألا يفروا ، وبايعته جماعة على الموت ، وكان أول من بايعه أبا سنان الأسدى وبايعه سلمة بن الأكوع على الموت ثلاث مرات ، فى أول الناس ووسطهم وآخرهم ، وأخذ رسول الله ﷺ بيد نفسه وقال : ((**هذه عن عثمان**)) . ولما تمت البيعة جاء عثمان فبايعه ، ولم يتخلف عن هذه البيعة إلا رجل من المنافقين يقال له : جَدُّ بن قَيْس .

أخذ رسول الله ﷺ هذه البيعة تحت شجرة ، وكان عمر آخذاً بيده ، ومَعْقِل بن يَسَار آخذاً بغصن الشجرة يرفعه عن رسول الله ﷺ وسميت ببيعة الرضوان ، قال تعالى : ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ (الفتح : ١٨) .

وساطات ومفاوضات:

فبيما هم كذلك إذ جاءَ بُدَيْلُ بن ورقاءَ الخُزاعى فى رجالٍ من خُزاعة، فكلمَّه، وسأله ما الذى جاء به؟

قال رسولُ الله ﷺ: ((إنّا لم نجىء لقتالِ أحدٍ، ولكنْ جئنا معتمرين، وإنَّ قريشاً قد نهكتهم الحربُ، وأضرَّت بهم، فإن شاؤوا ماددتُهم، ويخلُّوا بينى وبين الناس، وإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جَمّوا، وإن أبوا إلا القتال، فوالذى نفسى بيده لأقاتلنَّهم على أمرى حتى تنفردَ سالفتى، أو لينفذَنَّ اللهُ أمرَه)).

فلما بلَّغهم بُديلٌ ما قاله رسولُ الله ﷺ قال عُروة بن مسعود الثقفى: إنَّ هذا قد عرض عليكم خطة رشد، فاقبلوها، ودعونى آته، فقالوا: ائته، وجاء عروةُ بن مسعود الثقفى، فكلَّمه رسول الله ﷺ، وجعل عروة يرمقُ أصحابَ رسولِ الله ﷺ، فما تنخّمَ نخامةً إلا وقعتْ فى كفِّ رجلٍ منهم، فدلك بها جلده، ووجهه، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضَّأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلَّم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدُّقون إليه النظر تعظيماً له، فرجع عروةُ إلى أصحابه، وقال: أى قوم! واللهِ لقد وفدتُ على الملوك: على كسرى وقيصر والنجاشى، واللهِ ما رأيتُ مَلكاً يعظِّمه أصحابُه كما يعظم أصحابُ محمدٍ محمداً، ووصف لهم ما رآه، وقد عرضَ عليكم خطة رشدٍ فاقبلوها.

معاهدة وصلح:

وجاء رجلٌ من بنى كنانة، ورجلٌ اسمه مكرز بن حفص، وأخبرا قريشاً بما رأيا، ثم بعثت قريشٌ سُهيلَ بن عمرو، فلمَّا رآه رسولُ الله ﷺ مقبلاً قال: ((أرادَ القومُ الصلحَ حين بعثوا هذا الرجل)) وقال: اكتب بيننا وبينكم كتاباً.

حكمةٌ وحِلْمٌ وتنازل:

فدعا الكاتبَ - وهو علي بن أبي طالب رضي الله عنه - فقال: اكتب: ((بسم الله الرحمن الرحيم)).

فقال سهيل: أما ((الرحمن)) فوالله ما ندري ما هو، ولكن اكتب: ((باسمك اللهم)) كما كنتَ تكتبُ، فقال المسلمون: والله لا نكتبُها، إلا ((بسم الله الرحمن الرحيم))، فقال النبي ﷺ: اكتب ((**باسمك اللهم**)).

ثم قال: ((**اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله**)) فقال سهيل: ((والله لو كنا نعلم أنك رسولُ الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله)).

فقال النبي ﷺ: ((**إني رسولُ الله وإن كذبتموني، اكتب محمد بن عبد الله**))، فأمر علياً أن يمحوها، فقال علي: لا والله لا أمحوها، فقال رسولُ الله ﷺ: ((**أرني مكانها**)) فأراه مكانها، فمحاها.

صلح وامتحان:

فقال النبي ﷺ: ((**هذا ما قاضى عليه رسولُ الله ﷺ على أن تخلّو بيننا وبين البيت، فنطوف به**)).

فقال سهيل: واللهِ لا تتحدّث العربُ أنّا أُخذنا ضغطةً، ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب.

قال سهيل: وعلى ألا يأتيك منا رجل، وإن كان على دينك إلا رددتَه إلينا.

فقال المسلمون: سبحان الله! كيف يُردُّ إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟!.

وبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سُهيل، يرسُفُ في قيوده، قد خرج من أسفل مكة، حتى رمى بنفسه بين ظهور المسلمين.

قال سهيل: هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه على أن تردَّه.

قال النبى ﷺ: **((أنّا لم انقضِ الكتابَ بعدُ))**.

قال: فوالله إذاً لا أقاضيك على شىء أبداً.

قال النبى ﷺ: **((فأجزه لى))**.

قال: ما أنا بمجيزه لك.

قال: **((بلى، فافعل))**.

قال: ما أنا بفاعل.

قال أبو جندل: يا معشر المسلمين! أُردُّ إلى المشركين وقد جئتُ مسلماً، ألا ترون ما لقيت؟ وكان قد عُذِّبَ فى الله عذاباً شديداً، وردَّه رسولُ اللهﷺ وقال له: **((يا أبا جندل، اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً، وأعطيناهم على ذلك، وأعطونا عهد الله فلا نغدر بهم))**. فوثب عمر بن الخطاب ﷺ مع أبى جندل يمشى إلى جنبه ويقول: اصبر يا أبا جندل، فإنما هم المشركون، وإنما دم أحدهم دم كلب، ويدنى قائم السيف منه، يقول عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه، فضن الرجل بأبيه، ونفذت القضية.

وقد اصطلح الفريقان على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمنُ فيهنَّ الناس، ويكفُّ بعضُهم عن بعض، وعلى أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه ردَّه عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد، لم يردّوه عليه، وأنه من أحبَّ أن يدخل فى عقدِ محمد وعهدِه دخل فيه، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه.

ابتلاء المسلمين فى الصلح والعودة إلى المدينة:

فلما رأى المسلمون ما رأوه من الصلح والرجوع، وما تحمل عليه رسول الله ﷺ فى نفسه، دخل على الناس من ذلك أمر عظيم، حتى كادوا يهلكون، ووقع ذلك من نفوسهم كلَّ موقع، حتى جاء عمر بن الخطاب إلى أبى بكر رضى الله عنهما فقال: ألم يكن رسول الله ﷺ يحدثنا أنَّا سنأتى البيت ونطوف به؟ قال: بلي! فأخبرك أنك تأتيه العام؟ قال: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به.

ولما فرغ رسول الله ﷺ من قضية الكتاب قال: **((قوموا فانحروا))**، فوالله ما قام منهم أحد حتى قال ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد قام فدخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقى من الناس، فقالت: يا رسول الله، أتحب ذلك؟ اخرج، ثم لا تكلم أحداً كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فقام فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بُدْنَه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً، وكانوا نحروا البدنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة، ونحر رسول الله ﷺ جملاًكان لأبى جهل، كان فى أنفه بُرَةٌ من فضة، ليغيظ به المشركين، ودعا رسول الله ﷺ للمحلقين ثلاثاً بالمغفرة وللمقصرين مرة.

صلح مهين أم فتح مبين؟

ثم رجع إلى المدينة، وفى مرجعه أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾ (الفتح: ١-٣).

قال عمر رضى الله عنه: أَوَفتحٌ هو يا رسول الله؟ قال: ((نعم!)).

عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم:

ولمَّا رجع ﷺ إلى المدينة، جاءه رجل من قريش مسلماً، اسمه أبو بصير عتبةُ بن أسيد، فأرسلوا فى طلبه رجلين، وقالوا: العهد الذى جعلتَ لنا، فدفعه إلى الرجلين، فخرجا به، فاحتال أثناء الطريق على أحد الرجلين، فأخذ سيفه، وقتله به، ففرَّ الآخر مذعوراً، فانطلق، حتى أتى سيفَ البحر، وتفلَّت منهم أبو جندل بن سهيل، فلحق بأبى بصير، فلا يخرجُ من قريش رجل قد أسلم، إلا لحق بأبى بصير، حتى اجتمعت منهم عصابة، لا يسمعون بعير لقريش خرجت إلى الشام إلا اعترضوا لها، فقتلوهم، وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبى ﷺ تناشدُه الله والرحم لما أرسل إليهم، فمن أتاه منهم فهو آمن.

كيف تحوَّل الصلح إلى الفتح والنصر؟

ودلَّت الحوادث الأخيرةُ على أنَّ صلح الحديبية الذى تنازل فيه رسولُ الله ﷺ لقبول كلِّ ما ألحَّتْ عليه قريش، ورأوا فيه انتصاراً لهم ومكسباً، وتحمَّله المسلمون لقوة إيمانهم، وشدة طاعتهم للرسول ﷺ، كان فتحَ باب جديدٍ لانتصار الإسلام، وانتشاره فى جزيرة العرب بسرعةٍ لم تُسبق، وكان باباً إلى فتح مكة، ودعوة ملوك العالم كقيصر وكسرى والمقوقس والنجاشى وأمراء العرب، وصدق الله العظيم: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ (البقرة: ٢١٦).

كان من مكاسب هذا الصلح اعترافُ قريش بمكانة المسلمين وتسليمهم لهم، كفريق قوى كريم، تُبرمُ معه المعاهدات، ويتفق معه على مفاوضات، ثم كان من أفضل ثمار هذا الصلح الهدنة التى استراح فيها المسلمون من الحروب، التى لا أول لها ولا آخر، والتى شغلتهم، واستهلكت قوتهم، فاستطاعوا فى هذه

الفترة السلمية، أن يقوموا بالدعوة إلى الإسلام، في ظل الأمن والسلام، وفي جوٍّ من الهدوء والسكينة.

وأتاح هذا الصلح الفرصة للمسلمين والمشركين على السواء لأن يختلطَ بعضهم ببعض، فيطلع المشركون على محاسن الإسلام، وما صنع من عجائب ومعجزات في تهذيب الأخلاق، وتزكية النفوس، وتطهير العقول والقلوب من ألواث الشرك والوثنية، والعداء والخصومة، والضراوة بالدماء، والولوع بالحرب مع بني جلدتهم الذين لا يختلفون عنهم في نسب أو بيئة أو لغة.

ولم يخفَ عليهم - رغم عنادهم وجحودهم - أنَّ تعاليم الإسلام وحدَها وصحبةَ النبي ﷺ هي التي ميَّزتهم عن أقرانهم وبني أعمامهم، وجعلت منهم أمة غير الأمة، ونمطاً من أنماط البشرية غير النمط القديم، فكان في ذلك باعثٌ قوي على تفهّمِ الإسلام والاعتراف بتأثيره.

فلم يمض على هذا الصلح عام كامل حتى دخل في الإسلام من العرب أكثر من الذين دخلوا فيه خلال خمس عشرة سنة - ومكة لم تفتح بعدُ.

واستفاد بهذه الهدنة المستضعفون في مكة، وقد أسلم على يد أبي جندل عدد كبير من أبناء قريش في مكة، وضاقت ذرعاً بهذا الداعي إلى الإسلام، وانتشار الإسلام في مكة.

ولحقوا بأبي بصير، وصار مركزَ دعوةٍ وقوةٍ للإسلام، وتكلّمت في شأنهم قريش، وسألت رسول الله ﷺ أن يلحقهم به في المدينة، ففعل، ونجوا من الضيق الذي كانوا فيه بمكة، وكان كلٌّ ذلك من حسنات هذا الصلح وفوائد هذه الهدنة.

وكان من فوائد الموقف المسالم الذى وقفه رسول الله ﷺ، وما بدا منه من زهدٍ فى الحرب، ورغبةٍ فى الصلح، وحلمٍ وأناةٍ أن تغيرت نظرةُ القبائل العربية - التى لم تدخل فى الإسلام بعد - إلى الدين الجديد، والداعى إليه، ونشأ فى نفوسهم إجلالٌ للإسلام، وتقديرٌ له لم يكن من قبلُ، وكانت فائدةً دعوية لا يستهان بقيمتها، وإن لم تكن مقصودةً، سعى إليها رسولُ الله ﷺ والمسلمون.

إسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص:

وكان صلحُ الحديبية فتحاً للقلوب، دخل فى الإسلام خالد بن الوليد الذى كان قائد الفرسان لقريش، وبطل معارك عظيمة، وقد سمَّاه رسولُ الله ﷺ ((سيف الله)) وهو الذى أبلى فى الله بلاء حسناً، وفتح الله على يده الشام.

ودخل عمرو بن العاص - أحدُ كبار القادة والأمراء وفاتحُ مصر من بعدُ - وقد قدما المدينة بعد صلح الحديبية، فأسلما وحسن إسلامهما.

يَا أيُّهَا النَّبِى اصْبِر كَمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُل

قال سبحانه وتعالى مخاطبا نبيه ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (الأحقاف: ٣٥).

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾ (الطور: ٤٨ — ٤٩).

قال الله تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ (هود: ١٢٠ — ١٢٢).

وقال الله تعالى ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ ﴾ (الرعد : ٣٢).

قال الله تعالى ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَـٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَـٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ ﴾ (الحج : ٤٢ – ٤٤).

قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾

(الأنعام : ٣٤).

قال تعالى : ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾

(الفرقان : ٥٢).

وقال الله تعالى ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾ (الرعد : ٤٣).

حول قضية الغيب

إن قضية الغيب تخرج عن طاقة البشر، لأنه أمر تقصر قدرات البشر عن كشف حقيقته إن لم يكن من الله عون، لأنه لا يعلم الغيب إلا الله، لقوله سبحانه : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ ﴾ (النمل : ٦٥).

حتى إن الشياطين لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين، كما أخبرنا رب العالمين بذلك فى موت سليمان عليه السلام، الذى غيبه الله عن الجن والإنس، حتى أراد إظهاره، فكشفت عنه دابة الأرض عندما أكلت منسأته (عصاه التى كان يتكىء عليها).

يقول رب العالمين: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (١٤) ﴾ (سبأ: ١٤).

وعندما يتقدم إنسان بذكر أمور لم تحصل بعد، وأكد أنها ستقع، وتقع فعلاً، فإن هذا الإنسان يكون الله سبحانه قد أطلعه على هذه الأمور المغيبة - المحددة - فيتحدث عنها وكأنه يراها بأم عينه أو سمعها بأذنه، لقوله سبحانه: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (٢٨) ﴾ (الجن: ٢٦-٢٨).

وإن تحدث الرسول ﷺ بأمور، قد كان من الصعب تصديقها، وتحصل هذه الأمور فيما بعد، كما تحدّث، فإن ذلك لا يكون بقدرة شخصية منه ولكنه استمد ذلك من الله الذى أوحى إليه بها أو ألهمه إياها.

وإن وقوع هذه المغيبات فيما بعد يؤكد أن من قال بها هو رسول الله ﷺ، وأن ما تنبأ به ووقع يدل على نبوته.

والرسول محمد ﷺ ممن أطلعه الله على بعض المغيبات التى لها علاقة برسالته، إن كان عن طريق القرآن الكريم، كلام الله، أو أن الله أطلعه عليها، وكأنها بالنسبة إليه أمر واقع لا مجال لإنكاره. ومنها:

أ- استخلاف المستضعفين فى الأرض

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ

﴿ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (النور : ٥٥).

ب ـ ظهور الإسلام على الدين كله

قال الله تبارك وتعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ (الفتح :٢٨). وكان كما أخبر سبحانه.

ج ـ تحدى الله سبحانه للعرب بأن يأتوا بسورة من مثل هذا القرآن

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾

(الإسراء : ٨٨).

وقال أيضاً : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (البقرة : ٢٣ ـ ٢٤). فأخبر أنهم لن يفعلوا وكان كما أخبر سبحانه.

د ـ انتصار المسلمين على المشركين فى بدر

ويقول سبحانه فى مشركى قريش : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ ﴾

(القمر : ٤٤ ـ ٤٥).

فكان كما أخبر الله تبارك وتعالى، فقد هزم الله الجمع وولوا الدبر.

وقال سبحانه : ﴿ وَلَوْ قَـٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ ﴾ (الفتح : ٢٢). فكان كما أخبر سبحانه.

هـ ـ موت أبى لهب كافراً

ويقول سبحانه: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ ﴾ المسد: ١ ـ ٣.

وكان أبو لهب واسمه عبد العزى بن عبد المطلب وهو عم النبى ﷺ ومن أشد أعدائه، وقد مات كافراً.

و ـ موت الوليد بن المغيرة كافراً

قال الله تعالى: ﴿ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ۝١٢ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ۝١٤ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝١٥ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ۝١٦ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ۝١٧ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ۝٢٣ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝٢٤ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ۝٢٨ ﴾

(المدثر: ١١ ـ ٢٨).

وكان كذلك فقد مات الوليد بن المغيرة المخزومى كافراً.

ز ـ انتصار الروم على الفرس بعد انكسارهم

قال الله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ ﴾

(الروم: ١ ـ ٦).

وهذا أمر من أمور الغيب الذى وقع تحت بصر المشركين وسمعهم، فقد فرحوا بانتصار الفرس على الروم، لأن الفرس ليسوا أهل كتاب.

غزوة خيبر

خيبر واحة كبيرة وهى ذات حصون ومزارع تبعد عن المدينة ستة وتسعين ميلاً وتعتبر مركزاً لدسائس اليهود الذين هاجروا إليها، ويهود خيبر رجال محاربون ولهم عدة حصون منيعة، كانت هذه الغزوة فى السنة السابعة للهجرة أراد رسول الله ﷺ، التلخص من جوارهم حيث إنهم أهل مكر وخداع، لما عاد رسول الله ﷺ، من الحديبية خرج إلى خيبر، وكان معه ألف وستمائة مسلحين تسليحاً حسناً منهم مائتى فارس، وفى البخارى عن أنس رضى الله عنه، أن النبى ﷺ أتى خيبر ليلاً فنام هو وأصحابه دونها ثم ركبوا إليها بكرة فصبحوها بالقتال، وفى رواية لابن إسحاق أنه ﷺ لما أشرف على خيبر قال لأصحابه قفوا ثم قال: **((اللهم رب السماوات وما أظللن، ورب الأرضين وما قللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذرين، فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها أقدموا بسم الله))**[1].

فتحت الحصون كلها عنوة إلا حصن الوطيح وحصن سلالم فقد مكث المسلمون على حصارهم أربعة عشر يوماً فَهَمَّ رسول الله أن يحمل عليهم فلما أيقنوا بالهلكة سألوا رسول الله الصلح على حقن دمائهم والخروج من خيبر مع ترك أموالهم فصالحهم على ذلك، وأخذ رسول الله كنز أبى الحقيق ويقوم بعشرة آلاف دينار خلاف العقود والجواهر والذهب، وكان الله سبحانه وتعالى قد وعد رسوله عند انصرافه من الحديبية بمغانم كثيرة بقوله تعالى: ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ ﴾ (الفتح: ٢٠).

---

(١) زاد الميعاد لابن القيم غزوة خيبر ج ٢ ص ١٣٤.

أحكام وفوائد من غزوة خيبر:

ويستفاد من هذه الغزوة العظيمة أحكام وفوائد كثيرة نشير إلى بعضها، منها: جواز قتال الكفار فى الأشهر الحرم، والإغارة دون إنذار على من بلغتهم الدعوة كبنى المصطلق، وإن فتح خيبر كان عنوة، وفيه صلح مشروط نُقض بمخالفتهم ما شورطوا عليه. وإن الغنائم على السهام، وأنه يسهم لمن حضر من عدد الجيش بعد الحرب، بشرط رضى الجماعة به، كوفد أهل اليمن، وجعفر وأصحابه، وإن الطعام يؤكل قبل القسمة لمن يحتاج إليه، دون أن يدخره أو يحوله، ومن أخذ من الغنمية شيئاً قبل القسمة فإنه لا يملكه، ولو كان أقل من حقه. وإن الله حرم يومئذ نكاح المتعة إلى يوم القيامة، ولحوم الحمر الأهلية، وأن ما لا يؤكل لا يطهر بالزكاة. وأن المساقاة والمزارعة جائزة (وهى إعطاء الأرض لمن يسقيها ويقوم عليها، وله نصف الغلة أو نحوه). وأن الإمام مُخير فى أرض العُنوة بين قسمتها بين المجاهدين أو تركها. وأن للإمام جواز إجلاء الذميين إذا رأى المصلحة فى ذلك.

(**غزوة ذى القرى**) واد بين تيماء وخيبر فيها قرى كثيرة نزلها اليهود وزرعوها، لما انصرف رسول الله ﷺ من خيبر نزل وادى القرى فدعاهم إلى الإسلام فامتنعوا ففتحها رسول الله عنوة وغنَّمه الله أموالهم وترك الأرض والنخيل بأيدى اليهود وعاملهم عليها، وصالح أهل تيماء على الجزية.

بعد عودة رسول الله من خيبر فى السنة السابعة للهجرة بعث خمس سرايا: (**سرية عمر بن الخطاب**) إلى هوازن بجهة تربة، (**سرية أبى بكر الصديق**) على بنى كلاب قبيلة بنجد، (**سرية بشير بن سعد الأنصارى**) إلى بنى مرة بفدك، (**سرية غالب بن عبد الله الليثى**) إلى أهل المنيعة بناحية نجد، (**سرية بشير بن سعد أيضاً**) إلى يمن وجناب من أرض غطفان.

عمرة القضاء

تمت فى السنة السابعة للهجرة لما رجع رسول الله ﷺ، من خيبر خرج فى ذى القعدة فى الشهر الذى صده فيه المشركون بالحديبية معتمراً عمرة القضاء مكان عمرته التى صدوه عنها، فاقتص رسول الله منهم وأمر ألا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية، وكانوا ألفين سوى النساء والصبيان، وساق معه ستين بدنة وحمل السلاح والدروع والرماح وقاد مائة فارس خوفاً من غدر أهل مكة، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه وصفوا له عند دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه فلما دخل رسول الله ﷺ، اضطبع بردائه وأخرج عضده اليمنى ثم قال ﷺ :((**رحم الله امرئ أراهم اليوم من نفسه قوة**)) وبعد فراغه نحر هَدْيه وحلق رأسه وأمر أصحابه بالذهاب إلى بأجج (موضع على ثمانية أميال من مكة) يقيمون على السلاح ويأتى الآخرون ليقضوا نسكهم.

جاء فى البخارى عن حديث البراء : فلما دخلها ومضى الأجل أتوا علياً رضى الله عنه فقال قل لصاحبك أخرج عنا فقد مضى الأجل فخرج رسول الله ﷺ [1].

بعث رسول الله ﷺ، عدة سرايا بعد عودته من عمرة القضاء وهى :(**سرية الأخرم إلى بنى سليم**)، (**سرية غالب بن عبد الله الليثى**) إلى بنى الملوح بن عسفان والقديد، (**سرية أخرى لغالب بن عبد الله الليثى**) بفدك، (**سرية شجاع بن وهب الأسدى**) إلى جمع من هوازن يقال لهم بنو عامر، (**سرية كعب بن عمير الغفارى**) إلى ذات أطلاح وراء ذات القرى.

---

(١) صحيح البخارى باب عمرة ج ٥ ص ١٧٩ — ١٨٠.

سرية مؤتة (١)

مؤتة قريبة من بيت المقدس شرق البحر الميت وكانت هذه السرية سنة ثمانية من الهجرة، وقد سمى البخارى هذه السرية غزوة، وإن لم يخرج النبى ﷺ، فيها لكثرة جيش المسلمين فيها، وسببها أن رسول الله ﷺ كان أرسل الحارث بن عمير الأزدي؟ بكتاب إلى أمير بصرى من جهة هرقل، فلما نزل مؤتة تعرض له شرحبيل الغسانى وهو من أمراء قيصر على الشام فقال: أين تريد لعلك من رسل محمد؟ قال: نعم، فأوثقه وضرب عنقه ولم يقتل رسول قبله لرسول الله ﷺ، واشتد الأمر عليه وجهز جيشاً لمقاتلة الروم، فأمر رسول الله مولاه زيد بن حارثة على ثلاثة آلاف وندب رسول الله ﷺ، الناس وقال: إن أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب على الناس، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس، فإن أصيب فليرتض المسلمون رجلاً من بينهم يجعلونه عليهم أميراً، وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير، وأن يدعوا من هناك إلى الإسلام فإن أجابوا وإلا فاستعينوا عليهم بالله وقاتلوهم، قال رسول الله ﷺ، يوصى الجيش: ((أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيراً، اغزوا باسم الله فى سبيل الله من كفر بالله، ولا تغلوا، ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة ولا كبيراً فانياً ولا منعزلاً بصومعة، ولا تقربوا نخلاً، ولا تقطعوا شجراً، ولا تهدموا بناءاً))(٢).

جمع العدو أكثر من مائة ألف من الروم وضم إليهم القبائل القريبة الموالية، فلما نزل المسلمون معان إلى مؤتة، فقاتل الأمراء الثلاثة حتى استشهدوا، فأصطلح على خالد بن الوليد لتولى القيادة فقاتلهم قتالاً شديداً واستطاع أن يجمع شملهم بعد أن تفرق المسلمون، وذكر ابن إسحاق اثنى

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٢٨، تاريخ الطبرى ص ٤١، محمد رسول الله ﷺ، محمد رضا ص ٢٩٦.

(٢) مختصر صحيح مسلم للألبانى كتاب السير ج ٢ ص ٢٩٤ رقم ١١١١ م ٥ / ١٤١.

عشر قتيلاً من المسلمين، وكانت مدة القتال سبعة أيام، وأخبر النبى ﷺ، أصحابه بما حدث فى ساحة القتال قبل رجوع الجيش إلى المدينة، ونادى فى الناس الصلاة الجامعة ثم صعد المنبر وعيناه تذرفان وقال ﷺ:((يا أيها الناس **باب خير أخبركم عن جيشكم هذا الغازى إنهم انطلقوا فلقوا العدو فقُتل زيد شهيداً فاستغفروا له))**.

(سرية أبى عبيدة بن عامر الجراح أو سرية الخبط) : بعث رسول الله ﷺ، أبا عبيدة عامر بن الجراح على رأس ثلاثمائة رجل إلى أرض جهينة ليلقى عيراً لقريش ولمحاربة حى من جهينة، كما أرسل رسول الله ﷺ، (أبا قتادة إلى نجد) معه خمسة عشر رجلاً أن يشنّ الغارة على عطفان فقاتلهم وسبى سبياً كثيراً واستاق النعم، ثم أرسل رسول الله ﷺ، (أبا قتادة إلى أضم) فى ثمانية رجال ليوهموا قريشاً أنه توجه إلى تلك الناحية بعد أن نقضت قريش العهد حتى يفاجئهم على غير استعداد منهم لحربة.

خرج أبو قتادة ومن معه فلقوا عامر بن الأضبط الأشجعى فسلم عليهم بتحية الإسلام فقتله ملحم بن جثامة لشىء بينه وبينه، فلما قدموا على رسول الله ﷺ، وأخبروه الخبر نزل فيهم القرآن ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ ﴾ النساء : ٩٤.

وذكر الطبرى أن ملحم بن جثامة توفى فى حياة رسول الله ﷺ، فدفنوه فلفظته الأرض مرة بعد أخرى فأمر به فألقى بين جبلين وجعل عليه حجارة، وقال رسول الله ﷺ: ((إن الأرض لتقبل من هو أشر منه ولكن الله أراد أن يريكم آية فى قتل المؤمن))[١].

(١) صحيح البخارى باب المناقب ج ٤ ص ٢٤٦.

فتح مكة[1]

لما كان صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ، وبين قريش، كان فيما شرطوا أن من أحب أن يدخل فى عقد رسول الله ﷺ، وفى عهده فليدخل فيه ومن أحب أن يدخل فى عهد قريش وعهدهم فليدخل فيه، دخلت خزاعة فى عقد وعهد رسول الله ﷺ، ودخلت بكر فى عقد قريش وعهدهم، وكان بين خزاعة وبكر حروب وقتلى فى الجاهلية وتشاغلوا عن ذلك لما ظهر الإسلام.

فلما كانت هدنة الحديبية تنص على وقف القتال بين المسلمين وقريش، قام رجل من بنى بكر فهجا رسول الله ﷺ، وسار يتغنى بالهجاء، فسمعه غلام من خزاعة فضربه فثار الشر بين القبيلتين مما كان بينهما من العداوة، وناصرت قريش بنى بكر على خزاعة، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ، من الميثاق، عند ذلك خرج سيد خزاعة عمرو بن سالم الخزاعى حتى قدم على رسول الله ﷺ، ودخل المسجد ووقف على رسول الله ﷺ.

كان رسول الله ﷺ، قال للناس كأنكم بأبى سفيان قد جاء ليشدد العقد ويزيد فى المدة، وإذا بأبى سفيان قدم على رسول الله ﷺ، ولكن رسول الله ﷺ، أعرض عن أبى سفيان ولم يجبه بشىء، ووجد من أبى بكر وعمر وعلى وفاطمة رضى الله عنها كل إعراض حتى يئس ورجع لكنه علم أن رسول الله ﷺ، عزم على أمر ما كان من تعدٍ لنقض العهد.

أخذ رسول الله ﷺ، يستعد سراً للزحف على مكة وكان يقول: ((اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يرونا إلا بغتة))، أمر الناس بالجهاز وطوى

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٢٦ – ٢٧، محمد رسول محمد رضا ص ٣٠٢ – ٣١٣.

عنهم الوجه الذى يريده، وأرسل إلى أهل البادية ومن حوله من المسلمين يقول لهم: ((**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة**))، وذلك بعد أن تشاور مع أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فى السير إلى مكة، فقال له أبو بكر هم قومك وحَضَّه عمر حيث قال هم رأس الكفر، فعندئذ ذكر رسول الله ﷺ، أن أبا بكر كإبراهيم وكان فى الله ألين من اللين وإن عمر كنوح وكان فى الله أشد من الحجر وأن الأمر أمر عمر.

خرج رسول الله ﷺ، لعشر مَضِين من شهر رمضان فى السنة الثامنة للهجرة فصام رسول الله ﷺ، وصام الناس معه حتى إذا كان ما بين عسفان وأصبح؛ أفطر، ثم مضى حتى نزل مر ظهران فى عشرة آلاف من المسلمين خرج بهم من المدينة ثم تلاحق به ألفان فيكون المجموع اثنى عشر ألفاً، خرج أبو سفيان تلك الليلة يتجسس الأخبار فرأى العباس وقال له ما الخبر قال: هذا رسول الله ﷺ، ورائى وقد دلف إليكم بما لا قبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين قال: فما تأمرني؟ فقال: هذه بغلة رسول الله ﷺ، تركب معى عجزها فاستأمن لك رسول الله ﷺ، فوالله لو ظفر بك ليضربن عنقك فخرجت به إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: اذهب فقد أمناه حتى تغدو به على الغداة بعد أن تشهد أبو سفيان وقال رسول الله ﷺ:((**يا عباس احبسه خطم الجيل حتى تمر عليه جنود الله**))[1]، قال العباس: يا رسول الله ﷺ، أبو سفيان يحب الفخر فاجعل له شيئاً يكون فى قومه فقال نعم:((**من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن اغلق عليه بابه فهو آمن**))[2].

---

(١) صحيح البخارى باب غزوة الفتح ج ٥ ص ١٨٦.

(٢) مختصر صحيح اللألبانى ج ١ ص ٣٢٢ ١١٨٢ (م٥ / ١٧٠ — ١٧٢).

روى البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه ﷺ، أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته القصواء مردفاً أسامة بن زيد خلفه، ودخل واضعاً رأسه الشريف على راحلته تواضعاً لله تعالى حين رأى ذلك الفتح العظيم وكثرة المسلمين وهو يقول:(**اللهم إن العيش عيش الآخرة**) وقد أمر رسول الله ﷺ، رؤساء الجيش أن يكفوا أيديهم وقال:(**لا تقاتلوا إلا من قاتلكم**) وكان دخوله لعشرين بقين من رمضان[1].

دخل رسول الله ﷺ، فى ناحية المسجد ثم دعا عثمان بن طلحة حاجب الكعبة، فأخذ منه مفتاح الكعبة ودخلها وصلى ركعتين بين العمودين اليمانيين ثم وقف على باب الكعبة وقال:(**لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده**) ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمى هاتين إلا سدانة البيت أى خدمته، وسقاية الحاج، ألا وقتل الخطأ مثل العمد والسوط والعصا فيهما الدية مغلظة فيها أربعون خلفة أى الناقة الحامل فى بطونها أولادها، يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب، ثم تلا رسول الله ﷺ، قوله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (الحجرات: ١٣).

يا معشر قريش ويا أهل مكة ما ترون أنى فاعل بكم؟ قالوا خيراً: أخ كريم وابن أخ كريم ثم قال:(**اذهبوا فأنتم الطلقاء**)[2]، أما مفتاح الكعبة فقد ردّه رسول الله ﷺ، إلى عثمان بن طلحة وقال:(**خذوها يا بنى أبى طلحة خالدة**

(١) صحيح البخارى باب دخول النبى ﷺ، من أعلى مكة ج ٥ ص ١٨٩.

(٢) زاد الميعاد لابن القيم ج ٢ ص ١٦٥.

لا ينزعها منكم أحد إلا ظالم) ودفع السقاية إلى العباس بن عبد المطلب، وفى هذا اليوم صار رسول الله ﷺ، سيد مكة بعد أن هاجر منها مضطهداً.

اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله ﷺ، فجلس لهم على الصفا فبينما رسول الله ﷺ، يبايع الناس جاءه رجل فأخذته الرعدة، فقال رسول الله ﷺ: هون عليك، إنى لست بملك، وإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد.

دخل رسول الله ﷺ، مكة يوم الفتح وعلى الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً لكل حى من أحياء العرب، فجاء ومعه قضيب حديد يهوى به إلى كل صنم فيخر لوجهه وهو يقول: **(جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً)**[1].

ثم أمر بلالاً أن يؤذن ظهر يوم الفتح على ظهر الكعبة، وبعد فتح مكة ترك العرب عبادة الأصنام واعتنقوا الإسلام وحاربوا مع رسول الله ﷺ، لنشر دينه فكان ذلك انتصاراً عظيماً وفتحاً مبيناً.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ (القصص: ٨٥).

بعد أن قضى رسول الله ﷺ، على الأصنام التى كانت حول الكعبة، وجه نظره إلى هدم الأصنام الأخرى المجاورة حتى تطهر البلاد من الوثنية ويعبد الله الواحد القهار، فبعث خالد بن الوليد إلى (العزى) ليهدمها وكانت بنخلة على بعد ليلة من مكة، وبعث سرية سعد بن زيد إلى (مناة) صنم لأوس والخزرج وغسان، وكانت بالمشلل جبل على ساحل البحر الأحمر يهبط منه إلى قديد، وبعث سرية عمرو بن العاص إلى (سواع) صنم لهذيل على ثلاثة أميال من

---

(١) محمد رسول الله ﷺ، محمد رضا ص ٣١٩ – ٣٣٤.

مكة، وأرسل خالد بن الوليد إلى (بنى جذيمة) - وكانوا بأسفل مكة - داعياً للإسلام ولم يبعثه مقاتلاً، فانتهى إليهم خالد وقالوا له إنا مسلمون وقد صلينا وصدقنا بمحمد فأسرهم فلما كان السَحَر نادى خالد من كان معه أسير فليدافه (الإجهاز بالسيف) فلما بلغ رسول الله ﷺ، ذلك ما صنع خالد فرفع يده فقال :(اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد)، وبعث على بن أبى طالب ومعه مال فودى لهم قتلاهم.



غزوة حنين

الآثار الإيمانية:

١- التعريف بحقيقة عداوة المشركين لله ولرسوله.

٢- غرس بغض الكفار فى نفوس المسلمين.

٣- بيان أهمية الاستفادة من ذوى الكفاءة.

٤- التذكير بأهمية الثبات فى مواجهة أعداء الله.

٥- التأكيد على بعض صفات القيادة الناجحة.

٦- إلقاء الضوء على أهمية بناء الدولة الإسلامية على أسس عصرية.

٧- بيان أهمية مراعاة الجوانب النفسية عند التعامل مع الناس.

٨- التأكيد على أهمية إحياء الآمال فى النفوس البائسة.

٩- التحذير من الغرور.

١٠- التأكيد على أهمية الاستعانة بالله تعالى.

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (٢٦) ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٧) ﴾ (التوبة: ٢٥-٢٧).

في رحاب الآيات:

وقعت غزوة حنين في العام الثامن الهجرى عندما خرجت قبيلتا هوازن وثقيف لحرب النبيﷺ بعد فتح مكة بقيادة مالك بن عوف ﷺ وقالوا: نغزوهم قبل أن يغزونا.

وانضم إليهم في الطريق بعض القبائل منهم بنو سعد، وحملوا جميعاً أموالهم ونساءهم وأبناءهم معهم، ولما علم رسول الله ﷺ بخروج هوازن وثقيف رأى أن يسير إليهم قبل أن يداهموه في مكة ويستبيحوا حرمتها، فتوجه إليهم على رأس اثنى عشر ألف مقاتل منهم ألفان من مكة.

وأعجب المسلمون بكثرتهم وقال أحدهم: (لن نغلب اليوم من قلة).

نصب الأعداء لمقدمة المسلمين كميناً في مقدمة وادى حنين وعلى جنباته، ففوجىء المسلمون به إلى جانب وابل النبل الذى رمى الأعداء به خيل المسلمين، فأصاب المسلمين ذعر شديد فتفرقوا من غير نظام، وثبت رسول الله ﷺ وجماعة من أصحابه منهم أبو بكر وعمر وعلى والعباس وأسامة بن زيد ومتعب بن أبى لهب وربيعة بن الحارث ﷺ وصمدوا للأعداء وقال النبيﷺ:

أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وأمر النبيﷺ عمه العباس ﷺ وكان جهورى الصوت أن ينادى في المسلمين فصار يصرخ بأعلى صوته: يا معشر الأنصار، يا أصحاب بيعة الرضوان. فأقبل الناس نحوه وأنزل الله سكينته عليهم وأنزل جنوداً لم يروها شدوا من عزيمتهم وهجموا على أعدائهم ففرت هوازن وثقيف من أمامهم تاركين النساء والذرارى فغنمها المسلمون.

بلغت غنائم الغزوة أربعة وعشرين ألف بعير وأربعمائة ألف شاة وأربعة آلاف أوقية من الفضة وجمعها الرسول ﷺ في الجِعْرَانة.

تفرق المشركون ما بين نخلة ووادى أوطاس والطائف والتى ذهب إليها مالك بن عوف زعيم القوم.

أرسل النبى ﷺ أبا عامر الأشعرى فى سرية لقتال الذين تجمعوا فى وادى أوطاس فشتت شملهم واستشهد بسهم أثناء القتال، فتولى أمر السرية من بعده ابن أخيه أبو موسى الأشعرى.

سار النبيﷺ بمن معه من المسلمين إلى الطائف فتحصنت فيها هوازن وثقيف وجمعوا فى الحصون ما يكفيهم من الأقوات وأمطروا المسلمين من الداخل بوابل من النبال فاستشهد سعيد بن سعيد بن العاص ﷺ، وعبد الله بن أبى أمية ابن عمة رسول اللهﷺ وأصيب عبد الله بن أبى بكر ﷺ وفقئت عين أبى سفيان بن حرب ﷺ.

واستمر الحصار ثمانية عشر يوماً ضرب المسلمون خلالها الحصون بالمنجنيق وحاولوا اقتحامها واضطروا إلى فك الحصار ودعا رسول الله ﷺ لثقيف وقال: ((**اللهم اهد ثقيفاً وأت بهم مسلمين**)).

رجع النبى ﷺ إلى الجِعْرَانة حيث جمعت الغنائم والسبايا. وجاء النبى ﷺ فى الجِعْرَانة وفد من هوازن يطلب منه أن يمن عليهم بإعتاق سبايا هوازن ففعل. وأرسل النبى ﷺ وهو فى الجِعْرَانة إلى مالك بن عوف بالطائف بأنه إن جاء منَّ عليه بإعتاق أهله وإعطائه ماله وفوقها مائة من الإبل فجاء وأسلم.

وزع النبى ﷺ الغنائم بعد أن رفع خمسها فأعطى المؤلفة قلوبهم والذين يطمع فى إسلامهم أمثال عينة بن حصن والأقرع بن حابس وسهيل بن عمرو وصفوان بن أمية.

وحزن الأنصار لذلك فجمعهم النبى ﷺ وأثنى عليهم ودعا لهم وما زال بهم حتى رضوا.

فوائد وعبر وأحكام من غزوة حنين :

١ . معرفة أن النصر بيد الله وحده، وأنه لا ينال بكثرة ولا قلة، إنما سبيله: الإخلاص، والصبر، واستنصار الله تعالى. ففى غزوة بدر: انتصر المسلمون وهم قلة عدداً وظهراً. ولولا ثبات الرسول ﷺ ومن معه وهم نحو المائتين من الصابرين المخلصين، لما تم النصر، ونزلت السكينة، وأيَّدهم الله بجُنده، كما قال تعالى فى آية التوبة المذكورة.

٢ . استبراء السبايا قبل الوطء، فقد أذَّن مؤذن رسول الله ﷺ أن لا توطأ حامل حتى تضع، ولا غيرُها حتى يُستبرأ رحمُها بحيضة. وهؤلاء، وفى هذا نزول قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾

(النساء: ٢٤).

٣ . تحريم قتل النساء، والأطفال، والعجزة، والأجراء، والعبيد ممن لا يشاركون فى القتال. أما إذا شاركوا فى القتال: فإنهم يُقتلون مقبلين لا مدبرين.

٤ . جواز خروج النساء مع الرجال فى الغزو، لمداواة المرضى، وسقى العطاش، لا للمشاركة فى القتال إلا فى حالة مداهمة العدو للبلد، فإن الدفاع حينئذٍ يجب على كل قادر.

٥ . جواز اتخاذ العيون ((الجواسيس)) لمعرفة أحوال العدو وحركاته، وربما كان ذلك واجباً فى بعض الأحيان، وقد أمر النبى ﷺ عبد الله بن أبى حدرد الأسلمى بالقيام بذلك فى هذه الغزوة، كما سبق.

٦ . جواز الاستعانة بالمشركين إذا دعت الضرورةُ إلى ذلك. وقد كانت ممنوعة أولاً، وقد قال ﷺ لمن عرض عليه ذلك منهم: ((اذهب فأنا لا أستعين بمشرك))، كما تقدم، ثم استعان ﷺ فى هذه الغزوة بأدراع صفوان، ورماح

غيره، فدل على الجواز بشرط الثقة، والأمن من الضرر، وعدم سيطرتهم على المسلمين بسبب ذلك.

٧. إعطاء السلب للقاتل، لقوله ﷺ: ((**مَن قتل قتيلاً فله سلبه**))، كما تقدم. وقد حصل هذا، فأخذ أصحابه أسلاب قتلاهم.

٨. امتلاك المجاهدين للغنائم يكون بعد القسم. أما قبله فهى موكلة إلى نظر الإمام، وتحقيق المصلحة العامة، وهذا فى المنقولات.

٩. جواز إعطاء المؤلفة قلوبهم من الغنيمة قبل القسم، لاستمالتهم إلى الإسلام، أو دفع أذاهم ومَعَرَّتِهِمْ، أو جلب نفع.

١٠. رحمة الرسول ﷺ بعباد الله، وحرصُه على إنقاذهم ونجاتهم، وإشارته إلى أن الجهاد إنما شرع لإصلاح الناس، ودعوتهم إلى الخير، لا للانتقام والتفشى والطمع.

١١. امتناعه ﷺ من تأخير هدم الطواغيت التى تعبد من دون الله.

غزوة تبوك

الآثار الإيمانية:

١- التعريف بقيمة الجهاد فى سبيل الله.

٢- التحذير من صفات المنافقين.

٣- التأكيد على أهمية الصبر فى السراء والضراء.

٤- التعريف بأهمية أن يزن المسلم قوله وفعله بميزان الله ورضاه.

٥- التعريف بضوابط الحلف بالله.

٦- التذكير بأهمية الإنفاق فى سبيل الله.

٧- استشعار رحمة الله تعالى ودفاعه عن المؤمنين.

٨- بذل الوسع وإفراغ الجهد لله رب العالمين.

٩- التحذير من التردد.

١٠- التحذير من التلاعب والعبث فى أمور الدين.

١١- استشعار قيمة الصدق.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ (التوبة: ٣٨ - ٣٩).

قال تعالى: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى

ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ
لَمِنكُمۡ وَمَا هُم مِّنكُمۡ وَلَٰكِنَّهُمۡ قَوۡمٞ يَفۡرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا أَوۡ
مَغَٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلٗا لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ
أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ
ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى
ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا
وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ
مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦٠﴾ وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ
هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ
مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦١﴾ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ
لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمۡ
يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدٗا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ
ٱلۡخِزۡيُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم
بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ
لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ
تَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ
نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

(التوبة: ٤١ ـ ٦٦).

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي
ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن

يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ
ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن
يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ
حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾
فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا
وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾
وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟
وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى
ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ
وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ
﴿٨٦﴾ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾
لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ
لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ
لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾
لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ
إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا
عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟
وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا
ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ
ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا
رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ

وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ (التوبة: ٧٩-٩٦).

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ (التوبة: ١٠٧ - ١١٠).

قال تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا

يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةٗ وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ (التوبة: ١١٧ - ١٢١).

فى رحاب الآيات:

كانت الغزوة فى العام التاسع الهجرى وذلك عندما حشد الروم حشودهم استعداداً لغزو المدينة، فلما علم الرسول ﷺ بذلك أمر بالتهيؤ لقتالهم.

كانت الغزوة وقت نضوج الثمار وقرب الحصاد ووقت الحر الشديد.

صرح النبي ﷺ بوجهته رغم أنه إذا أراد جهة لم يكن يذكرها بل يورى بغيرها.

وحث الموسرين على البذل لتجهيز الجيش فدفع عثمان بن عفان ﷺ عشرة آلاف دينار وثلاثمائة من الإبل وخمسين فرساً. وقدم أبو بكر الصديق ﷺ أربعة آلاف درهم هى كل ماله، وقدم عبد الرحمن بن عوف ﷺ مائة أوقية، وقدم عمر بن الخطاب نصف ماله، وقدم العباس وطلحة وغيرهم ﷺ مالاً كثيراً.

جاء نفر من فقراء الأنصار يطلبون من رسول الله ﷺ أن يحملهم فقال: لا أجد ما أحملكم عليه، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون، فجهز عثمان بن عفان ﷺ ثلاثة منهم وجهز العباس ﷺ اثنين آخرين.

اعتذر الجد بن قيس بخوف الفتنة من نساء بنى الأصفر[1]، فنزل فيه قوله تعالى: ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ واعتذر الأعراب وتخلف المنافقون

---

(١) أى نساء الروم.

الذين كانوا يرجفون بالمدينة ويقولون بهزيمة المسلمين من الروم وبضعفهم وفقرهم، فقبل الرسول ﷺ علانيتهم ووكل نياتهم إلى الله فنزل القرآن يفضحهم فى سورة التوبة.

تخلف أبو خيثمة ﷺ ثم لحق بالجيش قبل وصوله إلى تبوك، وتخلف كعب ابن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع ولم يكذبوا على النبيﷺ فتاب الله عليهم ونزل خبرهم فى سورة التوبة.

قال تعالى: ﴿ لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾

(التوبة: ١١٧ – ١١٨).

ولى النبى ﷺ على المدينة محمد بن مسلمة وخلف على بن أبى طالب ﷺ على أهله.

سار النبى ﷺ فى ٣٠,٠٠٠ مقاتل وكان اللواء بيد أبى بكر الصديق وراية المهاجرين بيد الزبير بن العوام وراية الأوس بيد أسيد بن حضير وراية الخزرج بيد الحباب بن المنذر، وكان حرس الجيش بقيادة عباد بن بشر رضى الله عنهم. ولما مر النبى ﷺ بالحجر وهى مدائن صالح غطى ثوبه على وجهه وأسرع بالرحلة ثم قال: لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم باكون خوفاً أن يصيبكم مثل ما أصابهم.

وصل رسول الله ﷺ إلى تبوك ولم يجد أثراً لتجمع الروم فيها كما جاءه الخبر فأقام فيها بضع عشرة ليلة جاءه أثناءها يوحنا أمير أيلة[1] وأهل جرباء[2] وأذرح[3] فصالحوه على دفع الجزية وبعد ذلك رجع إلى المدينة.

أوحى الله لنبيه ﷺ بهدم مسجد الضرار الذى بناه المنافقون قرب المدينة ليفرقوا المسلمين وحلفوا بالله إن أرادوا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون.

فوائد وعبر وأحكام من غزوة تبوك:

ويستفاد من أحداث هذه الغزوة الكبرى وما تخللها من مواقف، وما نزل فى شأنها من القرآن: فوائد، وعبر، ومسائل.

منها: فضل البذل فى سبيل الله، وتجهيز المجاهدين، ولم يثبت أن رسول الله ﷺ فرض على الناس شيئاً. وإنما رغّبهم ووعدهم الجنة لذلك، فتسابق الناس للإنفاق والإيثار بمحض اختيارهم وإيمانهم.

ومنها: ائتمام النبى ﷺ بعبد الرحمن بن عوف فى صلاة الفجر، وقد أراد ابن عوف أن يتأخر لما لمح رسول الله فأشار إليه: أن لا يفعل، وصلى خلفه، وهذا يدل على جواز إمامة المفضول بالفاضل.

ومنها: سؤال معاذ النبى ﷺ عن عمل يدخله الجنة وهم فى طريق العودة، فأجابه ﷺ بأن رأس هذا الأمر الشهادة، وقوامه الصلاة والزكاة، وذروة سنامه الجهاد.

ومنها: أن النبى جمع الظهر والعصر والمغرب والعشاء ومنها: وقد سئل عن سُترة المصلى فقال: بأنها مثل مؤخرة الرحل.

---

(١) أيلة: مدينة كانت مكان العقبة اليوم.

(٢) جرباء: مدينة جنوب شرق عمان بالأردن اليوم.

(٣) أذرح: مدينة جنوب بلاد الشام إلى الشمال الغربى من عمان.

ومنها : جواز الهجر فوق ثلاث لسبب شرعى .

ومنها : أن المارّ بديار العذاب، لا ينبغى له المقام بها ، بل يجب عليه الإسراعُ بالخروج منها متقنعاً باكياً أو متباكياً ، كى لا يصيبه ما أصابهم ، كما لا يُنتفع بشىء منها حتى الماء إلا ماء بئر الناقة . كما فعل النبى ﷺ وأمر به عند مروره بديار ثمود .

ومنها : مصارحة الإمام لرعيته بالأمر الذى يضر إخفاؤه وستره ، ليتأهبوا ، فى حين أنه يجوز له الإخفاء والتورية إذا أمن ما يُخاف، كما فعل ﷺ فى إعلام الصحابة بوجهته : تبوك ، بينما كان يُورّى فى غيرها .

ومنها : وجوب النفير إذا استنفر الإمام الناس كما قال ﷺ : ((وإذا استُنفرتم فانفروا)) . قال ابن القيم : وهو أحد مواطن ثلاث ، يتعين فيها الجهاد ، ولا يجوز التخلف ، والموطن الثانى : إذا دهم العدو البلد . والثالث : الحضور بين الصفين .

ومنها : مشروعية الصدقة عند التوبة .

ومنها : مشروعية فرض الجزية وأخذها من أهل الكتاب إذا صولحوا عليها .

ومنها : أخذ العبرة من موقف كعب لما بلغه كتاب ملك غسان ، يعرض عليه الحماية ، فما كان منه إلا أن رمى به فى التَّنُور وأحرقه لقوة إيمانه ، وثباته ، وتشبثه بالصدق ، وانتظاره رحمة الله وعفوه .

ومنها : جواز طلب أموال الكفار المحاربين ، وجواز الغزو فى الشهر الحرام .

ومنها : أن نصرة النبى ﷺ والخروج معه فرض عين على الأنصار بالمدينة ، وفاء ببيعتهم فى العقبة ،

ويؤيد هذا قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ

ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ (التوبة: ١٢٠).

ومنها: أن العاجز عن الخروج بنفسه أو بماله لا حرج عليه.

ومنها: شؤم المعصية، وعظم وقعها فى النفوس الطيبة، كما حصل للثلاثة الذين خُلفوا، وضاقت عليهم الأرض بما رحُبت، فكيف لمن يواقع الفواحش والكبائر، ويستفاد من قصتهم أيضاً: جواز الحلف للتأكد من غير استحلاف، والتورية عن المقصد، ورد الغيبة، والتوقف عن وطء الزوجة مدة. وأن المؤمن ينبغى أن يبادر إلى انتهاز فرص الطاعة ولا يُؤخر، لئلا تفوت ويُحرَمَ خيرَها، كما يجوز له أن يتمنى ما فاته من خير.

ومنها: استحباب قدوم المسافر على الوضوء، والبدء بالمسجد قبل البيت للصلاة، وجلوسه للزائرين، والسلام على القادم وتلقيه.

ومنها: ترك السلام على من أذنب، ويمن الصدق وبركته، وشؤم الكذب وسوء عاقبته.

أ - الغزوات

رقم	اسم الغزوة	قوات الطرفين		المكان والزمان		مجمل النتائج
		المسلمين	المشركين	مكان الغزوة	التاريخ	
١	وَدَّان ((الأبواء))	٢٠٠ راكب وراجل	—	ودّان	صفر من السنة الثانية الهجرية	تملّص مشركو قريش من لقاء المسلمين، فحالفوا قبيلة بني ضَمْرَة.
٢	بُواط بناحية رضوى	٢٠٠ راكب وراجل	١٠٠ راكب وراجل من قريش	بُواط	ربيع الأول من السنة الثانية الهجرية	لم يدرك قافلة قريش
٣	العُشَيْرَة من بطن ينَبع	٢٠٠ راكب وراجل	قوّة من قريش وبني مدلج وبني ضمرة	العُشَيْرة	جمادى الأولى من السنة الثانية الهجرية	وادع بنو مُدْلج وحلفاؤهم بني ضمرة
٤	بدر الأولى	٢٠٠ راكب وراجل	قوّة خفيفة بقيادة كرز بن جابر الفِهْرِي	بدر	جمادى الآخرة من السنة الثانية الهجرية	فرّ المشركون بما غنموه من المسلمين، ولم يستطع المسلمون إدراكهم.

رقم	اسم الغزوة	قوات الطرفين		المكان والزمان		مجمل النتائج
		المسلمين	المشركين	مكان الغزوة	التاريخ	
٥	بدر الكبرى	٢١٥ معهم فرسان وسبعون بعيراً	٩٥٠ منهم ٢٠٠ فارس وهم من قريش	بدر	رمضان من السنة الثانية الهجرية	انتصار المسلمين الحاسم على المشركين من قريش
٦	بنو قَيْنُقَاع	مسلمو المدينة المنورة	بنو قينقاع من يهود	المدينة المنوّرة	أوائل شوّال من السنة الثانية الهجرية	تطهير داخل المدينة المنوّرة من يهـود بنى قينقاع
٧	بنو سُلَيْم	٢٠٠ راكب وراجل	بنو سليم	قَرْقَرة الكُدْر بين مكة والمدينة	أواخر شوّال من السنة الثانية الهجريّة	فر بنو سُليم وتركوا أموالهم للمسلمين
٨	السَّوِيق	قوة مطاردة خفيفة من المسلمين	٢٠٠ فارس من مشركى قريش	قَرْقَرة الكُدر	ذو الحجّة من السنة الثانية الهجريّة	فرار مشركى قريش من مطاردة المسلمين لهم

رقم	اسم الغزوة	قوات الطرفين		المكان والزمان		مجمل النتائج
		المسلمين	المشركين	مكان الغزوة	التاريخ	
٩	ذو أَمَرّ من يهود	٤٥٠ بين راكب وراجل	بنو ثَعْلبة	ذو أَمَرّ موضع فى نجد	محرم من السنة الثالثة الهجرية	فَرّ ثعلبة ومحارب، وبقى المسلمون فى ديارهم نحو شهر
١٠	بُحْران	٣٠٠ بين راكب وراجل	بنو سُلَيْم	بحران على طريق المدينة ـ مكّة	ربيع الأول من السنة الثالثة الهجريّة	فرّ بنو سليم فبقى المسلمون فى ديارهم نحو شهر
١١	أُحُد	٧٠٠ بينهم خمسون فارساً	٢٩٠٠ من قريش وحلفائها ومائة من بنى ثقيف بينهم ٢٠٠ فارس	جبل أُحُد فى ضواحى المدينة المنورة	شوّال من السنة الثالثة الهجرية	استطاع المشركون تكبيد المسلمين سبعين شهيداً، وكان انتصار المشركين انتصاراً تعبوياً .

رقم	اسم الغزوة	قوات الطرفين		المكان والزمان		مجمل النتائج
		المسلمين	المشركين	مكان الغزوة	التاريخ	
١٢	حمراء الأسَد	٦٣٠ راكب وراجل	٢٩٧٨ من قريش وحلفائها وثقيف	حَمْراء الأسد بين المدينة ومكة	شوّال من السنة الثالثة الهجرية	طارد المسلمون قريشاً وحلفاءها إلى حمراء الأسد بعد انتهاء غزوة أُحُد مباشرة، ولكن المشركين انسحبوا
١٣	بنو النَّضِير من يهود	مسلمو المدينة كافة	بنو النَّضِير من يهود	ضواحى المدينة المنوّرة	ربيع الأول من السنة الرابعة الهجرية	إجلاء بنى النّضير عن ضواحى المدينة المنوّرة
١٤	ذات الرِّقاع	٤٠٠ راكب وراجل	بنو ثعلبة ومحارب من غطفان	ذات الرقاع بنجد	شعبان من السنة الرابعة الهجرية	فرار بنى ثعلبة وبنى محارب من ديارهم.
١٥	بدر الآخرة	نحو ألف راكب وراجل	٣٠٠٠ من مشركى قريش وحلفائها	بَدْر	شعبان من السنة الرابعة الهجرية	عادت قريش أدراجها إلى مكة ولم تذهب للقاء المسلمين فى بدر حسب موعدها

رقم	اسم الغزوة	قوات الطرفين		المكان والزمان		مجمل النتائج
		المسلمين	المشركين	مكان الغزوة	التاريخ	
١٦	دُومَةُ الجَنْدَل	ألف راكب وراجل	قبائل دُومَة الجَنْدَل	دُومَة الجندل	ربيع الأول من السنة الخامسة الهجرية	لاذت القبائل الفرار
١٧	بنو المصْطَلِق	ألف راكب وراجل	بنو المصْطَلِق	المُرَيْسِيع	شعبان من السنة الخامسة الهجرية	فرّ بنو المصطلق بعد معركة قصيـرة وانتصر المسلمون
١٨	الخندق	ثلاثة آلاف	عشرة آلاف من قريش وحلفائها عدا يهود المدينة	المدينة المنورة	شوّال من السنة الخامسة الهجرية	عودة الأحزاب عن حصار المدينة المنورة خائبين
١٩	بنـو قُـرَيْظَـة من يهود	ثلاثة آلاف بينهم ٣٦ فارساً	٦٠٠ إلى ٧٠٠ من قريظة	ضواحي المدينة المنوّرة	ذو القعدة من السنة الخامسة الهجرية	القضاء على بني قريظة

رقم	اسم الغزوة	قوات الطرفين		المكان والزمان		مجمل النتائج
		المسلمين	المشركين	مكان الغزوة	التاريخ	
٢٠	بنو لِحْيَان	نحو ٣٠٠٠ مجاهد	بنو لحيان	غُرّان بين أَمَجٍ وعُسْفان	جمادى الأولى من السنة السادسة الهجرية	فرّ بنو لحيان
٢١	ذو قرَد	جماعة مطاردة خفيفة	غطفان	ذو قرَد	ربيع الأول من السنة السادسة الهجرية	فرّ بنو غطفان تاركين الغنائم التى أخذوها من المسلمين
٢٢	الحدَيْبيَّة	١٦٠٠ راكب وراجل	قريش فى مكة المكرّمة	الحُدَيْبيَّة	ذو القعدة من السنة السادسة الهجرية	عقدت هدنة الحديبية بين المسلمين ومشركى قريش
٢٣	خَيْبَر	١٦٠٠ راكب وراجل	يهود خيبر	خَيْبَر	المحرم من السنة السّابعة الهجرية	فتحت خيبر واستسلم يهود فدك ووادى القرى وتيماء

رقم	اسم الغزوة	قوات الطرفين		المكان والزمان		مجمل النتائج
		المسلمين	المشركين	مكان الغزوة	التاريخ	
٢٤	عُمْرَةُ القضاء	١٤٠٠ راكب وراجل	مشركو قريش	مكّة المكرّمة	ذو القعدة من السنة السابعة الهجرية	بقى المسلمون ثلاثة أيام فى مكة بعد أن خرج المشركون عنها
٢٥	فتح مكّة المكرمة	عشرة آلاف	قريش وبنو بكر	مكة المكرّمة	رمضان من السنة الثامنة الهجرية	فتح مكة المكرَّمة
٢٦	حُنَيْن	اثنا عشر ألفًا	ثقيف وقسم من هوازن	وادى أوطاس قرب الطائف	شوّال من السنة الثامنة الهجرية	هربت ثقيف ومَن معها من هوازن وانتصر المسلمون عليهم
٢٧	حصار الطائف	اثنا عشر ألفًا	ثقيف وقسم من هوازن	الطائف	شوّال من السنة الثامنة الهجرية	لم تستسلم الطائف ففك الحصارَ عنها المسلمون ورحلوا عائدين إلى المدينة المنوّرة

رقم	اسم الغزوة	قوات الطرفين		المكان والزمان		مجمل النتائج
		المسلمين	المشركين	مكان الغزوة	التاريخ	
٢٨	تَبُوك	ثلاثون ألفاً منهم عشرة آلاف فارس	جيش كبير من الرُّوم وحلفائهم من الغساسنة	تَبوك	رجب من السنة التاسعة الهجرية	فضّل الروم ألا يشتبكوا بالمسلمين، فأقام المسلمون فى تبوك نحو عشرين يوماً، وصالحوا قبائل وسُكان منطقة الحدود الشمالية بين الحجاز وبلاد الشّام، فأمنوا بذلك قاعدة متقدمة أمامية لعملياتهم المقبلة باتجاه الرُّوم في بلاد الشّام.

ب ـ السرايا

رقم	اسم السريّة وقائدها	قوّة السريّة	قوّة الأعداء	قائد الأعداء	المكان	التوقيت الهجري	النتائج
١	حَمْزة بن عبد المطلب	ثلاثون من المهاجرين	٢٠٠ راكب	أبو جَهْل بن هشام	العِيص	رمضان من السنة الأولى	حجز بين الطرفين مَجْدى بن عمرو الجُهْنيّ
٢	عُبيَدة بن الحارث	ستون من المهاجرين	أكثر من مئتى راكب وراجل	أبو سُفْيان بن حرب	ماء بوادى رابغ	شوّال من السنة الأولى	جرت مناوشات بين الطرفين، ورمى فيها سعد بن أبى وقاص أول سهم رمي في الإسلام
٣	سَعْد بن أبى وقّاص	عشرون من المهاجرين	قافلة لقريش	—	الخَرّار	ذو القعدة من السنة الأولى	تملّصت القافلة ونجت من المسلمين
٤	عبد الله بن جَحْش	اثنا عشر رجلاً من المهاجرين	أربعة رجال	عمرو بن الحَضْرَميّ	نَخْلَة	رجب من السنة الثانية	١ـ أول قتيل من المشركين. ٢ـ أول أسير من المشركين. ٣ـ أول غنيمة للمسلمين. ٤ـ استعمال الرسائل المكتومة.

رقم	اسم السريّة وقائدها	قوّة السريّة	قوّة الأعداء	قائد الأعداء	المكان	التوقيت الهجري	النتائج
٥	عُمَيْر بن عَدِيّ	رجل واحد	امرأة واحدة	عصماء بنت مروان	المدينة المنوّرة	رمضان من السنة الثانية	تعيب الإسلام وتؤذى النبى وتحرّض عليه وتهجوه شعراً
٦	سالم بن عُمَيْر	رجل واحد	عدو واحد	أبو عَفَك اليهودي	المدينة المنوّرة	شوال من السنة الثانية	يحرّض على رسول الله ويقول الشعر في هجائه
٧	محمد بن مَسْلَمة	نفر من الأوس	عدو واحد	كعب بن الأشرف	المدينة المنورة	ربيع الأول من السنة الثالثة	يهجو النبى بشعره ويهجو المسلمين ويحرّض عليهم ويؤذيهم
٨	زيد بن حارثة الكلبيّ	مائة راكب وراجل	قافلة لقريش	صَفْوان بن أمية	الغَزْوَة من أرض نجد	جمادى الآخرة من السنة الثالثة	غنم قافلة قريش وأسر فرات ابن حيان فأسلم
٩	عبد الله بن أُنَيْس	راجل واحد	جماعة حشدوا لقتال المسلمين	سُفيان بن خالد الهُذَليّ	عُرَنَة	المحرم من السنة الرابعة	حشد الجموع لقتال المسلمين
١٠	أبو سَلَمة بن عبد الأسد	—	بنو أسد	رئيس بنى أسد	قَلَى	المحرم من السنة الرابعة	لحشدهم على المسلمين

رقم	اسم السريّة وقائدها	قوّة السريّة	قوّة الأعداء	قائد الأعداء	المكان	التوقيت الهجري	النتائج
١١	المنذر بن عمرو الأنصاري	سبعون رجلاً من الأنصار	سبعون من سُلَيْم	سليم بن ملحان والحكم بن كيسان	بئر مَعُونَة	صفر من السنة الرابعة	غدر المشركون بدعاة المسلمين
١٢	مَرْثد بن أبى مَرثد الغَنَويّ	عشرة رجال	عَضَل والقَارة	رئيسا القبيلتين	الرَّجيع	صفر من السنة الرابعة	غدر المشركون بالمسلمين
١٣	محمد بن مَسْلمة	ثلاثون راكباً	القُرَطاء بطن من بنى بكر من كلاب	رئيس القبيلة	الفُرَطاء فى البكرات بناحية ضريّة	المحرّم من السنة السادسة	قتل نفراً منهم وهرب سائرهم وعاد بالغنائم
١٤	عُكّاشة بن مِحْصَن الأسدي	أربعون رجلاً	بنو أسد	رئيس القبيلة	الغَمْر غَمْر مرزوق	ربيع الأول من السنة السادسة	استاق المسلمون مائتى بعير وهرب المشركون
١٥	محمد بن مَسْلمة الأنصاري	عشرة رجال	بنو ثَعْلبة وبنو عوال من ثعلبة	رئيس القبيلة	ذو القَصَّة	ربيع الآخر من السنة السادسة	استشهد المسلمون وجرح قائدهم

رقم	اسم السريّة وقائدها	قوّة السريّة	قوّة الأعداء	قائد الأعداء	المكان	التوقيت الهجري	النتائج
١٦	أبو عُبَيْدة ابن الجراح	أربعون رجلاً	بنو ثعلبة	رئيس القبيلة	ذو القَصَّة	ربيع الآخر من السنة السادسة	هرب المشركون وغنم المسلمون مواشيهم وأمتعتهم
١٧	زيد بن حارثة الكلبيّ	—	سُلَيْم	رئيس القبيلة	الجَموم	ربيع الآخر من السنة السادسة	غنم المسلمون شاةً ونعماً وأسرى
١٨	زيد بن حارثة الكلبيّ	مائة وسبعون راكب وراجل	قافلة لقريش	صفوان ابن أميّة	العِيص	جمادى الأولى من السنة السادسة	غنم المسلمون القافلة
١٩	زيد بن حارثة الكلبيّ	خمسة عشر رجلاً	بنو ثعلبة	رئيس القبيلة	الطَّرَف	جمادى الآخرة من السنة السادسة	غنم المسلمون عشرين بعيراً وهربت الأعراب

رقم	اسم السريّة وقائدها	قوّة السريّة	قوّة الأعداء	قائد الأعداء	المكان	التوقيت الهجري	النتائج
٢٠	زيد بن حارثة الكلبيّ	خمسمائة رجل	جُذام	الهُنَيْد بن عارض	حِسْمَى	جمادى الآخرة من السنة السادسة	غنم المسلمون ألف بعير وخمسمائة شاة مع مائة من الأسرى، فأعادها النبى لهم
٢١	زيد بن حارثة الكلبيّ	—	الأعراب فى وادى القرى ((بنو فزارة))	رئيس القبيلة	وادى القرى	رجب من السنة السادسة	كبدهم خسائر فى الأرواح وأصاب أسرى
٢٢	عبد الرحمن ابن عوف	—	بنو كلب	الأصْبَغ بن عمرو الكلبيّ	دُومة الجندل	شعبان من السنة السادسة	أسلم الأصْبَغ بن عمرو الكلبى وأسلم معه ناس كثير
٢٣	على بن أبى طالب	مائة رجل	بنو سعد بن بكر	رئيس القبيلة	فَدَك	شعبان من السنة السادسة	إحباط حشدهم مدداً ليهود خيبر، فهرب بنو سعد وخلّفوا خمسمائة بعير وألفى شاة غنمها المسلمون

رقم	اسم السريّة وقائدها	قوّة السريّة	قوّة الأعداء	قائد الأعداء	المكان	التوقيت الهجري	النتائج
٢٤	زيد بن حارثة الكلبيّ	مفرزة خفيفة	فزارة من بنى بدر	رئيس القبيلة	أمّ خِرفة بوادى القُرى	رمضان من السنة السّادسة	انتقم من بنى بدر لنهبهم قافلة تجارية للمسلمين
٢٥	عبد الله بن عَتِيك	رجل واحد مع مفرزة من خمسة رجال	أبو رافع ابن أبى الحُقَيق	أبو رافع سَلام بن أبى الحقيق	خَيْبَر	رمضان من السنة السادسة	قتله لأنه حرّض غطفان على المسلمين
٢٦	عبد الله ابن رَواحة	ثلاثون رجلاً	رجل واحد	أسير بن زارم اليهودي	خَيْبَر	شوّال من السنة السادسة	قتله لأنه سار فى غَطفان وغيرهم يجمعهم لحرب المسلمين
٢٧	كُرْز بن جابر الفِهْري	عشرون فارساً	ثمانية من العُرَنِيّين	ثمانية من العُرَنيين	الطريق القريبة من المدينة	شوّال من السنة السادسة	خانوا الأمانة فعوقبوا على خيانتهم
٢٨	عمرو ابن أُميّة الضَّمْرِي	رجلان	أبو سفيان بن حرب	أبو سفيان بن حرب	مكّة	شوال من السنة السادسة الهجرية	أرسل أبو سفيان ليغتال النبى ﷺ فعاد هذا إلى أبى سفيان بعد إسلامه

رقم	اسم السريّة وقائدها	قوّة السريّة	قوّة الأعداء	قائد الأعداء	المكان	التوقيت الهجري	النتائج
٢٩	عمر بن الخطّاب	ثلاثون رجلاً	عَجْز هوازن	-	تُرَبة	شعبان من السنة السابعة	هرب المشركون فعادوا إلى مكة
٣٠	أبو بكر الصِّديق	—	بنو كلاب	—	ضُرِيَّة بنجد	شعبان من السنة السابعة	هرب المشركون وسبى قسم منهم
٣١	بشير بن سعد الأنصاري	ثلاثون رجلاً	بنو مُرَّة	-	فَدَك	شعبان من السنة السابعة	غنم المسلمون فاستعاد المشركون الغنائم وكبدوا المسلمين خسائر فادحة
٣٢	غالب بن عبد الله اللّيثي	مائة وثلاثون رجلاً	بنو عُوَال وبنو عبد بن ثعلبة	رئيس القبيلة	المَيْفَعَة بناحية نجد	رمضان من السنة السابعة	كبّدوا المشركين خسائر فى الأرواح وغنموا نعماً وشاء
٣٣	بشير بن سعد الأنصاري	ثلاثمائة رجل	غَطَفان	عُيَيْنَة بن حِصن	يَمْن وجَبَار	شوال من السنة السابعة	هرب المشركون وغنم المسلمون نعماً كثيراً

رقم	اسم السريّة وقائدها	قوّة السريّة	قوّة الأعداء	قائد الأعداء	المكان	التوقيت الهجري	النتائج
٣٤	ابن أبى العوجاء السُّلمي	خمسون رجلاً	سُلَيْم	رئيس القبيلة	الجُموم	ذو الحجة من السنة السابعة	استشهد أكثر المسلمين
٣٥	غالب بن عبد الله الليثي	بضعة عشر رجلاً	بنو الملوح	بنو الملوح	الكَديد	صفر من السنة الثامنة	غنم المسلمون النعم
٣٦	شجاع بن وَهب الأسديّ	أربعة وعشرون رجلاً	بنو عامر من هوازِن	رئيس القبيلة	السّبى ناحية الركبة من وراء المَعْدِن	ربيع الأول من السنة الثامنة	غنم المسلمون نعماً وشاءً
٣٧	كعَب بن عُمير الغفاريّ	خمسة عشر رجلاً	قبائل حربية	ـ	ذات أطلاح	ربيع الأول من السنة الثامنة	استشهد المسلمون

رقم	اسم السريّة وقائدها	قوّة السريّة	قوّة الأعداء	قائد الأعداء	المكان	التوقيت الهجري	النتائج
٣٨	زيد بن حارثة [١]	ثلاثة آلاف رجل	مائة ألف من غسّان وحلفائهم	شُرَحبيل بن عمرو الغسّاني	مُؤْتَة	جمادى الأولى من السنة الثامنة	انسحب المسلمون بقيادة خالد بن الوليد بعد استشهاد القادة الثلاثة[١]، وتكبد المسلمون خسائر فادحة بالأرواح لتفوّق المشركين عليهم تفوقاً ساحقاً
٣٩	عمرو بن العاص[٢]	ثلاثمائة رجل معهم ثلاثون فرساً وأمدهم النبى بمائتى رجل	قضاعة	رؤساء قبائل بلى وعُذَرة وبَلْقين	ذات السّلاسل	جمادى الآخرة من السنة الثامنة	وطىء بلاد بلى ودوّخها حتى أتى إلى أقصى بلادهم وبلد عُذرة وبلقين ولقى جمعاً بعد ذلك فحمل المسلمون عليهم فهربوا فى البلاد وتفرقوا. والهدف من السرية إحباط تجمعات قضاعة وحثهم للهجوم على المسلمين

(١) كان قادتها كل من: زيد بن حارثة، جعفر بن أبى طالب، وعبد الله ابن رَواحة.

(٢) كان قادتها كل من: عمرو بن العاص، وعلى المدد وأبو عبيدة بن الجراح.

رقم	اسم السريّة وقائدها	قوّة السريّة	قوّة الأعداء	قائد الأعداء	المكان	التوقيت الهجري	النتائج
٤٠	أبو عبيدة بن الجراح	ثلاثمائة رجل	جُهَيْنة	رئيس القبيلة	القبيلة مما يلي ساحل البحر الأحمر	رجب من السنة الثامنة	لم يلقوا كيداً
٤١	أبو قتادة بن ربْعِي الأنصاري	خمسة عشر رجلاً	محارب من غطفان	مُحارب من غطفان	خَضِرة في نجد	شعبان من السنة الثامنة	غنم المسلمون مائتي بعير وألفي شاة
٤٢	أبو قتادة بن رِبْعي الأنصاري	ثمانية رجال	قريش وحلفاؤها	أبو سفيان بن حرب	بطن مكة	رمضان من السنة الثامنة	الهدف هو التضليل من التوجّه نحو مكّة لفتحها ، فسارت هذه السرية بعكس اتجاه مكة ، ثم تحرّك المسلمون نحو هدفهم الأصلي مكّة.
٤٣	خالد بن الوليد	ثلاثون فارساً	العزى صنم لقريش وجميع بني كِنانة	—	العُزّى ((صنم)) في نَخْلة	رمضان من السنة الثامنة	هدم العُزّى

رقم	اسم السريّة وقائدها	قوّة السريّة	قوّة الأعداء	قائد الأعداء	المكان	التوقيت الهجري	النتائج
٤٤	عمرو بن العاص	مفرزة خفيفة	سواع صنم هذيل	رئيس هذيل	ديار هذيل	رمضان من السنة الثامنة	هدم سُوَاع
٤٥	سعد بن زيد الأشهلي	عشرون فارساً	صنم للأوس والخزرج وغسان بالمشلل	—	مَناة ((صنم))	رمضان من السنة الثامنة	هدم سُوَاع
٤٦	خالد بن الوليد	ثلاثمائة وخمسون رجلاً	جَذيمَة من كِنانة	رئيس قبيلة جذيمة	ناحية يَلَمْلَمْ	شوال من السنة الثامنة	كبّد جذيمة خسائر فى الأرواح
٤٧	الطُّفَيلْ بن عمرو الدَّوْسيّ	مفرزة خفيفة	ذو الكَفَّين ((صنم عمرو ابن حَمَمَة الدَّوسى))	—	فى منطقة الطائف	شوّال من السنة الثامنة	هدم ذى الكَفَّين

رقم	اسم السريّة وقائدها	قوّة السريّة	قوّة الأعداء	قائد الأعداء	المكان	التوقيت الهجري	النتائج
٤٨	عُيَيْنَة بن حِصْن الفِزاري	خمسون فارساً	بنو تَميم	رئيس بنى تميم	بين السَّقْيا وأرض بنى تميم	المحرّم من السنة التاسعة	هرب المشركون فأسر أحد عشر رجلاً وسبى إحدى عشرة امرأة وثلاثين صبياً أعادهم النبى إلى أهليهم
٤٩	قُطْبَة بن عامر ابن حَدِيدَة	عشرون رجلاً	خَثْعم	رئيس خَثْعم	ناحية بيشة قريبا من تُربة فى ناحية تبالة	صفر من السنة التاسعة	تكبّد المشركون خسائر بالأرواح وغنم المسلمون النَّعم والشاء والأسرى
٥٠	الضحّاك بن سفيان الكلابيّ	-	بنو كلاب	رئيس بنى كلاب	القُرَطاء بناحية زُجّ لاَوَة	ربيع الأول من السنة التاسعة	انتصر على بنى كلاب
٥١	عَلْقَمة بن مُجزِّز المُدْلجيّ	ثلاثمائة رجل	الحبشة	رئيس الحبشة فى الجزيرة التى تقابل جُدَّة	الحبشة فى الجزيرة تقابل جُدَّة	ربيع الآخر من السنة التاسعة	هرب الأحباش

رقم	اسم السريّة وقائدها	قوّة السريّة	قوّة الأعداء	قائد الأعداء	المكان	التوقيت الهجري	النتائج
٥٢	على بن أبى طالب	مائة وخمسون رجلاً على مائة بعير وخمسين فرساً	الفَلْس صنم طىء وفى كتاب الأصنام الفلس بفتح الفاء	عَدى بن حاتم الطائي	محلّة آل حاتم الطائى بأرض طىء على جبلهم : أجأ	ربيع الآخر من السنة التاسعة	هدم الفَلْس وعاد بالسّبى والنّعم والشاء
٥٣	عُكاشة بن مِحْصن الأسدي	—	عُذْرَة وبَليّ	رئيس القبيلة	الجناب أرض عُذرة وبليّ	ربيع الآخر من السنة التاسعة	التفاصيل غير متيسّرة عن هذه السريّة ويبدو أنها سريّة من سرايا الدعوة
٥٤	خالد بن الوليد	—	بنو عبد المَدان	رئيس القبيلة	نَجْران	ربيع الأول من السنة العاشرة	التفاصيل غير متيسّرة عن هذه السرية ويبدو أنها سرية من سرايا الدعوة
٥٥	على بن أبى طالب	ثلاثمائة فارس	مَذْحِج	رئيس القبيلة	اليمن ((بلاد مُذْحِج))	رمضان من السنة العاشرة	قاتلهم فانتصر عليهم، فغنم منهم النَّعَم والشاء وأسر الأسرى، ثم أعلنوا إسلامهم

رقم	اسم السريّة وقائدها	قوّة السريّة	قوّة الأعداء	قائد الأعداء	المكان	التوقيت الهجري	النتائج
٥٦	أسامة بن زيد ابن حارثة الكلبيّ	ثلاثة آلاف مجاهد بين راكب وراجل	الرُّوم وحلفاؤهم من قضاعة	رئيس قضاعة	أُبْنَى وهى أرض السّراة ناحية البلقاء	صفر من سنة إحدى عشرة	١ـ أمر النبى ﷺ بإنفاذ بعث أسامة فى صفر. ٢ـ تحرك أسامة بجيشه إلى هدفه فى ربيع الآخر بعد وفاة النبى ﷺ وتولِّى أبى بكر الصديق رضى الله عنه الخلافة. ٣ـ شنّ أسامة غارة، سريعة فانتصر، فعاد أدراجه إلى المدينة المنورة. ٤ـ أثّرت هذه السرية فى الروم وحلفائهم تأثيراً بالغاً مما مهد للفتح الإسلامى القريب.



دعوة الملوك والأمراء إلى الإسلام

أواخر سنة سِتَ أو أوائل سنة سَبْع من الهجرة

دعوة وحكمة :

ولما تم الصلح وهدأت الأحوال، وجدت الدعوة الإسلامية متنفسا ومجالا للتقدم، فكتب رسول الله ﷺ كتبا إلى ملوك العالم وأمراء العرب، يدعوهم فيها إلى الإسلام، وإلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، واهتم اهتماما كبيرا، فاختار لكل واحد منهم رسولا يليق به، ويعرف لغته وبلاده.

وقيل له: إنهم لا يقبلون كتاباً إلا بخاتم، فصاغ رسول الله ﷺ خاتما حلقته فضة، ونقش فيه (محمد رسول الله).

وقد دلت هذه الكتب على أن هذا الدين ليس دين العرب، أو دين الجزيرة العربية، وإنما هو دين البشر قال تعالى ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ (الفرقان: ١)، ودين الإنسانية قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، وكان إنذارا للسلطات الحاكمة خارج الجزيرة المالكة للحول والطول، والحاكمة لأوسع رقاع راقية متمدنة، بأنها مهددة بالانقراض والزوال، إذا لم تستجب للدعوة أو تسمح – على الأقل – من تمكين رعاياها من الاطلاع على هذه الدعوة، والاستماع إليها، وتقرير مصيرها في شأنها.

ومن هؤلاء الملوك التي أرسلت إليهم الدعوة الإمبراطور الرومي (هرقل) وإمبراطور فارس (كسرى أبرويز) و(النجاشي) ملك الحبشة، و(المقوقس) ملك مصر.

اعتبارات حكيمة خاصة بالملوك الذين وجهت إليهم هذه الرسائل:

ويلاحظ القارئ فوارق دقيقة مؤسسة على حكمة الدعوة والرسالات النبوية، رُوعِي فيها ما يمتاز به هؤلاء الملوك فى العقائد التى يدينون بها، و(الخلفيات) التى يمتازون بها.

فلمَّا كان (هرقل) و (المقوقس) يدينان بألوهية المسيح كليا أو جزئيا، وكونه ابن الله، جاءت فى الكتابين اللذين وجها إليهما كلمة (عبد الله) مع اسم النبى الكريم ﷺ صاحب هاتين الرسالتين، فيبتدئ الكتابان بعد التسمية بقوله ((من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم)) وبقوله: ((من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط)) بخلاف ما جاء فى كتابه ﷺ إلى كسرى أبرويز، فاكتفى بقوله ((من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس)).

وجاءت كذلك آية ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤)﴾ (آل عمران: ٦٤)، فى هذين الكتابين، وما جاءت فى كتابه إلى كسرى أبرويز، لأن الآية تخاطب أهل الكتاب، الذين دانوا بألوهية المسيح، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم، وقد كان هرقل إمبراطور الدولة البيزنطية والمقوقس حاكم مصر قائدين سياسيين، و زعيمين دينيين كبيرين للعلم المسيحى.

ولما كان (كسرى أبرويز) وقومه يعبدون الشمس والنار، ويدينون بوجود إلهين، أحدهما يمثل الخير وهو (يزدان) والثانى يمثل الشر وهو

(أهرمن)، وكانوا بعيدين عن مفهوم النبوة والتصور الصحيح للرسالة السماوية، جاءت فى الكتاب الذى وجه إلى الإمبراطور الإيرانى عبارة ((وإنى رسول الله إلى الناس كافة ليُنذر من كان حيا)).

وفادة الوفود على رسول الله ﷺ

بدأت وفادة وفود القبائل التى كانت تتربص بدخولها الإسلام على النبى ﷺ، بعد أن دوح المجتمع المسلم سائر القبائل التى تمثل جمهرة العرب فى كثرتها وكثافة رجالها واعتزازها بقوتها المادية، ولكن انتصارات المسلمين بقيادة سيد المرسلين ﷺ كان دويها المرعب قد ملأ قلوب بقايا البطون العربية بالفزع، مع تتابع هزائمهم أما البعوث والسرايا التى كان يرسلها إليهم ﷺفى مضارب أحيائهم، مزودة بقوة الإيمان وحب الموت فى سبيل إعلاء كلمة الله ونشر دعوة الحق، فكانت تنزيلات النصر المؤزر تترى متوالية متتابعة، وهكذا مواقف الجهاد أمام مواقف الطغيان حتى فاء المنهزمون إلى كنف الإيمان فآمنت طوائفهم، ووسعهم حلم رسول الله ﷺ ورحمته وقبل من أتاه منهم تائباً مسلماً وضمه أخاً للمسلمين، له ما لهم وعليه ما عليهم ولم يؤاخذهم بما كان منهم من أسواء وأذى، ونشر بينهم التسامح والعفو ونسيان الماضى، فقال لهم: ليمسح عن قلوبهم آثار الضغائن (الإسلام يجب ما قبله).

وقدمت الوفود على رسول الله ﷺ وفود كثيرة منها: وفد (هوازن) بالجعرانة، ووفد (مالك بن عوف) سنة ثمان، ووفد (بنى تميم) سنة تسع، ووفد (نجران) بعد الهجرة، ووفد (الداريون) قبل الهجرة وبعدها، وبعد غزوة تبوك: وفد (ثقيف)، ووفد (بنى عامر بن صعصعة)، ووفد(ضمام بن ثعلبة)، ووفد (عبد القيس) ومنازلهم البحرين، ووفد (بنى حنيفة بن لجيم) ومعهم مسيلمة

الكذاب، ووفد (طيء)، ووفد (عدى بن حاتم الطائى)، ووفد (بنى زبيد)، ووفد (كندة)، ووفد (الأزد)، ووفد (الحارث بن كعب)، ووفد (رفاعة بن زيد الجذامى)، ووفد (بنى فزارة)، ووفد (بنى أسد) قالوا يا رسول الله أسلمنا ولم نقاتلك كما قاتلك العرب فأنزل الله تعالى: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٧) ﴾ (الحجرات: ١٧)، ووفد (بلى)، ووفد (بنى مرة)، ووفد (خولان)، ووفد (بنى محارب)، ووفد (صدا)، ووفد (سلامان)، ووفد (بنى عبس)، (ووفد مزينة)، ووفد (الأشعريين) قال فى حقهم رسول الله ﷺ[1]: (**أتاكم أهل اليمين كأنهم السحاب وهم خيار من فى الأرض**). ووفد (دوس)، ووفد (بهرا)، ووفد (غامد)، ووفد (الأزد) قال فى حقهم رسول الله ﷺ :(**حكماء علما كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء**) [٢]، ووفد (بنى المنتفق) قال عنهم رسول الله ﷺ: (**من أتقى الناس فى الدنيا والآخرة**) [٣].

ووفود (النخع) قبيلة من اليمن وهم آخر الوفود وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل.

ذكرنا أن كان من الوفود وفد (بنى حنيفة). قدم هذا الوفد على رسول الله ﷺ وفيهم مسيلمة الكذاب، فأتوه وخلَّفوا مسيلمة فى رحالهم، فلما أسلموا ذكروا مكانه، فقالوا: يا رسول الله! إنا خلفنا صاحباً لنا فى رحالنا يحفظها لنا. فأمر ﷺ له بمثل ما أمر به للقوم، وقال: ((**أما إنه ليس بِشَرِّكُمْ مكاناً**))، يعنى:

(١) زاد الميعاد لابن القيم ج ٣ ص ٣٤.

(٢) زاد الميعاد لابن القيم ج ٣ ص ٥٤.

(٣) زاد الميعاد لابن القيم ج ٣ ص ٥٦.

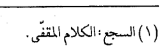
لحفظه ضيعة أصحابه. ثم انصرفوا فلما انتهوا إلى اليمامة، ارتد عدو الله وتنبَّأ، وقال: إنى أشركت فى الأمر معه. وقال للوفد: ألم يقل لكم: ((**أما إنه ليس بِشَرِّكُمْ مكاناً**))، ما ذاك إلا لما كان يعلم أنى أشركت فى الأمر معه. ثم جعل يسجع[1] لهم السجعات، مضاهاة للقرآن، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله بالنبوّة.

وكتب لرسول الله ﷺ: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، أما بعد، فإنى أشركت فى الأمر معك. وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها، ولكن قريش قوم لا يعدلون.

فكتب إليه رسول الله ﷺ: ((**من محمد رسول الله، إلى مسيلمة الكذاب، السلام على من اتبع الهدى؛ أما بعد، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين**)).

وقال للرجلين اللذين أتيا بكتابه: ((**ما تقولان أنتما؟**)) فقالا: نقول كما قال؛ فقال: ((**أما والله، لولا أن الرسل لا تُقْتَلُ، لضَرَبْتُ رِقابكُمَا**))، وذلك فى آخر سنة عشر.




(١) السجع: الكلام المقفّى.

القرآن الكريم معجزة خالدة :

القرآن الكريم معجزة فى تنزيله، معجزة فى رسم حروفه، معجزة فى فصاحته، معجزة فى بلاغته، معجزة فى ضرب أمثاله، معجزة فى قراءاته، معجزة فى علومه، معجزة فى إخباره عن الغيوب، معجزة فى كيفية خلق الإنسان، معجزة فى خلق حيوانات البر والبحر والهواء، معجزة فى الهواء والرياح اللواقح، معجزة فى خلق الأرض وفى الشمس والقمر بحسبان، معجزة فى إخباره عن بدء الخلق ونهايته، معجزة فى طى السماء والأرض، معجزة فى كل شىءله آية تدل على أنه من الواحد القهار.

اقرأوا القرآن، اقرأوا سورة الرحمن، **أولها**: علم وخلق وقدرة وآلاء، **ووسطها**: فناء بعدخلق ثم حياة ونشر وبقاء، **وآخرها** شكر، فهل أنتم شاكرون؟

أيها الناس اقرأوا كتاب ربكم، وتدبروا دعوة رسل الله إلى الله، وصبرهم على تبليغ رسالات ربهم، وما لقيه كل منهم من تكذيب وزجر وتعذيب وقتل بعضهم وهجرة بعض لنشر دين الإسلام الذى ارتضاه الله لعباده.

قال الله تعالى ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).

وقال تعالى ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ (آل عمران: ٨٥).

وقال الله عز وجل ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ (آل عمران: ١٠٤).

ثم انظر كيف كان عاقبة المكذبين:

قال الله تعالى ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (العنكبوت: ٤٠).

ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما يعملون أيها الناس! لقد ضرب الله لكم الأمثال لعلكم تذكرون.

قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ (الحج: ٧٣ – ٧٤).

قال الله تعالى ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ (البقرة: ١٣٦).

أيها الناس ارفعوا أيديكم معى واشهدوا وأنا معكم من الشاهدين قولوا: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) تدخلوا جنة ربكم دار السلام بسلام.

قال تعالى ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ (إبراهيم: ٥٢).

أيها الناس اقرأوا كتاب ربكم، وحديث رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فإن ما جمعناه لكم قليل من كثير، ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ ﴾ (الحشر: ٧).

واعلموا (أن الله افترض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودا فلا تعتدوها، وسكت عن كثير من غير نسيان فلا تكلفوها رحمة بكم فاقبلوها ... أيها الناس إن كتاب الله فيه نبأ من قبلكم، وخبر من بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذى لا تزيغ به الأهواء، ولا تشبع منه العلماء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يَخْلَقُ عن كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ① يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ (الجن: ١ - ٢)، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، من دعا إليه هُدِى إلى صراط مستقيم)

أيها الناس ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ⑬②﴾ (البقرة: ١٣٢).

فقولوا معى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ① ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ④﴾ (الإخلاص: ١ - ٤).

من معجزات الرسول ﷺ

م	اسم المعجزة	المناسبة	الدليل
١	القرآن الكريم	جاء مناسباً وملائماً لكل عصر وهادياً الناس إلى عبادة الله وحده، وتكفل الله بحفظه من الزيادة والنقصان.	قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾، ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾.
٢	إخباره عن الأنبياء وما سيحدث فى عهده وما بعده	كان رسول الله ﷺ يخبر قومه عن أشياء حدثت فى الماضى القريب والبعيد وبأشياء ستحدث فى المستقبل البعيد والقريب.	قال تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ ﴾. ﴿ الٓمٓ ① غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ② فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ③ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ ﴾.
٣	سلام الحجر والشجر	قبل البعثة وإرهاصات للنبوة كان الرسول ﷺ يمر ببعض الأماكن فيسلم عليه الحجر والشجر.	كان عليه الصلاة والسلام: ((ما يمر بحجر ولا شجر إلا قال له السلام عليك يا رسول الله فيلتفت حوله وعن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجر)).
٤	انشقاق القمر	طالبت قريش النبى ﷺ بمعجزة تدلل على صدق نبوته فسأل الله انشقاق القمر فانشق فلقتين على جبل أبى قبيس فلقة فوق الجبل وفلقة وراءه فشاهدته قريش ولم تؤمن بذلك.	قال تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾.

م	اسم المعجزة	المناسبة	الدليل
٥	الإسراء والمعراج	أسرى بالنبى ﷺ من المسجد الحرام بمكة المكرمة إلى المسجد الأقصى بالقدس من أرض فلسطين ثم عروجه إلى السموات السبع ثم رجوعه إلى بيت المقدس وعودته فى نفس الليلة إلى مكة المكرمة بالجسد والروح معاً .	قال تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾، ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ (١٥) إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (١٦) مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (١٧) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ (١٨) ﴾.
٦	حفنة التراب على وجوه المشركين يوم الهجرة إلى المدينة	دبرت قريش مؤامرة لقتل الرسول ﷺ وأعدت أحد عشر رئيساً ، لذلك، ثم خرج رسول الله وأخترق صفوفهم وأخذ حفنة من البطحاء فجعل يذره على رؤوسهم - وهو يتلو الآية المذكورة فى الدليل - وقد أخذ الله أبصارهم .	قال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾.
٧	مشاركة الملائكة فى بعض غزوات الرسول ﷺ	إمداد الله بالملائكة للمسلمين فى بعض الغزوات مثل بدر. وأحد والأحزاب وحنين ليُثبت المسلمين فى المعارك ويربط على قلوبهم .	قال تعالى ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾
٨	ارتجاف أحد	حينما صعد النبى ﷺ على أحد مع أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم رجف بهم واهتز اهتزازاً لذلك .	قال عليه الصلاة والسلام : ((اثبت أحد فإن عليك نبى وصديق وشهيدين)) .

م	اسم المعجزة	المناسبة	الدليل
٩	الريح الشديدة	يوم الخندق حينما تحزب الأحزاب ضد المسلمين فى المدينة أرسل الله عليهم ريح الصبا .	قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾.
١٠	تبرئة أم المؤنين عائشة رضى الله عنها من حادثة الإفك	رمى أهل الإفك والبهتان من منافقى المدينة كذباً وافتراء على أم المؤمنين، وكان رسول الله ﷺ واثقاً من شرف زوجته فأيده الله على ذلك وبرأ أم المؤمنين من هذه الفرية المغرضة.	قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) ﴾.

قبسات من أقوال نبيّنا ﷺ

قال ﷺ : ((طوبى لمن هُدِى إلى الإسلام، وكان عيشه كفافاً وقنع))[١].

وقال ﷺ : ((من أصبح آمنا فى سربه معافىً فى بدنه، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها))[٢].

وقال ﷺ : ((من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه))[٣].

وقال ﷺ : ((أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل))[٤].

وقال ﷺ : ((أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضى عنه دَيْناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشى مع أخى المسلم فى حاجة أحب إلى من أن أعتكف فى مسجدى هذا شهراً، ومن كف غضبه، ستر الله عورته، ومن كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رضىً يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم فى حاجته حتى يثبتها له، ثبت الله تعالى قدمه يوم تَزِلُ الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسدالعمل كما يفسد الخلّ العسل))[٥].

وقال ﷺ : ((أفضل الجهاد أن يجاهد الرجل نفسه وهواه))[٦].

---

(١) رواه الترمذى وصححه الألبانى فى "صحيح الجامع".

(٢) رواه الترمذى وحسنه الألبانى فى "صحيح الجامع".

(٣) أخرجه الترمذى وصححه الألباني.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه ابن أبى الدنيا وحسنه الألبانى فى "صحيح الجامع".

(٦) رواه ابن النجار وصححه الألبانى فى "صحيح الجامع".

وقال ﷺ: ((إن أفضل عباد الله يوم القيامة الحمَّادون))[١].

وقال ﷺ: ((إن الله يحب العبد التقى الغنى الخفى))[٢].

وقال ﷺ: ((إن الله يحب معالى الأخلاق ويكره سفاسفها))[٣].

وقال ﷺ: ((إنما الغنى غنى القلب، والفقر فقر القلب))[٤].

وقال ﷺ: ((تقبلوا لى ستاً -أى اضمنوا- أتقبل لكم الجنة؛ إذا حدث أحدكم فلا يكذب، وإذا وعد فلا يخلف، وإذا ائتمن فلا يخن، غضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم، واحفظوا فروجكم))[٥].

وقال ﷺ: ((من يأخذ عنى هذه الكلمات فيعمل بهن أو يعلّم من يعمل بهن؟)) فقال أبو هريرة: أنا يا رسول الله، فقال: ((اعدد خمساً: اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً، ولا تكثر من الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب))[٦].

وذكر ﷺ فتنة آخر الزمان فقال له عقبة بن عامر ﷺ: فما النجاة يا رسول الله؟ فقال ﷺ: ((أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك))[٧].

---

(١) رواه الطبرانى وصححه الألبانى فى "صحيح الجامع".

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الحاكم وصححه الألباني.

(٤) رواه ابن حبان وصححه الألباني.

(٥) رواه الحاكم وصححه الألباني.

(٦) رواه الترمذى وحسنه الألباني.

(٧) رواه الترمذى وصححه الألباني.

وقال ﷺ: ((اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك))[١].

وقال ﷺ: ((خمسٌ بخمس: ما نقض قومٌ العهد إلا سُلِّط عليهم عدوُّهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، ولا ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا المكيال إلا مُنِعوا النبات وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حُبس عنهم القطر))[٢].

وقال ﷺ: ((ثلاثٌ أقسم عليهن: ما نقص مالٌ قط من صدقة، فتصدقوا، ولا عفا رجلٌ عن مظلمة ظُلِمَهَا إلا زاده الله تعالى عزاً، فاعفوا يزدكم الله عزاً، ولا فتح رجلٌ على نفسه باب مسألة يسأل الناس، إلا فتح الله عليه باب فقر))[٣].

وقال ﷺ: ((نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ))[٤].

وقال ﷺ: ((كن فى الدنيا كأنك غريب أو كعابر سبيل))[٥].

وقال ﷺ: ((الظلم ظلمات يوم القيامة))[٦].

وقال ﷺ: ((ليس الشديد بالصرعة، ولكن الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب))[٧].

---

(١) رواه الحاكم وصححه الألبانى فى "صحيح الجامع".

(٢) رواه الطبرانى وحسنه الألباني.

(٣) رواه ابن أبى الدنيا وصححه الألباني.

(٤) رواه الترمذى وصححه الألباني.

(٥) رواه البخاري.

(٦) رواه البخاري.

(٧) رواه البخاري.

وقال ﷺ: ((من بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه))[1].

وقال ﷺ: ((الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر))[2].

وقال ﷺ: ((ثلاثٌ مهلكات، وثلاثٌ منجيات، وثلاثٌ كفارات، وثلاثٌ درجات، فأما المهلكات: فشُحٌ مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه، وأما المنجيات: فالعدل فى الغضب والرضا، والقصد فى الفقر والغنى، وخشية الله تعالى فى السر والعلانية. وأما الكفارات: فانتظار الصلاة بعد الصلاة، وإسباغ الوضوء فى السَّبَرات، ونقل الأقدام إلى الجماعات. وأما الدرجات: فإطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام))[3].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) وهو حديث جليل عظيم رواه الطبرانى فى الأوسط وصححه الألبانى فى "صحيح الجامع".

حَجَّةُ الوَدَاع

سنة عشر من الهجرة

حجة الوداع وأوانها :

ولمَّا تمَّ ما أراده الله، من تطهير نفوس الأمة من شوائب الوثنية، وعادات الجاهلية، وإنارتها بنور الإيمان، وتمَّ ما أراده الله، من تطهير بيته من الرجس والأوثان، وتاقتْ نفوسُ المسلمين، الذين بَعُدَ عهدهم عن حجِّ البيت، حتى فاضت ودنت ساعة الفراق، وألجأت الضرورة إلى وداع الأمة، أذن الله لنبيِّه ﷺ فى الحجِّ، ولم يكن قد حجَّ النبى ﷺ فى الإسلام.

قيمتها البلاغية والتربوية :

فخرج من المدينة ليحجَّ البيت، ويلقى المسلمين، ويعلِّمهم دينَهم ومناسكهم، ويؤدى الشهادة، ويبلغ الأمانة، ويوصى الوصايا الأخيرة، ويأخذ من المسلمين العهد والميثاق، ويمحو آثار الجاهلية، ويطمسها ويضعها تحت قدميه.

وكانت هذه الحجة تقومُ مقامَ ألفِ خطبة وألف درسٍ، وكانت مدرسةً متنقلةً، ومسجداً سيّاراً، وثكنةً جوَّالةً، يتعلَّمُ فيها الجاهل، وينتبه الغافل، وينشط فيها الكسلان، ويقوى فيها الضعيفُ، وكانت سحابةَ رحمةٍ تغشاهم فى الحِلِّ والترحال، وهى سحابةُ صحبة النبى ﷺ وحبِّه وعطفه، وتربيته وإشرافه.

تسجيل دقائق حجة النبى ﷺ :

وقد سجَّل الرواة العدول من الصحابة كلَّ دقيقة من دقائق هذه الرحلة، وكل حادث من حوادثها الصغيرة تسجيلاً لا يوجدُ له نظيرٌ فى رحلات الملوك والعظماء، والعلماء والنبغاء.

سياق حجته ﷺ إجمالاً :

ونحن نلخص هذه الحجة التى سميت ((حجة الوداع)) و ((حجة البلاغ)) و((حجة التمام)) وكانت كل ذلك أو أكثر، وحجَّ معه أكثر من مائة ألف إنسان.

كيف حجَّ النبى ﷺ؟

عزم رسولُ الله ﷺ على الحج، وأعلمَ الناسَ أنه حاجٌّ، فتجهَّزوا، وذلك فى شهر ذى القعدة سنة عشر للخروج معه، وسمع بذلك مَنْ حول المدينة، فقدموا يريدون الحجَّ مع رسولِ الله ﷺ، ووافاه فى الطريق خلائق لا يحصون، فكانوا مِنْ بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، مدَّ البصر.

وخرج من المدينة نهاراً بعد الظهرُ لخمس ليال بقين من ذى القعدة يومَ السبت بعد أن صلَّى الظهر بها أربعاً، وخطبهم قبل ذلك خطبة علَّمهم فيها الإحرام وواجباته وسُننه.

ثم سار وهو يلبِّى، ويقول: ((**لبيكَ اللهم لبيكَ، لبيكَ لا شريكَ لك لبيك، إنَّ الحمدَ والنعمة لك والملك، لا شريك لك**)) والناس معه يزيدون ولا ينْقصون، وهو يقرّهم، ولا ينكرُ عليهم، ولزم تلبيته، ثم سار حتى نزل بـ ((العَرْج)) وكانت زامِلتُه وزاملةُ أبى بكر واحدةٍ.

ثم مضى حتى أتى ((الأبواء)) فوادى ((عُسْفان)) فى ((سَرْف)) ثم نهض إلى أن نزل بـ ((ذى طُوى)) فبات بها لية الأحد، لأربعٍ خلونَ من ذى الحجة، وصلَّى بها الصبح، ثم اغتسل مِنْ يومه، ونهض إلى ((مكة))، فدخلها نهاراً من أعلاها، ثم سار، حتى دخل المسجد، وذلك ضحى، فلما نظر إلى البيت قال: ((اللهم زِدْ بيتَك هذا تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابةً)) ويرفع يديه ويكبِّرُ، ويقول: ((اللهم أنت السلامُ، ومنك السلامُ، حيِّنا ربَّنا بالسلام)).

ولمّا دخل المسجد عمدَ إلى البيت، فلمّا حاذى الحجر الأسود، استلمه، ولم يزاحمْ عليه، ثم أخذ عن يمينه، وجعل البيت عن يساره، ورَمَلَ فى طوافه هذا الثلاثة الأشواطِ الأُوَلِ، وكان يسرعُ فى مشيه، ويقاربُ بين خطاه، واضطّبع بردائه، فجعله على أحدِ كتفيه، وأبدى كتفَه الآخر ومنْكِبه، وكلما حاذى الحَجَرَ الأسود، أشار إليه.

فلمّا فرغ من طوافه، جاء إلى خلف المقام، فقرأ: ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ ﴾ البقرة: ١٢٥، فصلَّى ركعتين، فلما فرغ من صلاته، أقبل إلى الحجر الأسود فاستلمه، ثم خرج إلى الصفا من الباب الذى يقابُله، فلما قربَ منه قرأ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ ﴾ البقرة: ١٥٨، ((أبدأ بما بدأ الله به))، ثم رقى عليه، حتى رأى البيتَ، فاستقبل القبلةَ، فوحَّدَ الله وكبَّره، وقال: ((لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شىء قدير، لا إله إلا الله وحدَه، أنجزَ وعدَه، ونصرَ عبدَه، وهزمَ الأحزابَ وحدَه)).

وأقام بمكة أربعة أيام: يوم الأحد، والإثنين، والثلاثاء، والأربعاء، فلمّا كان يومَ الخميس ضحًى، توجَّه بمن معه من المسلمين إلى منًى فنزل بها، وصلَّى بها الظهر والعصر، وبات بها، وكان ليلة الجمعة، فلما طلعت الشمسُ، سار

منها إلى عرفة، ووجد القبة قد ضُرِبَتْ له بنَمِرة، فنزل بها، حتى إذا زالتِ الشمسُ، أمر بناقته القصواء، فرحّلت، ثم سار، حتى أتى بطنَ الوادى من أرض عرفة، فخطب الناس وهو على راحلته خطبة عظيمة، قرر فيها قواعدَ الإسلام، وهدم فيها قواعدَ الشرك والجاهلية، وقرر فيها تحريمَ المحرمات، التى اتفقت الملل على تحريمها، وهى الدماء والأموال والأعراض، ووضع فيها أمور الجاهلية تحت قدميه، ووضع ربا الجاهلية كله، وأبطله، وأوصاهم بالنساء خيراً، وذكر الحقَّ الذى لهنَّ وعليهنَّ، وأنَّ الواجب لهنَّ الرزقُ والكسوةُ بالمعروف.

وأوصى الأمة فيها بالاعتصام بكتاب الله، وأخبر أنهم لن يضلّوا ما داموا معتصمين به، ثم أخبر أنهم مسئولون عنه، واستنطقهم بماذا يقولون وبماذا يشهدون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلَّغتَ وأدَّيتَ ونصحتَ، فرفع إصبعه إلى السماء، واستشهد الله عليهم ثلاث مرات، وأمرهم أن يبلِّغ شاهدُهم غائبهم، فلمّا أتمَّ الخطبة، أمر بلالاً، فأذّن، ثم أقام الصلاة، فصلى الظهر ركعتين، ثم أقام فصلى العصرَ ركعتين أيضاً، وكان يومُ الجمعة.

فلمَّا فرغ من صلاته ركب حتى أتى الموقف، فوقف، وكان على بعيره، فأخذ فى الدعاء والتضرُّع والابتهال إلى غروب الشمس، وكان فى دعائه رافعاً يديه إلى صدره، يقول فيه: ((اللهم إنك تسمعُ كلامى، وترى مكانى، وتعلمُ سِرِّى وعلانيتى، لا يخفى عليك شىءٌ من أمرى، أنا البائسُ الفقيرُ، المستغيثُ المستجيرُ، والوجِلُ المُشْفِقُ، المُقِرُّ المعترفُ بذنوبى، أسألُكَ مسألةَ المسكين، وأبتهلُ إليك ابتهالَ المذنبِ الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، مَنْ خضعتْ لك رقبتُه، وفاضتْ لك عيناه، وذلَّ جسدُه، ورَغِمَ أنفُه لك، اللهم! لا تجعلنى بدُعائكَ ربِّ شقيّاً، وكنْ بى رءوفاً رحيماً، يا خيرَ المسئولين، ويا خيرَ المعطين)).

وهنالك أنزلت عليه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣). فلما غربت الشمسُ، أفاض من عرفة، وأردف أسامة بن زيد خلفه، وأفاض بالسكينة، وضمَّ إليه زمام ناقته، حتى إنَّ رأسها ليصيبُ طرفَ رحله، وهو يقول: ((أيها الناس عليكم السكينةَ)).

وكان يلبّى فى مسيره ذلك، لم يقطع التلبية حتى أتى المزدلفة، وأمر المؤذِّن بالأذان فأذن، ثم أقام، فصلَّى المغربَ قبل حطِّ الرحال، وتبريك الجمال، فلما حطُّوا رحالهم، أمر فأقيمت الصلاةُ، ثم صلَّى العشاءَ، ثم نامَ، حتى أصبحَ.

فلما طلع الفجر، صلاَّها فى أول الوقت، ثم ركب حتى أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة، وأخذ فى الدعاء، والتضرُّع، والتكبير، والتهليل، والذكر، وذلك قبل طلوع الشمس.

ثم سار من مزدلفة، مُرْدِفاً الفضل بن عباس، وهو يلبِّى فى مسيره، وأمر ابنَ عباس أن يلتقط له حصى الجمار سبعَ حصياتٍ، فلما أتى بطن مُحَسِّرٍ، حرَّك ناقته، وأسرع السيرَ، فإنَّ هنالك أصابَ أصحابَ الفيل العذاب، حتى أتى مِنًى، فأتى جمرةَ العقبة، فرماها راكباً بعدَ طلوعِ الشمس، وقطع التلبيةَ.

ثم رجع إلى منى، فخطب الناسَ خُطبةً بليغةً، أعلمهم فيها بحرمةِ يومِ النحرِ وتحريمه، وفضله عندَ الله، وحُرمة مكة على جميع البلاد، وأمر بالسمع والطاعة لمن قادَهم بكتاب الله، وأمر الناسَ بأخذ مناسكهم عنه، وأمر الناس ألا يرجعوا بعده كفاراً، يضربُ بعضُهم رقاب بعضٍ، وأمر بالتبليغ عنه، وقال فى خطبته تلك:

((اعبدوا ربَّكم، وصلُّوا خمسَكم، وصوموا شهركم، وأطيعوا ذا أمرِكم تدخلوا جنَّةَ ربِّكم))، وودع الناس حينئذٍ فقالوا: ((حجة الوداع)).

ثم انصرف إلى المنحر بمنى، فنحر ثلاثاً وستين بَدَنَةً بيده، وكان عددُ هذا الذى نحرَه عدد سِنى عمره، ثم أمسك، وأمر علياً أن ينحر ما بقى من المئة.

فلما أكمل ﷺ نحره، استدعى بالحلاق، فحلق رأسَه، وقسمَ شعرَه بين من يليه.

ثم أفاض إلى مكة راكباً، وطاف طواف الإفاضة، وهو طواف الزيارة، ثم أتى زمزم، فشرب وهو قائم.

ثم رجع إلى منًى من يومه ذلك، فبات بها، فلما أصبحَ انتظر زوال الشمس، فلما زالت مشى مِنْ رحله إلى الجمار، فبدأ بالجمرة الأولى، ثم الوسطى، ثم الجمرة الثالثة، وهى جمرةُ العقبة.

وخطب الناسَ بمنى خطبتين: خطبة يوم النحر، والخطبة الثانية فى ثانى يوم النحر.

وتأخَّرَ حتى أكمل رمى أيام التشريق الثلاثة، ثم نهض إلى مكة، فطاف للوداع ليلاً سحراً، وأمر الناس بالرحيل، وتوجَّه إلى المدينة.

ولما وصل، خطب ﷺ، وذكر فيها فضل على رضى الله عنه وقال: ((**مَنْ كنتُ مولاه فعلى مولاه، اللهم! والِ مَنْ والاه، وعادِ من عاداه**)).

فلما أتى ((ذا الحُلَيْفة)) بات بها، فلما رأى المدينة، كبَّرَ ثلاثَ مراتٍ، وقال: ((**لا إله إلا الله وحدَه، لا شريك له، له الملكُ، وله الحمدُ، وهو على كل شىء قدير، آيبون تائبون، عابدون، ساجدون، لربِّنا حامدون، صدق الله وعده، ونصرَ عبدَه، وهزمَ الأحزابَ وحده**))، ثم دخلها نهاراً.

خطبة النبى ﷺ فى حجة الوداع:

ونذكر هنا نصّ الخُطبة التى خطبها رسولُ الله ﷺ يومَ عرفة، ونصَّ الخطبة التى خطبها فى أوسط أيام التشريق، للموعظة البليغة، والفوائد الكثيرة التى تشتملان عليها هاتان الخطبتان العظيمتان.

((إنَّ دماءَكمْ وأموالكم حرامٌ عليكم كحُرْمةِ يومِكُم هذا، فى شهرِكم هذا، فى بلدكم هذا.

ألا كلُّ شىء من أمرِ الجاهليةِ تحتَ قدمى موضوعٌ، ودِماءُ الجاهليةِ موضوعةٌ

وربا الجاهليةِ موضوعٌ، وأولُ رباً أضعُ من ربانا، ربا العباسِ بن عبد المطلب فإنَّه موضوعٌ كلُّه.

فاتقوا الله فى النساء، فإنَّكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهنَّ بكلمة الله، ولكم عليهنَّ ألا يوطِئْنَ فُرُشَكُم أحداً تكرهونه، فإنْ فعلنَ ذلك فاضربوهنَّ ضرباً غيرَ مبرِّحٍ، ولهنَّ عليكم رزقهنَّ وكِسْوتُهنَّ بالمعروفِ.

وقد تركتُ فيكم ما لنْ تضِلُّوا بعدَه إن اعتصمتمْ به كتابَ اللهِ، وأنتم تُسألونَ عنّى، فما أنتم قائلون؟)).

قالوا: نشهدُ أنّك قدْ بلَّغتَ وأدَّيتَ ونصحتَ.

فقال بإصبعه السبابةِ يرفعُها إلى السماءِ، وينكُتُها إلى الناس: ((اللهم اشهدْ)) ثلاثَ مرّاتٍ.

وهذا نص الخطبة التى خطبها ﷺ فى أوسط أيام التشريق:

((يا أيها الناسُ هل تدرونَ فى أى شهرٍ أنتم، وفى أى يومٍ أنتم، وفى أى بلدٍ أنتم؟)).

فقالوا: فى يومٍ حرامٍ، وبلدٍ حرامٍ، وشهرٍ حرامٍ.

قال: ((فإنَّ دماءَكم وأموالَكم وأعراضَكم عليكم حرامٌ، كحرمةِ يومكم هذا فى شهركم هذا، وفى بلدِكم هذا، إلى يوم تلقونه)).

ثم قال: ((اسمعوا منى تعيشوا، ألا: لا تَظْلموا، ألا: لا تَظْلموا، ألا: لا تظلموا، إنَّه لا يحلُّ مالُ امرئٍ مسلمٍ إلا بطيبِ نفسٍ منه.

ألا: وإنَّ كلَّ دمٍ ومالٍ ومأثرةٍ كانت فى الجاهليةِ تحت قدمى هذه، إلى يوم القيامة، وإنَّ أولَ دمٍ يوضعُ دمُ ربيعةَ بن الحارثِ بن عبد المطلب، كان مسترضعاً فى بنى ليثٍ، فقتلته هُذَيْلٌ.

ألا: وإنَّ كلَّ رباً فى الجاهلية موضوعٌ، وإنَّ الله عزَّ وجلَّ قضى أنَّ أولَ رباً يوضعُ ربا العباس بن عبد المطلب، لكم رءوس أموالكم، لا تَظلِمونَ ولا تُظلَمون.

ألا: وإنَّ الزمان قد استدار كهيئتهِ يومَ خلق السموات والأرضَ، ثم قرأ: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ (التوبة: ٣٦).

ألا: لا ترجعوا بعدى كفَّاراً يضربُ بعضُكم رقابَ بعض.

ألا : إنَّ الشيطانَ قد أيسَ أنْ يعبده المصلّون، ولكنَّه في التحريش بينكم، واتقوا الله في النساء، فإنهنَّ عندكم عوان، لا يملكنَ لأنفسهنَّ شيئاً، وإنَّ لهنَّ عليكم حقاً، ولكم عليهنَّ حقاً، ألا يوطئْنَ فرشَكُمْ أحداً غيرَكم، ولا يأذنَّ في بيوتكم لأحدٍ تكرهونه، فإنْ خفتم نشوزهنَّ فعِظوهنَّ، واهجروهنَّ في المضاجع، اضربوهنَّ ضرباً غيرَ مبرِّحٍ، ولهنَّ رزقهنَّ وكسوتهنَّ بالمعروف، وإنَّما أخذتموهنَّ بأمانةِ الله، واستحللتُم فروجهنَّ بكلمةِ الله عزَّ وجلَّ، ألا ومَنْ كانت عنده أمانَة فليُؤدِّها إلى من ائتمنه عليها)).

وبسط يديه، وقال: ((ألا! هل بلَّغتُ؟! ألا! هلْ بلَّغتُ؟)).

ثم قال: ((ليُبلِّغ الشاهدُ الغائبَ، فإنهُ رُبَّ مبلَّغٍ أسعدُ مِنْ سامعٍ)).

زوجات الرسول ﷺ

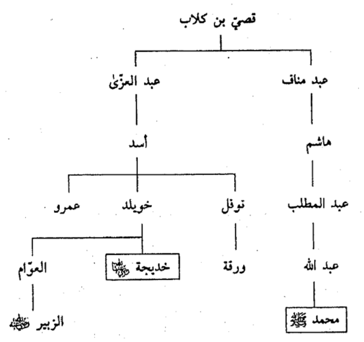
(أمهـــات المؤمنـــين)

١- خديجة بنت خويلد (رَضِى الله عَنْهَا)

خديجة وبشائر النبوة

خمسة عشر عامًا مرت على هذا الزواج المبارك والرباط المقدس الذى ربط محمد ﷺ بخديجة رضوان الله عليها، فكانت خديجة تشد من أزر صاحبها محمد ﷺ وتساعده وتطمئنه إذا ما دعت الحاجة إلى ذلك.

كان هذا الفعل الجميل، فعلاً جليلاً تقدمه خديجة لمحمد ﷺ، ولربما عجزت عن الإتيان به أكثر النساء إخلاصًا لأزواجهن، لطول فترته، وغرابة أمره، ويبدو أن خديجة كانت مؤمنة بصواب كل ما يأتى به محمد ﷺ.



خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصىّ بن كلاب، من قبيلة قريش، تلتقى مع رسول الله، ﷺ، بالجد الثالث بالنسبة لها والرابع بالنسبة لرسول

الله، ﷺ، وهى عمة الزبير بن العوام، ﷺ وأمها فاطمة بنت زئادة بن الأصم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر (قريش).

ولدت خديجة، رضى الله عنها، فى مكة سنة ٦٨ قبل الهجرة (٥٥٦م)، وتوفى أبوها عام الفجار سنة ٣٣ قبل الهجرة (٥٩١م) أى كان عمرها، رضى الله عنها خمسًا وثلاثين سنة.

تزوجت خديجة، رضى الله عنها، بأبى هالة بن زرارة التميمى، فمات عنها.

كانت خديجة، رضى الله عنها، امرأة تاجرة ذات شرف ومال، وتستأجر الرجال لتجارتها بشيء من التجارة تجعله لهم، وكانت قبيلة قريش قومًا تجارًا.

لما بلغ خديجة، رضى الله عنها ما بلغها عن رسول الله محمد ﷺ، من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه بعثت إليه فعرضت أن يخرج فى مال لها إلى الشام تاجرًا، وتُعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجارة، مع غلام لها يُقال له ميسرة، فقبله رسول الله ﷺ منها، وكان قد بلغ الخامسة والعشرين من عمره، وهى قد بلغت الأربعين، فهى إذن أكبر منه سنًا بخمس عشرة سنة.

خرج رسول الله محمد، ﷺ تاجرًا فى مال خديجة، رضى الله عنها، وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام، فنزل رسول الله ﷺ فى ظل شجرة قريبًا من صومعة راهب من الرهبان، فاطلع الراهب إلى ميسرة، فقال له: من هذا الرجل الذى نزل تحت هذه الشجرة؟ قال له ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى.

باع رسول الله ﷺ، بضاعته التى خرج بها، واشترى ما أراد أن يشترى، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة، فكان ميسرة إذا كانت الهاجرة واشتد

الحر، يرى ملكين يُظلاّن رسول الله ﷺ، من الشمس – وهو يسير على بعيره – فلما قدم مكة على خديجة بمالها، فباعت ما جاء به فكان ضعف سعره تقريبًا، وحدثها ميسرة عن قول الراهب، وعما كان يراه هو من إظلال الملكين له.

كانت خديجة، رضى الله عنها، امرأة حازمة شريفة لبيبةً، فلما أخبرها به، بعثت إلى رسول الله ﷺ، فقالت له: يا ابن عمّ، إنى قد رغبت فيك لقرابتك، ووسطيتك فى قومك وأمانتك، وحسن خُلقك، وصدق حديثك، ثم عرضت عليه نفسها.

لما قالت خديجة، رضى الله عنها، ذلك لرسول الله، ﷺ ذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب ﷺ حتى دخل على عمّها عمرو بن أسد، فخطبها إليه فتزوجها، كما قيل: إن أبا طالب عمّ رسول الله ﷺ هو الذى نهض مع رسول الله، ﷺ لخطبة خديجة، رضى الله عنها، وهو الذى خطب خطبة النكاح.

وقد عاش ﷺ مع خديجة رضى الله عنها، حياة زوجيةً هادئة مثاليةً، وقد عرف كل صاحبه معرفة حقةً عن قرب، فعرفت خديجة، رضى الله عنها، فى زوجها الرجل المثالى فى الصدق، والأمانة، والكرم، والوفاء، والمحبة، والخير، وهذا ما سيكون له أكبر الأثر فى المستقبل.

كانت خديجة، رضى الله عنها قد ذكرت لابن عمها ورقة بن نوفل، وكان نصرانيًا قد تتبع الكتب، من علم الناس ذكرت له ما ذكره لها غلامها ميسرة من قول الراهب، وما كان يرى منه إذ كان الملكان يُظلانه فقال ورقة: لئن كان هذا حقًا يا خديجة، فإن محمدًا لنبى هذه الأمة، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبى يُنتظر، هذا زمانه.

وخديجة، رضى الله عنها، أول امرأة تزوّجها رسول الله ﷺ، ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت رضى الله عنها ولدت خديجة رضى الله عنها لرسول الله ﷺ أولاده كلهم إلا إبراهيم، فأمّه مارية القبطية، التى أهداها المقوقس ملك مصر إلى رسول الله ﷺ، فى السنة السابعة للهجرة.

كانت خديجة، رضى الله عنها قبل رسول الله ﷺ، عند أبى هالة بن مالك، وأنجبت له هالة وهند، وكانت قبل زواجها من أبى هالة عند عتيق بن عابدين ابن عبد الله المخزومى، وأنجبت له عبد الله.

بقيت خديجة، رضى الله عنها، خمسة وعشرين سنةً عند رسول الله ﷺ، ومنها خمس عشرة سنةً قبل البعثة، وعشرة بعدها، وتوفيت رضى الله عنها، فى مكة قبل الهجرة بثلاث سنوات، سنة (٦٢١م).

لما نزل الوحى على رسول الله، ﷺ، يوم ١٧ رمضان سنة ١٣ قبل الهجرة، وهو ما يوافق الأول من شهر شباط سنة ٦١٠م، وكان رسول الله، ﷺ قد أتم الأربعين عامًا من عمره، وقد قالت أُمُ المؤمنين عائشة، رضى الله عنها: ((أول ما بُدئ به رسول الله، ﷺ من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبّب إليه الخَلاءُ، وكان يخلو بغار حراء فيتعبد – الليالى ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزوّد لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلها، حتى جاءه الحق، وهو فى غار حراء، فجاءه، الملك فقال: اقرأ، قال: ((ما أنا بقارئ))، قال ﷺ: **((فأخذنى فغطّنى حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ فأخذنى فغطّنى الثانية حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ فأخذنى فغطّنى الثالثة، ثم أرسلنى فقال:** ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾ (العلق: ١ – ٣)

ﷺ، يرجف فؤاده، فدخل على خديجة، بنت خويلد، رضى الله عنها، فقال: ((زمّلونى زمّلونى))، فزمّلوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها، الخبر: ((لقد خشيت على نفسى))، فقالت خديجة، رضى الله عنها :كلا، والله لا يُخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتُقرى الضيف، وتُعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة، رضى الله عنها، حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّى[1] — ابن عم خديجة — وكان امرأ تنصّر فى الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبرانِى، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء أن يكتب وكان شيخًا كبيرًا قد عمىَ، فقالت له خديجة رضى الله عنها: يا ابن عمى اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله، ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذى نزّل الله على موسى، يا ليتنى فيها جَذَعاً، ليتنى أكون حيًّا إذ يُخرجك قومك، فقال رسول الله، ﷺ: ((أو مُخرجى هم؟))، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى، وإن يُدركنى يومك أنصرك نصرًا مؤزّرًا، ثم لم ينشب ورقة أن توفى، وفتر الوحى توفى ورقة سنة ١٢ قبل الهجرة (٦١٢م).

قال رسول الله، ﷺ: ((فجاءنى جبرائيل، وأنا نائم.... بنَمَطٍ من ديباج فيه كتاب، فقال: اقرأ، قال: قلت: ما أقرأ؟ قال: فغتّنى به حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلنى، فقال: اقرأ، قال: قلت: ما أقرأ؟ قال: فغتّنى به حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلنى، فقال اقرأ، قال: فقلت: ماذا أقرأ؟ ما أقول ذلك

---

(١) ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّى بن قصى بن كلاب من قريش: حكيم جاهلى، اعتزل الأوثان قبل الإسلام، وامتنع من أكل ذبائحها، وتنصّر، وقرأ كتب الأديان، وكان يكتب اللغة العربية بالحرف العبرانى، ولورقة شعر سلك فيه مسلك الحكماء.

إلا افتداءً منه من أن يعود لى بمثل ما صنع بى فقال : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ﴾ (العلق : ١ – ٣).

قال : فقرأتها ثم انتهى فانصرف عنى وهببت من نومى ، فكأنما كُتبت فى قلبى كتابًا ، قال : فخرجت حتى إذا كنت فى وسط من الجبل سمعت صوتًا من السماء يقول : يا محمد ، أنت رسول الله وأنا جبرائيل ، قال : فرفعت رأسى إلى السماء أنظر ، فإذا جبرائيل فى صورة رجل صافّ قدميه فى أُفق السماء يقول : يا محمد ، أنت رسول الله وأنا جبرائيل ، قال : فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخّر ، وجعلت أصرف وجهى عنه فى آفاق السماء ، قال : فلا أنظر فى ناحية منها إلا رأيته كذلك ، فما زلت واقفًا ما أتقدم أمامى وما أرجع ورائى حتى بعثت خديجة رسلها فى طلبى ، فبلغوا أعلى مكة ورجعوا إليها وأنا واقف فى مكانى ذلك ، ثم انصرف عنى .

وانصرفت راجعًا إلى أهلى حتى أتيت خديجة ، فجلست فقالت : يا أبا القاسم ، أين كنت؟ فوالله لقد بعثت رسلى فى طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا لى ، ثم حدّثتها بالذى رأيت ، فقالت : أبشر يا ابن عمّ واثبُت ، فوالذى نفسُ خديجة بيده إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة .

ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّى بن قصى ، وهو ابن عمها وكان ورقة قد تنصّر وقرأ الكُتب ، وسمع من أهل التوراة والإنجيل ، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله ، ﷺ أنه رأى وسمع ، فقال ورقة بن نوفل : قدّوس قدّوس ، والذى نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتينى يا خديجة ، لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى ، وإنه لنبى هذه الأمة ، فقولى له : فليثبت .

فرجعت خديجة، رضى الله عنها، إلى رسول الله، ﷺ فأخبرته بقول ورقه بن نوفل، فلما قضى رسول الله ﷺ، جواره وانصرف، صنع كما كان يصنع، بدأ بالكعبة فطاف بها، فلقيه ورقة بن ونوفل وهو يطوف بالكعبة، فقال: يا ابن أخي، أخبرني بما رأيت وسمعت، فأخبره رسول الله ﷺ فقال له ورقة: والذى نفسي بيده، إنك لنبى هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى ولتُكذبنّه ولتُؤذينّه ولتُخرجنّه ولتقاتلنّه، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرنّ الله نصرًا يعلمه، ثم انصرف رسول الله، ﷺ إلى منزله.

إسلام خديجة، رضى الله عنها:

لما بُعث رسول الله ﷺ كانت زوجه خديجة بنت خويلد أول من آمنت به، وصدّقت بما جاءه من الله، ووازرته على أمره.

فخفّف الله بذلك عن نبيّه، ﷺ لا يسمع شيئًا مما يكرهه من ردّ عليه، وتكذيب له، فيُحزنه ذلك إلا فرّج الله عنه بها إذا رجع إليها، تُثبته وتُخفّف عليه، وتصدقه وتُهوّن عليه أمر الناس، إن الصلاة حين افتُرضت على رسول الله، ﷺ، أتاه جبرائيل وهو بأعلى مكة، فهمز له بعُقِبه في ناحية الوادى، فانفجرت منه عين، فتوضّأ جبرائيل، عليه السلام، ورسول الله، ﷺ ينظر إليه ليُريَه كيف الطهور للصلاة، ثم توضّأ رسول الله، ﷺ كما رأى جبرائيل توضّأ، ثم قام جبرائيل فصلّى به، وصلى رسول، ﷺ بصلاته، ثم انصرف جبرائيل، عليه السلام.

فجاء رسول الله ﷺ، خديجة، فتوضّأ لها ليُريها كيف الطهور للصلاة كما أراه جبرائيل، فتوضأت كما توضأ لها رسول الله، ﷺ، ثم صلى بها رسول الله، عليه الصلاة والسلام، كما صلى به جبرائيل فصلّت بصلاته.

أخذت خديجة، رضى الله عنها تدعو النساء إلى الإسلام، سخّرت مالها فى سبيل الدعوة، وهى ذات ثروة جيدة، كما وضعت ما تملك تحت تصرّف زوجها رسول الله، ﷺ.

صبرت على ما نالها ونال المسلمين من أذىً فى سبيل الدعوة، وقد طُلقت ابنتاها رُقيّة وأم كلثوم وكانتا تحت ولدى أبى لهب (عبد العزى بن عبد المطلب) عم رسول الله، ﷺ.

كما صبرت على هجرة ابنتها رقيّة إلى الحبشة مع زوجها عثمان بن عفان، رضي الله عنه، إذ تزوّجها بعد أن طُلقت من عُتبه بن أبى لهب.

توفيت خديجة رضى الله عنها، فى السنة الثالثة قبل الهجرة (٦٢١م)، وكانت وفاتها ووفاة أبى طالب (عبد مناف بن عبد المطلب) عم رسول الله ﷺ، فى عام واحد فسمّى رسول الله ﷺ ذلك العام (عام الحزن).

أولاد خديجة من رسول الله ﷺ:

إن أولاد رسول الله، ﷺ جميعهم من خديجة، رضى الله عنها، سوى إبراهيم، فمن مارية بنت شمعون القبطية.

أول أولاد خديجة، رضى الله عنها، من رسول الله، ﷺ، القاسم، ثم زينب، رقية، أم كلثوم، فاطمة، ثم عبد الله.

القاسم: أول ولدٍ وُلد لرسول الله ﷺ، وذلك قبل النبوة، وعاش سبعة عشر شهرًا وهو أول من مات من أولاد رسول الله ﷺ.

زينب: ولدت سنة ٢٣ قبل الهجرة (٦١٠م) وتزوجها أبو العاص بن الربيع بناءً على رغبة أمها خديجة، رضى الله عنها، إذ هو ابن أختها، ويعدّ بمنزلة ولدها وعُرف بالأمانة عند رجال مكة، وهو صاحب مالٍ وتجارةٍ، وقد بقى على جاهليته على حين كانت خالته خديجة، رضى الله عنها، قد أسلمت هى وبناتها.

وكان رسول الله، ﷺ، قد زوّج ابنتيه رُقية وأم كلثوم إلى عُتيبة ولدى عمّه أبى لهب، وتأثّر رجال قريش كثيرًا من هذا الزواج فذهبوا إلى أسرة أبى لهب وقالوا لهم: إنكم قد فرّغتم محمدًا من همّه، فرُدّوا عليه بناته، فاشغلوه بهنّ، فمشوا إلى أبى العاصى فقالوا له: فارق صاحبتك ونحن نُزوّجك أى امرأة من قريشٍ شئت ؛ قال: لا، والله إنى لا أفارق صاحبتى، وما أحب أن لى بامرأتى امرأة من قريش.

كان رسول الله، ﷺ ، يثنى عليه فى صهره خيرًا، ثم مشوا إلى عُتبة بن أبى لهب، فقالوا له: طلّق بنت محمد ونحن نُنكحك أى امرأة من قريش شئت، فقال: إن زوجتمونى بنت أبان بن سعيد بن العاص، أو بنت سعيد بن العاص فارقتها، فزوّجوه بنت سعيد بن العاص، وفارقها، ولم يكن دخل بها، فأخرجها الله من يده كرامةً لها، وهونًا له، وخلف عليها عثمان بن عفاف، ﷺ بعده.

وكان رسول الله، ﷺ، لا يحل بمكة ولا يُحرم، مغلوبًا على أمره، وكان الإسلام قد فرّق بين زينب بنت رسول الله، ﷺ حين أسلمت وبين أبى العاص بن الربيع، إلا أن رسول الله ﷺ كان لا يقدر أن يُفرق بينهما، حتى هاجر رسول الله ﷺ، فلما سارت قريش إلى بدر كان معهم أبو العاص بن الربيع فوقع فى الأسر يوم بدر، فكان بالمدينة عند رسول الله ﷺ.

وقد أسلم أبو العاص بن الربيع، وعادت إليه زوجته زينب بنت رسول الله، ﷺ، أنجبت زينب بنت رسول الله، ﷺ لابن خالتها أبى العاص بن الربيع ولدًا اسمه (على)، مات صغيرًا.

وأنجبت زينب أيضًا لابن خالتها أبى العاص، بنتًا أسمها (أمامة) تزوّجها على بن أبى طالب، ﷺ بعد وفاة خالتها فاطمة (الزهراء) سنة ١١هـ. حيث توفيت فاطمة، رضى الله عنها، بعد وفاة أبيها رسول الله، ﷺ، بستة أشهر.

توفيت زينب بنت رسول الله، ﷺ، فى السنة الثامنة للهجرة (٦٣٠م).

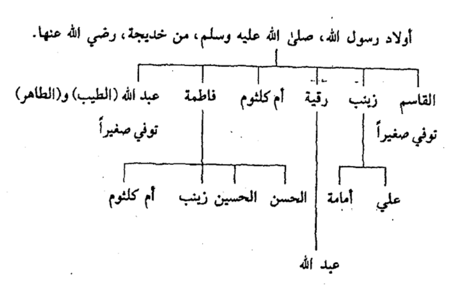
رقيّة: وُلدت ونشأت فى الجاهلية، وتزوّجت عُتبة بن أبى لهب بن عبد المطلب، ولما ظهر الإسلام أسلمت حين أسلمت أمها خديجة، رضى الله عنها، ولما نزلت سورة المسد: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ① مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ② سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ③ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ④ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ⑤﴾ (المسد: ١ – ٥). غضب أبو لهب فأمر ابنه بمفارقتها ففارقها قبل أن يدخل عليها، وتزوّجها عثمان بن عفّان ﷺ وهاجرت معه إلى الحبشة، وبعدها هاجرت إلى المدينة معه، واستقرت مع زوجها فى المدينة، وأنجبت له ولدًا اسمه (عبد الله)، وتوفى وهو صغير.

توفيت رقية، رضى الله عنها فى السنة الثانية للهجرة (٦٢٥م)، وأبوها رسول الله، ﷺ، فى بدر.

أم كلثوم: تزوّجها عُتيبة بن أبى لهب، وفارقها قبل أن يبنى بها للسبب الذى فارق أخوه عُتبة أختها رقيّة، وهاجرت إلى المدينة، وتزوّجها عثمان بن عفان، ﷺ بعد وفاة زوجته أختها رقية، وذلك فى السنة الثالثة للهجرة.

توفيت أم كلثوم، رضى الله عنها، بالمدينة عند زوجها عثمان بن عفان ﷺ، وذلك فى السنة التاسعة للهجرة (٦٣٢م).

فاطمة: ولدت، رضى الله عنها، فى السنة الثامنة عشرة قبل الهجرة (٦٠٥م)، وهى من نابهات قريش، وإحدى الفصيحات العاقلات، تزوّجها على بن أبى طالب ﷺ، وهو ابن عم أبيها وكان زواجهما فى شهر صفر من السنة الثانية للهجرة، وعمرها ثمانى عشرة سنةً.



أنجبت فاطمة، رضى الله عنها: الحسن، والحسين، زينب، أم كلثوم، وقد تزوّج زينب ابن عمها عبد الله بن جعفر بن أبى طالب، وأنجبت له / على، وعون، وأم كلثوم، وتزوج أم كلثوم عمر بن الخطاب ﷺ، وأنجبت له: زيد، ورقية.

وتوفيت فاطمة، رضى الله عنها، فى السنة الحادية عشرة للهجرة بعد وفاة أبيها بستة أشهر، وقد عاشت رضى الله عنها، ثلاثين سنةً.

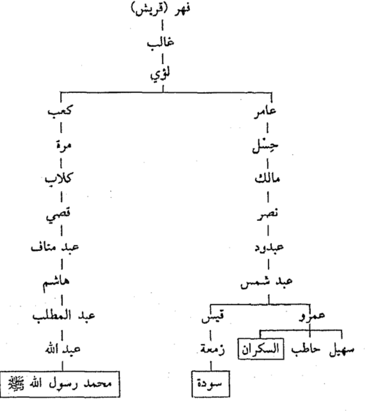
عبد الله: وُلد بعد البعثة لذا لُقب بـ (الطيّب) و (الطاهر) وتوفى صغيرًا.



٢- سودة بنت زمعة (رَضِي الله عَنْهَا)

قالت سودة: يا ابن العم، لقد رأيت الليلة فى منامى كأن رسول الله قد وطئ عنقى، فما تفسير ذلك.

فقال السكران بن عمرو زوج سودة بنت زمعة: إن صدقت رؤياك يا سودة، فسوف أموت أنا ويتزوجك رسول الله. (انظر سير أعلام النبلاء للذهبى).



١. الدهشة فى تأويل الرؤيا

دهشت سودة من تأويل زوجها السكران بن عمرو لرؤياها، وأنكرت نفسها هذا التفسير، واستبعدته من الذاكرة تمامًا، ولم تعلق على قول زوجها بشيء، ومن ثمة لم تلق بالاً بعد ذلك إلى ما رأت فى منامها، إذ جال بخاطرها

أن ذلك شئ بعيد، أو هو شيء مستحيل، فأنَّى لسودة بنت زمعة أن تقرن نفسها برسول ﷺ وهى المهاجرة مع زوجها بالحبشة فرارًا من اضطهاد المشركين للمسلمين بمكة أن تعود إليها لتتزوج من رسول الله ﷺ زوج خديجة سيدة نساء قريش كما فسرت الرؤيا من زوجها.

وهل يعقل أن يتزوج محمد ﷺ وخديجة على قيد الحياة أم أولاده وبناته؟؟؟

كانت سودة إذ ذاك بالحبشة مهاجرة مع زوجها السكران بن عمر، وكانا ضمن جماعة كبيرة من المسلمين، أشار عليهم الرسول ﷺ أن يبتغوا فى أرض الله مهربًا، عسى أن يكون لهم فى ذلك فرج مما هم فيه من إيذاء المشركين لهم، فلما سألوه: إلى أين نذهب يا رسول الله؟

نصح لهم محمد ﷺ أن يخرجوا إلى أرض الحبشة، لأن فيها ملكًا لا يظلم عنده أحد، وهى أرض صدق.

عندئذ خرج قوم من المسلمين مهاجرين إلى أرض الحبشة، من بينهم :-

- سودة بنت زمعة وزوجها السكران بن عمرو.
- وأم حبيبة رملة بنت أبى سفيان وزوجها عبيد الله بن جحش.
- وأم سلمة هند بنت أمية وزوجها عبد الله بن أسد (أبو سلمة).
- وأسماء بنت عميس جعفر بن أبى طالب.... وغيرهم.

هاجر هؤلاء مستخفين من أعدائهم المشركين مخلفين من ورائهم ديارهم وقومهم وعشيرتهم وأموالهم، وجاوروا نجاشى الحبشة المسيحى، فلقوا فى جواره خير جوار.

أغاظت هذه الهجرة قريش، وتمت فى قلبها الحقد على هؤلاء، فلم ترض عنها خوفًا من أن يجد المسلمون فى الخارج من يؤازرهم، ويمد يد المساعدة إليهم فى الوقت الذى تريد هى أن تفتنهم فيه عن دينهم وتردهم إلى دينها دين الشرك بالله.

بعثت قريش من أجل ذلك رسلاً إلى نجاشى الحبشة، تطلب منه أن يرد عليها المسلمين اللاجئين إلى جواره، ولكن نجاشى الحبشة أبى أن يسلم المسلمين إلى أعدائهم من قريش، ورد الرسل شرَّ رد.

سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك ابن حسل بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر (قريش) فهى من بنى عامر أحد فروع قبيلة قريش، لذا فهى بعيدة النسب من رسول الله، ﷺ أما أمها فهى الشموس بنت قيس بن زيد بن عمر.

ولدت سودة، رضى الله عنها، فى مكة سنة ٥٨ قبل الهجرة (٥٦٦م) فهى أكبر سنًا من رسول الله، ﷺ بخمس سنوات، تزوجت من ابن عمها السكران ابن عمرو، وهاجرا إلى الحبشة فى الهجرة الثانية وذلك فى السنة السابعة من بدء الإسلام، وبعد مدة رجعا من الحبشة مع فريق ممن هاجر إذ بلغهن أهل مكة قد دخلوا بالإسلام، فلما عادوا عرفوا أن الخبر غير صحيح، وتوفى زوجها السكران بن عمرو رضى الله عنه، فبقيت دون مُعيل، وهى من أشراف قريش الذين منهم سهيل بن عمرو أخو زوجها، وكان سهيل بن عمرو من أشد الذين

وقفوا فى وجه الإسلام، فهى شريفة، وأسلمت وخالفت قبيلتها وأسرتها، ولا بد للمسلمين أن يرعوا شؤونها، وأفضل شئ زواجها، إذ لا تستطيع أن تعيش بين أقاربها المشركين الذين ربما فتنوها عن دينها، ورسول الله ﷺ، لا يمكن أن يطلب من أحد المسلمين أن يتزوجها إذ قاربت الخامسة والخمسين من العمر، كما لم تكن، فكان لا بد له من أن يضمها إليه، ﷺ، وخاصة أن زوجته بنت خويلد، رضى الله عنها، كانت قد توفيت قبل شهر، فهو بحاجة إلى زوجة ترعى شؤونه، ﷺ، فتزوجها.

وهى أول من تزوج بها رسول الله ﷺ، بعد خديجة، رضى الله عنها، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنوات، وبعد شهر عقد رسول الله، ﷺ على عائشة بنت أبى بكر الصديق، رضى الله عنهما.

وبهذا تكون سودة بنت زمعة، رضى الله عنها، قد استقلت برسول الله ،ﷺ مدة خمس سنوات، وذلك منذ زواجها به فى السنة الثالثة قبل الهجرة إلى دخوله على عائشة، رضى الله عنها، فى السنة الثانية بعد الهجرة.

وتوفيت، رضى الله عنها، فى آخر خلافة عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، أي: سنة ٢٣هـ، وبذا تكون قد ناهزت حياتها الثمانين سنة، ولم تنجب لرسول الله، ﷺ، ولدًا.

٣- عـائشة أم المؤمنين (رَضِى الله عَنْهَا)

أقوال عن عائشة رضى الله عنها :

▪ القرشية، التيمية، المكية، النبوية، أم المؤمنين، زوجة النبى ﷺ أفقه نساء الأمة على الإطلاق.

▪ "هذه زوجتك فى الدنيا والآخرة" (جبريل عليه السلام، وقد قالها للنبى ﷺ).

▪ "يا عائشة، إن جبريل يقرئك السلام" (محمد رسول الله ﷺ).

▪ مـا أشكـل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط، فسألنا عائشة، إلا وجدنا عندها منه علمًا. (أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه).

▪ لم يتزوج النبى ﷺ بكرًا غيرها (الذهبى فى سير أعلام النبلاء).

فهر (قريش)
|
غالب
|
لؤي
|
كعب
|
مُرّة

كلاب	تيم
قصي	سعد
عبد مناف	كعب
هاشم	عمرو
عبد المطلب	عامر
عبد الله	عثمان (أبو قحافة)
محمد (رسول الله)	عبد الله (أبو بكر)

عائشة بنت الصديق أبى بكر عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب لؤى بن غالب بن فهر (قريش) فهى من بنى تيم، ورسول الله، ﷺ من بنى عبد مناف، وإن كان كلاهما من قريش إلا أنهما من بطنين مختلفين.

وأم عائشة، رضى الله عنهما، هى (أم رومان) بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة الكنانية أي: أنها من كنانة وليست من قريش.

ولدت عائشة، رضى الله عنها، فى السنة التاسعة قبل الهجرة، عقد عليها رسول الله ﷺ، بعد وفاة خديجة، رضى الله عنها، بشهرين.

وقد عاشت عائشة، رضى الله عنها، مدة طويلة بعد وفاة رسول الله ﷺ إذ توفيت سنة ٥٨هـ فى خلافة معاوية بن أبى سفيان، رضى الله عنهما، ولم تنجب عائشة، رضى الله عنها، لرسول الله ﷺ.

وعائشة، رضى الله عنها، هى الفتاة البكر الوحيدة التى تزوجها رسول الله، ﷺ، وكانت الغاية من زواجها زيادة أواصر المودة مع صديقه أبى بكر الصديق، رضى الله عنه، الذى قدم وضحى الكثير من أجل الدعوة الإسلامية.

وُلدت عائشة، رضى الله عنها، فى الإسلام، وكانت تقول: لم أعقل أبوى إلا وهما يدينان الدين، وأسلمت أمها قديمًا، وهاجرت، وتوفيت فى المدينة سنة ست للهجرة.

كانت عائشة، رضى الله عنها، على ذكاء كبير، وقد أتاحت لها ملاصقة حجرتها للمسجد أن تكون على صلة دائمة بخطب الرسول، ﷺ وأحاديثه وأحكامه، تحفظها، وتسأل عما غاب عنها، كما كانت على معرفة بأسباب نزول الآيات، ومناسبات ورود الأحاديث الأمر الذى يسر لها ملكة فقهية قل نظيرها.

ثم هى أطول نسائه صحبة له ﷺ ، وهذا يدل على كثرة الأحاديث التى روتها بالنسبة إلى بقية نسائه.

وأضافت عائشة، رضى الله عنها، إلى ذلك معرفة بالشعر، والأنساب، والطب حتى كان عروة بن الزبير وهو ابن أختها أسماء يتملكه العجب من إحاطة خالته عائشة، رضى الله عنها بهذه العلوم كلها، فيقول لها متعجبًا: إنى لأتفكر بأمرك فأعجب، أجدك من أفقه الناس، فتقول: ما يمنعني؟ زوجة رسول وابنة أبى بكر، وأجدك عالمة بأيام العرب، وأنسابها، وأشعارها، فتقول: وما يمنعني؟ أبى علامة قريش، ولكن إنما أعجب أن وجدتك عالمة بالطب، فمن أين؟ فتجيب السيدة عائشة، رضى الله عنها، فتقول: يا عروة إن رسول الله، ﷺ، كثر من أسقامه، فكان أطباء العرب والعجم يصفون له فتعلمت ذلك.

ولزمت عائشة، رضى الله عنها، بعد وفاة النبى، ﷺ، وحجرتها تعزى نفسها بجواره، ولما أرادت زوجات النبى، ﷺ، أن يرسلن عثمان، رضى الله عنه، إلى أبى بكر، رضى الله عنه، يسألنه ميراثهن من رسول الله ﷺ قالت عائشة، رضى الله عنها، لهن: أو ليس قد قال رسول الله ﷺ: (**(نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه هو صدقة**)).

ولما شعر أبو بكر، رضى الله عنه، بالمرض أوصى عائشة، رضى الله عنها، أن يدفن إلى جانب رسول الله ﷺ. واستمر مرض أبى بكر، رضى الله عنه "خمسة عشر يومًا، ثم توفى يوم الأثنين ليلة الثلاثاء فى الثانى والعشرين من شهر جمادى الآخر سنة ثلاث عشرة للهجرة، وكان عمره ثلاثًا وستين سنة، وحفر لأبى بكر فى حجرة عائشة، رضى الله عنهما، وجعل رأسه عند كتفى رسول الله ﷺ، وألصق اللحد بقبر رسول الله، ﷺ وبذا سقط القمر الثانى فى حجرة عائشة، رضى الله عنها.

عائشة فى عهد عمر، رضى الله عنهما :

كان كبار الصحابة فى عهد عمر، رضى الله عنه، إذا أشكل عليهم أمر وبخاصة أمر فى الأمور الشخصية يسألون عنه عائشة، رضى الله عنها، وعمر، رضى الله عنه، كان يُرسل إليها فيسألها عن السنن.

عائشة فى عهد عثمان، رضى الله عنهما :-

زادت الأسئلة الفقهية على عائشة، رضى الله عنها، فى عهد عثمان، رضى الله عنه، وذلك لاتساع ديار الإسلام، ودخول أفواج جديدة فى الإسلام.

وبقيت مودة عائشة، رضى الله عنها، وتقديرها لعثمان ﷺ، إلى أن قُتل ﷺ، يوم ١٨ من شهر ذى الحجة سنة ٣٥ من الهجرة، وكانت عائشة رضى الله عنها، أول من طالب بدمه، والدعوة إلى الاقتصاص من قَتَلَتِه والثائرين عليه من الأعراب.

عائشة فى عهد على، رضى الله عنهما :

كان على بن أبى طالب، ﷺ، قد بويع بالخلافة بعد مقتل عثمان، وقد ضاق على ﷺ ذرعًا من تسلط الثائرين ومن معهم من الأعراب، فطلب طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، رضى الله عنهما، من الخليفة أن يأذن لهما بالذهاب إلى البصرة والكوفة لإحضار قوة لمعاقبة المتمردين، فلم يأذن لعدم مناسبة الوقت.

استأذن طلحة والزبير الخليفة عليًا بالعمرة فأذن لهما، فأتيا مكة، واتفق رأيهما مع رأى عائشة على معاقبة المتمردين ومن والاهم من الأعراب، كما اتفق رأيهم على الذهاب إلى البصرة والكوفة لجمع قوة تتمكن من تحقيق الهدف المنشود ومن الاقتصاص من المجرمين، وهكذا خرجت عائشة، رضى الله عنها، ومن معها من مكة إلى البصرة.

كان الخليفة على، ﷺ، يتهيأ للخروج من المدينة إلى الشام لإنهاء الوضع مع معاوية، ﷺ، ولما علم الخليفة بخبر خروج أهل مكة مع طلحة والزبير وعائشة، رضى الله عنهم، خرج من المدينة بسرعة، وهو يرجو أن يلتقى بهم فى الطريق فيردهم عن مقصدهم والتفاهم معهم ولا يريد حربًا غير أنه لم يلتق بهم.

وقبل أن تصل إلى البصرة لقيها رسولان أرسلهما عثمان بن حُنيف – إلى البصرة من قبل الخليفة على – وهما الصحابى الجليل عمران بن الحصين، والتابعى أبو الأسود الدؤلى، فاستأذنا عليها، فأذنت لهما، فدخلا وسلّما عليها، وسألاها عما جاءت إليه، فذكرت لهما ما الذى جاءت له من القيام بطلب دم عثمان، لأنه قُتل مظلوما فى شهر حرام وبلد حرام وتلت قول الله تعالى﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ (النساء : ١١٤)، فخرجا من عندها إلى طلحة بن عبيد الله، ﷺ فقالا له: ما أقدمك؟ فقال: الطلب بدم عثمان، فقالا: ما بايعت عليا؟ قال: بلى، ولا أستقبله إن هو لم يخل بيننا وبين قتلة عثمان، فذهبا إلى الزبير بن العوام، ﷺ فقال مثل ذلك، فرجع عمران بن الحصين، وأبو الأسود الدؤلى إلى عثمان بن حنيف.

التزمت عائشة، رضى الله عنها مبدأ الإصلاح الذى خرجت من أجله، وذلك فى المواقف كلها التى وقفتها فى البصرة، فلما بدأ بعض أتباع عثمان بن حنيف القتال أمرت عائشة، رضى الله عنها، من كان معها أن يكفوا عن القتال ولكن يدافعوا عن أنفسهم، وأمرت مناديًا يُناشدهم ويدعوهم إلى الكفّ عن القتال.

أدركت عائشة، رضى الله عنها، أن الأمر قد أفلت من يدها، وأن قتلة عثمان، ﷺ، هم الذين أنشبوا القتال، فما كان منها إلا أن نادت بحرقة ولوعة، وهى ترى دماء المسلمين تُسفك حولها ! أيها الناس، العنوا قتلة عثمان

وأشياعهم، فضج أهل البصرة بلعن قتلة عثمان، وجاء على ﷺ، وساهم فى لعن قتلة عثمان وأشياعهم.

وأدرك على، ﷺ أن القتال لن يتوقف، وأمر على، ﷺ، محمد بن أبى بكر أن يضرب على أخته عائشة، رضى الله عنها، قُبةً، وأن يطمئن على سلامتها.

خرج محمد بن أبى بكر آخر الليل بأخته عائشة، رضى الله عنهما فدخل بها البصرة، وأنزلها فى دار عبد الله بن خلف الخزاعى على صفية ابنة الحارث.

أقام على ﷺ، فى عسكرة ثلاثة، فدفن الناس موتاهم، وصلى على قتلى الفريقين، وقال: إنى لأرجو ألا يكون أحد نقى قلبه إلا أدخله الله الجنّة، ودخل مدينة البصرة يوم الاثنين الرابع عشر من شهر جمادى الآخر سنة ست وثلاثين، فوصل إلى المسجد فصلى فيه، ثم مشى إلى عائشة رضى الله عنها، فسلّم عليها.

جهز على ﷺ عائشةَ رضى الله عنها بكل ما تحتاج إليه من زاد، ومركب، ومتاع، وأخرج معها كل من نجا ممن خرج معها من مكة، وكذلك أربعين امرأة من نساء البصرة المعروفات، وقد اختارهنّ إليها، ثم طلب من أخيها محمد أن يتجهز ليبلّغها مكة، ولما كان اليوم الذى سترحل به، جاء إليها وجاء الناس فودعوها، وودعتهم.

عائشة فى عهد معاوية، رضى الله عنهما:

لم تكن عائشة، رضى الله عنها، لترضى أيام معاوية كما كانت أيام الخلفاء الراشدين وذلك بسبب بعض الأحداث. ورغم ذلك فقد حرص معاوية بن أبى سفيان، رضى الله عنهما، حرصًا شديدًا على تحسين علاقته مع أم المؤمنين عائشة، رضى الله عنها.

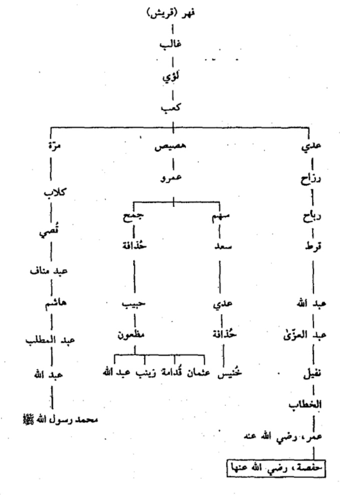
وفاة عائشة، رضى الله عنها :

مرضت عائشة، رضى الله عنها، فى شهر رمضان سنة ٥٨ للهجرة، واشتد عليها المرض، وتوفيت رضى الله عنها، ليلة الثلاثاء لسبع عشرة من شهر رمضان، وصلى عليها أبو هريرة ﷺ، ودفنت فى البقيع حسب وصيتها، فى الليلة نفسها التى ماتت فيها بعد صلاة التراويح والوتر، وقد بلغت من العمر السابعة والستين (٩ قبل الهجرة – ٥٨ للهجرة).

٤- حفصة بنت عمر (رَضِى الله عَنْهَا)

أقوال

- كانت حفصة حارسة للقرآن الكريم، وكان لها دور فى جمع القرآن.
- حفصة صوامة قوامة، تقية نقية، من أهل الجنة.
- ولدت حفصة وقريش تبنى الكعبة قبل مبعث النبى ﷺ بخمس سنين.
- شهد بدرًا من أهلها سبعة: عمر، وعمها زيد وزوجها خنيس، وأخوالها: عثمان وعبد الله وقدامة بنو مظعون، والسائب ابن عثمان بن مظعون ابن خالها.



▪ فضائل أم المؤمنين حفصة كثيرة، وتوفيت بالمدينة سنة ٤٥هـ.

حفصة بنت الفاروق عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزّى بن عبد الله ابن قرط بن رياح رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر (قريش).

وأمها زينب بنت مظعون بن حبيب بن حذافة بن جُمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر (قريش).

وُلدت حفصة، رضى الله عنها، فى السنة الثامنة عشرة قبل الهجرة أى قبل البعثة بسنوات خمس، وتزوّجت خُنيس بن خُذافة السهمى، وقد أعلن إسلامه قبل دخول رسول الله ﷺ، دار الأرقم، وقد دخل فى الإسلام على يد الصديق أبى بكر، رضى الله عنه.

ولما أشتد أذى مشركى قريش على المسلمين هاجر فريق من المسلمين من مكة منهم خُنيس بن خُذافة مع زوجته حفصة، رضى الله عنها وبعد مدة فى الحبشة بلغ أولئك المهاجرين أن أهل مكة قد أسلموا فعزم فريق منهم على العودة إلى بلدهم مكة حرصًا على الفائدة من اللقاء مع رسول الله ﷺ، ودعوة للإسلام، ودعمًا لأهله، وصلة للرحم، وذلك فى السنة السادسة من البعثة، ومن هؤلاء العائدين خُنيس بن خُذافة مع زوجته حفصة رضى الله عنها.

وأقامت حفصة، رضى الله عنها، مع زوجها فى مكة ولكن وضع أهل مكة لم يتغير كثيرًا، وكانت بيعتا العقبة من أهل يثرب لرسول الله ﷺ، وبدأ الإسلام ينتشر فى يثرب فرأى رسول الله ﷺ أن يهاجر المسلمون من مكة إلى يثرب حيث إخوانهم هناك يدعونهم ويُرحّبون بهم، فكانت الهجرة إلى يثرب، من هؤلاء المهاجرين، وعُرفت يثرب بعدها باسم (المدينة المنورة)، لقدوم رسول الله ﷺ، إليها، وكذلك هاجر خُنيس بن خُذافة مع زوجته، رضى الله عنهما.

ظهرت الدولة الإسلامية فى المدينة المنورة بتوجيه الرسول الكريم رسول الله ﷺ، وعمل على إضعاف المشركين، ومنهم مشركى قريش كى ينتشر الإسلام، وتعم الدعوة، وترتفع راية الإيمان، وكانت معركة بدر بين المسلمين ومشركى قريش، وشارك فيها خنيس، وأبلى البلاء الحسن، وأصيب بعدة جراح وبعد المعركة التهبت عليه الجراح، وكانت نهايته، فتأيّمت زوجه حفصة، رضى الله عنهما.

عرض عمر الفاروق، رضى الله عنه، ابنته حفصة على أبى بكر، رضى الله عنه، فلم يُجبه بشيء وعرضها على عثمان، رضى الله عنه، فقال له: بدا لى ألا أتزوج اليوم، وكانت زوجته رقّية بنت الرسول ﷺ قد توفيت، فوجد عمر عليهما، رضى الله عنهم، وانكسر، وشكا حاله إلى رسول الله ﷺ، فقال له: **((يتزوّج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هى خير من حفصة))**.

ثم خطب رسول الله ﷺ حفصة فزوّجه عمر، وزوج رسول الله ﷺ، عثمان بابنته أم كلثوم بعد وفاة أختها رُقية.

وما أن زوّج عمر، رضى الله عنه، ابنته حفصة لرسول الله، ﷺ، لقيه أبو بكر، رضى الله عنه، فاعتذر إليه.

قالت: عائشة رضى الله عنها: إن حفصة هى التى كانت تُسامينى من أزواج النبى ﷺ.

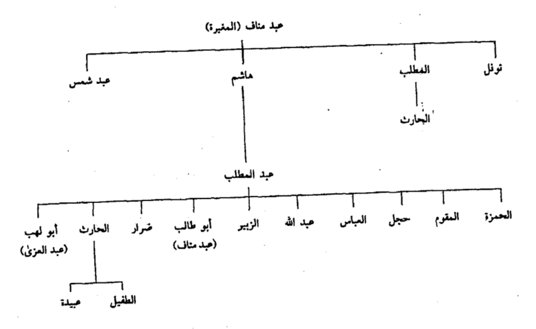
توفيت حفصة رضى الله عنها، بالمدينة المنورة سنة خمس وأربعين من الهجرة، وصلى عليها والى المدينة يومذاك مروان بن الحكم.

عاشت حفصة، رضى الله عنها، ثمان سنوات مع رسول الله ﷺ ولم تُنجب له وبقيت بعده أربعا وثلاثين سنة.

٥- زينب بنت خزيمة (رَضِى الله عَنْهَا)

صورة مجملة

▪ كانت من الأخوات الأربع اللاتى قال عنهم رسول الله ﷺ : (إن الأخوات لمؤمنات).



▪ وكانت تدعى أم المساكين لكثرة معروفها . (الذهبى فى ترجمتها ج ٢ ص ٢١٨) .

▪ تزوجها النبى ﷺ ، بعد غزوة أحد .

▪ قتل زوجها عبد الله بن جحش يوم أحد ، فتزوجها رسول الله ﷺ ، ولكن لم تمكث عنده إلا شهرين ، أو أكثر وتوفيت رضى الله عنها . (الذهبى) .

▪ كنيت أم المساكين بهذه الكنية فى الجاهلية ، لأنها كانت كذلك (أنساب الأشراف – البلاذى ١ / ٤٢٩).

▪تــزوج رســول الله ﷺ، زينب بنت خزيمة بعد حفصة بعشرين يومًا.
(ابن قتيبة فى المعارف).

زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله الهلالية.

وأمهات هند بنت عوف بن زهير.

ولدت بمكة سنة ٥٧ قبل الهجرة (٥٦٧م) وذلك وقبل مولد رسول الله ﷺ، بأربع سنوات.

تزوّجت الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب (ابن عم رسول الله ﷺ)، ثم طلقها بعد مدة، وبعد أن انتهت عدّتها خلفه عليها أخوه عبيدة بن الحارث الذى استشهد يوم بدر فى المبارزة، وذلك أنه خرج يومذاك من جيش مشركى قريش عُتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة حتى إذا فصل من الصف دعا إلى المبارزة، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة، وهم: عوف ومعوذ ابنا الحارث، وأمهما عفراء — وآخر هو عبد الله بن رواحة، فقال عُتبة بن ربيعة: من أنتم؟ فقالوا: رهط من الأنصارى، قال عُتبة: ما لنا بكم من حاجة؟ ثم نادى منادى المشركين: يا محمد، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا، فقال رسول الله ﷺ: ((قُم يا عبيدة بن الحارث، وقُم يا حمزة بن عبد المطلب، وقُم يا على بن أبى طالب))، فلما قاموا ودنوا منهم، قال عُتبة بن ربيعة: من أنتم؟ قال عُبيدة: عُبيدة بن الحارث ابن عبد المطلب، وقال حمزة: حمزة بن عبد المطلب، وقال عليّ: على بن ربيعة: نعم، أكفاء كرام، فبارز عُبيدة، وكان أسنّ القوم، عُتبة بن ربيعة، وبارز حمزة شيبة بن ربيعة، وبارز على الوليد بن عتبة.

فأما حمزة فلم يُمهل شيبة أن قتله.

وأما على فلم يُمهل الوليد أن قتله.

واختـلف عُبـيدة وعُتبة بـينهما ضربتين كلاهما أثبت صاحبه (جرحه جراحة بالغة).

وكرّ حمزة وعلى بسيفيهما على عُتبة فذفّفا عليه (أسرعا بقتله)، واحتملا صاحبها عبيدة بن الحارث إلى أصحابه فأضجعوه إلى جانب موقف رسول الله ﷺ، فأشرفه رسول الله ﷺ، قدمه فوضع خده على قدمه الشريفة.

وقد تأثرت زينب، رضى الله عنها بعد فقد زوجها، إذ لم يبق لها مُعيل، ولم يتقدّم إليها أحد لسنّها الذى قارب الستين، كما أن زوجها الشهيد هو ابن عمّ رسول الله ﷺ، بعـد انتـهاء عدّتها، ولكن لم تمكث عنده أكثر من شهرين، أو أكثر قليلاً، وتوفيت، رضى الله عنهما.

وكان قد أصدقها النبى الكريم، ﷺ، أربعمائة درهم وبنى لها حجرة إلى جانب حجرة عائشة بنت أبى بكر الصديق، وحفصه بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنهم جميعًا وذلك قرب المسجد النبوى، وكان زواجه منها فى شهر رمضان بعد سنتين وسبعة أشهر من الهجرة النبوية.

توفيت زينب، رضى الله عنها، فى السنة الرابعة للهجرة (٦٢٨م).

كانت زينب، رضى الله عنها، تكنى (أم المساكين)، وهى كنية قديمة من حياتها الجاهلية، وسميت بذلك لكثرة إطعامها المساكين، وعطفها عليهم، وكثرة صدقاتها عليهم، وبرها لهم، وإحسانها إليهم، لقد كانت أكثر النساء رحمةً للفقراء فى الجاهلية، وفى الإسلام، وزادت من عطفها عليهم بعد أن أنعم الله عليها بنعمة الإيمان، وبعد أن أكرمها الله بدخول البيت النبوى لتكون من بين أمهات المؤمنين، رضى الله عنهنّ لم ترو شيئًا من الأحاديث النبوية لقصر مدتها قائمة فى البيت النبوى.

ولم تُنجب لرسول الله ﷺ، وأخواتها من أمها هنّ :-

- ميمونة بنت الحارث : أم المؤمنين، آخر زوجات رسول الله ﷺ .

- لبابة بنت الحارث : زوجة العباس ، رضى الله عنه ، وأنجبت له سبعةً منهم : الصحابى عبد الله بن عباس ، رضى الله عنهما .

- عصماء بنت الحارث : زوجة الوليد بن المغيرة ، وهى أم خالد بن الوليد ، رضى الله عنه .

- أسماء بنت عميس : زوجة جعفر بن أبى طالب ، رضى الله عنه وولدت له فى الحبشة عبد الله ومحمدًا ، وعونًا . وبعد أن استشهد فى مؤتة تزوّجها أبو بكر الصديق ، رضى الله عنه ، وولدت له محمدًا . وبعد وفاة أبى بكر ، رضى الله عنه ، تزوّجها على بن أبى طالب ، رضى الله عنه .

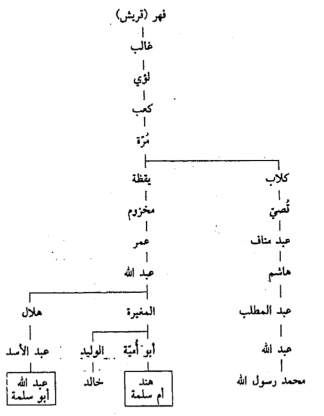
- سلمى بنت عميس : زوجة الحمزة بن عبد المطلب .

٦- أم سلمة (رَضِى الله عَنْهَا)

هند بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة ابن مُرّة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر (قريش).

وعُرف أبوها (أبو أمية) بلقب زاد الركب، وقيل اسمه: سهيل، وقيل: حذيفة.

وأما أمها فهى عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك بن جذيمة بن علقمة من كنانة.



ولدت أم سلمة، رضى الله عنها، سنة ٢٨ قبل الهجرة (٥٩٦م) فى مكة، فهى أصغر من رسول الله، ﷺ بخمسٍ وعشرين سنةً.

تزوجت ابن عمّها أبا سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وهو ابن عمّة رسول الله، ﷺ، بَرّة بنت عبد المطلب، وكان أبو سلمة أخا رسول الله ﷺ، ومن الرضاعة، أرضعتهما مولاة لأبى لهب.

وأنجبت أم سلمة لأبى سلمة / سلمة، وعمر، وزينب، ورُقيّة.

كانت أم سلمة، رضى الله عنها من السابقين إلى الإسلام، وهاجرت مع زوجها أبى سلمة، رضى الله عنهما، إلى الحبشة، وكانا من أوائل المهاجرين، وأنجبت هناك ولدها سلمة، ومع عودة المهاجرين رجعا إلى مكة، ودخلا بجوار أبى طالب، خال أبى سلمة، واجتمعت قريش على أبى طالب لإجارته أبى سلمة، وقالت: يا أبا طالب، لقد منعت محمد ابن أخيك، فما لك ولصاحبنا تمنعه منا؟ فقال أبو طالب إنه استجار بى، وهو ابن أختى، فانصرفوا عنه.

وبدأت الهجرة من مكة إلى المدينة، وأشار رسول الله، ﷺ، إلى بعض أصحابه بالهجرة إلى المدينة، وكان منهم أبو سلمة، رضى الله عنه، الذى أنطلق مع أسرته، فكان يقود البعير، وخلفه زوجة أم سلمة تحتضن طفلها سَلَمَة.

وتصايح مشركو مكة، ولحقوا بالركب، وظفروا بأبى سلمة، فقال له بنو المغيرة جماعة أم سَلَمَة: هذه نفسك يا أبا سلمة، غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتك هذه! علام نتركك تسير بها فى البلاد؟ وبدؤوا بالتهديد حيث نزعوا خطام البعير من يده، واختطفوا الزوجة من زوجها، ولم يستطع، وهو الوحيد، بالدفاع أمام جمع كثير، وقال بنو عبد الأسد جماعة أبس سلمة: والله لا نترك أبننا عنده ألا، وبدأ الصراع، وخُلعت يد الطفل، وأخذه بنو عبد الأسد منها، وكان الأسى، والحزن والألم، واضطر أبو سلمة أن يُتابع طريقه إلى المدينة، وبقيت أم سلمة فى مكة عند أهلها، وبقى ولدها سلمة عند أهل أبيه.

وتقول أم سلمة: كنت أخرج كل غداةٍ، فأجلس فى الأبطح فما أزال أبكى.

وصادف أن مرّ بها رجل من بني عمومتها من بني المغيرة جماعة أبى سلمة، ورأى حالها فرقّ قلبه، واستشعر بالرحمة، وأحسّ بالرأفة، ويبدو أنه من أصحاب المكانة، فقال: ألا تُخرجون هذه المسكينة فرّقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها، فوصل الخبر ووقع الكلام موقع الإجابة من نفوسهم وموقع الرحمة فى نفوسهم، فسمحوا لها بأن تلحق بزوجها المهاجر إلى المدينة، ووصل الخبر أيضًا إلى بنى عبد الأسد جماعة أبى سلمة الذين احتجزوا عندهم طفلها فى العام الماضى فردّوا إليها ابنها.

خشيت أم سلمة، رضى الله عنها فأرعت بالرحيل وحدها، إذا تقول: ما معى أحد من خلق الله.

وصلت أم سلمة، رضى الله عنها، إلى منطقة التنعيم فلقيت هناك عثمان ابن طلحة فعرفها، فقال لها: إلى أين يا ابنه أبى أُميّة؟.

قالت: أريد زوجى أبا لمة بالمدينة.

قال: أوما معك أحد؟

قالت: ما معى أحد إلا الله وبُنى هذا.

قال: والله ما لك من مترك.

وعزم عثمان بن طلحة على الرحيل معها ليوصلها إلى زوجها، ويقطع بها البرارى والمفاوز، وكان رجل خطير، تقول أم سلمة: (فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قطّ أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بى، ثم استأجر عنى، حتى إذا نزلت استأجر بعيره فحطّ عنه، ثم قّيده فى شجرة، ثم تنحّى إلى شجرة فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيرى، فقدّمه ثم استأخر عنى،

وقال: اركبى، فإذا ركبت أخذ بخطام البعير فقادنى، فلم يزل يصنع ذلك بى حتى أقدمنى المدينة، فلما نظر إلى قرية بين عمرو بن عوف بقباء، قال: زوجك فى هذه القرية، فادخليها على بركة الله، ثم انصرف راجعًا إلى مكة.

٧- زينب بنت جحش (رَضِىَ اللهُ عَنْهَا)

صورة من قريب

▪ لم أر امرأة قط أخير فى الدين من زينب، وأتقى لله، وأصدق حديثًا، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشد ابتذالاً لنفسها فى العمل الذى تتصدق به، وتتقرب به إلى الله تعالى (عائشة رضى الله عنها).

▪ كانت زينب صالحة صوامة قوامة، تعمل بيدها وتتصدق بذلك كله على المساكين. (أم سلمه).

▪ زوجكن أهاليكن، وزوجنى الله من فوق عرشه. (أم المؤمنين زينب لنساء النبى صلى الله عليه وسلم).

▪ نزل فيها القرءان، وعرفت فى كتاب الله بالمؤمنة ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ (الأحزاب: ٣٦).

زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبره بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضير من بنى أسد الذين منهم هذه الأسرة حلفاء بعض بطون قريش.

وأمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف عمة رسول الله صلى الله عليه و سلم.

ولدت زينب فى مكة سنة ثلاث وثلاثين قبل الهجرة فهى أصغر من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بعشرين سنة.

أسلمت زينب، رضى الله عنها، فى بدء الدعوة كما أسلم عدد من أخواتها، وهاجرت إلى المدينة فى وقت قريب من هجرة رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

بدأت الأنظار تتجه إلى زينب لخطبتها إذ هى معروفة الأصل فكانت، رضى الله عنها، ترسل أختها حمنة تستشير رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فرأت أنه يرغب لابنة عمته المسلمة رجل دين ومعرفة إذ قال: ((**أين هى ممن يعلمها كتاب ربها و سنة نبيها؟**)). فأحبت أن تعرف من الذى يرغبه الرسول الكريم، عليه الصلاة والسلام، فسماه رسول الله، صلى الله عليه و سلم، أنه مولاه زيد بن حارثة، فظهر على حمنة الضيق وعدم الرضا، إذا قالت: يا رسول الله، أتزوج ابنة عمتك مولاك زيدًا؟ وكذا كانت الاستشارة الأخرى وأخبرت حمنة أختها زينب بذلك فأصابها الهم والغم، وإن أخفت ما فى نفسها. وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، زيدًا بذلك فسر سرورًا كثيرًا، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ((**و لكن لا أراها تفعل، إنها أكرم من ذلك نفسًا**)) إذ وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم، حسابًا لعدم رضاها، لأن زيدًا مولى.

وزيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، هو: زيد بن حارثة بن شراحيل (شرحبيل) بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان، وقد أخذ عبدًا وهو صغير، إذ كان مع أمه: سعدى بنت ثعلبة بن عامر بن أفلت بن سلسلة من بنى معن من قبيلة (طىء). و كانت تزور قومها، ومعها ابنها زيد، ومرت خيل لبنى القين كغارة على بنى معن قوم سعدى (أم زيد) فاحتملت الخيل زيدًا، وهو يومئذ غلام يافع، وحملته إلى سوق عكاظ، وعرضته للبيع، وصدف أن رأى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة، فأسرع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زوجته خديجة، رضى الله عنها وأخبرها الخبر، فقالت: كم ثمنه؟ قال: سبعمائة درهم قالت: خذ سبعمائة درهم

واشتريه، فأخذ واشتراه، وجاء به إليها فقال: إما إنه لو كان لى لأعتقته: فهو لك، فأعتقه.

كان زيد بن حارثة، رضى الله عنه، من أوائل الذين أسلموا، وأحسن رسول الله، صلى الله عليه و سلم لزيد، عطاء، ومعاملة حتى قال له: ((يا زيد، **أنت مولاى ومنى وإلى وأحب القوم إلى**)). وقال له: ((**أنت أخونا و مولانا**)).

وبعد أن علم حارثة والد زيد بخبر ولده فسار مع أخيه عم زيد إلى مكة ليأخذ ولده زيدًا من سيده محمد صلى الله عليه وسلم، فلما رآه وطلبه قال زيد لسيده: ما أنا بالذى أختار عليك يا محمد أحدًا، أنت منى بمكان الأب والأم، ويلتفت إلى أبيه وعمه ويقول: قد رأيت من هذا الرجل شيئًا ما أنا بالذى أختار عليه أحدًا أبدًا. فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ذلك قال: ((**يا من حضر اشهدوا أن زيدًا ابنى أرثه و يرثنى**)). فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت نفسيهما وانصرفا فدعى زيد بن محمد، وبقى كذلك حتى ألغى الإسلام التبنى فى السنة الخامسة من الهجرة، فقال تعالى ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ﴾ (الأحزاب: ٤ – ٥)، و بعد نزول هذه الآيات انتهت تسمية زيد بـ(زيد بن محمد)، و رجعت نسبته إلى أبيه (زيد بن حارثة).

زواج زيد بن حارثة من زينب:

بعد أن تحدث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لزيد بموضوع زواج زينب، وسر سرورًا بالغًا أخذ زيد يتابع الموضوع، وهو يعرف مكانة رسول الله، صلى الله عليه و سلم، عند زينب بل عند الجميع.

ويذهب زيد بن حارثة إلى على بن أبى طالب، ويطلب منه أن يتكلم بالموضوع ويذهب على وزيد إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، و يطلبان منه متابعة الموضوع، فطلب رسول الله، صلى الله عليه و سلم، من على أن يمهد للأمر فيكلم عبد الله بن جحش أخا زينب. و يجد على، رضى الله عنه، صعوبة فى الموضوع بسبب الفروق بين طبقتيهم الاجتماعية، و هذا الأمر السائد والمتعارف عليه، و هذا ما يريد أن يزيله رسول الله، صلى الله عليه و سلم، لذا اتخذ أسلوب الحسم، فأرسل إلى زينب و أسرتها بعبارة حاسمة: (**قد رضيته لكم، وأقضى أن تنكحوه، فأنكحوه**).

وقفت زينب، رضى الله عنها، حائرة بين الموافقة على طلب وشفاعة رسول الله، صلى الله عليه و سلم، وهذا لا يمكن مخالفته وبين الاختلاف الاجتماعى بين طبقتيهما، ويبدو أن الأثر الاجتماعى كان أقوى فتغلب على النفس، فالتفتت إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، و قالت: (أنا خير منه حسبًا يا رسول الله، و لست بناكحته. لا أرضاه لنفسى و أنا أيم قريش. أنا سيدة أبناء عبد شمس).

ويكرر رسول الله، صلى الله عليه و سلم، قضاه: ((**قد رضيته لك فانكحيه**)).

تطلب زينب من رسول الله، صلى الله عليه و سلم، التريث الإمهال قائلة: يا رسول الله أؤامر نفسي.

و يتنزل قوله سبحانه و تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ (الأحزاب: ٣٦)، و يخبر رسول الله، صلى الله عليه و سلم، زينب بما أنزل الله فأذعنت للأمر، و أعلنت الطاعة و الرضا.

و تسأل رسول الله، صلى الله عليه و سلم، قائلة: قد رضيته لي يا رسول الله زوجًا؟ فأجابها: ((نعم))، فقالت: إذن لا أعصي الله و رسوله، قد أنكحته نفسي.

و بذا تحققت المساواة الكاملة، وزالت الفوارق الطبقية المتعارف عليها في الجاهلية، و أصبحت المقاييس في الدين و التقوى.

و قدم زيد بن حارثة، رضي الله عنه، إلى بني جحش عشرة دنانير وستين درهمًا، و درعًا، و خمارًا، و ملحفة و إزارًا، و خمسين مدًا من الطعام، وعشرة إمداد من التمر. و هذا من عطاء رسول الله، صلى الله عليه و سلم، لزيد بن حارثة، رضي الله عنه. كما أولم رسول الله، صلى الله عليه و سلم، وأطعم المساكين خبزًا و لحمًا. و هذا دلالة على سرور رسول الله، صلى الله عليه و سلم، بهذا الزواج.

وافقت زينب رضي الله عنها، على الزواج من زيد بن حارثة، رضي الله عنه، طاعة لله و رسوله بعد نزول الآية: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ (الأحزاب: ٣٦).

إضافة إلى أن زيدًا ، رضى الله عنه ، كان ينادى بـ(زيد بن محمد) و هذا ما يسرها و تفخر به. و كان الزواج ، و كانت العشرة الحسنة ، و الصلة الطيبة ، والنظرة الحسنة ، فلما نزلت الآية الكريمة : ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ (الأحزاب:٥). وصار زيد يدعى زيد بن حارثة بعد أن كان يدعى زيد بن محمد تغيرت الأمور ، و هذا بعد مرور سنة تقريبًا من الزواج إذ بدأت العلاقة الزوجية تسوء ، إذ صارت زينب تترفع على زيد بنسبها ، و شخصيتها ، و قد يصل الأمر إلى الأذى باللسان .

و ضاق زيد ، رضى الله عنه ، ذرعًا بما حدث ، و تألم مما يجرى ، و ما كان منه إلا أن ذهب إلى رسول الله ، ﷺ ، و حدثه بما يجرى فى بيت الزوجية ، و رغبته فى طلاقها ، و لكن رسول الله ، ﷺ ، أمر بالصبر و سعة الصدر ، و الأمر عارض لا يلبث أن يزول ، و يقول له : (أمسك عليك زوجك......).

و اقتضت الحكمة الإلهية أن تلغى مسألة التبنى المتعارف عليها فى الجاهلية ، و هى أن يتخذ الرجل ابنًا له من غيره ، و يعطيه من الحقوق ما يعطيه لابنه الشرعى ، و تحرم على الرجل المتبنى زوجة الذى تبناه ، فأنزل الله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾(الأحزاب : ٤ ـ٥). وشعرت زينب ، رضى الله عنها ، أن مكانة زيد ، رضى الله عنه ، قد تغيرت بعد إلغاء مسألة التبنى فبقيت على ما هى عليه من الترفع إن لم نقل زادت.

وأوحى الله سبحانه و تعالى إلى رسول أن زيدًا سيطلق زوجته زينب ، وأن رسول الله ، صلى الله عليه و سلم ، سيتزوجها بأمر من الله ، وذلك فى سبيل

تعرك العادات الجاهلية. و أخبر زيد، رضى الله عنه، رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أنه يريد طلاقها، فأجابه رسول الله، صلى الله عليه و سلم: **((اتق الله فى قولك، و أمسك عليك زوجك))**.

و رأى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، عزم زيد، رضى الله عنه، على الطلاق. كما رأى انه، صلى الله عليه و سلم، كان هو سبب هذا الزواج، فمن الواجب أن يؤدى دورًا فى سعادة زينب، رضى الله عنها، التى وافقته على الزواج بعد ممانعة، ثم إن أمر الله قد جاء، ولا بد من الالتزام.

و خرج رسول الله، صلى الله عليه و سلم، يريد زيدًا، و على الباب ستر من شعر، فرفعت الريح الستر فانكشف، و زينب فى حجرتها حاسرة فرآها رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و جاء زيد، رضى الله عنه، إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، و قال: يا رسول الله، إنى أريد أن أفارق صاحبتى، قال: **((ما لك، أرابك منها شيء؟))** قال: لا، و الله ما رابنى منها شيء يا رسول الله، ولا رأيت خيرًا، فقال له رسول الله، صلى الله عليه و سلم، : **(أمسك عليك زوجك و اتق الله)**.

زواج رسول الله، صلى الله عليه و سلم، من زينب، رضى الله عنها:

لما أصر زيد، رضى الله عنه، على الطلاق، و استمرت زينب، رضى الله عنها، فى ترفعها، و رأى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، أنه كان هو سبب الزواج و أن نفسه قد مالت إليها لقرابتها منه، و مسؤوليته فى زواجها و فوق هذا كله أمر سبحانه و تعالى بزواج رسوله محمد، صلى الله عليه و سلم، بزينب، رضى الله عنها. و يطلع زيد رسول الله، صلى الله عليه و سلم، على النفرة التى نشأت من تعظمها عليه، فأذن له فى طلاقها، فطلقها زيد، و لم يبق له فيها حاجة.

و لما انقضت عدة زينب، رضى الله عنها، جرى الحديث حول المرحلة الثانية و هى زواج رسول الله، صلى الله عليه و سلم، بزينب، و جرى الحديث بين رسول الله صلى الله عليه و سلم، و زيد، و طلب منه أن يواصل لزينب المقدمة لذلك، فذهب إليها، و قال لها زيد: يا زينب، أبشرى أرسلنى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، يذكرك. فأجابت: ما أنا بصانعة شيئًا حتى يأتى أمر ربى، ثم قامت إلى مسجدها، و نزل قبول الله سبحانه و تعالى ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا﴾ (الأحزاب: ٣٧)، و تزوج رسول الله، صلى الله عليه و سلم، زينب، رضى الله عنها، بنص كتاب الله دون ولى ولا شاهد، فدخل عليها من غير إذن، فكانت، رضى الله عنها، تزهو بذلك أمام أمهات المؤمنين قائلة:(إن الله أنكحنى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، من فوق سبع سماوات، و زوجكن أهلكن، و زوجنى الله من فوق عرشه).

و كان هذا الزواج المبارك فى شهر ذى القعدة من السنة الرابعة للهجرة إثر غزوة بنى المصطلق (المريسيع) وكان عمرها، رضى الله عنها، يوم زواج رسول الله، صلى الله عليه و سلم، بها سبعًا و ثلاثين سنة، إذ ولدت هى فى السنة الثالثة و الثلاثين قبل الهجرة، تزوج بها رسول الله، صلى الله عليه و سلم فى شهر ذى القعدة من السنة الرابعة من الهجرة، و بذا يكون عمرها ٣٧ سنة.

يقول الله سبحانه و تعالى ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ٣٧﴾ (الأحزاب:٣٧). ولما دخلت زينب، رضى الله عنها، على رسول الله، صلى الله عليه و سلم، قال لها: ما اسمك؟ قالت: برة..... فسماها زينب.

و كانت زينب، رضى الله عنها، تظهر أمام رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ما تظهره الأنثى أمام زوجها من دلال و أنوثة تجميلاً و تحببًا، و إرضاءً، و تقول له (إنى لأدل عليك بثلاث، ما من نسائك امرأة تدل بهن: إن جدى وجدك واحد (هو عبد المطلب. والد أبيه ووالد أمها)، و إنى انكحنيك الله من السماء، و كان جبريل السفير فى أمرى).

و تفاخرت عائشة و زينب، رضى الله عنهما، فقالت عائشة، رضى الله عنها: أنا الذى جاء بى الملك إلى النبى، صلى الله عليه و سلم، فى سرقة من حرير، فيقول: هذه امرأتك. فقالت زينب رضى الله عنها: أنا زوجنى الله من فوق سبع سماوات ((تفسير القرطبى)).

وأرادت أم سليم (أم أنس بن مالك) أن تشارك رسول الله صلى الله عليه و سلم، فرحته بزواجه من زينب، رضى الله عنها، فصنعت له طعامًا، و أرسلته إليه مع ابنها أنس، رضى الله عنه، و قالت: يا أنس، إن رسول الله، صلى الله عليه و سلم، أصبح اليوم عروسًا، و ما أرى عنده من غداء، فهلم تلك العكة[1]، فناولها إياها، فعملت له حيسًا من عجوة فى تور[2] من فخار، قدر ما يكفيه وصاحبته، و قالت لأنس: أذهب به إلى رسول، الله صلى الله عليه و سلم:

يقول أنس، رضى الله عنه: فوضعته قرب الجدار، فقال لى رسول الله، صلى الله عليه و سلم: ((ادع أبا بكر و عمر و عثمان و عليًا))، و ذكر أناسًا من أصحابه سماهم. فجعلت أعجب من كثرة من أمرنى أن ادعوه مع قلة الطعام، إذ هو طعام يسير، و كرهت أن أعصيه، فدعوتهم، فقال رسول الله

(١) العكة: السمن.

(٢) التور: أحد الآنية.

صلى الله عليه و سلم: **((انظر من فى المسجد فادعه))**، فجعلت آتى الرجل و هو يصلى أو نائم، فأقول: أجب رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فإنه أصبح اليوم عروسًا، حتى امتلأ البيت، فقال لى رسول الله، صلى الله عليه و سلم: **((هل بقى فى المسجد أحدًا؟))** قلت: لا. قال صلى الله عليه و سلم: **((فانظر من كان فى الطريق فادعهم))**. قال: فدعوت حتى امتلأت الحجرة، فقال صلى الله عليه وسلم: **((هل بقى من أحد؟))** قلت: لا يا رسول الله، صلى الله عليه و سلم: **((هلم التور، كلوا باسم الله))**، فجعلت أنظر إلى التمر يربو، أو إلى السمن كأن عيون تنبع، حتى أكل كل من فى البيت، و من فى الحجرة، و بقى فى التور قدر ما جئت به فوضعته عند زوجته، ثم خرجت إلى أمى لأعجبها مما رأيت. قالت: لا تعجب لو شاء الله أن يأكل أهل المدينة كلهم لأكلوا [1].

قال أنس، رضى الله عنه: ما أولم رسول الله، صلى الله عليه و سلم، على شيء من نسائه ما أولم على زينب، أولم بشاة.

و قد احتلت زينب، رضى الله عنها، من قلب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، منزلة عظيمة، فكان يحبها حبا جمًا، و تقر عائشة، رضى الله عنها، بأن زينب، رضى الله عنها، كانت تنافسها فى هذه المنزلة.

و بعد مدة مرض رسول الله، فى أواخر شهر صفر، و بقى مرضه ثلاثة عشر يومًا، و توفى فى ضحى يوم الاثنين من شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة. و بذا تكون بقيت عنده زوجه زينب بنت جحش، رضى الله عنها: ست سنوات و ثلاثة أشهر و أربعة عشر يومًا. و لم تنجب له.

---

(١) صحيح مسلم: ١٠٥٢/٢

(ومن شهر ذى القعدة السنة الرابعة من الهجرة إلى الثانى عشر من شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة)..

وأما زيد بن حارثة، رضى الله عنه، فقد بقيت عنده ما يقرب من سنة، وقد شهد غزوة بدر وأحد، واستخلفه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، على المدينة حين خرج إلى غزوة بنى المصطلق (المريسيع)، وشهد الخندق، والحديبية، وخيبر، وعقد له رسول الله، صلى الله عليه وسلم، على الناس فى غزوة مؤتة، وقدمه على الأمراء، وذلك فى السنة الثامنة فنال الشهادة، رضى الله عنه. وبلغ الخبر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقال، ((اللهم اغفر لزيد، اللهم اغفر لزيد، اللهم اغفر لزيد، اللهم اغفر لجعفر وعبد الله بن رواحه)).

وأما زينب، رضى الله عنها، فبقيت حتى توفيت فى خلافة عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، وبذا تكون قد عاشت تسع سنوات بعد رسول الله، صلى الله عليه وسلم. وكان لها من العمر ثلاث وخمسون سنة (٣٣ق. هـ - ٢٠هـ). وكانت أول نساء النبى لحوقًا به. وكان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قد أخبر بذلك، وهذا من بعض معجزاته، صلى الله عليه وسلم.

قالت بعض نساء الرسول، صلى الله عليه وسلم، له: أينا أسرع بك لحوقًا، قال عليه الصلاة والسلام: ((أطولكن يدًا))، فأخذ قصبة يذرعنها. قالت عائشة، رضى الله عنها: فكنا إذا اجتمعنا فى بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، نمد أيدينا على الجدار نتطاول، فكانت امرأة قصيرة، علمن أن المراد بطول اليد الصدقة، لأنها كانت تعمل وتتصدق.

وحين حضرتها الوفاة قالت، رضى الله عنها: إنى أعددت كفنى، فإن بعث لى الخليفة عمر بكفن فتصدقوا بأحدهما، وإن استطعتم إذا دليتمونى أن تتصدقوا بحقوتى (بإزارى) فافعلوا.

ولما ماتت أمر الخليفة عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، ألا يخرج معها إلا ذو محرم، فقالت له أسماء بنت عميس، رضى الله عنها: ألا أريك شيئًا، رأيت الحبشة تصنعه بنسائهم؟ فجعلت نعشًا وغشته ثوبًا، فقال الخليفة، رضى الله عنه: ما أحسن هذا وأستره، نعم خباء الطعينة، فأمر مناديًا ينادى بالناس: أن اخرجوا على أمكم. فقيل: إن زينب بنت جحش أول امرأة جعل لها النعش.

ولم تترك زينب، رضى الله عنها، درهمًا ولا دينارًا من متاع الدنيا، وأما منزلها قد بيع للوليد بن عبد الملك حين قرر توسعة الحرم النبوى، وكان ثمن المنزل خمسين ألف درهم.

وبعد أن علم الخليفة عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، بوفاتها أرسل لها خمسة أثواب من خزينة بيت مال المسلمين، ثم بخرها، فكفنت فيها، وتصدقت أختها حمنة عنها بكفنها الذى أعدته لتكفن فيه. ودفنت بالبقيع، وصلى عليها عمر، رضى الله عنه.

وقد تأثر لوفاتها أخوها عبد أبو أحمد، وهو ضرير، تأثرًا شديدًا، وبكى مريرًا عليها، وترحمت، وذكرت صلاحها.

وسئلت عائشة، رضى الله عنها، أى نساء رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كانت آثر عنده؟ فقالت: لقد كانت لزينب وأم سلمه مكانة عنده، وكانت زينب أحب نسائه إليه – فيما أحسب – بعدى.

وقالت عائشة، رضى الله عنها: يرحم الله زينب لقد نالت فى الدنيا الشرف الذى لا يبلغه شرف إن الله زوجها، ونطق به القران وهى زوجة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فى الجنة.

روى عن عائشة، رضى الله عنها، أنها قالت: كانت زينب بنت جحش تساميني فى المنزلة عند رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وما رأيت امرأة خيرًا من زينب فى الدين كانت أتقى لله وأصدق حديثًا، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، رضى الله عنها [1].

عصم الله زينب، رضى الله عنها بحادثة الإفك فلم تقع فيها لورعها على حين وقعت أختها حمنة بنت جحش، فنالت من عائشة، رضى الله عنهن جميعًا.

❁❁❁

(١) صحيح مسلم: ٢/١٠٨٤

٨- جويرية بنت الحارث (رَضِى الله عَنْهَا)

كلمات

- كانت أعظم الناس بركة على قومها .
- لما قسَّم رسول الله ﷺ، سبايا بنى المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث فى السهم لثابت بن قيس أول ابن عم له فكاتبته على نفسها ، فأتت رسول الله ﷺ، تستعينه فى كتابتها ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتى فكرهتها وعرفت أن سيرى فيها ﷺ، ما رأيت (عائشة بنت أبى بكر فى سيرة ابن هشام) .
- كانت عاقلة ، صاحبة رأى حكيم .
- كانت قانتة ذاكرة ، صوامة قوامة ، تقية ، نقية القلب والسريرة .
- كان أبوها الحارث بن ضرار سيد قومه ، وأنعم الله عليه بالإسلام .
- توفيت سنة ٥٦ هـ عن عمر قارب السبعين ، ودفنت فى البقيع مع أمهات المؤمنين .

جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار سيد بنى المصطلق ، وبنوالمصطلق فرع من قبيلة خُزاعة ، وموطنهم بين مكة والمدينة حتى ساحل البحر الأحمر بين مدينتى رابغ وجُدّة ، وقُديد إحدى مدنهم .

وُلدت جويرية فى السنة التاسعة قبل الهجرة (٦١٠م) فهى أصغر سنًّا من رسول الله ﷺ، بأربع وأربعين سنة .

تزوجت جويرية فى سن مبكرة من عمرها، وهى فى منتصف العقد الثانى من عمرها، وكان زواجها من مسافع بن صفوان أحد فتيان خُزاعة.

وكان موقع ديار بنى المصطلق قرب الساحل مجالاً لمرور التجار فى ذهابهم إلى الشام وأثناء عودتهم، وكانت الرحلة إلى الشام فى الصيف للتجارة أمر معروف، وفى الوقت نفسه كانت ديارهم طريقًا لانتقال القبائل وترحالهم، وهذا ما أعطى بنى المصطلق صلة مع بقية القبائل ورجال الارتحال، ومكانةً بين سادة القبائل.

انتشر الإسلام، وسطع نوره، وانتصر أبناؤه على أعدائهم الذين يقفون فى وجه الدعوى نصرًا مؤزّرًا مع قلّة عددهم، ولكن بنى المصطلق فى غفلة عن طلب الحق، والسير فى النور، واتّباع الخير، والنظر لما بعد الحياة فى الدنيا، والتفكير فى هذه القبائل التى يدحرها المسلمون فتتساقط أمامهم مع قوتها وكثرة عددها وكانت غفلة بنى المصطلق لانشغالهم بأهمية موقع ديارهم، وكثرة عددهم، واعتمادهم على دعم خُزاعة لهم ما داموا بطنًا منها، ولما رأوا انتصار المسلمين على عدوّهم، وانتشار دعوتهم، وتوسعة ديارهم لذا أصابهم شئ من الخوف فأخذوا بالاستعداد وحشد الجموع للهجوم على المسلمين فى المدينة المنورة والفتك بهم وضّم ديارهم، وأخذ أملاكهم، وسلب أموالهم، والتعالى على الآخرين الذين لم يستطيعوا الوقوف أمام المسلمين.

وصلت أخبار استعداد بنى المصطلق للهجوم على المسلمين إلى رسول الله ﷺ، فأرسل إليهم بُريدة بن الحُصيب[1] يستوضح الأمور، فإذا به حق فأسرع إليهم رسول الله ﷺ.

---

(١) بُريدة بن الحُصيب بن عبد الله بن الحارث الأسلمى.

أرسل سيّد بنى المصطلق الحارث بن أبى ضرار عيونه يستطلعون له الطريق قبل سيره، ويُخبرونه عن تحرّكات المسلمين، فالتقى المسلمون بأحد هؤلاء العيون، فسيق إلى رسول الله ﷺ، فعرض عليه الإسلام فأبى، ولما كان رسول الله ﷺ، يريد مفاجأة القوم لذا فقد أمر بإعدام هذا الجاسوس، فضرب عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، عنقه.

علم بنو المصطلق بما حدث فأصابهم ذعر شديد الأمر الذى جعل أعدادًا منهم تتفرّق عن تجمعهم.

وفاجأهم رسول الله ﷺ، وهم على ماء (المريسيع)[1] فدعاهم إلى الإسلام فأبوا، فحمل عليهم المسلمون وأحاطوا بهم من كل جهة، فلم يفلت منهم رجل واحد، وقُتل منهم عشرة أفراد، منهم (مسافع بن صفوان) زوج جويرية بنت الحارث سيد بنى المصطلق، ثم استسلموا جميعًا، وغنم المسلمون ديارهم وأملاكهم، وسبوا نساءهم، وزادت الغنائم على ألفى رأس من الإبل، وخمسة آلاف من الأغنام، وبلغ عدد السبايا سبعمائة فتاة بينهم (جويرية بنت الحارث)، وقد أطلق سراح بعض الأسرى والسبايا، وافتدى بعضهم، ولم يُقتل أحد من الأسرى، وكانت المعركة فى شهر شعبان من السنة الخامسة للهجرة.

وبعد انتهاء المعركة رجع رسول الله ﷺ، ومن معه إلى المدينة منتصرين، وسيق الأسرى والسبايا والغنائم بين يديه.

وقُسّمت الغنائم، ووُزّعن الأسرى، والسبايا بين المجاهدين، وكانت جويرية بنت الحارث فى سهم ثابت بن قيس[2]، رضى الله عنه، وقد كاتبته على تسع أواق، من الذهب فداء نفسها، غير أنها لا تستطيع السداد، فذهبت إلى رسول الله ﷺ،

---

(١) المريسيع: اسم ماء لبنى المصطلق من ناحية (قديد) مما يلى الساحل فى الطريق من مكة إلى المدينة.

(٢) ثابت بن قيس بن شمّاس الخزرجي الأنصاري: صحابى، كان خطيب رسول الله ﷺ، وشهد أحدًا وما بعدها من المشاهد، وجاء فى الحديث الشريف: ((نعم الرجل ثابت)) استشهد يوم اليمامة فى خلافة أبى بكر الصديق، رضى الله عنه، سنة ١٢هـ.

وحكت له وضعها، فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه، وكان من أمرى ما لا يخفى عليك.

وفى رواية أنه قالت: قد أصابنى من البلاء ما لا يخفى عليك، ووقعت فى سهم ثابت بن قيس بن شماس، فكاتبنى على مالا طاقة لى به، وليس لى يدان، ولا قدرة عليه، وهوتسع أواق من الذهب، وما أكرهنى على ذلك، غير أنى أرجوك ﷺ، وجئتك أسألك فى مكاتبتى.

فقال لها رسول الله ﷺ، بعدما سألته مكاتبتها:

((هل لك فى خير من ذلك؟)).

قالت: وما هو يا رسول الله؟

قال: ((أؤدّى عنك كتابتك وأتزوجك)).

قالت: نعم، يا رسول الله ﷺ، قد فعلت.

وقد جاء أبوها ليفتديها من الأسر بما عنده من إبل، وقد ترك جملاً من الفدية استحسنه لنفسه دون أن يعلم به أحد، فعندما أخبره رسول الله ﷺ، بما فعل أسلم.

وبعد أن كاتبت جويرية، رضى الله عنها، رسول الله ﷺ، أعتقها، ثم زوّجه إياها أبوها على مهر قدرة أربعمائة درهم، وعتق كل مملوك، من بنى المصطلق.

وأسلم بنو المصطلق جميعًا.

وأطلق المسلمون أسراهم وسباياهم من بنى المصطلق، وقالوا: أصهار رسول الله ﷺ، وكأن رسول الله ﷺ، رغب ذلك اختبارًا لإيمانهم، وحبّهم لرسولهم، وبذلهم فى سبيل الله.

وكان اسم جويرية (برّة) فغيّره رسول الله ﷺ، وسمّاها (جويرية)، إذ كره أن يُقال: (خرج من عند برّة).

عاش رسول الله ﷺ، مع جويرية، رضى الله عنها، خمس سنوات، ثم انتقل من الحياة الدنيا إلى الآخرة فى السنة الحادية عشرة من الهجرة، وعاشت هى بعده راضية مرضية منعمة عند الجميع مدة خمس وأربعين سنة إذ توفيت سنة ست وخمسين من الهجرة فى خلافة معاوية بن أبى سفيان، رضى الله عنهما، فى المدينة المنورة، وصلى عليها أمير المدينة يومذاك مروان بن الحكم.



٩ - أم حبيبة (رَضِى الله عَنْهَا)

آيات وكلمات

﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ ﴾ (الممتحنة : ٨).

وفسرت هذه الآيات الكريمة وتحدث عنها المفسرون فقال ابن عباس : فكانت المودة التى جعل الله عز وجل بينهم .تزوج النبى ﷺ أم حبيبة بنت أبى سفيان رضى الله عنهما ، فصارت أم المؤمنين، وصار معاوية خال المؤمنين.

وأم حبيبة رضى الله عنها كانت سيدة قوية الإرادة بإسلامها وصبرها على ما امتحنت فى زوجها عبيد الله بن جحش، وهى سيدة ذات عقل راجح، وعقيدة متينة. وأم حبيبة رضى الله عنها من مهاجرة الحبشة، ثبت فى وجه العواصف والأعاصير، ولم ترتد عن دينها رغم ما تعرضت له. وأم حبيبة رضى الله عنها أصبحت

فهر (قريش)
غالب
لؤي
كعب
مُرّة
كلاب
قصي
عبد مناف
هاشم — عبد شمس
عبد المطلب — أمية — ربيعة
عبد الله — حرب — عتبة
محمد رسول الله — صخر (أبو سفيان) — هند (زوجة أبي سفيان)
رملة

أمًّا للمؤمنين وهى فى هجرتها إلى الحبشة ولم تعد إلى المدينة بعد. رملة بنت أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر (قريش).

ولدت رملة، رضى الله عنها، فى مكة سنة خمس وعشرين قبل الهجرة، فهى أصغر سنًا من رسول الله، ﷺ، بثمان وعشرين سنة. وتزوج بـ(رملة) عبيدُ الله بن جحش، وهو ابن عمة رسول الله ﷺ، أميمة بنت عبد المطلب. وبُعث رسول الله ﷺ وأخذ يبلغ الرسالة، ويؤدى الأمانة، وبدأ أصحاب الوعى والعقل يدخلون فى دين لله، وكان ممن دخل بالإسلام أبناء عمّة رسول الله ﷺ، أميمة بنت عبد المطلب وهم: عبد الله بن جحش، وإخوته: عبيد الله، وعبد (أبوأحمد)، وزينب، وحمنة، كما دخلت كذلك زوجة عبيد الله وهي: رملة بنت أبى سفيان. وصلت الأخبار إلى أبى سفيان أن ابنته (رملة) زوجة عبيد الله بن جحش تبعت زوجها، واعتنقت الإسلام، فذهب إليها كى يثنيها عن عزمها، ويبعدها عن الإسلام، ولكن رملة، رضى الله عنها، أجابته بهدوء وإيمان: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، ولم تزد كلمة على ذلك، وحاول أبوسفيان أن يذكرها بمكانة أسرتها، ويرفعها على بنى هاشم، ولكن لم يستفد من ذلك شيئًا فالإيمان راسخ فى القلب ثابت فى النفس.

ووقف مشركو قريش فى وجه الدعوة إلى الإسلام، واتخذوا أساليب الضغط كلها من اضطهاد، وأذى، وقتل، فاضطر فريق من المسلمين إلى الهجرة إلى الحبشة، وكانت هجرتهم على مرحلتين، وكان ممن هاجر فى المرة الثانية عبيد الله بن جحش ومعه زوجته رملة بنت أبى سفيان، كذلك إخوته.

ويوم هاجرت رملة مع زوجها كانت حاملاً، وما إن استقروا فى الحبشة حتى وضعت حملها، وكانت أنثى فسمّتها (حبيبة) فكنيت بها، واشتهرت بكنيتها (أم حبيبة).

أخذ عبيد الله بن جحش زوج رملة بنت أبى سفيان يتردد على الرهبان والقساوسة ويطيل الجلوس عندهم فمالت نفسه إلى بعض ما يدعون، ولكن رملة، رضي الله عنها، بقيت محافظة على عقيدتها، ثابتة على إيمانها، وقد رأت فى منامها فى أحد الأيام أن شكل زوجها مشوه وعلى صورة بشعة، وهى تروى حلمها فتقول: رأيت فى النوم كأن عبيد الله بن جحش زوجى بأسوأ صورة وأكثرها تشويهًا، ففزعت وقلت: تغيرت والله حاله فإذا هو يقول حيث أصبح: يا أم حبيبة، إنى نظرت فى الدين، فلم أر دينًا خيرًا من النصرانية، وكنت قد دنت بها، ثم دخلت فى دين محمد، ثم قد رجعت إلى النصرانية، فقلت: والله ما خير لك وأخبرته بالرؤيا التى رأيتها له، فلم يحفل بها.

وهكذا ارتد عبيد الله بن جحش عن الإسلام، واعتنق النصرانية، وحاول أن يرد أم حبيبة عن الإسلام، ورغّبها فيما أضحى يدين به، ولكن محاولاته كلها باءت بالفشل، وأبت أم حبيبة أن تجيبه إلى ما يريد، وصبرت صبر المؤمنين.

ولم تقبل أم حبيبة، رضى الله عنها، أن تبقى مع إنسان كافرٍ، أوتجالسه، أوتُحادثه، فكان لا بد من الفراق والانفصال عن هذا الزوج الذى ارتد عن دينه واعتكفت أم حبيبة، رضى الله عنها، فى منزلها لا تستقبل أحدًا، ولا تقوم بزيارة أحد، إذ هى لا تستطيع الرجوع إلى مكة إذ لا يزال أبوها (أبوسفيان) أحد رؤوس الكفر، حيث لا يتركها لو رجعت حتى ترتدّ عن الإسلام، ومن الصعب أن ترتحل إلى المدينة فتعيش عالة على أخت زوجها وهى أم المؤمنين زينب بنت جحش، رضى الله عنها، فتوكلت على الله، وسلمت أمرها له، وبقيت فى الحبشة.

أما زوجها السابق عبيد الله بن جحش، فبقى بعيدًا يعيش على معاقرة الخمر، متمسكًا بنصرانيته التى مات عليها فى الحبشة بعد مدة قصيرة.

وصلت أخبار رملة (أم حبيبة) رضى الله عنها، إلى رسول الله، ﷺ وعرف ارتداد زوجها وموته على النصرانية، وثبات رملة على دينها، وحياتها مع ابنتها الصغيرة حبيبة، غريبة عن ديارها، بعيدة عن أهلها، لذا لا بد من إكرامها، ورأى عليه الصلاة والسلام أن أفضل إكرام لها، الزواج منها لرعايتها ورفع مكانتها تقديرًا لصدقها وإيمانها.

وكانت أم حبيبة، رضى الله عنها، تنتظر انتهاء عدّتها عسى أن يأتى الله بالفرج من عنده، وسمعت ذات يوم فى منامها صوتًا يُناديها: يا أم حبيبة، يا أم المؤمنين، فنهضت خائفةً ولكن سرعان ما عاد إليها الصحو، وفسّرت أنها ستكون زوجة لرسول الله، ﷺ، فحمدت الله، وسبحته، وتوكلت عليه، ولم يبق لانتهاء عدتها إلا بضعة أيام.

دعا رسول الله ﷺ فى المدينة عمرو بن أمية الضمري[1] إليه، وطلب منه أن يسير إلى الحبشة، ويقابل ملكها النجاشى، ويطلب منه أن يزوجه أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان، فانطلق ولما وصل إلى هناك اتجه إلى النجاشى، وطلب منه ما أمره به رسول الله ﷺ فوافق النجاشى، وبعث جاريته (أبرهة) إلى أم حبيبة.

كانت أم حبيبة (رملة) تجلس وحدها، وبينما هى تُفكر فى وحدتها إذ بالباب يُقرع، وإذ برسول النجاشى جاريته (أبرهة) تدخل عليها، وتقول لها: إن الملك النجاشى يقول لك: إن رسول الله ﷺ كتب إليه أن يزوجك له.

شعرت أم حبيبة بالغبطة والسرور، وأحست بالفرح والسعادة، وأجابت: بشرك الله بخير.

---

(١) عمرو بن أمية الضمري: عمرو بن أمية بن خلويلد بن عبد الله الضمريّ: صحابى شجاع، اشتهر فى الجاهلية، وشهد مع المشركين بدرًا وأحدًا، ثم أسلم، وحضر بئر معونة، فأسرته بنو عامر، وأطلقه عامر بن الطفيل، وعاش أيام الخلفاء الراشدين، وشهد وقائع كثيرة علت بها شهرته فى البسالة، وتوفى فى المدينة سنة ٥٥ هـ، فى خلافة معاوية، وقد روى عشرين حديثًا.

قالت الجارية (أبرهة) : يقول لك الملك : وكّلى من يُزوّجك، فأرسلت أم حبيبة إلى أحد أقاربها وهو خالد بن سعيد بن العاص الأموي[١]، رضى الله عنه، فوكّلته. ثم أعطت رملة لجارية النجاشى سوارين من فضة، وخلخالين وخواتم من فضة أيضا كانت فى أصابعها بما بشّرتها.

وفى مساء ذلك اليوم الذى كانت فيه تلك البشرى، أمر النجاشي[٢] من كان فى الحبشة من المسلمين أن يحضروا ومنهم جعفر بن أبى طالب، رضى الله عنه، فحضروا، فوقف النجاشى قائمًا، وقال: الحمد لله الملك القدوس، السلام المؤمن، المهيمن العزيز الجبار، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأنه الذى بشّر به عيسى بن مريم، أما بعد :

فإن رسول الله ﷺ كتب إلىّ أن أزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان، فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وقد أصدقتها أربعمائة دينار.

ثم قام وكيل أم حبيبة خالد بن سعيد بن العاص، رضى الله عنه، فقال: الحمد لله أحمده، وأستعينه وأستنصره، وأشهد أن لا إله إلا الله، أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولوكره الكافرون، أما بعد: فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وزوجته أم حبيبة بنت أبى سفيان، فبارك الله لرسوله ﷺ وبارك الله لها.

ودفع النجاشى الدنانير إلى خالد بن سعيد بن العاص فقبضها، ثم أراد المسلمون أن ينصرفوا، فقال لهم النجاشي: أجلسوا فإن سُنة الأنبياء — عليهم السلام — إذا تزوّجوا أن يؤكل طعام على الزواج، فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرّقوا.

---

(١) خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ: أحد السابقين إلى الإسلام، وهاجر إلى أرض الحبشة، وأقام بها بضع عشرة سنة، واستعمله رسول الله ﷺ على صنعاء، وأمّره أبو بكر على بعض الجيش فى غزو الشام، وقد هاجر مع جعفر بن أبى طالب من الحبشة إلى المدينة زمن خيبر فى شهر صفر من السنة السابعة للهجرة، واستشهد سنة ١٤هـ فى الشام أثناء قتال الروم.

(٢) النجاشي: اسمه أصحمة، أسلم، وحسن إسلامه، توفى فى حياة النبى ﷺ فصلى عليه بالناس صلاة الغائب، وسبب ذلك أنه مات بين قوم نصارى، ولم يكن عنده من يصلى عليه، لأن الصحابة الذين هاجروا إلى الحبشة كانوا قد خرجوا منها.

وأسلمت الجارية (أبرهة) وتروى أم حبيبة رملة، رضى الله عنها، خبر هذه الجارية، فتقول: لما وصل إلىَّ المال وهو مهرى من النجاشى، أرسلت إلى الجارية أبرهة التى بشّرتنى، فأتت، فقلت لها: يا أبرهة، إنى كنت قد أعطيتك ما أعطيتك بالأمس، ولا مال بيدى فهذه الخمسون مثقالاً، فخذيها فاستعينى واستغنى بها ولكن الجارية أبت ذلك و أخرجت حقًا[1]، فيه كل ما كنت أعطيتها، فردته على، وقالت: عزم على الملك ألا أزرك شيئًا، التى أقوم على ثيابه ودهنه، وقد اتبعت دين محمد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأسلمت لله عز وجل، وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بكل ما عندهم من العطر. قالت أم حبيبة: فلما كان الغد جاءتنى بعود[2]، وورس[3] عنبر فقدمت بذلك كله على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فكان يراه على فلا ينكره. قالت الجارية أبرهة: يا أم حبيبة، إن حاجتى إليك أن تقرئى رسول الله، صلى الله عليه وسلم منى السلام، وتعلميه أنى اتبعت دينه.

قالت أم حبيبة: ثم لطفت الجارية أبرهة بى وكانت هى التى جهزتنى، وكانت كلما دخلت علىَّ تقول: يا أم حبيبة، لا تنسى حاجتى إليك.

فلما قدمت على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أخبرته كيف كانت الخطبة، وما فعلت بى أبرهة، فتبسم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأقرأته منها السلام، فقال ﷺ: ((وعليها السلام ورحمة الله وبركاته)).

ولما بلغ أبا سفيان خبر زواج رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لأم حبيبة "رملة بنت أبى سفيان"، قال أبوسفيان: ذلك الفحل لا يقرع أنفه.

عادت أم حبيبة مهاجرة إلى المدينة سنة سبع من الهجرة مع ركب المهاجرين، وفيهم جعفر بن أبى طالب، رضى الله عنه، ومعه، وقد سر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بقدوم الغائبين.

---

(١) الحق: وعاء يوضع فيه الطيب أو الحلى.

(٢) العود: نوع من الطيب.

(٣) الورس: نبات أصفر يتخذ من الزعفران.

جاء أبوسفيان إلى المدينة ليؤكد عقد صلح الحديبية، ويزيد مدة الهدنة بين الفريقين، فلما وصل أبوسفيان إلى المدينة دخل على ابنته أم المؤمنين رملة (أم حبيبة)، رضى الله عنها، فذهب ليجلس على فراش رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فطوته عنه، فقال لها: يا بنية، ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش، أم رغبت به عني؟ قالت: بل هو فراش رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأنت مشرك نجس، قال: والله لقد أصابك بعدى شر. قالت: هدانى الله للإسلام، وأنت يا أبت سيد قريش وكبيرها، كيف يسقط عنك دخول فى الإسلام، وأنت تعبد حجرًا لا يسمع ولا يبصر؟ قال: يا عجباه! وهذا منك أيضًا؟ أأترك ما كان يعبد آبائى وأتبع دين محمد؟ ثم قام من عندها إلى قريش يجر ذيول الخيبة.

واستعد رسول الله ﷺ وتجهز المسلمون لفتح مكة وساروا إليها، والتقى العباس بن عبد المطلب بأبى سفيان، فأخذه إلى رسول الله ﷺ فأعلن إسلامه أمام رسول الله ﷺ ووصل الخبر إلى رملة (أم حبيبة) بنت أبى سفيان، رضى الله عنها، بإسلام أبيها فسرت سرورًا بالغًا. تابع المسلمون بقيادة رسولهم الكريم السير إلى مكة فدخلوها فاتحين، وأسلمت قريش، وعفا رسول الله ﷺ عما سبق منهم، وكسرت شوكة الشرك.

وأخذت أم حبيبة، رضى الله عنها تحفظ الآيات من كتاب الله، وأحاديث رسول الله ﷺ.

وكانت، رضى الله عنها، من العابدات الورعات. وأدركت خلافة أخيها معاوية، رضى الله عنه، وماتت فى المدينة سنة ٤٤هـ، وبذا تكون قد عاشت تسعًا وستين سنة.



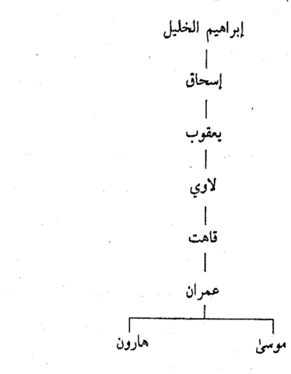
١٠- صفية بنت حيى بن أخطب (رَضِى الله عَنْهَا)

((إنك لابنة نبى، وإن عمك لنبى، وإنك لتحت نبى))

[الرسول ﷺ لصفية]

صفية بنت حُيى بن أخطب بن سعيه من نسل نبى الله هارون عليه السلام من سبط لاوى ابن نبى الله يعقوب عليه السلام، ابن نبى الله إسحاق عليه السلام ابن نبى الله إبراهيم الخليل عليه السلام.

وكان حيى بن أخطب من نسل من بقى على الديانة اليهودية، ومرت الأيام وسكن بعض اليهود فى يثرب (المدينة المنورة)، وكانوا يعودون إلى ثلاث قبائل يهودية، وهم: بنوقينقاع، وبنوالنضير، وبنوقريظة.



وبعد هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة كان حيى بن أخطب سيد بنى النضير فى المدينة. وبعد أن آخى رسول الله ﷺ بين المسلمين من مهاجرين وأنصار وعاهد يهود حرصًا على الأمن والهدوء، والعمل والراحة، ولكن يهود لا عهد لهم ولا ذمة فهمُّهم وراء مصالحهم وعملهم وراء منافعهم وحرصهم على جمع المال وتأمين الشهوة، وسلاحهم المال والجنس، ثم إن المبادئ السامية التى يحملها المسلمون ويسعون لتطبيقها تُناقض أفكار يهود ومبادئهم، ولكن ما دام ليس ليهود قوة ولا سلطان فإنهم يُظهرون الخنوع، ولكن لا يتركون الفساد وعمل السوء بالسر، ولا التخريب والفتن.

ولدت صفية فى السنة العاشرة قبل الهجرة فهى، أصغر سنًّا من رسول الله ﷺ بثلاث وأربعين سنة. تزوجت من سلام بن مشكم بن أبى الحقيق، ثم فارقها بعد مدة، وخلفه عليها كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق. وفتح المسلمون حصون منطقة (الشقّ) فى خيبر بعد قتال عنيف، وأخذوا منها السبايا، ومنهنّ صفيّة بنت حيى بن أخطب، وكانت زوجة كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق، ووقعت فى سهم دحية الكلبى، وأراد رسول الله ﷺ أن تكون له فأخذها، وعوّض دحية عنها بسبعة رؤوس من السبى، وبعد أن أخذها رسول الله، ﷺ أعتقها، وخيّرها بين الإسلام واليهودية، فاختارت الإسلام، وعتقها صداقها، إكرامًا لأهلها عسى أن يُسلموا، وتزوجها. وعُرفت رضى الله عنها، بالصدقة والجود، فكان المال لا يستقر فى كفّها، وتعرف أن ما عند الله خير وأبقى، وتُدرك ما للصدقة من عظيم الأثر فى النفوس، وما لها من ثواب عظيم عند الله، ولذا فإنه قد كانت لها دار فتصدقت بها فى حياتها طلبًا لرضوان الله ومرضاته، واقتداءً بالنبى ﷺ. عاشت صفية، رضى الله عنها، أربعين سنةً بعد رسول الله ﷺ، وتوفيت فى السنة الخمسين من الهجرة فى خلافة معاوية بن أبى سفيان، رضى الله عنهما، ودُفنت فى البقيع فى المدينة المنورة إلى جوار أمهات المؤمنين.

قُتل أبوها حُيى بن أخطب فى السنة الخامسة للهجرة فى غزوة بنى قريظة حيث كان عند حلفائه يهود بنى قريظة يُحرضهم على نقض عهد المسلمين. وقُتل زوجها الأول سلام بن مشكم بن أبى الحُقيق فى بيته فى خيبر بيد خمسة من الأنصار من المدينة لأنه كان من زعماء بنى النضير الذين حزّبوا الأحزاب على المسلمين فى غزوة الأحزاب (الخندق)، وكان مقتله فى سنة ست من الهجرة.

وقُتل زوجها الثانى كنانة بن الربيع بن أبى الحُقيق فى خيبر فى السنة السابعة من الهجرة.



١١- ميمونة بنت الحارث (رَضِيَ اللهُ عَنْهَا)

أقوال فى ميمونة :

- قال رسول الله ﷺ : ((إن الأخوات لمؤمنات)).
- أم ميمونة أكرم عجوز فى الأرض أصهارًا.
- ميمونة رضى الله عنها تقية نقية، تصل الرحم.
- ميمونة هى آخر امرأة تزوجها رسول الله ﷺ - يعنى مِمَّن دخل بهن (ابن سعد فى الطبقات).
- دخلت ميمونة البيت النبوى ولم تتجاوز السادسة والعشرين، (الذهبى فى ترجمتها).
- ذهبت والله ميمونة... أما إنها والله كانت من أتقانا وأوصلنا للرحم. (عائشة بنت أبى بكر).

ميمونة بنت الحارث بن حَزن بن بُجَير بن الهُزم بن رُوَيبة بن عبد الله ابن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية. وأمها هند بنت عوف بن زهير، ولدت سنة ٢٩ قبل الهجرة (٥٩٣م) فهى أصغر سنًا من رسول الله ﷺ، بأربع وعشرين سنةً. تزوّجت قبل الإسلام مسعود بن عمرة الثقفى ففارقها بعد مدة، وتزوجت بعده أبا رُهم بن عبد العُزّى العامرى والد أبى سبرة ابن عمّة رسول الله ﷺ، بـرّة بنت عبد المطلب، فمات عنها أبو رُهم. وتزوج بها رسول الله ﷺ، بعد الفراغ من عمرة القضاء فى السنة السابعة من الهجرة وبعد الانتهاء من مناسك العمرة. وكانت ميمونة، رضى الله عنها فى مكة وسمعت

ما قيل فتأثرت، وتمنّت أن تنال شرف الزواج من رسول الله ﷺ، وتُصبح أُمًّا للمؤمنين، ولم تستطع الصبر فذكرت ذلك لأختها لبابة أم الفضل زوجة العباس، وأنها تحلم أن تكون زوجًا للرسول فينال بنو هلال شرف هذه المصاهرة كما نال الآخرون وذكرت بدوره إلى ابن أخيه جعفر بن أبى طالب ﷺ، فحدّث جعفر بذلك رسول الله ﷺ، فأرسل رسول الله ﷺ، أوس بن خولى وأبا رافع إلى العباس ليزوّجه ميمونة، فحدّثها العباس فجعلت أمرها للعباس ﷺ. وذُكر أنها، رضى الله عنها، ركبت بعيرها وانطلقت إلى حيث كان رسول، ﷺ، فى قُبّته بالأبطح، فما أن وقعت عيناها عليه حتى قالت: البعير وما عليه لله ولرسوله. وتولى العباس ﷺ، ثلاثة أيام، وهوالأجل المقرّر مع مشركى قريش، فلما كان صباح اليوم الرابع، أتى حُويطب بن عبد العزّى، وقد أسلم فيما بعد.

ولما خرج رسول الله، ﷺ، من مكة، وخلّف مولاه، أبا رافع ليحمل ميمونة بنت الحارث إليه حين يمسى، وخرج أبو رافع فى المساء بميمونة ليلحق رسول الله، ﷺ، فى سرف[1]، وهناك أقيمت خيمتها، وبنى بها رسول الله ﷺ. كان اسمها (برّة) فسمّاها رسول الله، ﷺ، (ميمونة)، وسماها كذلك إذ كان زواجها ميمونًا حيث كان بعد دخوله مكة لأول مرّةٍ بعد أن خرج منها مهاجرًا. كانت ميمونة، رضى الله عنها، آخر امرأة تزوّجها رسول الله ﷺ.

دخلت ميمونة، رضى الله عنها، فى عداد أمهات المؤمنين ولم تتجاوز السادسة والثلاثين من عمرها (٢٩ق.هـ - ٧ هـ = ٣٦) وعاشت مع رسول الله ﷺ، ما يقرب من خمس سنوات (٧هـ - ١١ هـ) ولم تُنجب له. ومَرِض رسول الله ﷺ،

(١) سرف: موقع شمال غربى مكة يبعد عنها عشرين كيلو مترًا، وقريب من عسفان.

وهوعندها فى حجرتها ، ثم انتقل إلى بيت عائشة ، رضى الله عنها ، ليُمرّض فيه ، وذلك بعد أن أخبر نساءه واستأذنهنّ وانتقل إلى الحياة الآخرة ، وهوفى بيت عائشة ، رضى الله عنها . وشهدت أُمّ المؤمنين عائشة ، رضى الله عنها ، لميمونة بصفات كريمةٍ منها التقوى ، وصلة الرحم ، فقد قالت فى حقها بعد وفاتها : ذهبت والله ميمونة ، وأما إنها كانت من أتقانا لله ، وأوصلنا للرحم . دخل على ميمونة ، رضى الله عنها ، أحد أبناء أختها ، فوجدت منه ريح شراب ، فقالت : لئن لم تخرج لأرسلنّ إلى المسلمين فيجلدونك ، لا تدخل على أبدًا . مرضت ميمونة ، رضى الله عنها ، بمكة ، ثم طلبت فحُملت إلى (سَرَف) حيث بنى بها رسول الله ﷺ ، فماتت سنة إحدى وخمسين من الهجرة ، فى خلافة معاوية بن أبى سفيان ، رضى الله عنهما ، فصلى عليها عبد الله بن عباس ، رضى الله عنهما ، ونزل فى قبرها ولدا أختيها عبد الله بن عباس ، ويزيد بن الأصم ، وبذا تكون قد عاشت أربعين سنةً ، بعد رسول الله ﷺ .



١٢- مارية بنت شمعون "القبطية" (رَضِىَ اللهُ عَنْهَا)

من هى مارية القبطية قبل الإسلام؟

للإجابة عن هذا السؤال نجد المصادر تقول :

فى قرية من صعيد مصر، تدعى (حفن)، قريبة من بلدة (أنصنا) الواقعة على الضفة الشرقية للنيل تجاه الأشمونين، ولدت (مارية بنت شمعون) لأب قبطى، وأم مسيحية رومية، وقد أمضت مارية بقريتها (حفن) هذه سنوات طفولتها، وفى مطلع الشباب انتقلت مع أختها (سيرين) إلى قصر المقوقس عظيم مصر.

من هى مارية القبطية بعد الإسلام؟

- مارية القبطية رضى الله عنها الجميلة الطلعة، الباسمة المشرقة، سريرة رسول الله ﷺ، ملك يمينه، حلّت له بملك اليمين.

- مارية القبطية سرية النبى ﷺ، وأم ولده إبراهيم، طيبة طاهرة، صاحبة منزلة رفيعة عند نبى الله ﷺ.

- مارية القبطية أسلمت وحسن إسلامها، وعاشت فى بيت النبى ﷺ، عزيزة كريمة، مرعية الجانب، وهى من أهل البيت.

مارية بنت شمعون القبطية ليست أما للمؤمنين بل هى جارية عند رسول الله ﷺ، بعد صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ، وقريش، أرسل رسول الله ﷺ، للملوك والأمراء والحكام فى جزيرة العرب والمجاورين رسلاً تحمل كتبًا يُبيّن الدعوة الإسلامية، ويدعوهم لالتزام الحق، والسير على سواء السبيل، ومن هؤلاء الذين أرسل لهم :

▪ هرقل إمبراطور الدولة الرومانية البيزنطية.

▪ كسرى أبرويز ملك الدولة الفارسية.

▪ النجاشي ملك الحبشة.

▪ المقوقس جُريج بن متّى حاكم الإسكندرية والنائب العام للدولة البيزنطية في مصر.

وكان رسول نبي الله ﷺ، إلى المقوقس هوحاطب بن أبي بلتعة، رضي الله عنه، وقد تكلم حاطب وأجاد، واستمع فأحسن الاستماع، فسُرّ المقوقس غاية السرور، وقال له: أنت حكيم جاء من عند حكيم، وأرسل معه هدايا رسول الله ﷺ، وهذه الهدايا هي:

١. جاريتان هما: مارية بنت شمعون، وأختها سيرين.

٢. بغلة بيضاء.

٣. أثواب مصرية.

٤. خصي يُدعى مابور.

وفي طريق عودة حاطب بن أبي بلتعة إلى المدينة عرض على مارية الإسلام ورغّبها فيه فأسلمت، وأسلمت أختها سيرين، ووصل الركب إلى المدينة، فاختار رسول الله ﷺ، مارية فَنَعِمَت برعايته، وأعطى أختها سيرين للصحابي حسان بن ثابت رضي الله عنه.

لم تكن مارية زوجةً لرسول الله ﷺ، بل كانت مُلك يمينه، ووجدت رعايةً طيّبةً من سيّدها، وبعد مرور مدةٍ زفّت مارية رسول الله ﷺ، نبأ حملها فامتلأ قلبه فرحًا، وكان قد قارب الستين من العمر.

وبعد مدة وضعت حملها كان غلامًا سمّوه (إبراهيم) وكانت قابلتها أم رافع سلمى، وبهذه الولادة أصبحت مارية حرّة حيث أعتقها ولدها، وتذكّر رسول الله ﷺ، خديجة، رضى الله عنها، وولادتها، وتصدّق الرسول على مساكين المدينة، وفى اليوم السابع من الولادة عقّ له بكبش، وحلق رأسه، وتصدق بوزن شعره فضةً على المساكين.

وعاش إبراهيم سنةً ونصف السنة، ثم توفى، رحمه الله وحزنت مارية على ولدها حزنًا شديدًا وأصابها ألم فهوّن عليها وواساها رسول الله ﷺ، ومما قاله لها مواسيًا: **((إن له مرضعًا يتمّ رضاعه فى الجنة))**.

ومن المصادفات العجيبة التى حصلت يوم موت إبراهيم أن كُسفت الشمس، فظنّ قوم من المسلمين أن كسوفها إنما كان لموت إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، وقالوا: كُسفت الشمس لموت إبراهيم، ولما بلغ رسول الله ﷺ، ما قاله الناس، وقف خطيبًا فقال: **((إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا تخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله وإلى الصلاة))**.

أنزل الله سبحانه وتعالى صدر سورة التحريم بسبب مارية القبطية.

كانت عائشة وحفصة، رضى الله عنهما متحابتين، فذهبت حفصة، رضى الله عنها، إلى بيت أبيها فتحدّثت عنده، فأرسل النبى، ﷺ، إلى جاريته مارية، فظلّت معه فى بيت حفصة وكان اليوم الذى يأتى فيه عائشة، فرجعت حفصة فوجدتهما فى بيتها، فجعلت تنتظر خروجها، وغارت غيرةً شديدةً، فأخرج رسول الله ﷺ، جاريته، ودخلت حفصة، فقالت: قد رأيت من كان عندك، والله لقد سؤتنى، فقال النبى ﷺ: ((لأرضينّك، فإنى مسرّ إليك سرًّا فاحفظيه)).

قالت: ما هو؟

قال: ((إنى أُشهدك أن جاريتى هذه على حرام رضىً لك)).

فانطلقت حفصة إلى عائشة، فأسرّت إليها: أن أبشرى أن رسول الله ﷺ، قد حرّم عليه جاريته.

فلما أخبرت حفصة بسر النبى ﷺ، أظهره الله عليه.

وتوفى رسول الله ﷺ، وهوعنها راض، وكان الخلفاء الراشدون، رضى الله عنهم، يرعون حقها، وينفقون عليها.

توفيت مارية، رضى الله عنها، فى شهر محرم من السنة السادسة عشرة فى خلافة الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ، وصلى عليها عمر ﷺ، ودُفنت بالبقيع إلى جانب ابنها إبراهيم، وجانب أمهات المؤمنين.



غيرة أزواجه ﷺ

وما حدثَ بينهنَّ رضى الله عنهن من الغيرةِ والتنافس لكسب المزيد من محبةِ النبى ﷺ لهنَّ، أمرٌ طبيعى وفطرى عند جميع النساء، فقد كان ﷺ يحرصُ على المساواة بين نسائه فيسوى بينهنَّ فى المعاملة قدر ما يستطيعُ.

وقد أوجبَ الله تعالى التسويةَ وكلَّفَ بها المؤمنين، فقال: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾﴾ (النساء: ٣)، فقد أمر الله تعالى بالاقتصار على الواحدة عند خوف الجَوْرِ، فدلَّ على إيجابه.

والمراد منه التسوية بين الزوجات فى النفقة والصحبة، أى المعاشرة الزوجية والمؤانسة، لا فى المحبة؛ لأنَّ المحبةَ من أعمال القلب، ولا سلطان للإنسان على قلبه، قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ (الأنفال: ٢٤)، وقال أيضًا: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾ (النساء: ١٢٩).

ورغم المعاملة الطيبة التى حظيت بها أمهاتُ المؤمنين عند النبى ﷺ، ورغم لطفه بهنَّ، وحرصه الشديد على التسوية بينهنَّ فى المعاملة فقد أدركهنَّ ما يدرك الضرائرَ من الغَيرة والمنافسة، ففى الحديث عن عائشة زوج النبى ﷺ قالت: أرسل أزواجُ النبيﷺ فاطمة بنت رسول الله ﷺ فاستأذنتْ عليه وهومضطجعٌ معى، فأذنَ لها.

فقالت: يا رسول الله! إنَّ أزواجك أرسلنني إليك، يسألنك العدلَ فى ابنةِ أبى قُحافة. وأنا ساكتةٌ، قالت: فقال لها رسول الله ﷺ: ((أى بنية ألستِ تحبينَ ما أُحبُّ؟))، فقالت: بلى، قال: ((فأَحِبِّى هذه)).

قالت: فقامت فاطمة حين سمعتْ ذلك من رسول الله ﷺ فرجعتْ إلى أزواج النبى ﷺ فأخبرتهن بالذى قالتْ، وبالذى قال لها رسول الله ﷺ.

فقلن لها: ما نراكِ أغنيتِ عنَّا مِنْ شيءٍ، فارجعى إلى رسول الله ﷺ فقولى له: إنَّ أزواجَكَ ينشدنكَ العدلَ فى ابنة أبى قحافة، فقالت فاطمة: والله لا أكلمه فيها أبدًا.

قالت عائشة: فأرسل أزواجُ النبى ﷺ زينب بنت جحش زوج النبى ﷺ، وهى التى كانت تسامينى منهنَّ فى المنزلة عند رسول الله ﷺ، ولم أر امرأةً قط خيرًا فى الدين من زينب، وأتقى لله، وأصدق حديثًا، وأوصلَ للرحم، وأعظم صدقةً، وأشدَّ ابتذالاً لنفسها فى العمل الذى تصدقُ به، وتقربُ به إلى الله تعالى، قالت فاستأذنتْ على رسول الله ﷺ ورسولُ الله ﷺ مع عائشة على الحالة التى دخلتْ فاطمة عليها وهو بها، فأذنَ لها رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إنَّ أزواجَك أرسلننى إليك، يسألنك العدلَ فى ابنة أبى قحافة.

المتظاهرتان عليه من أزواجه ﷺ:

ومـن آثـار غيرةِ أزواجِه ﷺ أنَّ سيدتين منهنّ، وهما عائشةُ وحفصةُ رضى الله عنهما، تظاهرتا عليه، حتى أنزل الله فى ذلك قولَه الكريم قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾ (التحريم: ٣).

ولا يخفى ما فى خطاب الله تعالى لهما من عتابٍ وتأديبٍ، فقوله: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ﴾ أي: إن تتوبا إلى الله فهو الواجبُ عليكما، فقد وجدَ منكما ما يوجبُ التوبةَ، وهو ميل قلوبكما عن الحقّ، فقد سرّهما ما كره رسول الله ﷺ، وهوالامتناع عن شرب العسل عند السيدة زينب رضى الله عنها.

﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾ أي: وإن تعاونا على إيذاء النبى ﷺ بسبب الإفراط بالغيرة، فإنَّ الله وليُّه وناصره، وجبريلُ وليُّه أيضًا وناصره، وكل من صلح من المؤمنين.

فما أعظمَ النبى ﷺ، وما أكرمَه على الله تعالى، فمكانتُه ﷺ رفيعةٌ عاليةٌ فـى الـملأ الأعلى وبين المؤمنين فى الأرض. وأفردت الآية جبريل بالذكر تعظيمًا له، وتنبيهًا على علو منزلته ومكانته.

وعن أنس رضي الله عنه: قال عمر رضى الله عنه: اجتمع نساء النبى ﷺ فى الغيرة عليه، فقلتُ لهنَّ: عسى ربه إن طلقكنّ أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن. فنزلت

هذه الآية وهي: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾﴾ (التحريم: ٥).

تشريع أحكام خاصة به ﷺ مع أزواجه:

ومما أكرم الله تعالى به النبى ﷺ أنّه سبحانه شرع أحكامًا خاصة فى تعامله مع أزواجه، خصّه تعالى بها فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ (الأحزاب: ٥٠) أي: مهورهن.

وقوله: ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ أي: وأحللنا لك أيضًا الجوارى المملوكات مما فتح الله عليك.

وقوله: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ أي: وأحللنا لك النساء القرشيات، اللاتى هاجرن إلى المدينة المنورة.

وقوله: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: وأحللنا لك امرأة مؤمنة وهبت نفسها للنبى ﷺ ليتزوجها من غير مهر، فتنال بذلك شرف الزواج منه ﷺ، وهوحكم خاص به دون سائر المؤمنين، وهذا ما أرادت الآية إبرازه.

فللنبى ﷺ أن يتزوجَ من النساء المذكورات ما شاء بمهر أو بغير مهر، ولهذا قال تعالى بعد ذلك: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾﴾ (الأحزاب: ٥٠)، أي: قد علمنا ما أوجبنا على المؤمنين من حقوق لأزواجهم

وإمائهم، فقد فرض الله تعالى على المؤمنين من شروط العقد وحقوقه ما لم يفرض عليه ﷺ تكرمةً له وتوسعةً عليه.

واللواتي وهبن أنفسهنَّ للنبي ﷺ كثيراتٌ، ومع ذلك ما تزوج ﷺ منهن. قال ابن عباس: لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة وهبت نفسها له.

وكذلك أكرمه تعالى أيضًا في معاملته لأزواجه: فلم يوجب عليه أن يقسم بينهن كما أوجب على غيره، فقال سبحانه: ﴿ ۞ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ﴾ (الأحزاب: ٥١)، أي: تؤخّر من تشاء من أزواجك وتترك مضاجعتها، وتضم إليك من تشاء منهنّ.

وقوله: ﴿ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾ أي: وإذا أردت أن ترجع إلى مضاجعة من عزلتَ من أزواجك فلا حرجَ عليك في ذلك، والأمرُ مفوضٌ إلى مشيئتك.

وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ﴾ أي: ما ذكر من تفويض الأمر إلى مشيئتك أقرب إلى قرة عيونهن، وقلة حزنهن، ورضاهن جميعًا؛ لأنه حكم من الله تعالى، فلتطمئن به نفوسهنَّ، ويذهب منها التنافس والغيرة.

وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ ﴾ (الأحزاب: ٥١)، أي: والله يعلمُ ما في الضمائر والخواطر، فاجتهدوا في دفع الخواطر والأفكار السيئة.

ودلت الآية على أنَّ الله تعالى ما كلّفَ النبى ﷺ أن يقسم بين أزواجه، ومع ذلك كان يقسم بينهن تطوّعًا، حتى إنّه كان - كما قالت السيدة عائشة رضى الله عنها - يستأذن في يوم المرأة مِنّا، بعد أن أُنزلت عليه هذه الآية: ﴿ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ﴾ ومرّ معنا أنَّ النبى ﷺ كان يقسم بين نسائه فيعدلُ ويقول: ((اللهمَّ هذا قسمى فيما أملكُ، فلا تلمنى فيما تَمْلِكُ ولا أملك)).

التخيير والاختيار:

أمر الله تعالى النبى ﷺ أن يخيّرَ نساءَه عندما سألنه أن يوسّعَ عليهن فى المعيشة، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الأحزاب: ٢٨-٢٩).

فقد كان أزواجُ النبى ﷺ يشاركنه شِدّةَ العَيْشِ، التى كان عليه الصلاة السلام يحياها، ولما أعزّ الله نبيّه عليه الصلاة والسلام، وأظهر دينه بعد فتح مكة، وكثرت الغنائم، ووسع الله على المسلمين، طلبَ أزواجُ النبى ﷺ منه أن يوسّعَ عليهنَّ فى العيش، ولكنّه عليه الصلاة والسلام اختار لنفسِه ولأزواجه عيشةَ الكفاف، وبقى محافظًا عليها، منذ بدأ يدعو إلى الله سبحانه، فلمّا سألنه توسيعَ النفقة غضبَ عليه الصلاة والسلام منهنَّ، واعتزلهنَّ فى غرفة عالية له، وأقسمَ ألا يدخلَ عليهنّ شهرًا.

وفى أثناء ذلك أنزل الله عليه آيتى التخيير، فمكث ﷺ تسعة وعشرين يومًا، ثم دخل على السيدة عائشة فقالت: أليسَ كنتَ قد آليتَ شهرًا فعدة الأيام تسع وعشرون، فقال رسول الله ﷺ: ((الشهر تسع وعشرون)) أى هذا الشهر.

وروى البخارى عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ جاءها حين أمره الله تعالى أن يخيّر أزواجه، قالت: فبدأ بى رسول الله ﷺ فقال: ((إنىَّ ذاكرٌ لك أمرًا فلا عليك أن لا تستعجلى حتى تستأمرى أبويك)) وقد علمَ أنَّ أبوى لم يكونا يأمرانى بفراقه. قالت: ثم قال: ((إنَّ الله تعالى قال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الأحزاب: ٢٨ـ ٢٩)، فقلتُ له: ففى أى هذا أستأمرُ أبويَّ؟ فإنِّى أريدُ الله ورسولَه والدارَ الآخرة.

وفى روايةٍ زادت عائشة ـ رضى الله عنها ـ فقالت: وأسألك ألا تذكرَ لامرأةٍ مِنْ نسائِكَ ما اخترتُ.

فقال ﷺ: ((إن الله لم يبعثنى معنِّفًا، ولكن بعثنى معلِّمًا ميسِّرًا، لا تسألنى امرأةٌ منهنَّ عما اخترتِ إلا أخبرتُها)) ولقد اخترنَ كلهنَّ رضى الله عنهن اللهَ ورسولَه والدارَ الآخرةَ، فكافأهنَّ سبحانه على اختيارهنَّ، فكرَّمهنَّ أحسنَ تكريم، إذ وصلنَ بعد هذا الاختيار إلى مرتبة الإحسان بقوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الأحزاب: ٢٩).

الحجرات النبوية وحرمتها :

أثبتت الآياتُ الكريمةُ لبيوتِ النبى ﷺ حرمةً مخصوصةً، وشرعت أحكامًا تنظم دخول الناس إليها وجلوسهم فيها، وقد كانت قبل هذه الآيات مثابةً للناس، وخاصةً أصحاب الحاجات: قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ ﴾ (الأحزاب: ٥٣)، أي: لا تـدخلوا بيوت النبى ﷺ بغير إذن، وإن أذنَ لكم بالدخول إلى طعام، فلا تدخلوا قبل نضج الطعام، وتمكثوا فيها تنتظرون نضجَه.

﴿ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ ﴾ أي: إذا أكلتم فاخرجوا من البيت وتفرقوا.

﴿ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ ﴾ أي: ولا تطيلوا الجلوس ليستأنس بعضُكم بحديثِ بعضٍ، فإنَّ جلوسَكم فى بيتِ النبى ﷺ يؤذيه، ويضيّق عليه وعلى أهله، وهوعليه الصلاة والسلام يستحيى من إخراجكم، فلا يحملنَّـكم شدةُ حيائه على الإثقالِ عليه.

﴿ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ ﴾ أي: إنّ إخراجكم حقٌّ لا ينبغى أن يستحيا منه، ولهذا أمركم الله بالخروج.

ثم أكدت الآياتُ حرمةَ أمهاتِ المؤمنين، فأوجبتْ على أصحاب الحاجاتِ أن يكلموهنَّ من وراء حجاب: ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ﴾ أي: فلا يجوز لأحدٍ أن ينظرَ إلى إحدى أمهات المؤمنين متنقبةً كانت

أوغير متنقبة ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ أي: أطهر من الريب والخواطر الخبيثة ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾ (الأحزاب: ٥٣)، أي: ذنبًا عظيمًا، وهذا من إعلام تعظيم الله لرسوله ﷺ وإيجاب حرمته حيًا وميتًا.

وصف الحجرات النبوية:

كان الداخلُ إلى المسجد النبوى على عهده ﷺ يرى بيوتًا من جريدِ النخل مستورةً، مصفوفةً تسعَ حجرات فى شرقى المسجدِ وشماليه وقبليه، ولمْ يُبْنَ منها شيءٌ جهة الغرب. وأبواب الحجرات شارعةً إلى المسجد.

وضُمّتِ الحجراتُ إلى المسجد إلا حجرة السيدة عائشة، فقد بقيت معزولةً عن المسجد؛ لأنَّ فيها دفن النبى ﷺ وصاحباه، ولا تزال إلى الآن فى ظلالِ القُبةِ الخضراء، أنسًا لأرواح المؤمنين، وسكنًا لقلوب المشتاقين، يسعونَ إليها من مشارق الأرض ومغاربها.

كشف شبهة وجود قبر النبى ﷺ فى المسجد

س: كيف نجيب عُبَّاد القبور الذين يحتجون بدفن النبى ﷺ فى المسجد النبوي؟!

ج: الجواب عن ذلك من وجوه:

●الوجه الأول: أن المسجد لم يبن على القبر؛ بل بنى فى حياة النبى ﷺ.

●الوجه الثاني: أن النبى ﷺ لم يدفن في المسجد حتى يقال: إن هذا من دفن الصالحين، بل دفن ﷺ فى بيته.

●الوجه الثالث: إن إدخال بيوت الرسول ﷺ وفيها بيت عائشة ـ رضى الله عنها ـ مع المسجد، ليس باتفاق الصحابة، بل بعد أن انقرض أكثرهم وذلك فى عام أربعة وتسعين هجرية تقريبًا؛ فليس مما أجازه الصحابة؛ بل إن بعضهم خالف فى ذلك. وممن خالف أيضًا: سعيد بن المسيب ـ من التابعين.

●الوجه الرابع: أن القبر ليس فى المسجد حتى بعد إدخاله؛ لأنه فى حجرة مستقلة عن المسجد؛ فليس المسجد مبنيًا عليه، ولهذا جعل هذا المكان محفوظًا ومحوطًا بثلاثة جدران، وجعل الجدار فى زاوية منحرفة عن القبلة أى أنه مثلث، والركن فى الزاوية الشمالية حيث لا يستقبله الإنسان إذا صلى؛ لأنه منحرف، وبهذا يبطل احتجاج أهل القبور بهذه الشبهة[1].

---

(١) الشيخ ابن عثيمين ـ مجموع فتاوى ورسائل (٢/٢٣٢/٢٣٣) من الفتاوى الشرعية فى المسائل العصرية [فتاوى علماء البلد الحرام].

أهل البيت

نوّه الله تعالى بفضلهم فى قوله الكريم: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ (الأحزاب: ٣٣).

ولا شك أنَّ البيت المراد فى الآية الكريمة هو بيت رسول الله ﷺ، وجاء ذكره فى الآية بدون وصف ولا إضافة، تكريمًا وتشريفًا لرسول الله ﷺ، كأن بيته ﷺ هوالبيت الوحيد فى هذا العالم المستحق لهذه الصفة.

كما جاء ذكر أهل البيت أيضًا فى سورة هود فى قوله تعالى وهو يتحدث عن نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ (هود: ٧٢ - ٧٣).

وهذا يدلُّ على أنَّ المراد من أهل البيت، أهل بيت النبوة، الذى تمتد شجرته الكريمة فى أعماق الزمان، من عهد والد الأنبياء إبراهيم عليه السلام إلى خاتمهم سيدنا محمد ﷺ.

ولقد شرّفَ الله سبحانه وتعالى أمهات المؤمنين رضى الله عنهن وأكرمهنَّ بالانتماء إلى هذا البيت الكريم، عندما تشرفنَ بالزواج من النبى ﷺ، فالآيةُ نزلتْ بسببهنَّ، والخطابُ موجهٌ إليهنَّ، وهذا نصٌّ فى دخولهنَّ فى أهل البيتِ، لأنهنَّ سببُ نزول الآية، وسببُ النزولِ داخلٌ فيها قولاً واحدًا.

ففى ((صحيح البخارى)) عن أبى هريرة رضى الله عنه: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله عليه ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ (الشعراء: ٢١٤)، قال: **((يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئًا، يا بنى عبد مناف،**

لا أغنى عنكم من الله شيئًا ، يا عباس بن عبد المطلب لا أُغني عنك من الله شيئًا ، ويـا فـاطـمة بنت محمد سليني ما شئتِ مـن مـالـى ، لا أغـنى عنك من الله شيئًا)) .



بنوه وبناته ﷺ

ولدت خديجة لرسول الله ﷺ أولاده كلهم إلا إبراهيم الذى ولد بالمدينة من مارية القبطية. وأكبر بنيه ((القاسم)) وبه يكنى وهو أول من مات من ولده ثم ولدت له زينب ثم رقية، ثم أم كلثوم ثم فاطمة الزهراء ثم ولد له فى الإسلام ((عبد الله)) وهوالطيب والطاهر ومات بعد القاسم. أما ((إبراهيم)) فولد سنة ثمان من الهجرة ومات فى سنة عشر من الهجرة، وبناته كلهن أدركن الإسلام فأسلمن وهاجرن معه ﷺ.

والمشهور عند جمهور المسلمين أن له ولدين من خديجة هما: (القاسم، وعبد الله) وما الطيب والطاهر سوى لقبين لعبد الله. وكان العاص بن وائل السهمى إذا ذكر رسول الله قال لقومه دعوه فإنما هو رجل أبتر لا عقب له لو مات لانقطع ذكره، فأنزل الله تعالى سورة ((الكوثر)) أى أن من أبغضك هو الأبتر، وأن ذكرك مرفوع على المنابر إلى آخر الدهر يبدأ بذكر الله ويُثنَّى بذكرك. فمثلك لا يقال له الأبتر، وإنما الأبتر هو شانئك المنسى فى الدنيا والآخرة وإن ذكر ذكر باللعن. أما الشقيقات الأربع فقد خرجن إلى الدنيا فى أكرم منبت، واستقبلهن البيت الكريم استقبالاً لم تظفر بمثله لداتهن فقد كن ثمرة زواج قام على الوفاء والسكينة والمودة الخالصة، يرى فيهن الأب صورة لطيفة من زوجته التى أنسته بحنانها الغامر كل ما ذاق فى طفولته من يتم، وكانت له عوضًا جميلاً عما قاسى من حرمان. فالشقيقات الأربع هن[1]:

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام جـ١ ص٢٠٢، موسوعة آل النبى د/ بنت الشاطئ ص ٤٦١-٤٦٧، محمد رسول الله ﷺ محمد رضا - ص٢٣٦.

زينب بنت محمد ﷺ(١)

لم تكن جاوزت العاشرة من عمرها حين رنت إليها عيون الهاشميين وتنافست بيوتات مكة على الظفر بها عروسًا. فتقدم ابن خالتها أبوالعاص بن الربيع أحد رجال مكة المعدودين شرفًا ومالاً، وكانت السيدة خديجة تنزله منزل الابن. تقدم أبو العاص إلى رسول الله ﷺ يعرب له عن رغبته فى الزواج من زينب، فكان جوابه نعم الصهر الكفء. رزقت منه بولديها ((على وأخته أمامة)).

كانت موقعة بدر وأذيعت أسماء الأسرى فبعث ذووهم فى الفداء، وكان أبو العاص ذا مال وقد أراد أهله أن يغلوا فى فدائه لكن زينب آثرت أن تفديه بما هو أعز من المال: تقدم عمر أخو أبى العاص فقال للنبي ﷺ: بعثتنى زينب بنت محمد، بهذا فى فداء زوجها، وأخرج من ثيابه صرة بها قلادة لم يكد رسول اللهﷺ يراها حتى رق له رقة شديدة. لقد كانت قلادة خديجة أهدتها إلى ابنتها زينب يوم عرسها. وتكلم رسول الله ﷺ فقال: **((إن رأيتم أن تتركوا إليها أسيرها وتردوا عليها مالها فافعلوا))** فقالوا: نعم يا رسول الله. أخبر أبو العاص زينب بأن رسول الله طلب أن أردك إليه لأن الإسلام فرق بينى وبينك وقد وعدته وما كنت لأنكث عهدى، وقد بعث رسول الله زيد بن حارثة وهو خارج مكة ليصحبك إلى أبيك بيثرب. انطلق كنانة أخو أبى العاص يقود بعيرها وإذا بهبّار بن الأسود الأسدى الذى روّعها بالرمح ونخس البعير فألقى بزينب على الصخرة فنزفت دمًا وقد طرحت جنينها.

استقبلت يثرب بنت رسول الله ومضت سنوات ست وهى تعيش على أمل أن الله يشرح صدر أبى العاص للإسلام. أسلم أبو العاص وفى السنة الثامنة للهجرة توفيت زينب وصلى عليها رسول الله ووجد الرسول فى ابنتها

---

(١) تاريخ الطبرى جـ٢ ص٢٩٢ ـ ٤٦٨ ، موسوعة آل النبى د/ بنت الشاطئ ص٤٨٣ .

أمامة ما يخفف حزنه على زينب. تزوج على بن أبى طالب أمامة بعد وفاة خالتها فاطمة، وبعد وفاته تزوجها المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وأقامت معه حتى ماتت من غير خلف، أما ابنها على بن العاص فقد مات مراهقًا لم يكن له عقب.

رقية بنت محمد ﷺ[1]

لم يكن قد مضى على زواج زينب من أبى العاص غير وقت قصير حتى جاء وفد من آل عبد المطلب يلتمسون مصاهرة ابن عمهم الأمين بخطبة ابنتيه رقية لعتيبة وأم كلثوم لعتبة أبناء عمه عبد العزى ((أبولهب)) فوافق ﷺ. فما كاد رسول الله يتلقى رسالة ربه ويدعو إلى الدين حتى أخرجت رقية وأم كلثوم من بيت أبى لهب وردتا إلى بيت أبيهما وكانت قريش قد ائتمرت فى الرسول فى بناته قائلة: إنكم فرغتم محمدًا من همه فردوا عليه بناته فأشغلوه بهنّ. تقدم عثمان بن عفان إلى رسول الله يسأله شرف المصاهرة فزوجه بنته رقية. ولما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء قال لهم: ((**لوخرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكًا لا يظلم أحد عنده**))، فكان عثمان ورقية أول من هاجر إلى الحبشة، وظلت أسماعهم مرهفة تتلهف على أنباء الرسول وصحبه فقررا العودة إلى مكة وعلمت بوفاة والدتها السيدة خديجة وعندما هاجر الرسول إلى المدينة هاجرت هى وزوجها معه، وفى دار الهجرة وضعت طفلها

---

(١) الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى جـ ٨ ص٢٨، موسوعة آل النبى د. بنت الشاطئ ص١٥٥ ـ ١٥٦.

عبد الله الذى ماتت بعد ولادته فمرضت وتوفيت إلى رحمة الله رقية ذات الهجرتين وصلى عليها رسول الله ودفنت بالبقيع.

أم كلثوم بنت محمد ﷺ

أراد الله بها خيرًا ففارقها عتبة بن أبى لهب ونجت بذلك الفراق من نكد العيش مع حمالة الحطب. جاء عمر بن الخطاب إلى رسول الله ﷺ ليشكوا إليه صاحبيه أبا بكر وعثمان من أنه عرض على أحدهما بعد الآخر أن يتزوج من بنته حفصة فلم يجيباه. فقال رسول الله لعمر : تتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هى خير من حفصة. تزوجت أم كلثوم من عثمان ابن عفان بعد وفاة أختها رقية ولذا سمى عثمان بن عفان رضى الله عنه ((ذو النورين)). توفيت أم كلثوم فى السنة التاسعة للهجرة من غير ولد وصلى عليها رسول الله ﷺ ودفنت بالبقيع.

فاطمة الزهراء بنت محمد ﷺ

كانت أصغر أخواتها لكنها مع ذلك دخلت التاريخ الإسلامى كما لم يدخله أحد قط بعد أبيها وتركت فيه من خطير الآثار. لقد شاء الله أن يقترن مولدها بالحادث الجليل الذى ارتضت فيه قريش محمدًا حكمًا فيما اشتجر

بينها من خلاف على وضع الحجر الأسود بعد تجديد بناء الكعبة. كما آثر الله سبحانه وتعالى فاطمة بالحظ الأوفى فكتب لها أن تشهد رسالة والدها وما لاقاه من عناء فى سبيل نشر الدعوة إلى توحيد الله تعالى منذ طفولتها وتعيش دون إخوتها جميعًا حتى يجود سيد الخلق بأنفاسه ويلحق بالرفيق الأعلى[١].

لقد كانت يوم خرج أبوها رسول الله ﷺ إلى قريش وقد نزل عليه قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ (الشعراء: ٢١٤). فجعل ينادي: **((يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئًا، يا بنى عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئًا، يا فاطمة بنت محمد سلينى ما شئت من مالى لا أغنى عنك من الله شيئًا))**[٢]. فخفق قلبها حنانًا وتأثرًا من أن أباها رسول الله اختارها من بين إخوتها جميعًا ليؤكد أنه لا يغنى من الله شيئًا عن أعز الناس عنده وأحبهم إليه وأدناهم منه. وليست هذه المرة الوحيدة التى يضرب النبى فيها المثل بابنته فاطمة تأكيدًا لما يريد نشره فى أمته من الحق. فلقد حدثوا أن امرأة من قريش سرقت بعد أن أسلمت وبلغ الرسول أمرها فأشفقت قريش أن تقطع يدها. فاستشفعوا لها عند رسول الله حتى جاءوا أسامة بن زيد ليشفع فيها وكان الرسول يشفعه فلما فعل قال ﷺ: **((لا تكلمنى يا أسامة فإن الحدود إذا انتهت إلى فليس لها مترك ولوكانت فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها))**[٣]. ولم يقل رسول الله بنت محمد سمى فاطمة وهى من عرفت قريش مكانتها الأثيرة عند أبيها. ولقد سمع ﷺ يقول: **((فاطمة سيدة نساء أهل الجنة))**. وعن المسور بن مخرمة رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **((فاطمة بضعة**

---

(١) موسوعة آل النبى د/ بنت الشاطئ ص ٥٥ - ٥٧٠.

(٢) صحيح البخارى كتاب بدء الخلق جـ ٤ ص٢٢٤.

(٣) مختصر صحيح مسلم للألبانى كتاب الحدود جـ ١ ص٢٧٨ رقم ١٠٤٦.

منى فمن أغضبها أغضبنى)) وفى صحيح البخارى عن ابن جريح قال لى غير واحد: كانت فاطمة أصغر بنات النبى ﷺ وأحبهن إليه. إن تلك المكانة لفاطمة عند أبيها لم تنقص حبه لأخواتها الثلاث. إلا أن حظ مكانة الزهراء من حب أبيها قد ازداد بعد موت هؤلاء الأخوات، ثم تضاعف بمولد ((الحسنين)) وانحصار ذريته فى نسل هذه الابنة الوحيدة التى بقيت له.

جاءت فاطمة الزهراء مهاجرة من مكة لترى أباها ﷺ فى أعز موضع ولتجد المهاجرين وقد اطمأن بهم المقام وآخى الرسول بين الأنصار وبينهم ثم يأخذ بيد على بن أبى طالب ويقول: ((هذا أخى))[١].

وضعت فاطمة الزهراء بكرها ((الحسن)) فى السنة الثالثة من الهجرة واحتفلت مدينة رسول الله ﷺ بمولده وتصدق جده رسول الله ﷺ على الفقراء بزنة شعره فضة. فلما بلغ من العمر عامًا أردفته بشقيقه ((الحسين)) سنة أربع من الهجرة، وتفتح قلب رسول الله لهذين الحفيدين الغاليين، وأقبل على سبطيه الحسن والحسين يغمرهما بكل ما امتلأ به قلبه الكبير من حب وحنان. فلا عجب أن دعاهما ابنيه، فعن أنس بن مالك أنه ﷺ كان يقول لفاطمة: ((ادعى لى ابنىّ فإذا ما جاءا إليه شمهما وضمهما)). ونقل الترمذى فى سننه عن أسامة بن زيد أنه قال: طرقت باب النبى ﷺ فى بعض الحاجة فخرج رسول الله وهو مشتمل على شيء لا أدرى ما هو، فلما فرغت من حاجتى قلت: ما هذا الذى أنت مشتمل عليه يا رسول الله؟ فكشفه فإذا الحسن والحسين وقال: ((هذان ابناى وأبناء ابنتى اللهم إنى أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما))[٢].

---

(١) صحيح البخارى باب مناقب فاطمة عليها السلام جـ ٤ ص٢٦.

(٢) مختصر صحيح مسلم للألبانى باب فى فضائل الحسن والحسين جـ ٢ ص ٤٣٧ رقم ١٦٥٣ م٧/ ١٢٠.

لقد آثر الله فاطمة الزهراء بالنعمة الكبرى، فحصر فى ولديها ذرية نبيه ﷺ، وحفظ بها أشرف سلالة عرفتها البشرية منذ كانت، كما كرم وجه على بن أبى طالب فجعل فى صلبه نسل خاتم الأنبياء ، فكان له من هذا الشرف مجد الدهر وعزة الأبد . فعلى أقرب أصهاره إليه وأمسهم رحمًا ، فى عروقه يجرى الدم الهاشمى الأصيل، وكان محمد رسول الله عند أبى طالب بمنزلة الابن ، وضم إليه عليًا وأنزله رسول الله من بيته وفى قلبه منزلة الولد . وكان على يعرف منزلته عند صهره النبى ﷺ ويعتز بها إلى حد جعله يسأل رسول الله : أيهما أحب إلى رسول الله ابنته الزهراء أم زوجها على، فأجاب الرسول بابتسامة : ((**فاطمة أحب إلى منك ، وأنت أعز علَى منها**)) .

وحدث أن مر ﷺ على دار ابنته وسمع الحسن يبكى ويطلب طعامًا ، فأسرع إلى غنمه فحلبها وسقى الحسن حتى ارتوى. فسمع يومًا صوت بكاء الحسين فدخل يقول لابنته معاتبًا : ((**أو ما علمت أن بكاءه يؤذينى**)). تتابعت الثمرة المباركة وولدت الزهراء فى العام الخامس طفلة سماها جدها ((زينب)) وبعد عامين ولدت طفلتها الثانية فسماها جدها ((أم كلثوم)). لقد سعد على كرم الله وجهه أن تتصل به حياة ابن عمه ﷺ فيمتزج دمه بدم النبى ﷺ الزكى لتخرج من صلبه ذرية سيد العرب وبنو بنته الزهراء ، ويذهب دون الناس جميعًا بمجد الأبوة لسلالة النبى وآل بيته الأكرمين[١] .

شكا رسول الله ﷺ من مرض ألم به فى السنة الحادية عشرة للهجرة جاءت فاطمة لزيارته وهوعند أم المؤمنين عائشة وأجلسها إلى يمينه، وأسر إليها أنه يحسب أن قد حان أجله، فلما بكت هون عليها بقوله واتقى الله

---

(١) موسوعة آل النبى د/ بنت الشاطئ ص٦٠٠ ـ ٦١٦ ، الاستيعاب.

واصبرى فإنه نعم السلف أنا لك فقال : ((ألا ترضين أن تكونى سيدة نساء هذه الأمة))[1]. فضحكت بعد بكاء فعجبت عائشة وقالت : ما رأيت كاليوم فرحًا أقرب إلى حزن. وبعد أيام مرض ﷺ وأقامت الزهراء إلى جانبه وأنه وقد اشتد به الوجع يأخذ الماء بيده ويجعله على رأسه وهو يقول : ((واكرباه)) ، وهى تقول واكربى لكربك يا أبتاه. فرد رسول الله ﷺ عليها لا كرب على أبيك بعد اليوم ثم حم القضاء ولحق بالرفيق الأعلى ، وقد لحقت به ولما تمض ستة شهور على وفاته ودفنت بالبقيع. وبات المسلمون محزونين بعد أن شيعوا إلى القبر آخر بنات النبى ﷺ.

(١) مختصر صحيح مسلم للألبانى باب فى فضائل فاطمة عليها السلام جـ ٢ ص ٤٢٨ رقم ١٦٥٥.

أمـــــراء النبى ﷺ

ـ أبو بكر الصديق .	ـ على بن أبى طالب .	ـ عبد الرحمن بن عوف .
ـ أبوعبيدة بن الجراح .	ـ زيد بن الحارث .	ـ أسامة بن زيد .
ـ جرير بن عبد الله .	ـ جعفر بن أبى طالب .	ـ خالد بن الوليد .
ـ مالك بن نويرة .	ـ عدى بن حاتم .	ـ معاذ بن جبل .
ـ صرد بن عبد الله .	ـ عبد الله بن رواحة .	ـ محمد بن مسلمة .
ـ عبد الله بن عتيك .	ـ العلاء بن الحضرمى .	ـ عمرو بن أمية الضمرى .
ـ المنذر بن عمرو .	ـ علقمة بن مجزز .	ـ قطبة بن عامر .
ـ عروة بن مسعود .	ـ الطفيل بن عمرو .	ـ عيينة بن حصن .
ـ كعب بن عمرو .	ـ قيس بن عاصم .	ـ أبوقتادة بن ربيع .
ـ الزبرقان بن بدر .	ـ عمرو بن العاص .	ـ شجاع بن أبى وهب .
ـ بشير بن سعد .	ـ زياد بن لبيد .	ـ غالب بن عبد الله .
ـ كرز بن جابر .	ـ عكاشة بن محصن .	ـ الضحاك بن سفيان .

كُتَّاب النبى ﷺ

ـ أبو بكر الصديق .	ـ عمر بن الخطاب .	ـ عثمان بن عفان .
ـ على بن أبى طالب .	ـ أبان بن سعيد .	ـ أرقم بن أبى الأرقم .

- أبى بن كعب ((أول من كتب له بالمدينة)).　　- ثابت بن قيس.

- حنظلة بن الربيع.　　- أبورافع القبطى.　　- خالد بن سعيد.

- خالد بن الوليد.　　- الزبير بن العوام.　　- زيد بن ثابت.

- عبد الله بن سعد بن أبى السرح.　　- عبد الله بن أرقم.

- عبد الله بن مسعود.　　- عامر بن فهيرة.　　- شرحبيل بن حسنة.

- العلاء بن عقبة.　　- العلاء بن الحضرمى.　　- محمد بن سلمة الجزائرى.

- معاوية بن أبى سفيان.　　- عبد الله بن زيد.　　- المغيرة بن شعبة.

أصحاب شرطه ومقيمو الحد له ﷺ

- على بن أبى طالب.　　- الزبير بن العوام.　　- المقداد.

- المغيرة بن شعبة.　　- قيس بن سعيد.　　- محمد بن سلمة.

- عاصم بن ثابت.

أصحاب أسرار النبى ﷺ

- أنس بن مالك.　　- فاطمة رضى الله عنها.　　- حذيفة بن اليمان.

رعاة النبى ﷺ

- أبوسلمة، وقيل أبوسلام.　　- يسار، الذى قتله العرنيون.

خازن داره والقائم على نفقته ﷺ

- بلال بن رباح وقال له: ((أنفق بلال ولا تخشى من ذى العرش إقلالا)).
- على بن أبى طالب.

حُمّال رايته ﷺ

- أبوبكر الصديق. - أسيد بن حضير. - على بن أبى طالب.
- الزبير بن العوام. - سعد بن عبادة. - زيد بن حارثة.
- جعفر بن أبى طالب. - حمزة بن عبد المطلب. - سعد بن أبى وقاص.
- خالد بن الوليد. - عبد الله بن رواحة. - مصعب بن عمير.
- المقداد بن عمرو.

❁❁❁

وزراء النبى ﷺ

من السماء:

- جبريل عليه السلام. - ميكائيل عليه السلام.

من الأرض:

- أبوبكر الصديق. - عمر بن الخطاب.

قضاة النبى ﷺ

- على بن أبى طالب.
- معاذ بن جبل.
- أبوعبيدة بن الجراح.
- بلال بن رباح.

أمناء وخُزان النبى ﷺ

- معيقيب.

عُمّال النبى ﷺ

- على بن أبى طالب.
- أبوعبيدة بن الجراح.
- العلاء بن الحضرمى.
- بلال الحبشى.
- أبوهريرة.
- المهاجر بن أبى أمية.
- زياد بن لبيد.
- عدى بن حاتم.
- مالك بن نويرة.
- الزبرقان بن بدر.
- قيس بن عاصم.

إلى الرفيق الأعلى

ربيع الأول السَّنة الحادية عشرة للهجرة

كمالُ مهمَّةِ التبليغ والتشريع، ودنو ساعة اللقاء:

ولمَّا بلغ هذا الدينُ ذِروةَ الكمال، ونزل قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).

وبلَّغ رسولُ الله ﷺ الرسالة، وأدّى الأمانةَ، وجاهدَ فى الله حقَّ جهاده، وربَّى أمةً تقلَّدت مهام النبوّة ومسئولياتها، من غير نبوَّةٍ، وكلّفت النهوض بالدعوة، وصيانة الدين من التحريف، فقال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾

(آل عمران: ١١٠).

وضمن الله لهذا القرآن الذى هو أساس هذا الدين، ومصدر الإيمان واليقين، البقاء والنقاء، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾

(الحجر: ٩).

وأقرَّ الله عينَ نبيِّه بدخول الناس فى هذا الدين أفواجًا، وبدت طلائعُ انتشاره فى العالم، وظهوره على الأديان كلها.

فقال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾ (النصر: ١ ـ ٣).

مدارسة القرآن، ومضاعفة اعتكاف رمضان:

وكان النبى ﷺ يعتكف كلّ عام فى شهر رمضان عشرةَ أيام، فلما كان العام الذى قُبِضَ فيه اعتكفَ عشرين.

وكان جبريلُ يلقاه فى كلِّ ليلةٍ من شهر رمضان، فيُدارسُه القرآنَ.

أذن الله لنبيِّه باللقاء الذى لم يكن أ حدٌ أشدَّ شوقًا له منه، وقد أحبَّ اللهُ لقاءه كما أحبَّ هولقاءَه.

وقد هيَّأ الله الصحابة رضى الله عنهم الذين لم يكن أحدٌ أشدَّ حبًا له منهم، لسماع نبأ وفاته، واحتمال فراقه، الذى لم يكن منه بدٌّ، مهما تأخَّرت ساعةُ الفراق، ففوجئوا بنبأ شهادته فى معركة أحد، ثم تحقَّقَ أنه كان إرجافًا من الشيطان، وأنَّ الله ممتعهم بحياة نبيِّهم ﷺ إلى حين، ولكن لا بدَّ من وقوع هذا الحادث، وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ (آل عمران: ١٤٤).

فكان المسلمون ـ الذين أحسنَ رسولُ الله ﷺ تربيتَهم، وربطَ قلوبهم بالله تعالى، وشغلهم بتبليغ رسالةِ الإسلام إلى أقصى الحدود، وأبعد الأمم، وإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ـ على يقينٍ بأنَّ رسولَ الله ﷺ مودّعهم فى يوم من الأيام، ومفارقٌ لهذا العالم الفانى، وراجعٌ إلى ربه، ليجزيَه الجزاء الأوفى، فلما نزلت: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾، فَهِمَ منها الصحابةُ أنَّه إيذانٌ بدنوساعة الفراق، فقد تمَّت المهمةُ، وجاء نصرُ الله والفتح.

وقد استشعر كبارُ الصحابة وفاتَه حين نزلت الآية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (المائدة: ٣).

الشوق إلى لقاء الله وتوديع الدنيا :

وقد ظهر من رسولِ الله ﷺ بعد ما عاد من حجة الوداع التى أشار فيها إلى دنوأجله، ما يدلُّ على التأهُّب للسفر ، واللحوق بالرفيق الأعلى ، فصلَّى على قتلى أُحدٍ ، كأنَّه مودِّعٌ أصحابه عن قريب ـ بعد ثمانى سنين ـ كالمودِّع للأحياء والأموات، ثم طلع المنبر ، فقال : ((إنى بين أيديكم فرطٌ، وأنا عليكم شهيدٌ ، وإنَّ موعدكم الحوضُ، وإنى لأنظر إليه من مقامى هذا ، وإنى قد أُعطيتُ مفاتيح خزائن الأرضِ، وإنى لستُ أخشى عليكم أن تشركوا بعدى، ولكنْ أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها ، فتهلِكوا كما هَلَكَ مَنْ كان قبلَكم)) .

شكوى رسولِ الله ﷺ :

وقد ابتدأت شكوى رسول الله ﷺ فى آخر شهر صفر سنة ١١ للهجرة، وكان مبدأ ذلك أنه ﷺ خرجَ إلى ((بقيع الغرقد)) فى جوف الليل، فاستغفرلهم، ثم رجعَ إلى أهله، فلمّا أصبح ابتدأ وجعه من يومه ذلك.

قالت عائشة ـ أمُّ المؤمنين رضى الله عنها ـ رجع رسولُ الله ﷺ من البقيع، فوجدنى وأنا أجدُ صُداعًا فى رأسى، وأنا أقول : وا رأساه، فقال : ((بل أنا ـ والله يا عائشة ـ وا رأساه))، واشتدَّ به وجعهُ، وهو فى بيت ميمونة رضى الله عنها ، فدعا نساءَه، فاستأذنهنَّ فى أن يمرَّض فى بيت عائشة، فأذنَّ له، وخرجَ يمشى بين رجلين من أهله، أحدُهما الفَضْلُ بنُ عباس، والآخر على بن أبى طالب، عاصبًا رأسه، تخطُّ قدماه، حتى دخلَ بيت عائشة رضى الله عنها .

تقول عائشة رضى الله عنها : وكان يقول فى مرضه الذى مات فيه : ((يا عائشةُ ! ما أزالُ أجدُ ألمَ الطعامِ الذى أكلتُ بخيبر فهذا أوان وجدتُ انقطاع أبْهَرى من ذلك السم)) .

آخر البعوث :

وبعث رسولُ الله ﷺ أسامةَ بن زيد بن حارثة رضى الله عنهما إلى الشام.

وانتدب كثيرًا من الكبار من المهاجرين والأنصار فى جيشه، كان من أكبرهم عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه، بعثه رسولُ الله ﷺ واشتدَّ به المرض، وجيشُ أسامة مخَيِّمٌ بـ ((الجَرْف)) وأنفذ أبوبكر جيشَ أسامة بعد وفاة الرسولِ ﷺ تحقيقًا لرغبته، وإكمالاً لمراده.

دعاءٌ للمسلمين، وتحذيرٌ لهم من العلو والكبرياء :

وفى يومٍ من أيام شكواه، اجتمع نفرٌ من المسلمين فى بيتِ عائشة رضى الله عنها، فرحَّبَ بهم رسولُ الله ﷺ وحيَّاهم، ودعا لهم بالهدى والنصر والتوفيق، وقال: ((**أوصيكم بتقوى الله، وأوصى الله بكم، وأستخلفه عليكم، إنى لكم منه نذيرٌ مبين، ألاّ تعلوعلى الله فى عبادِه وبلاده، فإنَّ الله قال لى ولكم:** ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (القصص: ٨٣)، **وقال:** ﴿ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (الزمر: ٦٠).

اهتمامٌ بالصلاة وإمامة أبى بكر:

وثقل برسولِ الله ﷺ وجعُه، فقال: ((**أصلّى الناس؟**)).

قالوا: لا، هم ينتظرونك يا رسولَ اللهَ؛ والناسُ عكوفٌ فى المسجد ينتظرون رسولَ الله ﷺ لصلاة العشاء، فأرسل رسولُ الله ﷺ إلى أبى بكر بأنْ يصلّى بالناس، وكان أبوبكر رجلاً رقيقًا، فقال: يا عمرُ صلِّ بالناس، فقال: أنتَ أحقُّ بذلك منى، فصلّى بهم تلك الأيام.

ثم إنَّ رسولَ الله ﷺ وجدَ من نفسه خِفَّةً، فخرج بين رجلين، أحدُهما العباسُ، والآخر على بن أبى طالب رضى الله عنهما لصلاة الظهر، وأبو بكر يصلى بالناس، فلما رآه أبو بكر، ذهب ليتأخَّرَ، فأومأ إليه ألا يتأخر، وأمرَهما فأجلساهُ إلى جنب أبى بكر، فجعل أبو بكر يصلّى قائمًا، وهو يأتم بصلاة النبى ﷺ، والناس بصلاة أبى بكر، ورسولُ الله ﷺ قاعدٌ.

خطبة الوداع:

وكان فيما تكلَّم به رسولُ الله ﷺ وهوجالسٌ على المنبر، عاصبًا رأسه: **((إنَّ عبدًا من عبادِ الله، خيَّره الله بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله))** وفهم أبو بكر معنى هذه الكلمة، وعرفَ أنَّ رسولَ الله ﷺ يعنى نفسه، فبكى، وقال: بل نحنُ نفديك بأنفسنا وأبنائنا.

وصية للأنصار:

وكان أبوبكر والعباس رضى الله عنهما مرًّا بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون، فقال: ما يبكيكم؟ قالوا: ذكرنا مجلسَ النبى ﷺ منا. وأُخْبِرَ النبى ﷺ بذلك، فخرج وقد عصب على رأسه حاشيةَ بُرْدٍ، فصعد المنبر ولم يصعده بعدَ ذلك اليوم، فحمد الله، ثم أثنى عليه، ثم قال:

((أوصيكم بالأنصار فإنهم كَرِشِى وعَيْبَتى، وقد قضوا الذى عليهم، وبقى الذى لهم، فاقبلوا من محسنِهم، وتجاوزوا عن مسيئهم)).

آخر نظرة إلى المسلمين وهم صفوف فى الصلاة:

وكان أبوبكر يصلّى بالمسلمين، حتى إذا كان يومُ الإثنين، وهم صفوفٌ فى صلاة الفجر، كشفَ النبى ﷺ ستر الحُجرة، ينظرُ إلى المسلمين، وهم وقوفٌ أمام

ربِّهم، ورأى كيف أثمر غرسُ دعوته وجهاده، وكيف نشأت أمةٌ تحافظُ على الصلاة، وتواظب عليها بحضرة نبيِّها وغيبته، وقد قرَّت عينُه بهذا المنظر البهيج، وبهذا النجاح الذى لم يقدر لنبى أو داع قبله، واطمأنَّ إلى أنَّ صلة هذه الأمة بهذا الدين وعبادة الله تعالى صلةٌ دائمةٌ، لا تقطعها وفاةُ نبيها، فمُلئ من السرور ما الله به عليم، واستنار وجهُه وهو منيرٌ، يقول الصحابة رضى الله عنهم:

((كشفَ النبى ﷺ سترَ حجرةِ عائشة، ينظر إلينا وهو قائمٌ، كأنَّ وجهه ورقةُ مُصحفٍ، ثم تبسَّمَ يضحك، فهممنا أن نفتتن من الفرح، وظننا أنَّ النبى ﷺ خارجٌ إلى الصلاة، فأشار إلينا أن أتمّوا صلاتكم، وأرخى الستر، وتوفى من يومه ﷺ)).

الوصية الأخيرة:

كانت عامَّةُ وصية رسولِ الله ﷺ حين حضرته الوفاةُ ((**الصلاة وما ملكت أيمانكم**)) حتى جعل يُغَرْغِرُ بها صدره، وما يكادُ يفيض بها لسانه.

يقول على ﷺ: أوصى رسولُ الله ﷺ بالصلاة والزكاة وما ملكت أيمانكم.

وتقول عائشة رضى الله عنها: ذهبتُ أعودُه، فرفع بصره إلى السماء، وقال: ((فى الرفيق الأعلى، فى الرفيق الأعلى)).

كيف فارق رسولُ الله ﷺ الدنيا:

فارق رسولُ الله ﷺ الدنيا، وهويحكم جزيرة العرب، ويرْهبُه ملوك الدنيا، ويفديه أصحابه بنفوسهم وأولادهم وأموالهم ((وما ترك ﷺ دينارًا ولا درهمًا، ولا عبدًا ولا أَمَةً، إلا بغلته البيضاء التى كان يركبها، وسلاحه، وأرضًا جعلها لابن السبيل صدقة)).

وتُوفى ودِرْعه مرهونة عند يهودى بثلاثين صاعًا من شعير، ما وجد ما يفكُّ به، حتى مات ﷺ.

وأعتقَ رسولُ الله ﷺ فى مرضه هذا أربعين نفسًا، وكانت عنده سبعةُ دنانير أو ستة، فأمر عائشة رضى الله عنها أن تتصدَّق بها.

تقول عائشة - أمُّ المؤمنين رضى الله عنها: تُوفى رسولُ الله ﷺ وما فى بيتى شيءٌ يأكلُه، إلا شطر شعير فى رفٍّ لى.

وكان ذلك الفراق يوم الإثنين ١٢ ربيع الأول، سنة ١١ للهجرة بعد الزوال، وله ﷺ ثلاث وستون، وكان أشدَّ الأيام سوادًا ووحشةً ومصابًا على المسلمين، ومحنةً للإنسانية، كما كان يوم ولادته أسعدَ يومٍ طلعت فيه الشمس.



وقفات ودروس حول وفاة الرسول ﷺ

بعد وفاته ورحيله إلى الرفيق الأعلى، ولنا وقفات مع ذلك الحدث وندعوالله أن يلهمنا الصواب فى جميع أقوالنا وأفعالنا وأن يجعل ما نسمعه وما نقوله صُحَّة لنا، لا حجة علينا يوم يقوم الأشهاد اللهم صلّ وسلم على نبينا محمد ما تلألأ الأنوار وما تعاقب الليل والنهار يا عزيز يا غفار يا رب العالمين.

الوقفة الأولى: هى أن المصيبة بوفاة رسول الله ﷺ هى أعظم المصائب التى يمكن أن تمر بالمسلم. فإذا أصيب المسلم بمصيبة فليتذكر مصيبته بوفاة رسول الله ﷺ، فإن هذا يهوِّن عليه مصيبته فتصغر مهما كانت عظيمة، وتهون مهما كانت كبيرة، فعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**إذا أصاب أحدكم مصيبة، فليذكر مصيبته بى فإنها من أعظم المصائب.**) [رواه البيهقى فى شعب الإيمان].

الوقفة الثانية: هى أن الله تعالى قد كتب الموت على كل مخلوق، ولم يستثنى من ذلك أحدًا.. لا نبيًا مرسلاً ولا ملكًا مقربًا. قال الله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (العنكبوت: ٥٧). وقال سبحانه: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الرحمن: ٢٦ — ٢).

إن الموت حق مكتوب على كل مخلوق، ولكل مخلوق أجل فإذا جاء أجله لم يستأخر عنه ساعة ولم يستقدم. قد يموت الإنسان صغيرًا، وقد يموت

شابًا وقد يموت كهلاً، وقد يبلغ من العمر عِتِيًّا ويُرَدُّ إلى أرْذَل العمر، ولكنه بعد ذلك كله سيموت: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [غافر: ٦٧]. وفى الآية الأخرى يقول سبحانه: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ (الحج: ٥).

لقد مات رسول الله ﷺ وعمره ثلاث وستون سنة، وما بين الستين إلى السبعين وقت وفاة الكثيرين من أمة محمد ﷺ. ولهذا يقول الرسول ﷺ: **(أعمار أمتى ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك)** [رواه الترمذي]. وفى الحديث الآخر يقول عليه الصلاة والسلام: **(معترك المنايا ما بين الستين إلى السبعين)**.

ومن بلغ ستين سنة فإنه لم يبق له أعذار كأن يقول: لو مُدّ لى فى الأجل لفعلت ما أُمِرت به، واجتنبت ما نُهيت عنه، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ (فاطر: ٣٧). وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: **(أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلّغه ستين سنة)**. [رواه البخاري].

ولكن الموت ليس نهاية المطاف، بل هو نَقْلةٌ من دار إلى دار، نَقْلةٌ من دار العمل إلى دار الجزاء على العمل فى يوم تُوَفَّى فيه كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون.

غدًا توفى النفوس ما كسبت ... ويحصد الزارعون ما زرعوا

إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم ... وإن أساؤا فبئس ما صنعوا

ولوكان أحدٌ مُخَلَّدًا فى هذه الدار لخلد صفوة الخلق وأفضلهم: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (الأنبياء: ٣٤).

ولوكانت الدنيا تدوم لأهلها   لكان رسول الله حيًا مُخَلَّدًا

ولكنها لا تدوم لأحد، كما أنها لا تدوم على حال..

دار متى ما أضحكت فى يومها   أبكت غدًا تبًا لها من دار

لقد اختار رسول الله ﷺ الرفيق الأعلى على البقاء فى الدنيا، اختار أن يكون فى دار الكرامة والرضوان، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا، فنسأل الله أن يحيينا على الإسلام وأن يتوفَّانا عليه، وأن يحشرنا فى زمرة هؤلاء الأخيار، الكرام الأبرار فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر.

الوقفة الثالثة: وهى شدة سكرات الموت وصعوبة ذلك الموقف الرَّهيب، فهذا أشرف الخلق وصفوتهم.. خليل الرحمن.. النبى الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، كان يعانى من شدة سكرات الموت، ويقول: (لا إله إلا الله. إن للموت سكرات)، فعلى المسلم أن يعمل صالحًا لَعَلَّه أن يُخَفَّف عنه من السكرات فى ذلك اليوم العصيب.. تلك السكرات التى لا يتصورها مخلوق ولا يحيط بها وصف.

ورغم شدة سكرات الموت إلا أن الله تعالى يُخَفِّفها على المؤمن، حتى إن روحه لتخرج، أما الفاجر أو المنافق فى قبض روحه حتى تنتزع كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، وليس هذا بالأمر الهَيِّن، إذ السفود هوحديدة ذات شعب مُعَقَّفَة يُشوى بها اللحم، فكيف يمكن انتزاعها من الصوف المبلول؟! إن ذلك لا يمكن إلا بأن يجتذب السفود معه شيئًا من الصوف.

ومع أن الله تعالى - رحمة منه وتفضلاً - يُخَفِّف على المؤمنين سكرات الموت إلا أنه قد يُشَدِّد على بعض المؤمنين فى السكرات، لكرامة يريدها الله لهم، ورسول الله ﷺ، وهوالنبى المصطفى الأمين، وخير من وَطِئَ الثرى، عانى من شدة السكرات حتى كانت عائشة - رضى الله عنها - تقول: (مات النبى ﷺ وإنه لبين حاقنتى وذاقنتى، فلا أكره شدة الموت لأحد بعد النبى ﷺ) [رواه البخاري]، وكان بين يديه ﷺ ركوة أو علبة فيها ماء فجعل يدخل يديه فى الماء فيمسح بهما وجهه ويقول: (**لا إله إلا الله، إن للموت سكرات**).

ولعل من حِكَم ذلك أن يُبَلِّغ الله الإنسان درجة ومنزلة عالية، لا يبلغها بعمله، فيبلغها بهذا البلاء الذى يصيبه فى آخر لحظات حياته.

فالوقفة الرابعة: حول وفاة رسول الله ﷺ، هى أنه صلوات الله عليه وسلامه عليه كان حريصًا كل الحرص على ألا تقع أمته فى الغلو الذى وقع فيه اليهود والنصارى. ولهذا لعن رسول الله ﷺ اليهود والنصارى الذين كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد. وهو بهذا يُحَذِّر أمته من مثل فعلهم، فإن من فعل مثل فعلهم، واتخذ قبر النبى ﷺ مسجدا فقد استحق من اللعنة مثل ما حلّ باليهود والنصارى. قال فى فتح المجيد ما مختصره: (ومن غُرْبَة الإسلام أن هذا الذى لعن رسولُ الله ﷺ فاعليه، قد فعله الكثير من متأخرى هذه الأمة، واعتقدوه قربة من القربات، وهو من أعظم السيئات والمنكرات، وما شعروا أن ذلك مُحَادَّة لله ورسوله، فكيف يسوغ مع هذا التغليظ من سيد المرسلين أن تُعَظَّم القبور، ويبنى عليها، ويصلى عندها وإليها؟ هذا أعظم مُشَاقَّة ومُحَادَّة لله تعالى ورسوله لوكانوا يعقلون).

لقد خَشِي رسول الله ﷺ أن يُتَّخَذ قبره مسجدًا كما اتخذ اليهود والنصارى قبور أنبيائهم مساجد ، ولهذا حَذَّر من مثل هذا الفعل أشدَّ التحذير، ولعن فاعله، مما جعل قبره لا يُبْرَز مع قبور أصحابه، بل أمر أن يدفن حيث يقبض صلوات الله وسلامه عليه.

ومما يجدر التنبيه عليه أن رسول الله ﷺ كان يحذر من هذا الأسلوب فى مناسبات كثيرة آخرها وهو فى سكرات الموت، فلم يشغله ما هو فيه من كرب وشدة عن التذكير بهذا الأمر المهم، حرصًا منه صلوات الله وسلامه عليه أن تبقى أمته بعيدة عن الشرك وأسبابه الموصلة إليه وسدًّا منه لكل ذريعة يمكن أن تؤدى إلى الوقوع فيه.

الوقفة الخامسة: أن اليهود لعنهم الله كانوا قد سمُّوا رسول الله ﷺ حين قدَّموا له شاة مسمومة بخيبر، حتى كان صلوات الله وسلامه عليه يجد أثر ذلك السم عند وفاته، فلعنة الله على اليهود قتلة الأنبياء، ونسأل الله أن يَقِر عيوننا بدمارهم والقضاء عليهم.

ولهذا ذهب من ذهب من العلماء إلى أن رسول الله ﷺ قد مات شهيدًا مع ما أكرمه الله تعالى به من النبوة والرسالة، فجمع الله تعالى له الشهادة بكل معانيها حين كان يجد أثر ذلك السم فى مرضه الذى مات فيه، وحين جعله شهيدًا على أمته، وأمته شهيدة على الناس. قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة: ١٤٣).

الوقفة الأخيرة: شِدَّة حرص رسول الله ﷺ على أن يحافظ المسلمون على الصلاة.. الركن الثانى من أركان الإسلام. فيكشف ﷺ الستر ليراهم وهو يصلون، ويسرُّه أن يراهم خلف إمامهم ويبتسم لذلك فرحًا بهذا المنظر المهيب، ليس هذا فحسب، بل نجده ﷺ يوصى أمته بالمحافظة على الصلاة وهو يعانى من شدة السكرات حتى ما يكاد يفيض بها لسانه (الصلاة الصلاة!! اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم)، كل هذا يدل على أهمية أداء هذه الشعيرة العظيمة والمحافظة عليها، كما أمر الله ورسوله ﷺ، إذ لا حَظَّ فى الإسلام لمن ترك الصلاة، وهى العهد الذى بيننا وبين الكفار، فمن تركها فقد كفر، وهى التى تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر، وبين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة، فهل يهتم المسلم بهذه الصلاة ويوليها ما تستحق من العناية والحرص والمحافظة حتى يسعد فى دنياه وأخراه؟ هذا هوالمأمول.

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (المعارج: ٣٤ – ٣٥).

كيف تلقَّى الصحابة نبأ الوفاة؟

ونزلت وفاةُ رسولِ الله على الصحابة كالصاعقة، لشدَّةِ حبِّهم له، وما تعوَّدوه من العيش فى كنفه، عيش الأبناء فى حجر الآباء، بل أكثر من ذلك، قد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (التوبة: ١٢٨).

وقد كان كل واحد منهم يحسب أنه أكرم عليه وأحب لديه من صاحبه، ولم يكد بعضُهم يصدِّقُ بنبأ وفاته، وكان في مقدِّمتهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأنكر على مَنْ قال: مات رسولُ الله ﷺ، وخرج إلى المسجد، وخطب الناس، وقال: إنَّ رسولَ الله ﷺ لا يموتُ حتى يُفني الله المنافقين.

موقف أبي بكر الحاسم:

وكان أبوبكر رضي الله عنه - وهوالذي هيأه الله لخلافة النبوة، والوقوف موقفَ العزيمة والحكمة - رجلَ الساعة المطلوب، والجبل الرأسي الذي لا يحول ولا يزول، فأقبل من منزله حين بلغه الخبر، حتى نزل على باب المسجد، وعمرُ يكلِّمُ الناس، فلم يلتفت إلى شيءٍ، حتى دخل على رسولِ الله ﷺ في بيت عائشة وهومسجًّى، فكشف عن وجهه، ثم أقبل عليه، فقبَّله، ثم قال: بأبي أنت وأمي، أما الموتَة التي كتبَ الله عليك فقد ذُقْتَها، ثم لن تصيبك بعدها موتةٌ أبدًا، وردَّ البُرْدَ على وجهه ﷺ.

ثم خرج وعمر يكلِّمُ الناس، فقال: على رِسْلِكَ يا عمر! وأنصتْ، فأبى إلا أن يتكلَّم، فلما رآه أبو بكر لا يُنْصِتُ، أقبل على الناس، فلما سمعوا كلامه أقبلوا عليه، وتركوا عمر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أيُّها الناس! إنَّه من كان يعبدُ محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبدُ الله، فإن الله حي لا يموتُ، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ (آل عمران: ١٤٤).

يقول من شهد هذا الموقف: واللهِ كأنَّ الناس لم يعلموا أنَّ هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يؤمئذٍ، وأخذها الناسُ عن أبى بكر، فإنَّما هى فى أفواههم، ويقول عمر: واللهِ ما هو إلا أنْ سمعتُ أبا بكر تلاها، فعقرتُ حتى وقعتُ إلى الأرض، ما تحمِلُنى رجلاى، وعرفتُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قد مات.

بيعة أبى بكر بالخلافة:

وبايع المسلمون أبا بكر بالخلافة، فى سقيفة بنى ساعدة، حتى لا يجدَ الشيطانُ سبيلاً إلى تفريق كلمتهم، وتمزيق شملهم، ولا تلعب الأهواء بقلوبهم، وليفارق رسولُ الله ﷺ هذه الدنيا وكلمةُ المسلمين واحدة، وشملهم مُنتظمٌ، وعليهم أمير يتولّى أمورهم، ومنها تجهيزُ رسولِ الله ﷺ ودفنه.

كيف ودَّعَ المسلمون رسولهم ﷺ وصلّوا عليه؟

وهدأ الناس، وانجلى عنهم ما كانوا فيه من حَيْرَةٍ وغَمْرَةٍ، وتشاغلوا بما علَّمهم رسولهم ﷺ من عملهم لمن فارق الدنيا.

ولما فُرغ مِنْ غَسْلِه وتكفينه ﷺ، وقد تولى ذلك أهلُ بيته، وُوضِعَ سريرُه فى بيته، وحدَّثهم أبو بكر أنه سمع رسولَ الله ﷺ يقول: ((**ما قُبِضَ نبى إلا دُفِنَ حيثُ قُبِضَ**)) فرُفِعَ فراشُ رسولِ الله ﷺ الذى توفى فيه، وحُفِرَ له تحته، وتولى ذلك أبوطلحة الأنصارى.

ثم دخلوا يصلون عليه أرسالاً، دخل الرجالُ، حتى إذا فرغوا، أُدخل النساء، حتى إذا فرغ النساء، أُدخل الصبيان، ولم يؤمَّ الناس على رسولِ الله ﷺ أحدٌ. وكان ذلك يوم الثلاثاء.

وكان يومًا حزينًا فى المدينة، وأذَّنَ بلال بالفجر، فلما ذكر النبى ﷺ بكى وانتحب، فزاد المسلمون حزنًا، وقد اعتادوا أن يسمعوا هذا الأذان ورسولُ الله ﷺ فيهم.

النصائح العشر :

١. اقرأ كل يوم ما تيسر من القرآن، وأكثر من الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم.

٢. حافظ على الصلوات الخمس وصلاة الليل وصلاة الضحى ولو ركعتين.

٣. أدِّ الزكاة المفروضة عليك، وتصدق كل يوم ولوقليلا فإن لم تجد فبكلمة طيبة، وصم رمضان وثلاثة أيام من كل شهر.

٤. ألا تحب أن تكون ممن يحبهم الله؟ فأحبب نبيك محمدًا صلى الله عليه وسلم وأهل بيته وبالوالدين إحسانا، وانتصف للناس من نفسك، وخالق الناس بخلق حسن.

٥. ألا تحب أن تكون ممن يقول: يا رب، يا رب قال الله تعالى: لبيك عبدى، سل تعط؟، فأطب مطعمك تجب دعوتك.

٦. ألا تحب أن تكون ممن تستجاب دعوته وتتلألأ صحيفته نورًا يوم القيامة؟ طهر قلبك وأكثر من قول لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله.

٧. ألا تحب أن تكون من الحامدين الشاكرين المقربين؟ فإنه إذا قال العبد الحمد لله، قال الله حمدنى عبدى وشكرنى، فاستكثر من قول: الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى.

٨. ألا تحب أن تكون من الشاكرين وأن يصلح الله ذريتك؟ فعليك بآيتى الشكر:

- ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ (النمل: ١٩).
- ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ (الأحقاف: ١٥).

٩. ألا تحب أن أدلك على ما يجمع لك أمر دينك وأمر دنياك؟ فاعمل ما استطعت بأمر الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ (الحج: ٧٧).

١٠. ألا تحب أن أدلك على قلب كل شيء؟ ""قل آمنت بالله ثم استقم".



الخاتمة

أسأل الله تعالى لى ولكل من قرأ الكتاب، وسعى فى نشره، أن يجعلنا من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وثبتنا على ملته وسنته، ويحشرنا يوم القيامة تحت لوائه، ويسقينا من حوضه، ومتعنا بشفاعته، ويملأ قلوبنا بأنوار محبته، فالمرء يوم القيامة مع من أحب.

وهذا الكتاب مع اختصاره يحصل به المقصود من معرفة المؤمن مجمل سيرة صاحب الخلق العظيم ﷺ، وقد تحدثنا عن أمهات المؤمنين (رضى الله عنهن).

• كان فى نساء أهل البيت من تقرأ وتكتب وتحفظ القرآن الكريم، وشطْرًا من الأحاديث، وتروى الشِّعْرَ، وكان كبار الصحابة يرجعون إليهنّ فى الأمور التى اطلعْن عليها من النبى ﷺ، من مثل: شؤون البيت، ومعاملة الأهل والأزواج، وما هو خاص بالنساء من مسائل الطهارة والصلاة والحيض والنفاس والحمل والرضاعة ونحو ذلك.

• شاركت نساء أهل البيت فى الجهاد، إذ خرجْن مع النبى ﷺ لمداواة الجرحى، وسقى العِطَاش، وثبت أن أمنا عائشة وفاطمة الزهراء - رضى الله عنهما - قد كانتا فى غزوة أحد، وقامت كل واحدة منهما بدورها الجهادى، كما شاركت نساء أهل البيت فى معظم المغازى النبوية، ومنها غزوة الأحزاب، وغزوة بنى المصطلق، وفى بيعة الرضوان، وخيبر، وفتح مكة، وغيرها، وكان لهنَّ الأثر المحمود والرأى الميمون فى هذه المشاهد.

• نزلت كثير من الآيات والأحكام التى تخصُّهن وتراعى شؤونهن وفطرتهن، ولهن أكثر من خطاب وتنويه فى القرآن الكريم من مثل قوله تعالى:

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ ﴾ (الأحزاب: ٣٠)، وقوله ﴿ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ ﴾ (الأحزاب: ٥٩)، وقوله ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ (الأحزاب: ٣٣)، وقوله ﴿ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ﴾ (الأحزاب: ٥٠)، وقوله ﴿ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ ﴾ (الأحزاب: ٣٢)، وقوله ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ ﴾ (الأحزاب: ٣٤).

• تبيَّن أفضليَّة نساء أهل البيت وخصوصا أمهات المؤمنين؛ لقوله تعالى ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ ﴾ (الأحزاب: ٦)، فأوجب لهنَّ حكم الأمومة على كل مؤمن.

نساءُ أهل البيت من أكثر الناس صلاة وصدقة وصياما وحجا وحضور جهاد، وقد خيَّرهن الله عز وجل بين الدنيا والدار الآخرة والله ورسوله فاخْتَرن الله ورسوله والدار الآخر، فهن معه ﷺ فى الجنة، وقد نَصَّ ﷺ على فضْلهن وخاطبَهُن الله عز وجل بقوله: ﴿ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ (الأحزاب: ٣١)، هذه فضيلة ليست لأحد إلا لهن.

علمنا أن النبى ﷺ تزوج من إحدى عشرة امرأة، أولاهن: (خديجة بنت خويلد) القرشية الأسدية رضى الله عنها: تزوجها قبل النبوة، ولها أربعون سنة، وهى التى آزرته على النبوة، وجاهدت معه، وواسته بنفسها ومالها، وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين، وجميع أولاده ﷺ منها غير إبراهيم. وكان دائم الذكر لها، والاعتراف بفضلها، وربما إذا ذبح الشاة يقطعها أعضاءً، ثم يبعثها فى صدائق خديجة رضى الله عنها[1].

---

(١) متفق عليه (البخارى برقم:٣٨١٦؛ ومسلم برقم:٢٤٣٥)، ومما جاء فى رواية عائشة فيها:"ما غرت على أحد من نساء النبى ﷺ ما غرت على خديجة، وما رأيتها قط".

ثم تزوج بعد موتها بأيام (سودة بنت زمعة) القرشية العامرية، ثم تزوج بعدها (عائشة) الصِّدِّيقة حبيبة رسول الله ﷺ، وهى أفقه نساء الأمة وأعلمهنَّ، وكان الأكابر من أصحاب النبى ﷺ يرجعون إلى قولها، ويستفتونها، وهى ابنة أول الخلفاء الراشدين، ثم تزوج (حفصة بنت عمر بن الخطاب) رضى الله عنها، ابنة ثانى الخلفاء الراشدين، ثم تزوج (زينب بنت خزيمة) وتوفيت عنده بعد شهرين، ثم تزوج (أم سلمة) هند بنت أبى أمية حذيفة بن المغيرة القرشية المخزومية- وهى آخر نسائه موتًا- ، ثم تزوج (زينب بنت جحش) وهى ابنة عمته أميمة، وتزوج (جويرية بنت الحارث) بن أبى ضرار المصطلقية، ثم أم حبيبة (رملة بنت أبى سفيان) صخر بن حرب، ثم (صفية بنت حُيى) بن أخطب سيد بنى النضير، ومن ولد هارون بن عمران أخى نبى الله موسى عليهما الصلاة والسلام، ثم (ميمونة بنت الحارث) الهلالية، وهى آخر من تزوج بها.

وتوفى ﷺ عن سريّتين: (مارية بنت شمعون)، القبطية المصرية أهداها إليه ﷺ المقوقس عظيم مصر، وهى أم ولده إبراهيم – عليه السلام – و(ريحانة بنت زيد) من بنى النضير[1] أسلمت فأعتقها، ثم تزوجها[2].

ومن أراد من أصحاب الهمم، الإطلاع على كثرة فضائل محمد ﷺ بجميع أنواعها، فليراجع الكتب المطولة المؤلفة فى هذا الشأن.

وحسبى فى هذا أننى قد اجتهدت فى جمع وترتيب مستخلص (مع صاحب الخلق العظيم ﷺ) فإن أصبت فى اجتهادى فمن الله - سبحانه -

---

(١) ويقال من بنى قريظة.

(٢) ابن كثير: ٤/٦٠٤- ٦٠٥.

وإن جانبت الصواب فمنى ومن الشيطان وأعوذ بالله من ذلك، وغاية ما أرجو أن أكون قد وُفِّقت لما قصدت إليه وأدعو الله تعالى أن ينتفع بهذا الكتاب إخوانى المسلمين.

وآمل أن يستميحنى أخى القارئ الكريم عما جاء فى هذا الكتاب من قصور: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾

(البقرة: ٢٨٦).

اللهم اجعلنا من التائبين العابدين العامدين السائحين الراجين الساجدين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والحافظين لحدود الله.

اللهم اجعلنا من الذاكرين الشاكرين لك والمصلين على نبيك محمد ﷺ.

والله أسأل أن يوفقنا جميعًا لاتباع هدى نبينا ﷺ فى أحواله وأفعاله وصفاته، وهدى صحابته الكرام (ومنهم زوجاته) رضى الله تعالى عنهم جميعا، بما فيه صلاحنا وصلاح أزواجنا وأولادنا.

اللهم تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

اللهم بارك لنا فى أعمالنا وأوقاتنا، واجعل أعمالنا خالصة لوجهك الكريم.

اللهم إنى كتبت ما كتبت، فإن كان صحيحًا فهذا من فضل الله، وإن كان خطأ فهذا من نفسى والشيطان، إن الكمال المطلق لله رب العالمين، ورحم الله امرأً صحح لى خطئى ودلنى عليه ابتغاء وجه الله، فله من الله أحسن الجزاء، ختامًا أتوجه بالدعاء إلى الله أن يغفر خطيئتى ويتجاوز عن زلتى، ويجعلنى فى خدمة دينه وعباده، وما توفيقى إلا بالله.

والحمد لله رب العالمين وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفقير إلى الله تعالى

محمد محمود حماد

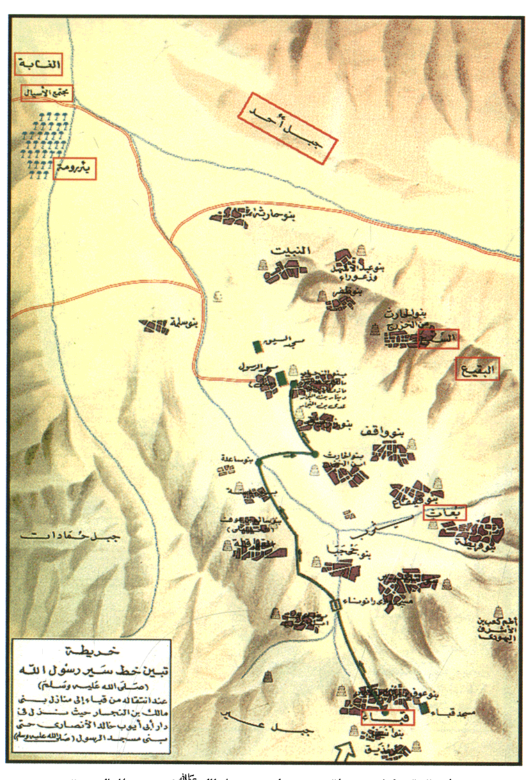
اللوحات والصور

مواضع تقريبية لبعض أيام العرب في الجاهلية

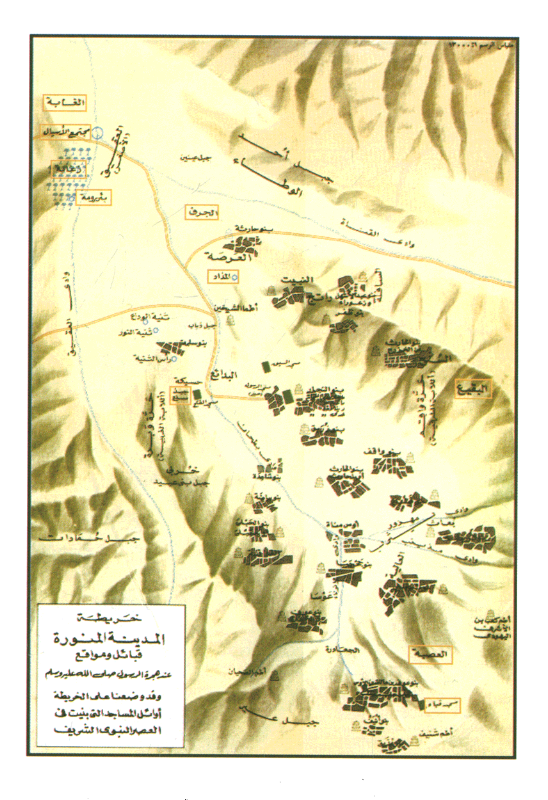
لوحة رقم (٤) ، مواضع تقريبية لبعض أيام العرب في الجاهلية



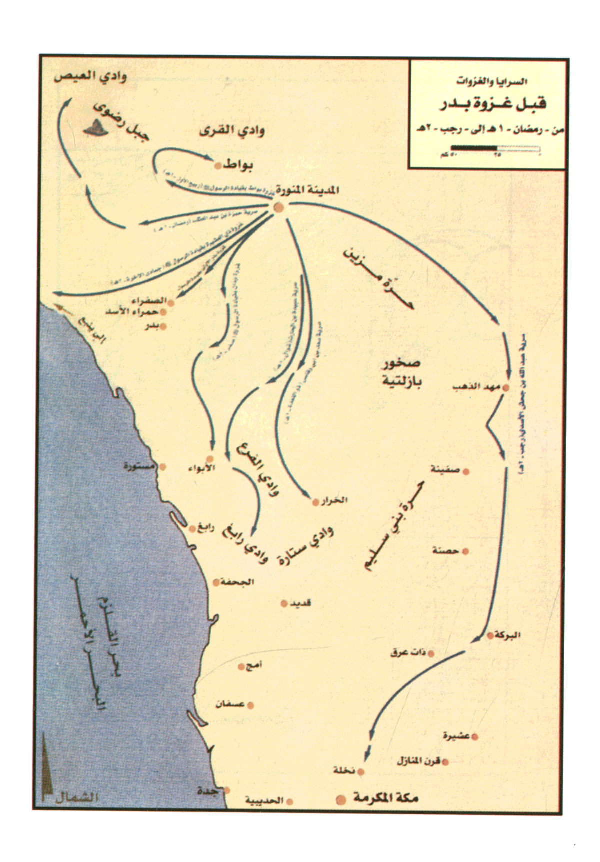
لوحة رقم (٥) ، خريطة توضح طريق الهجرة إلى المدينة

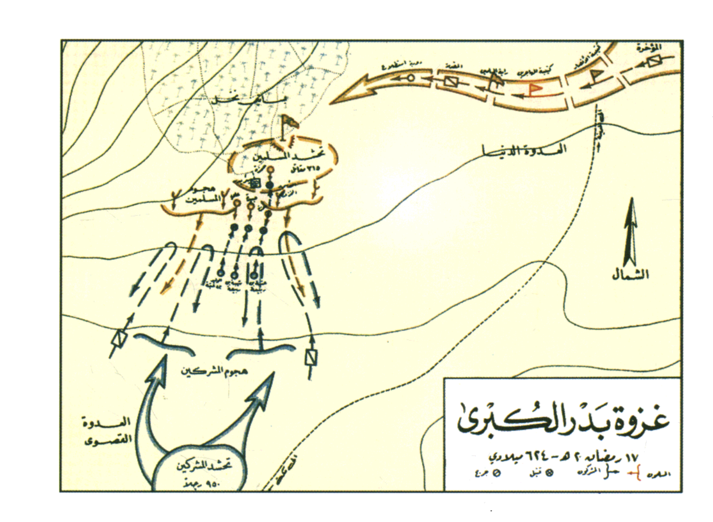


لوحة رقم (٦)، خريطة تبين خط سير رسول الله ﷺ في هجرته إلى المدينة



لوحة رقم (٧) ، خريطة المدينة المنورة

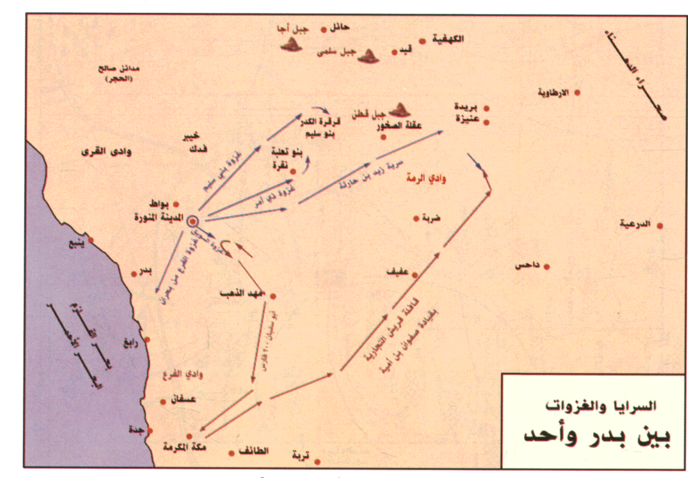

السرايا والغزوات
قبل غزوة بدر
من - رمضان - ١ هـ إلى - رجب - ٢هـ
وادي العيص
جبل رضوى
وادي القرى
بواط
المدينة المنورة
حرة مزين
الصفراء
حمراء الأسد
بدر
صخور
بازلتية
مهد الذهب
مستورة
الأبواء
وادي الفرع
الخرار
صفينة
رابغ
وادي رابغ
وادي ستارة
حرة بني سليم
حصنة
الجحفة
قديد
البركة
ذات عرق
أمج
عسفان
عشيرة
قرن المنازل
نخلة
جدة
الحديبية
مكة المكرمة
بحر القلزم
البحر الأحمر
الشمال



لوحة رقم [٩] ، غزوة بدر الكبرى



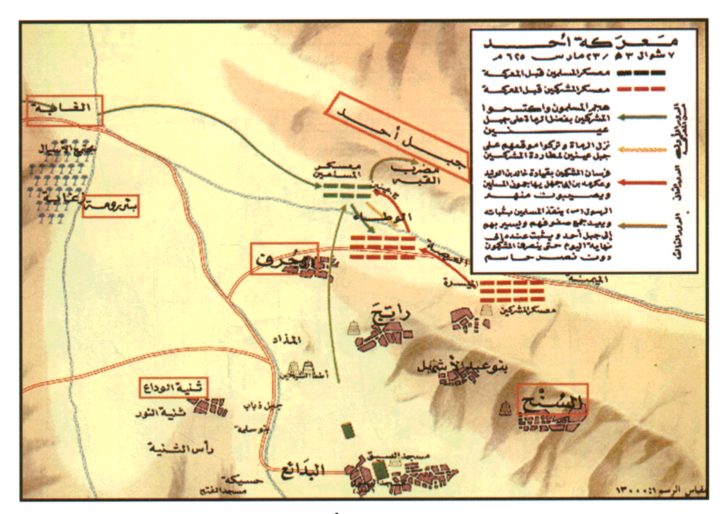
لوحة رقم (١٠)، السرايا والغزوات ضد اليهود



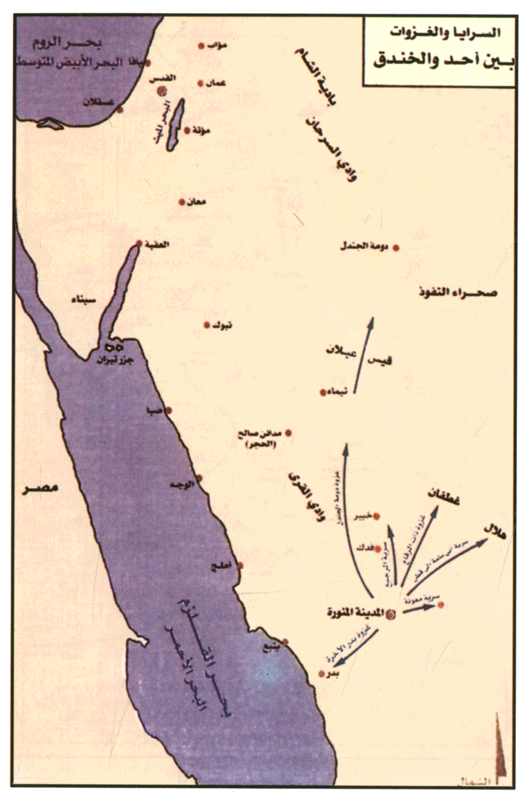
لوحة رقم (١١)، السرايا والغزوات بين بدر وأحد



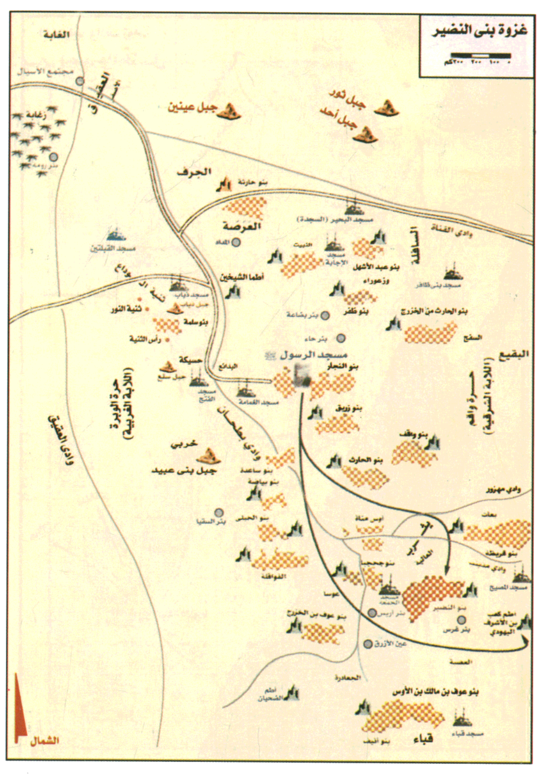
لوحة رقم (١٢) : غزوة بني قينقاع



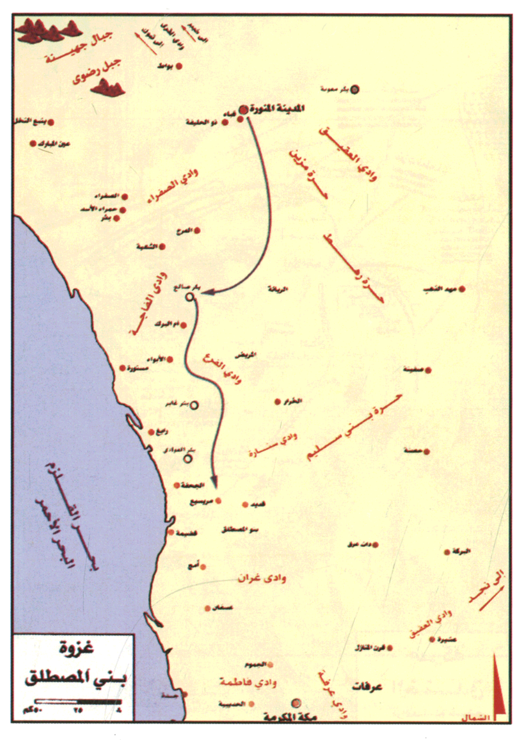
لوحة رقم (١٣) : غزوة أحد



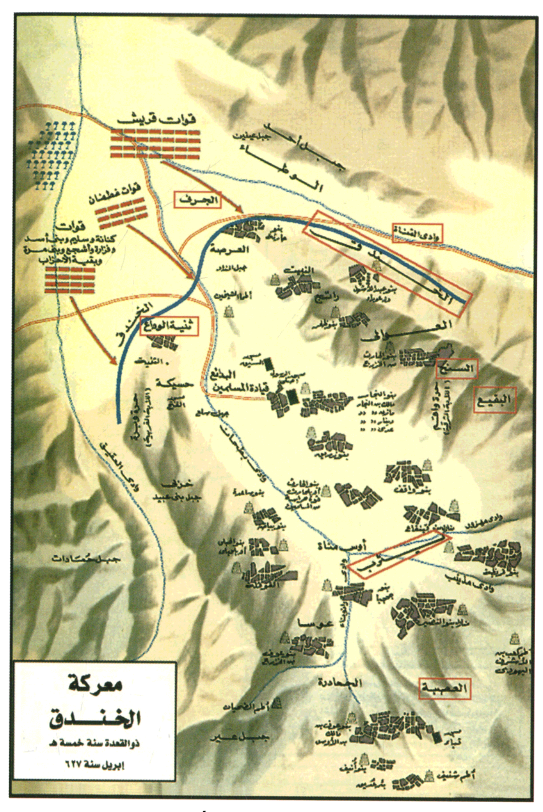
لوحة رقم (١٤) ، السرايا والغزوات بين أحد والخندق



لوحة رقم [١٥] ، غزوة بني النضير



لوحة رقم (١٦)، غزوة بني المصطلق



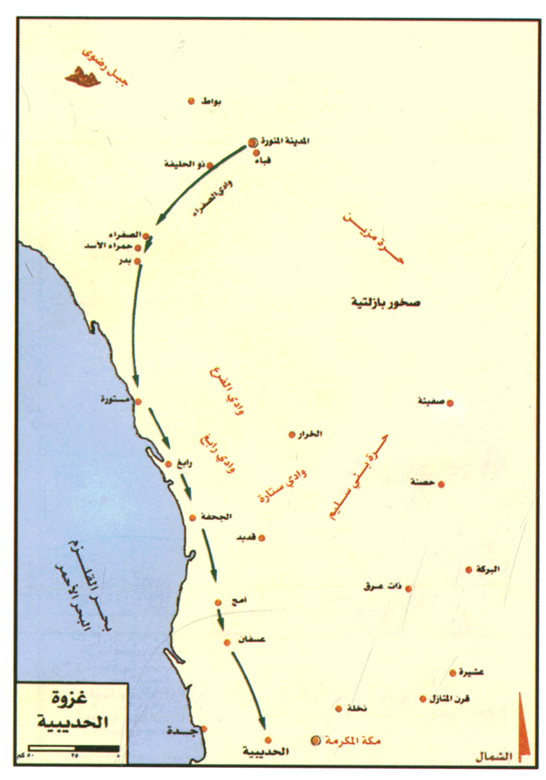
لوحة رقم (١٧) ، غزوة الخندق (الأحزاب)



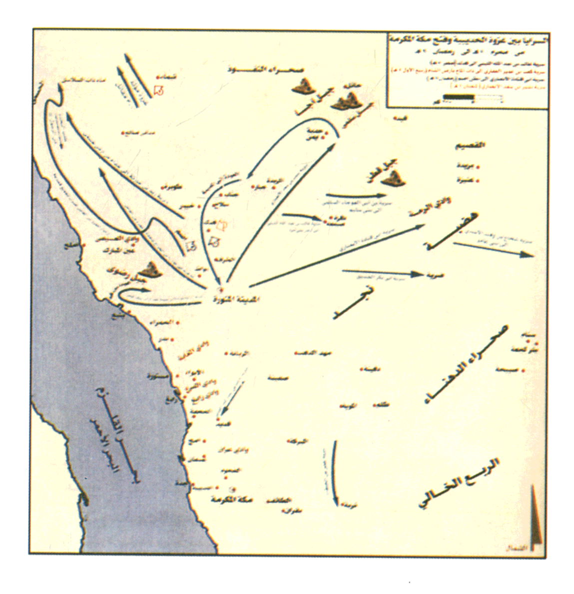
لوحة رقم (١٨) : السرايا والغزوات بين الخندق والحديبية



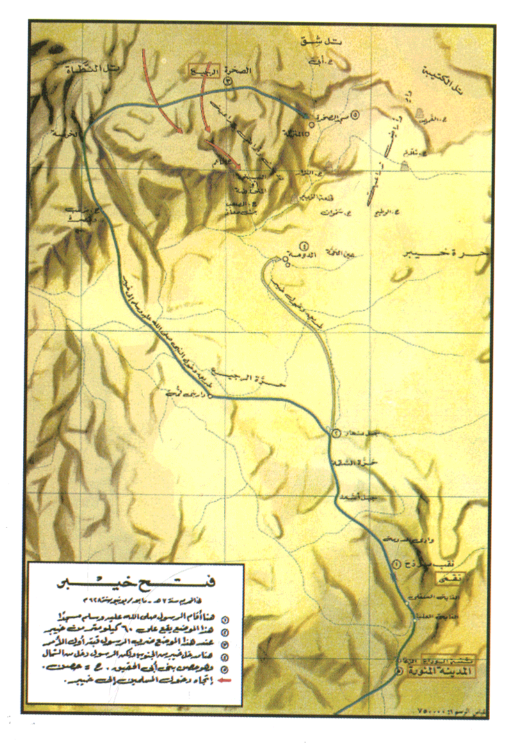
لوحة رقم (١٩) ، غزوة بني قريظة



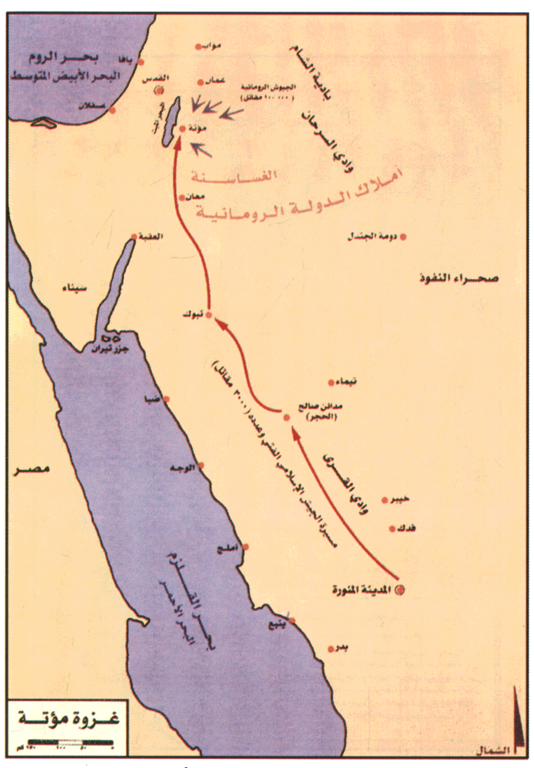
لوحة رقم (٢٠) ، غزوة الحديبية



لوحة رقم (٢١) ، السرايا والغزوات بين غزوة الحديبية وفتح مكة



لوحة رقم (٢٢) ، غزوة خيبر



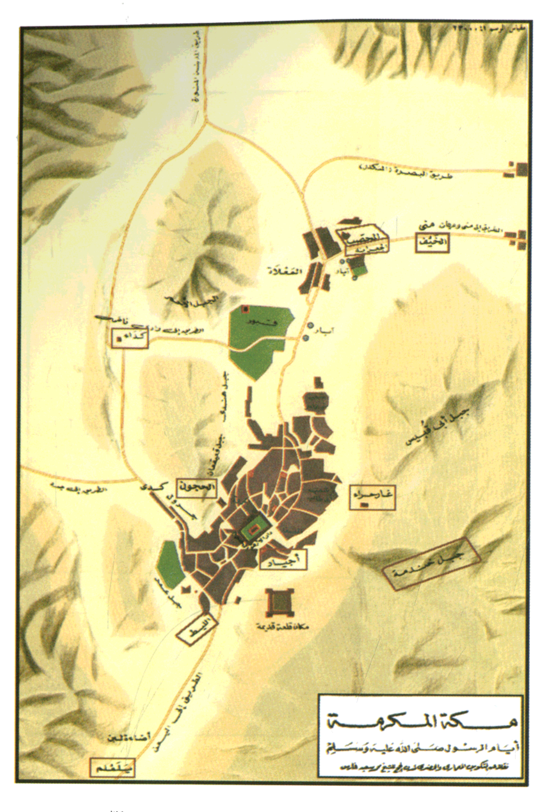
لوحة رقم (٢٣) : غزوة مؤتة (لوحة أ)



لوحة رقم (٣٤)، غزوة مؤتة (لوحة ب)



لوحة رقم (٢٥) ، فتح مكة المكرمة

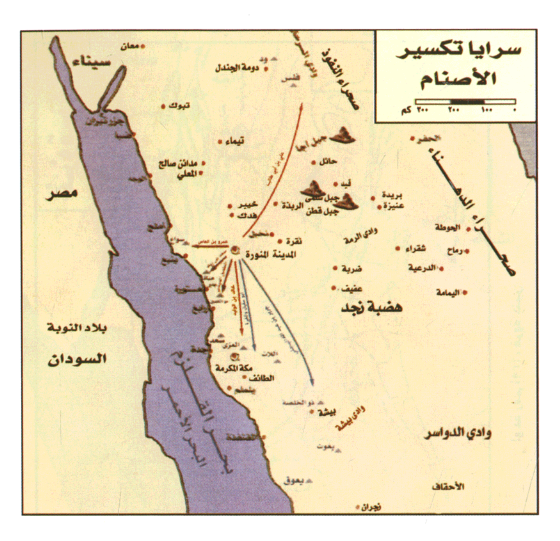


لوحة رقم (٢٦) ، خريطة مكة المكرمة (أيام رسول الله ﷺ)

السرايا والغزوات
بعد فتح مكة المكرمة
من رمضان ٨ هـ إلى ربيع الآخر ٩ هـ

صحراء النفوذ
صحراء الدهناء
هضبة نجد
الربع الخالي
وادي الدواسر
الأحقاف
وادي نجران
وادي حضرموت
بلاد فارس
البحر الشرقي
بحر عمان
عمان
بحر العرب
بحر القلزم
البحر الأحمر
سيناء
مصر
بلاد النوبة
السودان
أكسوم
الحبشة
الشمال

لوحة رقم (٢٧)، السرايا والغزوات بعد فتح مكة

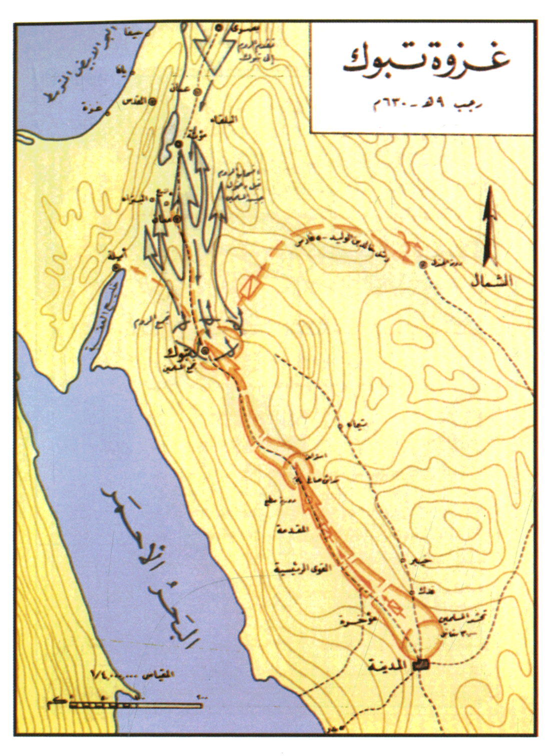


لوحة رقم (٢٨)، سرايا تكسير الأصنام

غزوة حنين

شوال ٨ هـ - شباط ٦٣٠م

لوحة رقم (٢٩) ، غزوة حنين

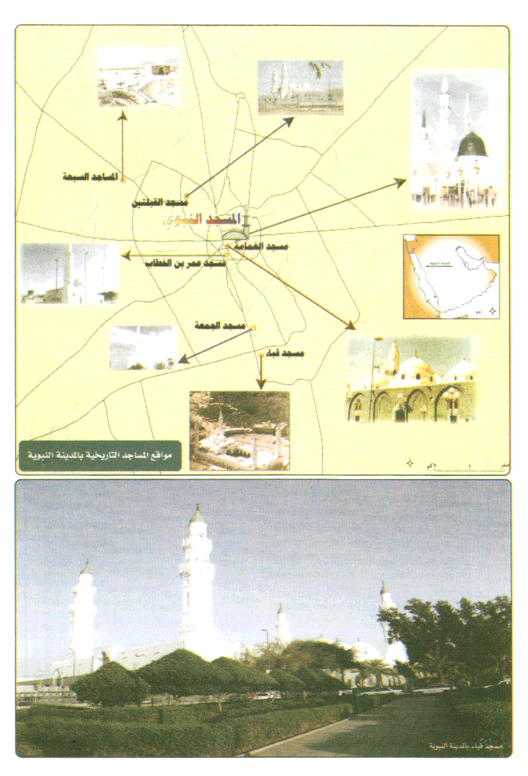


لوحة رقم (٣٠)، غزوة تبوك

لوحة رقم (٣١)، كتب رسول الله ﷺ إلى الملوك

إنتشار الإسلام
عام الوفود

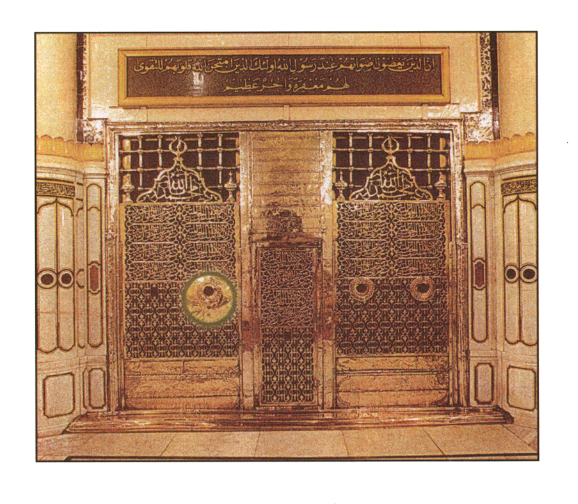
لوحة رقم (٣٢) ، عام الوفود



لوحة رقم (٣٣)، مخطط بمواقع المساجد التاريخية بالمدينة النبوية، وصورة لمسجد قباء



لوحة رقم (٣٤): مسجد سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه



لوحة رقم (٣٥) ، قبر رسولنا الكريم ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما



لوحة رقم (٣٦)، مخطط يوضح موقع بيوت أمهات المؤمنين


بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله
إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد
فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله
أجرك مرتين فإن توليت فعليك إثم الأريسيين ويا أهل
تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله
ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من
دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمين

لوحة رقم (٣٧)، صورة لكتاب رسول الله ﷺ إلى هرقل الامبراطور الرومي

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله
إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد
فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله
أجرك مرتين فإن توليت فعليك إثم الأريسيين ويا أهل
تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله
ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من
دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمين
الله رسول محمد

لوحة رقم (٣٨)، صورة أخرى لكتاب رسول الله ﷺ إلى هرقل الامبراطور الرومي



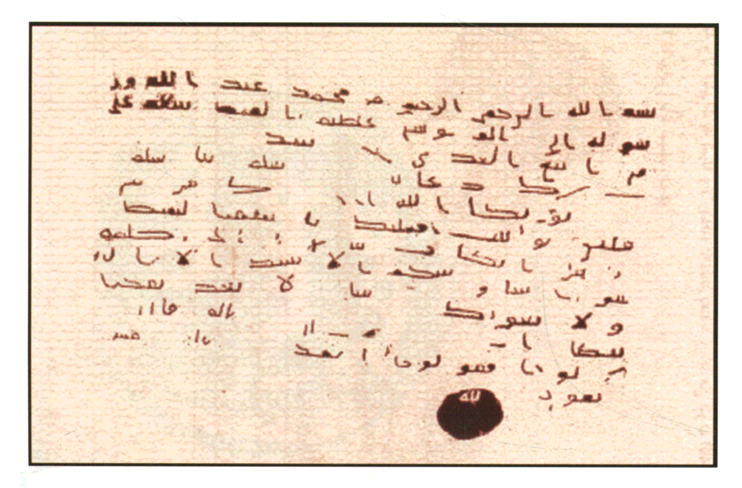
رسالة النبي ﷺ إلى كسرى أبرويز

لوحة رقم (٣٩)، صورة لكتاب رسول الله ﷺ إلى كسرى أبرويز ملك فارس



بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد رسول الله الى النجا
شي عظيم الحبشة سلام على من
اتبع الهدى اما بعد فاني احمد اليـ
ك الله الذي لا اله الا هو الملك
القدوس السلام المؤمن المهيمن
واشهد ان عيسى بن مريم روح
الله وكلمته القاها الى مريم البتو
ل الطيبة الحصينة فحملت بعيسى من ر
وحه ونفخه كما خلق ادم بيده و
اني ادعوك الى الله وحده لا شريك
له والموالاة على طاعته وان تتبـ
عني وتوقن بالذي جاءني فاني ر
سول الله واني ادعوك وجنو
دك الى الله عز وجل وقد بلغت
ونصحت فاقبلوا نصيحتي
والسلام على من
اتبع الهدى

لوحة رقم (٤٠)، صورة لكتاب رسول الله ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة



لوحة رقم (٤١)، صورة لكتاب رسول الله ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط



لوحة رقم (٤٢)، صورة لختم النبى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم

فهرس اللوحات والصور

فهرس الموضوعات

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٠١٤ لسنة ٢٠١٠

الترقيم الدولى 977/17/8262/2

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

٣٩٠٩٥ س ٢٠٠٩ - ٢٠٠٠


وإنك لعلى خلق عظيم
Bibliotheca Alexandrina
1118444